ميراث الترجمة

مختارات من إبسن

تقديم: سمير سرحان



1020

المجلد الأول

المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومي للترجمة

NORWEGIAN EMBASSY

مختارات من هنريك إبسن
(المجلد الأول)

المشروع القومى للترجمة

إشراف : **جابر عصفور**

سلسلة ميراث الترجمة

المحرر: طلعت الشايب

- العدد : ١٠٢٠
- مختارات من هنريك إبسن
- المجلد الأول : (بيرچينت – أعمدة المجتمع – بيت الدمية)
- مجموعة من المترجمين والمراجعين
- الطبعة الأولى ٢٠٠٦

مختارات من هنريك إبسن (المجلد الأول)

(يعيد المشروع القومى للترجمة نشرها بالتعاون مع السفارة الملكية النرويجية بالقاهرة وذلك بمناسبة مرور مائة عام على رحيل الكاتب المسرحى الكبير)

المجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel.: 7352396 Fax: 7358084

المشروع القومى للترجمة

مختارات من هنريك إبسن
(المجلد الأول)

تصدير : **بقلم محرر السلسلة**

هنريك إبسن من الرومانسية إلى الواقعية

بقلم : **سمير سرحان**

ترجمة : **راندا حكيم**

مراجعة : **طلعت الشايب**

مختارات المجلد الأول :

بيرچينت (ترجمة : **على الراعى** – مراجعة : **محمد مندور**)

أعمدة المجتمع (ترجمة : **أحمد النادى** – مراجعة : **طه محمود طه**)

بيت الدُّمية (ترجمة : **كامل يوسف حسين**)

المجلس الأعلى للثقافة
٢٠٠٦

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

إبسن ، هنريك

مختارات من إبسن - ط ١ - القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٦

مج ١ ؛ ٢٠ سم .

١ - المسرحيات النرويجية المترجمة عن الإنجليزية .

(أ) العنوان

رقم الإيداع ٢٠٠٦/١٨٧٦

الترقيم الدولى I.S.BN. 977 - 437 - 005 - 8

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تصــــدير

"هنريك إبسـن" أو مـخـترع الدراما الحـديثة

عندما يحتفل عالم الأدب والفن بمئوية الكاتب الكبير هنريك إبسن (١٨٢٨ - ١٩٠٦) فإنما يحتفل بمبدع كونى يمكن وصفه دون مبالغة أو تهويل بعبارات جامعة مانعة من قبيل أنه "مخترع الدراما الحديثة" و "الأب الشرعى لمسرح القرن العشرين" ؛ فالمسرح الغربى الذى كان خاليًا ومجدبًا تحول على يديه إلى شكل فنى شديد الثراء على امتداد العالم شرقًا وغربًا وليس فى بلده فقط ، هو كاتب أحدث ثورة فنية غيرت التفكير الاجتماعى لجيله وللجيل التالى له ، وإلى الدرجة التى تجعل بعض النقاد ومؤرخى الفن المسرحى يرون أنه حقق للقرن التاسع عشر ما كان "جان جاك روسو" قد حققه لنهايات القرن الثامن عشر ، فإذا كان الأخير قد أقنع الناس بالعودة إلى الطبيعة ليعجل بثورة اجتماعية ، فإن "إبسن" هو الذى بشّر بثورة الفرد على محظورات النظام القديم ونفاق المجتمع وتحيزاته ، وهى أمراض اجتماعية كانت تحكم قبضتها ، وتفرض سيطرتها فى كل مدينة وعلى كل أسرة ليعجل بثورة فى الاتجاهات والسلوك . "إبسن" هو الذى علَّم الناس ، والنساء بخاصة ، من خلال هذا الفن الجميل ، أن الضمير الفردى والمفاهيم الشخصية عن الحرية لابد أن يكون لها الأولوية على متطلبات المجتمع .

ولذلك هناك إجماع نقدى على أن "إبسن" وأعماله التى هى جزء مهم من ريبرتوار المسرح العالمى من بين الدعائم الأساسية فى قوس الحداثة . نحن أمام بناء مسرحى محكم ، وفن بالغ البساطة والدقة ، ومنهج فى التناول يجعل أفعال الشخصيات بالغة التركيز وواضحة الدوافع ، وذلك كله عبر حوار شديد الإيجاز قوى الحجة ، يطرح أسئلة مقلقة عن سلطان المال وظلم المرأة ... حتى موضوع المرض الجنسى الذى كان من المحرمات . نحن أمام كاتب استطاع أن يضع القضايا الاجتماعية والسياسية فوق خشبة المسرح بأمانة وبلغة الحياة اليومية البسيطة ، ولعل ذلك هو ما جعل كاتبًا بحجم "برنارد شو" يعتبر مسرحياته أهم وأكثر قيمة من مسرحيات "شيكسبير" ؛ حيث إن الأخير "وضع أشخاصنا على المسرح ، ولكنه لم يضع ظروفنا" على حد تعبيره . "إبسن" نفسه عندما ترك الشعر وبدأ الكتابة بلغة نثرية تقترب من اللغة الدارجة نأى بنفسه عن الأساطير ، وراح يبحث عن شخوصه بين الناس العاديين ، وكثيراً ما كان يشاهد جالسًا فى ركن من المقهى يتأمل ويلاحظ ويدون ، كما كان يجلس بالساعات يحملق من نافذة غرفته فى الشوارع المزدحمة بالبشر راصداً كل شىء . كان يقول : "أريد أن يشعر القارئ بأن ما يقرأه قطعة من الحياة ، وأنا إذا استخدمت الشعر سأهدم هذا الهدف ؛ لأن ملامح الشخصيات العادية التى وضعتها فى المسرحية سوف تنطمس لو أننى جعلتها تنطق شعراً . لم نعد نعيش فى أيام شيكسبير ، وإذا كنت أريد أن أصور شخصيات بشرية فلن أجعلها تنطق بلغة الآلهة» .

إن تميز "إبسن" يتبدى عندما نضع فى اعتبارنا تلك الظروف والملابسات التى نشأ فيها ومجمل العوامل المكونة لثقافته وأفكاره والتداخل بين مسيرته الحياتية وإبداعه ؛ ففى العصور الوسطى الأولى

(٩٠٠ – ١١٠٠) كانت النرويج قوية وجسورة ، ثم جاء الانهيار ، خاصة بعد موت "أولاف الرابع" آخر ملوكها النرويجيين سنة ١٣٧٨ ، وفى سنة ١٥٣٦ كانت ولاية من ولايات الدانمرك ، وبقيت كذلك ثلاثة قرون تقريبًا ، وقد تغير اسم العاصمة "أوسلو" إلى "كريستيانيا" إحياء لذكرى حاكم دانمركى ، كما كانت كل الثقافة الراقية (الشعر والرواية والمسرحية) دانمركية . وفى مؤتمر ڤيينا (١٨١٤ – ١٨١٥) حصلت النرويج على ما يسمى بدستور "ايد سفول" الذى ضمن لها الحكم الذاتى تحت التاج السويدى ، إلا أن البلاد لم تعرف الحكم المستقل سوى فى سنة ١٩٠٥ ، وحتى القرن التاسع عشر كانت النرويجية لهجة محلية ريفية أكثر منها لغة وطنية مكتوبة . فى شباب "إبسن" ورجولته الباكرة كانت الثقافة فى معظمها دانمركية وكانت الكتابة بالنرويجية تعنى أنك تعزل نفسك عن بقية إسكندناڤيا والعالم . ظلت الدانمركية لغة الأدب . البلد نفسه كان بائسًا وفقيرًا ، والعاصمة مدينة إقليمية صغيرة بالمقاييس الأوروبية لا يزيد عدد سكانها عن مائتى ألف نسمة ، وكانت "سكين" مسقط رأس "إبسن" – ٢٠ مارس ١٨٢٨ – التى تقع على الساحل على مسافة مائة ميل جنوبًا ، منطقة مقفرة تنتشر فيها الذئاب ومرض الجذام ، "إبسن" نفسه وصف المكان فى جزء من سيرته الذاتية بأنه "كان شيئًا خرافيًا مخيفًا وموحشًا".

كان "إبسن" الابن الأكبر بين خمسة أطفال (أربعة ذكور وبنت واحدة) ، لأب ميسور الحال من تجارة الخشب وصناعة السفن ، وكان أسلافه من البحارة . أمه كانت من عائلة تعمل بالشحن ، وعندما بلغ "إبسن" السادسة من عمره أفلس والده وأصبح إنسانًا مكسورًا ، طفيليًا ، مشاكسًا ، نكد المزاج (شخصية إكدال العجوز فى مسرحية البطة البرية) ،

وأمه التى كانت جميلة ذات يوم (وممثلة فاشلة) أصابها الاكتئاب فانغلقت على نفسها ، وكانت كثيراً ما تختفى فى غرفتها وتلعب بدمى الأطفال! غرقت الأسرة فى الديون ، وعاشت فى منزل متواضع كان نصيب "إبسن" فيه غرفة على السطح يلهو فيها من وقت لآخر بين الكتب والساعات القديمة (وصفها بدقة فى مسرحية البطة البرية) . عاش "إبسن" طفولة مهينة ، وبعد المرحلة الابتدائية أرسل إلى ميناء "جريمشتاد" الكئيب ليعمل مساعداً فى صيدلية . هنا أيضًا لن يفارقه سوء الحظ؛ إذ أفلس صاحب الصيدلية وترك "إبسن" العمل . خروج "إبسن" من هذه الهاوية يعتبر فى حد ذاته ملحمة عن العصامية والتعليم الذاتى والإصرار على التحقق ؛ ففى سنة ١٨٥٠ شقَّ طريقه نحو الجامعة لدراسة الطب ، ولكنه لم يكمل دراسته بعد أن طغت ميوله الأدبية على توجهاته ، وفى تلك المرحلة كان يكتب الشعر والمسرحية والنقد والتعليق السياسى ، كما كان قارئًا جيداً للشعر واللاهوت . بعد أن ترك دراسة الطب تفرغ للأدب ، وكتب مجموعة من المسرحيات الفاشلة : مسرحيته الأولى "نورما" لم تقدم على المسرح ، أما أول أعماله التى قدمت فهى "كاتالين" – ١٨٥٠ – وهى مأساة شعرية ، وكان نصيبها الفشل كذلك . لم يكن حظه أفضل مع ثانى مسرحية تقدم له وهى "ليلة سان چون" . والثالثة "تل المحارب" سقطت فى "بيرچن" ، الرابعة "السيدة إنجار" – نثرية – قدمت باسم مجهول وفشلت . كان العمل الأول الذى جذب إليه الانتباه هو "حفل فى سولهاج" بالرغم من أنه كان يعتبرها عملاً تقليديًا تافهًا . كانت لديه ثقة تامة بأن قادمه سيكون أفضل ولم ييأس ، وبالمثابرة والإصرار على النجاح كان يكتسب خبرة تتراكم بالتدريج ، فى تلك المرحلة أيضًا شارك فى تحرير مجلة لم يُكتب لها الاستمرار ، وفى سنة ١٨٥١ جاء الفرج المنقذ من الضائقة

المالية على يد الموسيقى الشهير "أول بول" مؤسس أول مسرح لغوى فى "بيرچن" . كان "بول" يعرف موهبته فعينة مؤلفًا نظير خمسة جنيهات فى الشهر ، وكان من بين مهامه أن يكتب كل عام مسرحية تُعرض فى الذكرى السنوية لإنشاء المسرح . هنا أيضًا سيعمل "إبسن" - على مدى ست سنوات - فى المناظر والملابس وشباك التذاكر ، ويساعد فى الإخراج . أثناء سنوات عمله فى "بيرچن" كان المسرح يقدم الكثير من الأعمال الفرنسية التى تعتمد قصص المؤامرات والمغامرات والإثارة المفتعلة ، وتستخدم لغة زاعقة ، وكانت شخصياتها نمطية (الأب الصارم ، والزوج الغيور ، والعاشق الولهان) ، ويبدو تأثر "إبسن" بهذه الموجه التى كان بطلاها الكاتبين الفرنسيين "سكريب" و "ساردو" فى مسرحياته الأولى ، هذه المرحلة التجريبية فى حياته التى بدأها بمسرحية "كاتالين" وقدم فيها "السيدة إنجار" و "حفل فى سولهاج" و "الڤايكنج فى هيلجلاند" لم يكن مقتنعًا بها . كان يدرك أنه يستطيع أن يكتب أفضل من ذلك ، وراح يهاجم "سكريب" وأتباعه ، ويبحث لنفسه عن بناء مسرحى جديد يتلاءم مع فنيته وقدراته .

فى سنة ١٨٥٨ انتقل إلى "كريستيانيا" ؛ حيث عمل مديراً لمسرح البلدية الجديد وراح يشق طريقه نحو الإجادة بقدرة استثنائية على العمل ، كتب "المدعون" - أو المطالبون بالعرش - وكوميديا ساخرة بعنوان "كوميديا الحب" كانت عبارة عن نقد لاذع لأوضاع المجتمع الإسكندناڤى ، وأول ضربة له فى حملاته التى سوف تتواصل ضد نفاق المجتمع وانتصاراً لحقوق الفرد .

وأطل سوء الحظ من جديد فأفلس المسرح الذى يعمل به فى ١٨٦٢ ليتم الاستغناء عن خدماته ، فى تلك الأثناء كان متزوجًا وغارقًا فى

الديون ومطارداً من أصحابها ومكتئبًا ويشرب بإفراط ، وكان الناس يشاهدونه فاقد الوعى ، وأنشأ مجموعة من الطلاب صندوقًا للتبرعات بهدف "مساعدة الشاعر السكير للسفر إلى الخارج" ، هو نفسه كان يكتب الطلبات لذلك ، ويقدمها للعرش والبرلمان للحصول على منحة تمكنه من السفر إلى الجنوب ، وفى النهاية تحقق له ذلك ليعيش على مدى ربع القرن فى المنفى . روما كانت المحطة الأولى ، وهنا سيبقى أربع سنوات متصلة (١٨٦٤ - ١٨٦٨) ، وسيكتب مجموعة من أهم وأفضل أعماله وهى "براند" - ١٨٦٦ - وبيرچينت - ١٨٦٧ - وعصبة "الشباب" - ١٨٦٩ - ومسرحية تاريخية بعنوان "القيصر والجاليلى" - ١٨٧٣ - أما معظم سنوات منفاه الاختيارى الأخرى فقضاها فى ألمانيا (زار مصر فى ١٨٦٩ مدعواً فى احتفالات افتتاح قناة السويس) ، فى هذه المرحلة أيضًا كتب "أعمدة المجتمع" - ١٨٧٧ - و "بيت الدمية" - ١٨٧٩ - و "الأشباح" - ١٨٨١ - و "عدو الشعب" - ١٨٨٢ - و "البطة البرية" - ١٨٨٤ - و "بيت آل روزمير" - ١٨٨٦ - و "حورية من البحر" - ١٨٨٨ - و "هيدا جابلر" - ١٨٩٠ - و "سيد البنائين" - ١٨٩٢ - ، وبعد أن عاد إلى بلاده فى ١٨٩٢ كتب "إيولف الصغير" - ١٨٩٢ - و "چون جابريل بوركمان" - ١٨٩٦ .

لم يكن "إبسن" يتحمل أن يكرر نفسه ، وكان كل عمل من أعماله مختلفًا وخطوة جديدة نحو المجهول . كان بمجرد ما إن يقرر ما يريد أن يحدث على المسرح يكتبه بسرعة ويكتبه جيداً ، وكان من مميزاته أنه لا يقدم فقط شيئًا جديداً وأصيلاً فى فنه باستمرار ، ولكنه كان إلى جانب ذلك شديد الحساسية بالنسبة لمفاهيم غير مكتملة فى عقول الآخرين أو لم يكشف الستار عنها بعد . وكما يقول الناقد الدانمركى "چورچ براندز"

– وكانا صديقين فى مرحلة ما – "..... وفى حالة توافق غريب مع الأفكار التى كانت تتخمر ، وفى طور التكوين فى تلك الأيام ، كانت لديه أذن تصغى لتلك الدمدمة الخفيضة التى تنبئ بأفكار تتفاعل تحت الأرض" . كان رواد المسرح فى العالم يرون أنفسهم أو جيرانهم فى شخصيات الضحايا والمستغلين والمعذبين فى مسرحياته ، هجومه على القيم البالية ، برنامجه للتحرر الشخصى ، دعوته بأن يكون لكل البشر فرصة لتحقيق الذات ... وكان كل ذلك يلقى ترحيبًا فى كل مكان . فكرتان أساسيتان تطغيان على مجمل إنتاج "إبسن" المسرحى : تركيزه على الفرد وعلى الشخصية ؛ حيث يرى ، عن اقتناع ، أن نموهما هو الأمل الوحيد فى قيام مجتمع مستنير ، والفكرة الثانية هى أن إنكار الحب هو المأساة الوحيدة التى لا يمكن تحملها . لم يقدم "إبسن" فى مسرحه شخصيات تتكلم لغة قريبة من لغة التخاطب المعتادة فحسب ، وإنما ربط هذه الشخصيات بظروفها ومشكلاتها الاجتماعية بأسلوب واقعى . فى "بيت الدمية" مثلاً نجد قضية حق المرأة فى أن تكون لها شخصيتها المستقلة ، ونرى كيف تنحل رابطة الزواج فجأة عندما تدرك الزوجة أن زوجها "كائن غريب عنها" ، وفى "البطة البرية" و "الأشباح" و "أعمدة المجتمع" يهاجم التقاليد الاجتماعية وسطوتها والصراع بينها وبين السعى وراء تكامل الشخصية الفردية .

هذه المرحلة الثالثة من مراحل تطور "إبسن" المسرحى (مرحلة إيطاليا وألمانيا التى كتب فيها أعماله المتميزة) يراها مثلاً "برنارد شو" وغيره من الكُتَّاب الواقعيين مرحلة النضج الفنى لديه وسواها "تمهيد أو اضمحلال" ، قبلها قدَّم أعمالاً لم يرض عنها وكان يتجاهلها دائمًا ، وبعدها نزع إلى الروحانية فى المرحلة الختامية من حياته ، وبدل

الاهتمام بالمشكلات الاجتماعية برزت مشكلات الفرد ككائن روحى فامتلأت مسرحياته الأخيرة بنزعة تصوفية ، وهبطت قيمتها الفنية .

فى سنة ١٩٠٣ أصيب "إبسن" بالشلل ، وعندما توفى بعد ذلك بثلاث سنوات (٢٣ مايو سنة ١٩٠٦) كان مساعد الصيدلى السابق قد أصبح أشهر رجل فى إسكندناڤيا ، أقيمت له جنازة رسمية حضرها ملك النرويج ومندوب عن إدوارد السابع ملك إنجلترا .

ومشاركة فى الاحتفال بمئوية مخترع الدراما الحديثة والأب الشرعى لمسرح القرن العشرين ، تُعيد سلسلة "ميراث الترجمة" نشر مجموعة من مسرحياته فى ثلاثة مجلدات ، يضم الأول دراسة بعنوان "هنريك إبسن : من الرومانسية إلى الواقعية" بقلم الأستاذ الدكتور سمير سرحان (صادرة بالإنجليزية عام ١٩٦٩) وثلاث مسرحيات هى "بيرچينت" و "أعمدة المجتمع" و "بيت الدمية" ، ويضم المجلد الثانى مسرحيات "الأشباح" و "البطة البرية" و "بيت آل روزمير" و "حورية من البحر" ، ويضم المجلد الثالث مسرحيات "هيدا جابلر" و "إيولف الصغير" و "سيد البنائين" ، وهى دعوة لقراءة جديدة .. لتراث مسرحى خالد ... لكاتب رأى وسمع كل شىء ووضعه فوق خشبة المسرح بأمانة واقتدار .

المحرر

هنريك إبسن من الرومانسيــة إلى الواقعيــة

بقلـــم : سمير سرحان

تــرجمة : راندا حكيم

مراجعة : طلعت الشايب

١ - من الرومانسية الى الواقعية الحديثة

دارسو إبسن - من أول برنارد شو إلى ويليام شكسبير وحتى وقت قريب - ركزوا بحثهم على إبسن "الاجتماعى"، ونسبة لهذا الجانب من إبسن، أطلقوا عليه اسم "أبو الدراما الحديثة". وكان هذا من سوء حظ الكاتب الدرامى العظيم.

المسرحيات التى بنيت عليها شهرة إبسن العالمية لا تمثل إلا مرحلة واحدة من عملية تطور مستمر وتحليل قوى للذات، رغبة من الأديب فى أن يكون صادقًا فى مواجهة تعقيدات التجربة وحاجة منه إلى أن يصقل أدواته بوصفة كاتبًا دراميًا. هذا التطور الذى تحاول هذه الدراسة الموجزة أن تقدم عرضًا له، كان - وبصورة واضحة - تطوراً من الرومانسية، مروراً بمرحلة "تجريبية" كتب فيها إبسن مسرحيات اجتماعية وصولاً إلى الواقعية.

النظر إلى المرحلة الوسطى فى حياة إبسن باعتبارها مرحلة تجريبية، هو فى رأيى أمر مشروع ومبرر. فى هذه المرحلة كان الكاتب الدرامى يتحول بفنه من الانشغال بعلاقة الفرد بذاته أو بندائه الداخلى، إلى البحث فى علاقة الفرد بالمجتمع. كان إبسن أيضًا يصقل تكنيكًا أو أسلوبًا جديداً لم يستخدمه من قبل، ربما باستثناء "ليدى أوسترات"، وهو الدراما النثرية فى صورة هى خليط من أساليب سوفوكليس

وسكريب. استخدام حبكة مبنية بإحكام تكاد تقترب من "الرواية المثيرة[١]"، أسلوب الرسائل المعترضة والأسرار المكتومة، ... إلخ، لم تكن إلا أساليب استعارها إبسن من سكريب ليوظفها فى اتجاه هدف أعمق[٢]، بينما دراما "الظروف المواتية"، والتى يتكشف فيها الماضى من خلال الحركة ويتجه بالحدث، فى حتمية رهيبة، نحو الكارثة، كانت فى نظر بعض النقاد، أساليب استعارها إبسن من سوفوكليس بصورة جلية.

إلا أن إبسن فى مسرحيته "البطة البرية" ابتعد بثبات عن المواضيع الاجتماعية والأساليب المرتبطة بها، بينما ظل يستخدم مشهد حجرة الاستقبال البرجوازية فى مسرحياته. وظل يستخدم حواراً نثرياً خالصاً[٣]. استحدثت مسرحياته شخصيات مركبة وعملاقة مثل : هيدا جابلر وروزمر وسولنس وجون جابريل بوركمان. الرمزية كانت تبدو مظلمة أكثر فأكثر، ربما مثل الرمزية سهلة الإدراك التى تمثلها رقصات التارنتللا فى "بيت الدمية"، ملجأ أيتام السيدة الفينج أو فساد المحليات فى "عدو الشعب". وعندما تحرر إبسن من تأثير أسلوب سكريب الذى كان يستخدمه ويحتقره وأحتقره أنا أيضاً فى آنٍ واحد، أصبحت أعماله الدرامية أكثر عظمة.

فى هذه الحال، استطاع إبسن أن يمزج الأحداث القائمة على الحياة الحديثة مع متطلبات الشعر ، ولذلك كانت مسرحياته الأخيرة انتصاراً للواقعية.

تلقى إبسن أول اعتراف به كفنان وكاتب درامى فى نوفمبر ١٨٥١ عندما عرض عليه منصب مدير مسرح بيرجن. كان المسرح القومى

الرئيسى فى هذا الوقت محكومًا بذخيرة مسرحية دانمركية، ويديره مدير دانمركى، ويعمل به ممثلون دانمركيون. ظلت النرويج لفترة طويلة بعد انفصالها عن الدانمرك فى ١٨١٤، واقعة تحت سيطرة الثقافة الدانمركية. واحتفظت النرويج بلغة الأدب الدانمركى النرويجى المسماة بالريكسمول، منفصلة عن اللغة العامية أو اللاندزمول. وكانت إحدى مظاهر الرومانسية النرويجية، التى قادها الشاعران فيلهافن وفيرجيلاند[٤]، هو الاتجاه إلى تحقيق استقلال الأدب النرويجى عن مثيله الدانمركى. وكان إنشاء مسرح بيرجن هو أحد أهم ما نتج عن هذا الاتجاه. وكان يجب على إبسن بوصفه مديراً لمسرح بيرجن، أن "يعاون المسرح ككاتب درامى[٥]". وانطلاقًا من هذه الروح، ركز إبسن، تمامًا كما يشير جنكو لافرين، "على المواضيع القومية الرومانسية أو المواضيع الفلكلورية"[٦]. واعتمدت أعماله الأولى على مواضيع من التاريخ النرويجى والأغانى الشعبية والقصص الأيسلاندية الذاخرة بالبطولة والأساطير الشعبية الوطنية[٧].

و إذا كان لنا أن نتجاوز عن "كاتللين" التى تفتقر إلى النضج، فإن أول إسهام قدمه إبسن إلى مسرح بيرجن كان "ليلة عيد القديس جون" (١٨٥٣). وكما يشير داونز، فإن هذه المسرحية تعتمد على قاعدة من رومانسية الجنيات ومن فلكلور نرويجى كان قد أصبح شعبياً لتوه، مثل الإضاءة المستمرة الصادرة عن البالات المشتعلة فى منتصف الصيف (ليلة عيد القديس جون)، وهى طقس وثنى قديم ، والاعتقاد ليس فقط فى الجرعات السحرية، ولكن أيضًا فى الجن المنزلى والأقزام ساكنى الغابات الذين يمكنهم أن يظهروا أنفسهم للبشر، بل وأن يؤثروا فى مصائرهم[٨]. وفى مرحلة لاحقة، عندما أتقن إبسن رومانسيته وأجادها، استطاع أن يستخدم معظم هذه العوامل استخداماً عبقرياً فى مسرحية "بير جينت".

وقد استخدمت هذه العوامل القومية بصورة أكثر تعبيراً فى مسرحية "العيد فى سولهوج" (١٨٥٦) عندما اعتمد إبسن اعتماداً كبيراً على أهازيج الفلكلور النرويجى (١٨٥٣). هنا تنسحب الحركة إلى عصر الأغانى (١٣٠٠) وتستخدم الحبكة المسرحية ذاتها بصورة تعطى الانطباع بأنها أغنية ممتدة. "أولاف ليلياكرانس" (١٨٥٧) هى دراما رومانسية عن الحب ، تعتمد الحركة فيها على مزيج من الأغانى الشعبية "أولاف ليلاكرانس" وعلى قصة من الأساطير الشعبية النرويجية. ويصف جاجر، وهو مؤرخ معاصر لإبسن، هذه الدراما بأنها "رومانسية المزاج أكثر من العيد فى سولهوج"(٩).

فى هذه المسرحية الأخيرة، نجد أن الفتاة الصغيرة الفهيد، والتى تدور من حولها الأحداث، هى طفلة الطبيعة، تعيش فى الوادى المهجور الذى كان قد اجتاحه الطاعون أو الموت الأسود. هذه الفتاة هى صورة للحب الذى ينتصر على التقاليد وعلى المجتمع. وقد كان مقرراً أن يتزوج أولاف من أنجيبورج تحقيقاً لخطة رسمتها السيدة كريستن ليلياكرانس بهدف تحقيق مصالحة بين عائلتيهما. ولكنه ينقذ محبوبته الأولى الفهيد من عقوبة الموت التى فرضتها عليها السيدة كريستن وشعبها ويتزوجها.

فى مرحلة لاحقة سوف يجد الباعث الرومانسى للفداء عن طريق الحب تعبيراً أكثر عمقاً فى مسرحية "بير جينت".

فى مسرحية "الفايكنج فى هاجيلاند" (١٨٥٨)، نجد سيجورد، وهو على النقيض من أولاف، يضحى بحبه لهيورديس من أجل صديقه جونار، يضطر أن يدفع حياته ثمناً لخطيئته. ومع ذلك، فإن هذه المسرحية تظهر اهتماماً جديداً بالأساطير أكثر من الأغانى(١٠)، إلا أن

مسرحية " الفايكنج فى هاجيلاند" تسبق "براند"، وهى أعظم تراجيديات إبسن الرومانسية، فى الاحتفال بعظمة الفرد، وفى المزج بين دوافع الحب والنداء الداخلى، وفى التوجه السريع نحو نهاية مفجعة.

مسرحيات إبسن فى المرحلة الرومانسية تنوعت فيما بينها فيما يتعلق بمصدر الموضوع، وفى تركيزها على جوانب مختلفة من التاريخ النرويجى والموروث الثقافى النرويجى، إلا أنها تتفق فى استخدامها للشعر كوسيلة للتعبير الدرامى، وفى اعتمادها على بناء فضفاض(١١). إن البناء الدرامى فى هذه المسرحيات يناسب منظورها الملحمى أو روحها الفلكلورية.

"براند" و"بير جينت" تمثلان قمة أعمال إبسن الرومانسية. كلتا المسرحيتين تدور حول شخصية واحدة، وكل منهما تستخدم بعض أدوات الفلكلور والأساطير التى أتاح إبسن لنفسه استخدامها فى مسرحيات سابقة. وبصرف النظر عن كونهما تعبيراً عن الوعى القومى وعن السرد الذاتى العميق، فإن هاتين المسرحيتين تصقلان الأدوات التى استخدمت فى المسرحيات السابقة. "براند"ترفع إلى آفاق مأساوية، المواضيع التى طرحها إبسن، بنجاح محدود، فى "العيد فى سولهوج" و"الفايكنج فى هلجيلاند"، وهى مواضيع النداء الداخلى والزواج. ومع ذلك، توقف إبسن فى "براند" عن استخدام الخلفية التاريخية، ووضع دراسته عن عظمة الفرد فى سياق زمنى حديث. النداء الداخلى، وهو أحد العوامل فى رؤية إبسن الرومانسية الباكرة، تم تقديمه بصورة أكثر نضوجًا باعتباره شرطًا لازمًا للعظمة. وأدمج إبسن أيضًا، وبصورة

أكثر نجاحًا، بواعث الحب والزواج، فى الحركة، بأن جعل تحقيق البطل لذاته يعتمد على معاناة التضحية، وعلى الموت المحتوم لزوجة براند الحبيبة. هكذا تكتسب عمقًا تراجيديًا.

يفرض براند متطلبات مأساوية ليس فقط على زوجته والمجتمع بأسره فى الواقع، بل – وفوق كل شىء – على ذاته. فشعاره "كل شىء أو لا شىء" يعنى أن الحدث المأساوى هو فقط ما يستحق أن يُعاش. الجو المحيط ، والمناخ الكئيب للجبال النرويجية فى أكتوبر ورمزية الصقر، وكنيسة الثلج، كل هذا ينصهر بشدة فى مسيرة براند كإنسان فوق البشر، كلها جزء من مأساته.

فى "بير جينت" يستخدم إبسن المادة الأولى من الفلكلور بصورة أكثر توسعًا، ولآخر مرة فى مسيرته. ويستخدم أيضًا لغة شعرية ثرية تتناغم معها فقط تلك الخلفية المزركشة التى تتحول سريعًا من مشهد إلى آخر. "بير جينت" نفسه هو شخص مميز بصورة أعطت إبسن الفرصة فى أن يستدعى شخصيات رومانسية من قلب الأساطير الشعبية القومية، التروللات (جبابرة تسكن الكهوف فى الميثولوجيا الإسكندينافية)، وأعطته الفرصة فى أن ينسج المشهد الذى يتقدم فيه بير للزواج من أميرة الجبابرة، على مثال الأسطورة الشعبية حيث البطل الذى يسعى للحصول على نصف المملكة عن طريق الزواج من الأميرة(١٢). ومع ذلك فإن جاجريبين الفرق ما بين "بير جينت" وأبطال إبسن فى مسرحياته السابقة. فهو يؤكد أن "بير جينت" ليس نتاجا للرومانسية الجمالية مثل هؤلاء الآخرين، ولكنه نتاج الرومانسية القومية التى تكمن فى داخل الآخر"(١٣).

أحد الجوانب الرومانسية الرئيسية فى المسرحية يتمثل فى استخدامها لبناء يقوم على الأحداث العرضية التى تعتمد على الحركة فى المكان، تبلغ قمتها فى عرض لما هو غير مألوف. فانتصارات بير تفسر فى الفصل الرابع فى صور رمزية شرقية مثل تمثال ممنون وأبى الهول ونزلاء مصحة الأمراض العقلية فى القاهرة. تمتد الحركة إلى حوالى نصف قرن من الزمان متتبعة البطل من مرحلة الشباب إلى مدخل القبر. ويحل إبسن عقدة الرواية من خلال نهاية هزلية مستخدماً نموذجًا رومانسيًا استخدمه فى رواياته السابقة، وهو نموذج الفداء من خلال حب امرأة. بريان داونز يؤكد أن افتداء بير فى النهاية من خلال حب سولفايج، أكسب الرواية مكانًا فى تاريخ الرومانسية الأوروبية، و"التى أصبحت فيها قوة المرأة الفادية والحب بين الجنسين تعبيراً مقبولاً ومنتشراً عن الإخلاص"[١٤].

عندما كتب "أعمدة المجتمع" (١٨٧٧)، التى تسجل بداية سلسلة من المسرحيات الاجتماعية، كان إبسن خارجًا لتوه من مرحلته الرومانسية، وكان قد اتخذ القرار الصعب بكتابة أعمال عن الحياة المعاصرة وعدم العودة للشعر مجدداً. وبالتالى، كان تطوره الذى تعدى تلك المرحلة الأولى، فى حاجة لأن يتلقى تعبيراً يؤكده. واتخذ المجتمع، بديلاً عن الفرد، مكانه فى المقدمة. وأصبحنا نرى الفرد جزءًا من خلفية هى لوحة واسعة للمجتمع.

النفاق الاجتماعى والمظاهر الخادعة للتقاليد أو كما يقول بروستاين "الهوة بين ما تتم ممارسته وما يتم التأكيد عليه[١٥]، كانت هى نقطة التوكيد فى هذه المسرحيات". وللتعبير عن هذه المواقف، نهل إبسن من تجربته مع أساليب سكريب، ولكنه ذهب أبعد منه مستخدمًا تلك الأساليب فى خدمة هدفه فى تحطيم المعتقدات التقليدية[١٦].

تمثل مسرحية " الأشباح"، وهى قمة أعمال إبسن الاجتماعية، نموذجًا جيداً لتلك الفترة. رداً على النقد الذى وجه لمسرحية "بيت الدمية"، كان من المفروض أن تكون "الأشباح" هجومًا على الزواج. وبالتالى فقد كان مقصوداً أن تكون المسرحيتان "بيت الدمية" و"الأشباح" عبارة عن "فكرة أو أطروحة". ومع ذلك، فإن "الأشباح" تختلف عن المسرحيات الاجتماعية السابقة؛ لأن إبسن نجح أخيراً فى أن يحقق زواجًا مثاليًا بين الشكل والموضوع.

إن الانقلاب المثير للرسائل المعترضة التى تشكل نقطة تحول فى حياة نورا، حوله الكاتب فى "الأشباح" إلى انقلاب آخر، بنفس درجة الإثارة، ولكنه أكثر تكاملاً مع الحدث، وينبثق من تطوره العضوى. ولذا فإن اكتشاف السيدة الفيج لعلاقة ابنها مع ريجينا (نهاية الفصل الأول) يجعل من قوى الماضى تهديداً مدمراً للحاضر، وفى الوقت نفسه يحكم على كفاحها من أجل أن تحرر نفسها من خلال ابنها، أن ينتهى نهاية مأساوية.

هذا الاكتشاف، عندما نصوره، فى مواجهة خلفية نقاش السيدة الفيج مع القس ماندرز عن تحررها فى مقابل تقليديته ، يجعل من المجتمع المنافق الخصم الرئيسى للسيدة الفيج، ويثير التشويق إلى الكشف عن باقى الحدث؛ فكما يشير فيرجسون:

"إن البصيرة التى رفضتها فى السابق، تعود إليها الآن وبكل قوة، جالبة معها الشفقة الموعودة. فهى ترى أوزوالد، ليس بوصفه النتاج الرائع لتحررها، بل كصورة للحياة الفاسدة والمستبدة والمستمرة للماضى فى حد ذاته"(١٧).

إلا أن الماضى فى "الأشباح" – كما فى "بيت الدمية" – لا ينفصل أبداً عن التقليدية والنفاق الاجتماعى، وهو ما تقاومه مسرحيات المرحلة

الوسطى. في المرحلة التالية، نرى الماضي في صورة قوة كونية، تكاد تترادف مع القدر الذي يعمل، وبحتمية لا تكل، ضد محاولة الإنسان من أجل تحقيق السعادة. وبالتالي، في روزمر هولم، نجد مثلاً أن ردة روزمر ليست موجهة ضد ظروف المجتمع المغلوطة، بل على العكس، فإنه يسعى إلى الانتماء إلى عالم مورتنسجورد، والذي تكشف لنا المسرحية أنه العالم المنافق لمجتمع تقليدي، يرفض روزمر، وباللسخرية، من أجل ردته ذاتها. إن محاولة روزمر كانت محاولة لتحرير الذات. وفشله المأساوي في تحقيق تحرره كان محكوماً بقوى الماضي منفصلة عن أي تضحيات اجتماعية.

و من جهة أخرى، فإن قوى الماضي الهدامة في "بيت الدمية" و"الأشباح" هي جزء لا ينفصل عن ظروف المجتمع. وعندما ينكشف الماضي، نكتشف أن نورا كانت تكافح من أجل إنقاذ زوجها الذي ينكرها في اللحظة التي يكتشف فيها ما قامت به من أجله. الموقف يمثل إدانة لمؤسسة اجتماعية بكاملها. وبطبيعة الحال، فقد أسفر هذا عن "المناقشة" الشهيرة في الفصل الثالث، والتي بنى عليها برنارد شو كل نظريته عن "الأبسنية". في "الأشباح" نجد أن الماضي يعمل بصورة أكثر عضوية، ولكنه مازال منصهراً انصهاراً شديداً مع تقاليد المجتمع. في الفصل الثاني تعطينا السيدة الفيج، التي تعاني من ضربة صاعقة، الفكرة الأساسية وراء استخدام إبسن للماضي كقوة اجتماعية تدمر حياة الفرد. "أنا أميل للتفكير بأننا كلنا أشباح. يا سيد ماندرز، ما ورثناه عن آبائنا وأمهاتنا ليس هو فقط ما يحيا بداخلنا، بل أيضًا كل الأفكار الميتة، وكل أنواع المعتقدات الميتة، وأشياء من هذا القبيل.. فكلما تناولت جريدة لأقرأها، أتصور أنني أرى أشباحًا تتقافز بين السطور. لابد أن هناك أشباحًا في كل أنحاء العالم. لابد أنهم بعدد حبات الرمال، أتصور ذلك. ونحن جميعًا بائسون وخائفون من الضوء، كلنا ".

فى "عـدو الشـعب" التى تلت "الأشـبـاح" مـبـاشـرة، ينتـقـل إبسن بحـرص شـديد، إلى مـرحلتـه الأخـيـرة والعظيـمـة التـاليـة. فـهـو مـازال يواصل الهجوم على النفاق الاجتماعى، ما زال يعرف الفرد فى ارتباطه بالمجتمع. ولكن تضمينات المواجهة بين الفرد والمجتمع تتغير لتشمل السؤال الأعم عن الحقيقة. على السطح نجد أن المسرحية هى "أكثر الأعمال الجدلية المباشرة التى كتبها إبسن على وجه الإطلاق(١٨)"، كما قـال بروسـتـاين. ولكن سـتـوكـمـان، والذى يقف بطلاً فى الثـورة ضـد الفساد والمرض فى مجتمع المحليات "يفشل تمامًا فى أن يفهم كيف أن الخطر الذى يمثله مرض التيفود يبدو قليل الأهمية بالنسبة لصاحب محل فى مكان ما مقارنة بالدعاية السيئة التى سوف تتسبب حتمًا فى إغلاق المنتجع لأسباب صحية. فهو، إيجازًا، لا يملك تصورًا لوجهة النظر الواقعية اللازمة جدًا لرجل الأعمال"(١٩). وبالرغم من أن د. ستوكمان محق فى كفاحه ضد شر اجتماعى يتسلل بوضوح إلى حياة المجتمع، فإن هذا الموضوع لن يحل بأى حال من الأحوال بمنطق الأبيض والأسود. ويأتى الفصل الأخير ليضع الغموض القائل بأن استبداد ستوكمان ذاته ليس حقيقيًا بالنظر إلى الحالة الإنسانية. د.ستوكمان نفسه يصبح شيئًا مزعجًا فى نهاية المسرحية. أما الانتقال إلى نظرة أكثر تعقيدًا ؛ فقد كان له أن يحدث فى المسرحية التالية ، وهى "البطة البرية".

تركز المرحلة العظيمة لواقعية إبسن على التحليل الثاقب للدوافع البشرية التى تكتسب أهمية عامة عالميًا أكبر من أن" يختزل فى صيغة واحدة". بينما نجد أن كل بطل من أبطال إبسن فى المرحلة الرومانسية الأولى وبعض الأبطال فى المرحلة التالية مثل سولنس وجون جابريل بوركمان، هم تجسيد لصراع ذاتى يدور فى نفس الكاتب الدرامى ذاته،

إلا أن الفرق بين مواقفه الأولى واللاحقة تجاه الأبطال يكشف عن الفرق بين نوعين من الدراما. "كاتللين" و"براند" أو حتى "بير جينت"، يمثلون، وباعتراف الكاتب نفسه، مراحل فى تطوره الروحى. يمكن تلخيص كل من هذه المسرحيات فى شعار واحد مثل " كل شىء أو لا شىء" فى "براند" أو "لتكن أنت لنفسك كافياً" فى "بير جينت". إنها مرسومة إذاً بطريقة أكثر ما تكون تطرفاً، وتفردها يستبعد تعقد العالم من حولها.

فى مسرحيات تالية، لن يكون ممكناً أن نعبر عن شخص البطل فى شكل شعار أو صيغة معينة. هذه المسرحيات تنمى، وبنفس القدر، القوى التى تحدد وتناقض وتعقد حياة البطل. ولذا فإن قامة سولنس العملاقة يحددها راجنر بروفيك فى وقت متزامن. صراع سولنس ضد الخوف من أن جيل الشباب سوف يثور ضده ويقتله، يعبر عن صراع أعم، صراع الإنسان من أجل وجوده ذاته. وبالرغم من أنه يلقى بظلال من الشك عن كونه سيرة ذاتية، فإن صراع روزمر من أجل تحرير ذاته يتحدد ويتعقد من خلال غموض ضرورى فرضته المواجهة بين أورليخ بريندل، المتشرد الذى حرر ذاته، وبين مورتنسجورد، التقليدى المنافق "صاحب التفكير المتحرر". تحرير بريندل لذاته يعادل تقريباً فشلاً مأساوياً، تظهر مدى سخريته عندما يكتشف أنه ليس لديه ما يقوله بعد سنوات طوال من التفكير فى كيفية توصيل أفكاره. أما توافق مورتنسجورد مع التقاليد الاجتماعية فهو مثال يعبر عن استحالة المناداة بضرورة الديكتاتورية.

أما روزمر فهو محصور بين شخصيتين. وبالتالى، عندما ننظر إليه فى مواجهة الغموض والتعقيد المحيط بالموقف الإنسانى، فإن صراع روزمر يفتقر إلى الحقيقة المطلقة التى تميز صراع براند. وفى الوقت نفسه، هو صراع أكثر صدقاً مع حالة إنسانية عامة. "هيدا جابلر" هى نموذج متطرف للغموض الذى يحكم الشخصية.

و كنتيجة طبيعية، نجد أن واقعية إبسن تشى بإدراك واعٍ لنسبية الحقيقة. وهذا يمكن أن نلاحظه أيضًا فيما يتعلق بالمسرحيات الرومانسية. جريجرز ويرله فى "البطة البرية"، على سبيل المثال، لا يمثل فقط صورة مشوهة لبراند، ولكن ديكتاتوريته تعبر أيضًا عن سخرية إبسن التى يعبر عنها من خلال المفكر د. ريلنج[٢٠].

وبدلاً من التزام براند العميق بالمثالية وكفاحه البطولى من أجل تحقيقها، فإن جريجرز، الذى يقوم التزامه بالمثالية على غير أساس، يسعى إلى فرضها على الآخرين.

و يمكن القول جدلاً بأن يلمار أكدال هو نسخة مصغرة من بير جينت، الرجل العادى الذى يبنى حياته على وهم العظمة، ولكنه، كما يقول داونز، " حتى أقل بطولة[٢١]"؛ لأنه يفتقر إلى خيال بير جينت، وإلى إبداعه وقدرته على التكيف. أما ديكتاتورية براند فيمكن فهمها على أنها استحالة فى إطار عالم التجربة فيه نسبية، والحقيقة لا يمكن الوصول إليها عن طريق التطبيق الحرفى للمبادئ. حتى هذه الشخصية، العميل الذى رسمت من خلاله صورة الحقيقة، هذه الشخصية فقدت لونها المميز، وأصبحت حقيقية أكثر من ذى قبل، فى ضعفها تجاه الموقف المعقد الذى وضعت فيه.

فى المسرحيات الرومانسية، نجد أن الشخصيات الثانوية تتبع البطل؛ لأنها تضيء جوانب من الدراما الخاصة به فى جميع الاتجاهات. وهى شخصيات تندمج فى الحركة فقط من حيث علاقتها بالبطل. وبالتالى، إذا استخدمنا نموذج براند مجدداً، فسنجد أن أجنس والعميد والمأمور وحتى سكان القرية بأكملهم، ليس لهم وجود مستقل فى الدراما خارج الدور الذى يلعبونه فى مساندة أو مقاومة تحقيق براند لذاته.

وفى "بير جينت"، نرى العالم فقط من خلال عين بير، بل يمكن القول بأن المشاهد الرائعة، ماهى إلا لحظات داخل نفسه هو[٢٢]. حتى الرفض المبدئى والنهائى الذى لاقاه من المجتمع المحيط به، إنما يمثل مراحل من تطوره هو ذاته أكثر من كونه يوفر رؤية صحيحة لشخصيته من الخارج.

أما فى المسرحيات الواقعية العظيمة، فنجد أن البطل لم يعد يستأثر بالحركة، بل إن الآخرين يتقاسمونها معه بصورة متساوية. البطل يصبح هنا شخصية محورية أكثر من كونه بطلاً للرواية. ففى أحيان عديدة، تأتى امرأة مثل ربيكا ويست أو هيلدا واجنل لتدخل حياة البطل لتؤثر فيها كما تتأثر هى بها. والمأساة، فى النهاية، هى نتيجة لعمل هذه الشخصية الثانوية بقدر ما هى نتيجة لصراع البطل ذاته. عندما يرتكب سولنس فعلته ببناء برج فوق بيته الجديد (البناء الدينى الذى يعتلى قمة العالم العلمانى أو المدنى)، وينهار البناء، تصرخ هيلدا قائلة: "سيدى - سيدى شيخ البنائين ".

و أخيراً، فإن واقعية إبسن تشى بإدراك للبناء الرمزى للواقع. ففى كل المسرحيات التالية تقريبًا، نجد رمزًا محوريًا ومجموعة متنوعة من الشخصيات الثانوية المجازية التى تستخدم لتلقى الضوء على الدوافع الكامنة للشخصية، ولترتفع بالحركة ككل إلى مستوى عالم. فى" البطة البرية" نجد البطة ذاتها متسقة مع البناء المجازى لبيت أكدال وصور التصوير الضوئى فى مقابل الإبداع. وفى روزمر هولم، هى الخيول البيضاء يساندها الجسر والوجود المشئوم لبيئات الميتة، والتى تلقى بظلالها على الحركة بمجملها، والرمزية التى يمثلها طريق روزمر. وفى " حورية من البحر" ، هو البحر ذاته. وفى " هيدا جابلر" هى مسدسات

الجنرال جابلر الخطرة. فى كل هذه المسرحيات، يعمل الرمز المحورى بصورة تختلف عنها فى المسرحيات الرومانسية. فى المسرحيات الرومانسية، نجده يساعد فى تحديد البطل، مثل رمز الله فى "براند". أما فى المسرحيات الواقعية، فنجد أن الرمز المحورى له تأثير آخر يتخلل الحرك، وينتقل بنا إلى التركيز تحديداً على غموض الفعل. فى ضوء الرمز المحورى والاستعارات المساعدة، تعطى لكل شخصية نصيبها من الحركة، ويصبح الرمز المحورى غير قابل للاختزال فى نوع وحيد من الوجود.

فى الفصول الثلاثة التالية، أقترح أن نقوم بدراسة أكثر قرباً لتطور إبسن من خلال دراسة اثنتين من مسرحياته الرومانسية مع " البطة البرية ". اخترت "براند" ليس فقط لكونها تتويجاً لإنجازات إبسن فى التراجيديا الرومانسية، ولكن لأنها تحتوى على معظم الموضوعات التى طرحها إبسن لاحقًا بصورة أكثر عمقًا، ولكن بتضمينات مختلفة فى أعماله الدرامية الواقعية العظيمة، أما " بير جينت" وهى تتمة لـ"براند" فتمثل معالجة إبسن لنفس الموضوعات تقريبًا من وجهة نظر كوميدية. وتستحق هذه المسرحية التى لم تنل، حتى الآن، القسط الكافى من التقويم النقدى، أن تذكر كواحدة من أحسن وأعظم أعمال هذا الكاتب المسرحى. وسيكون جهدى هذا إسهامًا متواضعًا فى هذا الاتجاه. الفصل الثالث أقدم فيه دراسة لـ" البطة البرية" ليس فقط لأنها تدخلنا أو تقودنا مباشرة إلى المرحلة العظيمة التالية، بل أيضًا لأنها مازالت تحتفظ برابطة ما مع المسرحيات الاجتماعية. وباعتبارها مسرحية انتقالية، فإن "البطة البرية" نموذج عظيم لنضوج إبسن ؛ حيث بدأ يتحرك بعيداً عن الدراما الاجتماعية الواضحة ليلبى متطلبات واقعيته العظيمة.

الهوامش

١ – Cf. Francis Fergusson, The Idea of a Theatre, P. 148.

٢ – للاطلاع على المناقشة الكاملة حول تأثير "المسرحية المتقنة" على إبسن ، انظر Dorothy Kaucher, "Modern Dramatic Structure," University of Mis souri Studies, III (1928), pp. 70-87.

٣ – أدى هذا إلى أن يصف بعض مناوئيه إبسن بأنه يفتقر إلى الخيال .

٤ – Johan Sebastian Cammermeyer Welhaven (1807-1873), and Henrik Arnold Wergeland (1808-1844).

٥ – "بهدف مساعدة المسرح ككاتب درامي "كما ذكر في كتاب محاضر اجتماعات لجنة إدارة المسرح ، كما نقلها داونز في كتابه Ibsen, p. 41

٦ – المصدر السابق .

٧ – في السيرة التي كتبها كوهت (ص ٦٣) يعرف الكاتب عن اعتقاده بأنه عندما نشرت مسرحية إبسن "كاتلين" عام (١٩٤٨–٩) لم يكن ضمن الذخيرة المسرحية لمسرح بيرجن أكثر من اثنتي عشرة مسرحية نرويجية من ضمنها مسرحية فيرجيللاند "صالون فيليد" .

٨ – Ibsen, p. 41.

٩ – HenriK Ibsen, p. 109.

١٠ – الحكايات الشعبية هي حكايات نثرية كتبت باللغة الأيسلندية القديمة في العصور الوسطى، وهي حكايات تركز على مواضيع ثلاثة :

١ – الميثولوجيا القديمة وديانة الشعوب الجرمانية .

٢ – الملوك النرويجيون .

٣ – حكايات العائلات الأيسلندية .

"الفايكنج فى أرض هيجيلاند" هى مزيج من النوعين الأول والثالث .

١١ – ربما باستثناء "ليدى أنجر من أوسترات" (١٨٥٥) .

١٢ – انظر : Theodore Jorgenson, Henrik Ibsen, p. 231.

١٣ – Henrik Ibsen, pp. 190-191.

١٤ – A Study of Six Plays by Ibsen, p. 95. see also pp. 94-98.

١٥ – The Theater of Revolt, p. 66.

١٦ – فى الفترة من ١٨٦٣ إلى ١٨٧٥ كان إبسن مديراً فنيًا للمسرح النرويجى فى كريستيانيا، وهو المسرح الذى اهتم فيه إبسن على وجه الخصوص بالكاتبين سكريب وهايبرج .

١٧ – The Idea of a Theater, pp. 154-155.

١٨ – The Theater of Revolt, p. 71

١٩ – Maurice Valency, The Flower and the Castle, p. 165.

٢٠ – انظر : Cf. Downs, A Study of Six Plays, pp. 170-172, and Valency, The Flower, p. 171.

٢١ – Downs, A Study, p. 172. Brustein also recognizes the transformation of Peer Gynt into Hjalmer. He calls him "that latter-day Peer Gynt." p. 73.

٢٢ – احتمالية أن تكون هذه التجارب نتاج خيال بير وليست تجارب حقيقية .

٢ - براند
النداء الداخلى فى صورة تراجيديا

"براند" هى تراجيديا إبسن الرومانسية عن امتياز، وهى تدور حول بطل محورى يقف فى مواجهة منظومة من القيم الأخلاقية والدينية التقليدية. الحركة هنا تخدم تطور محاولة البطل ليحقق ذاته من خلال سعى دائم وراء مثل أعلى، ويكمن إيقاعها المأساوى فى بحث ينتهى بموت البطل.

تأتى أهمية السؤال الذى يطرحه النموذج الذى يضعه إبسن لبراند فى نطاق أنه يلقى الضوء على طبيعة الصراع الدرامى فى المسرحية، ويرى بعض النقاد فى "براند" دراما دينية يدافع فيها البطل عن المفهوم الصارم لكيركيجورد الذى يفرض على المسيحى ألا يقبل أن يكون أقل من "شبيه للمسيح"، ويتمسك بأن وظيفة المسيحية ليس فقط أن تقتضى من معتنقيها أن يكون لديهم الاستعداد ليلقوا مصير مؤسسها، بل إنها تستلزم استشهاد حقيقى، حتى إنه، فى الواقع، لا يصبح المرء مسيحيًا قبل أن يتوقف (فى صورة حسية) عن الوجود، وهو شرط يمكن أن يطلق عليه التناقض المسيحى الظاهرى فى أقصى صوره(١).

كانت حياة كيركيجورد وأفكاره تعتبر نموذجًا لبراند. يقول جورج براند: " كل فكرة رئيسية فى هذه القصيدة تجدها عند كيركيجورد وحياة بطل المسرحية هى نموذج لحياته. " فى الحقيقة يبدو أن إبسن

كان يطمح فى أن يحظى بلقب "شاعر كيركيجورد"(٢). ومن ناحية أخرى، فإن دوانز يرى أنه يمكننا أن ننظر إلى "براند" ليس بوصفها "المصير المأساوى لهذا الشخص الذى اصطبغ بأفكار كيركيجورده، ولكن بوصفها تراجيديا صنعت طبقًا للمفاهيم الجمالية لذلك المفكر القادم من كوبنهاجن"(٣).

القس ج.أ. لامرز، راعى أبراشية سكاين، مسقط رأس إبسن، يمكن اعتباره نموذجًا آخر لشخصية براند(٤). جاجر يؤكد أن إبسن لم يعرف أى شيء تقريبًا عن كتابات سورن كيركيجورد(٥)، وهو الأمر الذى عززه الكاتب الدرامى نفسه: " أنا قرأت القليل جداً من كتابات سورن كيركيجورد، وفهمت أقل مما قرأت ـ"(٦). كان إبسن حريصاً على التأكيد أن شخصية براند ليس لها أية صلة بحياة الكهنة؛ فهو يقول: " أن يكون براند كاهنًا أو لا يكون، هذا شيء خارج الموضوع حقيقة. فالموهبة أو الإلهام الداخلى مطلوب فى كل مناحى الحياة: فى الحب، فى الفن، ...إلخ"(٧). موهبة براند ليست بالضرورة موهبة كاهن. " كان من الجائز أن أجسد القياس المنطقى فى شخص نحات أو سياسى أو أيضاً فى شخص كاهن"، هذا ما كتبه إبسن ذات يوم لجورج براندز.

إن دراسة مجموعة متنوعة من المعانى المرتبطة بإله براند يمكن أن تلقى الضوء على التضمينات الرمزية لرحلة البحث التى يقوم بها البطل. فى براند، يعمل رمز الإله على عدة مستويات، كلها تضىء، عن طريق التضاد، إله براند نفسه هو الذى هو رمز لرحلة البحث التى يقوم بها البطل. وبصورة عامة، هناك إلهان: إله قديم يقترح براند أن يدمر، وإله جديد هو مدعو إلى إقامة مملكته. هذا الذى يدعوه براند " الإله القديم" يكشف عن ذاته فى عدة عبارات. فبالنسبة إلى الرسام أينار، على سبيل المثال، هذا الإله هو الذى يهب نظرة جمالية للحياة، حرية نظم الشعر، وحرية الحب، باختصار هو الذى يهب حالة من "الفرح بالحياة".

أينار: ... كان الله طيبًا، إنه أعطى أجنحة لخيالاتى

وجعل فرشاتى تخلق حياة جديدة من الألوان،

تمامًا كما يستطيع هو أن يحول الدودة الحقيرة إلى فراشة.

ولكن أروع ما فعله الله هو أن وهبنى آجنس عروسًا لى".

" الإله القديم" يشجع روح الحلول الوسط، وطبقًا لهذه الروح ترفض امرأة أن تصحب براند وقت العاصفة لتنقذ نفس زوجها، خوفًا من الموت. هذا الإله نفسه هو من تؤمن به والدة براند التى ترفض أن تتنازل عن كل ممتلكاتها حتى تنال سر القربان المقدس[٩].

" الإله القديم" الرسمى للدولة والكنيسة يجسد منهجًا ذرائعيًا لا يخلط ما بين متطلبات الحياة وضرورات الإيمان. إله المأمور هو إله يجب أن يرضى بصلوات تقام يومًا واحدًا من كل أيام الأسبوع. هذا الإله يمكن أن يستخدم أيضًا فى أغراض دعائية تهدف إلى خدمة مصالح المأمور فى الحملة الانتخابية القادمة. إن مفهوم الإله، من وجهة نظر الكهنوت الرسمى، هو المفهوم الذى يقصد به أن يعطى الله "للقطيع" المسيحى، روح القانون والوفاق اللازمة لتربية المواطن الصالح. وطبقًا لهذا المفهوم، يصبح الإله وسيلة موجهة لخدمة الآلة التى تمثلها الدولة[١٠]. أما إله براند، فهو لا يحتاج لكنيسة ولا لعقيدة جامدة ؛ فهو يقول لأينار: " إنك تحصر مملكة الله فى الكنيسة. إن الحياة منفصلة عن العقائد الجامدة وقوانين الإيمان". وبينما الإله القديم هو إله "أليف" يحبذ الحلول الوسط[١١]، فإن إله براند يتطلب التزامًا كاملاً، سوف تبزغ منه "روح الإنسان"، تلك التى لم تخلق بعد.

ثلاث كنائس تتطابق مع الله، وهو الرمز المحورى فى براند، الذى يعمل داخل بناء زمنى يصور تطور هذه الشخصية (براند). تدمير الإله القديم الذى ترمز له الكنيسة القديمة هو جزء أساسى من مهمة براند. فهذه الكنيسة صغيرة ومتهالكة لا تقدر على احتواء عظمة إله براند. إنها تنتمى إلى ماضٍ يسعى براند إلى استبداله بدين جديد، الأمر الذى يتطلب تحولاً جذرياً فى الطبيعة البشرية. وهكذا يبنى براند كنيسته الجديدة العظيمة التى وإن كانت تمثل إنجازات الحاضر، فإنها لا تتجاوب مع تعريف هذا الحاضر للإله. الكنيسة الجديدة ، كما اكتشفها براند، هى بالضرورة بناء آخر يمكن أن يسهم فى دوام العقيدة المسيحية الرسمية. إنها تمثل فقط "البهاء السطحى لشموع المذبح التى تُضاء من أجل القربان المقدس". وهكذا، فإن إنجاز الحاضر ليس إلا إحباطًا جديداً للبطل الذى يصبو إلى المثالية.

كنيسة الثلج تشير إلى المستقبل؛ حيث مملكة الله هى الحرية الكاملة غير المنقوصة، وهى الجمال الخالص. وفى رفضه للكنيسة الجديدة، يسعى براند إلى إقامة "كاتدرائية كبيرة تمتد لتسع كامل أرضنا". كنيسة الثلج، بما أنها جزء من الطبيعة، فهى تمثل صورة مصغرة للكاتدرائية مترامية الأطراف التى هى أرض الله الواسعة، وتمثل تحقيق براند لبرنامجه من أجل المستقبل، وهى، فى نهاية الأمر، السبب المأساوى لهلاكه.

من خلال التضمينات المتنوعة للرمز المحورى، يتبين أن البطل هو شخص مثالى، صراعه من أجل تحقيق مثاليته، يسمو فوق التجربة الدينية الضمنية، بالإضافة إلى ذلك، فإن الرمز المحورى يعمل فى إطار بناء زمنى هو الماضى والحاضر والمستقبل الذى يجسد حركة البطل نحو تحقيق مثاليته.

تتضمن "براند" ثلاثة مستويات من الحركة الدرامية، والتى أقترح أن نطلق عليها: ١- دراما الإنسان المثالى، ٢- دراما الحب، ٣- الدراما الاجتماعية، ووظيفة النوعين الثانى والثالث هى الوصول بدراما الإنسان المثالى إلى بؤرة الحدث.

دراما الإنسان المثالى فى "براند" تصور تطور محاولة البطل لتحقيق"ندائه الداخلى" الذى يطمح إلى ما هو ليس أقل من "تحول كامل للطبيعة البشرية"(١٢). دراما الحب تتركز حول علاقة براند بأقرب أقربائه: أمه وزوجته آجنس. الدراما الاجتماعية تعبر عن تطور الصراع الذى يخوضه براند ضد الدين المنظم وضد الدولة. القرارات التى يتخذها براند فيما يختص بدراما الحب والدراما الاجتماعية هى قرارات جوهرية فى تحقيقه للذات، حتى إلى حد الهلاك.

دراما الإنسان المثالى:

فى المشاهد الافتتاحية فى المسرحية، تظهر مثالية البطل من خلال التناقض الواضح مع عدد من الشخصيات التى لا ترقى مواقفها إلى مستوى رؤية البطل، أسلوب التناقص الدرامى هذا يخلق نوعاً من الهوة ما بين البطل والعالم الذى هو جزء منه. ومع تطور الأحداث، تتسع الهوة حتى يصبح البطل معزولاً عن هذا العالم حتى إنه ، فى نهاية الأمر، يواجه متطلبات سعيه وحيداً.

المشهد الافتتاحى فى "براند" يبرز بصورة درامية، التباين بين البطل والعالم المحيط به، فى مشهد لقائه مع الفلاح وابنه، يبدو براند مصمماً على الخوض فى حقل الجليد المحفوف بالمخاطر بالرغم من تحذير الفلاح.

براند: لابد من أن أواصل، لقد قلت لك ذلك من قبل.

الفلاح: هذا أكثر مما يستطيع أى إنسان على وجه الأرض أن يفعله.

يطلب براند من الفلاح أن يصحبه معه حتى يطمئن ابنته وهى تواجه الموت ويملؤها الخوف من أن تودع هذا العالم " مملوءة بالأمل فى الفردوس" دون أن تراه. ولكن الفلاح بالرغم من استعداده أن يضحى بكل ما يملك حتى تموت ابنته فى سلام، لا يستطيع أن يعرض حياته هو للخطر فى هذا الجو غير الآمن. وبالتالى فإن المشهد القصير مصمم بحيث يلخص، فى افتتاحية درامية، الفكرة الرئيسية للمسرحية، وهى صراع البطل المثالى ضد عالم يحكمه مبدأ الحلول الوسط. "مهمة" براند تبدو مفهومة منذ البداية وهو فى سبيله إلى تحقيقها.

المشاهد الافتتاحية فى الفصلين الأول والثانى فى "براند" تصور مثالية هذه الشخصية فهى تضعه فى موقفين يجب عليه فيهما أن يختار بين معيار مطلق موقف متوازن. ثم بعد ذلك بقليل، يقدم لنا المشهد الأول فى الفصل الثانى امرأة قتل زوجها أبناءه فى نوبة هستيرية شديدة. تأتى المرأة لتطلب عونًا من الكاهن، تسأله أن يساعد الزوج الذى يحتضر محاطًا بخطر اللعنة الأبدية. وكما حدث فى المشهد الافتتاحى مع الفلاح، يعرض عليها براند، بوصفه قسيسًا، أن يعبر معها الخليج الخطر وسط العاصفة، ولكن المرأة ترفض أن تعرض حياتها للخطر فى تلك الرحلة. الكاتب هنا يتعمد ألا يقدم كلاً من الفلاح والمرأة كشخصيات بذاتها. فكلاهما يعرضان موقفًا متطابقًا، وبالتالى فالهدف منهما أن يقدما موقفًا عامًا لا يرقى إلى مستوى طموح براند إلى المطلق.

ما بين هذين المشهدين، يبرز إبسن التناقض مابين البطل والعالم من حوله: أولاً: التناقض بين مثالية براند وجمالية أينار (و محبوبته آجنس) وثانياً: التناقض بين براند والمأمور. فبالإضافة إلى أنها تميز شخصية البطل فإن هذه التناقضات تقدم دراما الحب والدراما الاجتماعية، ومع ذلك لا تجعل لهما دوراً فاعلاً فى حياة البطل.

المقابلة مع أينار تعمل على عدة مستويات فى الوقت نفسه: أولاً: المقابلة تبرز التناقض بين رجل الجماليات والرجل المثالى الذى يدفعه "نداء داخلى"، وثانياً: تقدم مفهوم براند لمهمته فى صورة مواراة الإله القديم الثرى والدعوة لإله جديد وثالثًا: عن طريق إبراز الصورة الطبيعية والجمالية التى يمثلها حب أينار لآجنس، تبرز بالمغايرة علاقة براند اللاحقة بآجنس، تلك العلاقة التى يستبدل فيها نوع الحب الذى يقدمه أينار بمطالبة صارمة بالانصياع لمهمة البطل، انصياعاً تبلغ المعاناة فيه حداً غير محتمل. وبينما النهاية الطبيعية لحب أينار هى السعادة الكاملة، ينطوى حب براند لنفس المرأة معاناة كاملة أيضًا. وبالتالى، فإن المشهد مع أينار هو مشهد ضرورى فى إلقاء الضوء، من خلال التناقض الدرامى، على دراما الحب التى تجىء لاحقا.

المشهد الافتتاحى القصير فى الفصل الثانى يقدم وجهًا آخر لتسلط براند فى هجومه على وظائف الدولة. هذا المشهد يُسهم أيضًا فى تقديم الدراما الاجتماعية. المعيار الذى يعتمد عليه المأمور فى توزيع الحبوب على المواطنين هو معيار عملى ومادى محض. فالموت الوشيك لطفل ما بالنسبة له لا يعنى"نفس أقل يجب علينا إطعامها، هذا شىء

جيد". ويبرر المأمور أسلوبه العملى أكثر من المادى البحت بفكرة أن المرء يجب أن يسعى إلى صالح المجموع حتى على حساب الفرد. وتصبح هذه الفكرة هى النقطة الرئيسية فى الصراع بين براند والممثلين الرسميين للدولة والكنيسة، أما الكاهن المسئول والمأمور فتتطابق مواقفهما فعلياً.

٢- دراما الحب:

فى "براند" نجد أن سعى البطل، وبالتالى تحقيقه لذاته، يرتبط ارتباطاً مباشراً بامرأة، هى أجنس فى المرحلة اللاحقة. فى البداية، نجد أجنس ممثلة أيضًا فى الدراما حيث تقدم نوعًا من الحب ليس له مكان فى مسيرة البطل المثالى، وموضوع الحب ذاته، والذى نراه فى مرحلة لاحقة، يعمل كقوة رئيسية فى مسيرة هذا البطل.

فى الفصل الثانى، المشهد الأول، نشهد تحول أجنس الى مثالية براند. فعندما يرفض حبيبها أينار أن يعرض حياته للخطر بالذهاب مع براند فى طريقه لتقديم العون لزوج المرأة الذى قتل أطفاله، تدرك آجنس عظمة شخصية براند مقارنة بأينار، وتقرر بالتالى أن تذهب معه فى رحلته الخطرة. التضمينات الرمزية فى قرارها هذا تبدو واضحة. أجنس تقدم وعداً بأن تكرس نفسها مدى الحياة، ليس فقط لبراند بل لمثله الأعلى أيضاً. وعندما تقبل دورها كزوجة لبراند فإنها تقبل أيضًا تضمينات مهمة هذا الزوج.

ترتبط أجنس بمهمة براند على أكثر من مستوى. رؤيتها (الفصل الثانى، مشهد ٢) هى انعكاس لصوت براند الداخلى، وهى رؤية برية

"عالم غير مصنوع فى محاضر من أجل أن يولد". أصوات فى الهواء تخاطبها تكرارًا قائلة:

الآن جاءت الساعة

التى يجب فيها أن تخلق أنت وأن تخلق

ساعة خلاصك أو ساعة هلاكك

فقم بالمهة الثقيلة الموكلة إليك!

براند يتعرف على إلهامه وندائه الداخلى فى رؤية آجنس؛ فيصرخ قائلاً :"هذا هو النداء – إنه فى الداخل، إنه فى الداخل !". وكما يلاحظ برتيفال فإن أجنس "ترى الأرض أكبر والشعب أقوى، كما حلم بهما براند. إنها ترى الجموع الغفيرة تحركها كلمة الكاهن والطاقات الكبيرة تتحفز والتقدم سائر فى طريقه"(١٥). فى إطار رمزية موسى فى الفصل الخامس، عندما تتوازى قيادة براند لشعبه فى أرض مور مع قيادة موسى لشعبه إلى أرض الميعاد(١٦)، تمثل الأصوات التى تسمعها أجنس وكأنها قادمة من عند الله، وحياً إلهياً يأمر براند أن يبدأ التطبيق الفعلى "لندائه".

زوجة براند، آجنس، تبدو مدفوعة لاتخاذ سلسلة من القرارات أولها هو ما تواجهه فى نهاية الفصل الثانى. فعندما تواجه الاختيار الذى يطلب منها براند أن تفعله ما بين الذهاب مع أينار إلى "الأراضى المرتفعة التى تغمرها الشمس" أو البقاء معه، وبالتالى قبول كل تبعات المهمة التى يجب على زوجها القيام بها، تختار آجنس أن تبقى مع براند: "أنا لن أترك معلمى وأخى وصديقى"، وبالتالى تلزم نفسها بحياة

يصفها براند نفسه قائلاً "حياة سوف تقضيها كاملة، من الآن فصاعداً، في ظلام كالح كليالي الخريف".

دور آجنس في ظلمة هذه الحياة الخريفية هو أن تعطي الحب والحنان للإنسان المثالي في صراعه من أجل تحقيق مهمته. براند ذاته هو الذي يوكل إليها هذا الدور:

إن واجبي هو الحرب، الموت أو الانتصار

أن أحارب في النهار تحت الشمس المحرقة

وواجبك أن تأتي لي بنسائم الحب المتدفقة

أن تلطفي حياتي أو أن تغفي تحت أضلعي

وأن يدفئ غطاؤك قلبي.

واجب مثل هذا، ليس يسيراً.

آجنس تستخدم أيضاً كاختبار لقدرة براند على القيام بمهمته، وعندما وحدت آجنس ذاتها مع مهمة براند ضاق عالمها وانحصر في الحياة المنزلية لزوجة وأم تساعد زوجها. تفانيها المطلق لبراند يتطلب منها أن تتخذ القرار الثاني والأكثر صعوبة في مسيرتها كزوجة له: التضحية بابنها ألف عندما تتقبل قرار زوجها بالبقاء في مسقط رأسه. البقاء في هذه البلدة يعرض للخطر حياة ألف الصغير الذي تتطلب صحته أن يُنقل إلى مناخ أكثر دفئًا. وفي تطبيق آخر لمبدأ براند "كل شيء أو لا شيء"، تتبرع أجنس ببقايا ملابس ابنها المتوفى للمرأة المتسولة (الفصل الرابع). إنها لا تضحي فقط بدورها كأم من أجل "نداء" براند، ولكنها تجد نفسها مضطرة لأن تتخذ قراراً أخيراً يفوق إنسانيتها، وهو أن تتخلى عن كل ذكرى لابنها المتوفى، فتكون معاناتها بعد ذلك أكبر من قدرتها على الاحتمال وتموت.

عامل آخر نجده فى دراما الحب التى يعيشها براند، وهو طلبه أن تتخلى أمه عن كل أملاكها قبل أن يعطيها القربان المقدس. تظهر والدة براند فقط فى المشهد الثانى من الفصل الثانى عندما تطلب من ابنها أن يحافظ على مصالح العائلة. الأم، وهى أبعد ما يكون عن الاعتراف بمهمة ابنها، لا همَّ لها إلا الحفاظ على شجرة العائلة، وبالتالى فإن علاقة براند بها تخلو من اية عاطفة. وبالرغم من ذلك، فإن براند يكن لأمه حبًا قويًا لا يعبر عنه أبدًا بسبب عدم مواءمتها لمثاليته. يبدو هذا واضحًا فى سلسلة من المشاهد القصيرة التى يبدو فيها براند قلقًا ومتلهفًا لسماع موافقتها على طلبه بأن تتخلى عن كل ما تملك وهى على فراش الموت. ويدفعه رفض أمه للإذعان لمبدئه إلى أن يتخذ قراره بحرمانها من التناول وهو ما يعتبره أختبارًا آخر لمهمته. يقول براند للرجل الذى أتى يطلب منه الذهاب لأمه:

أنا لا أجرؤ على أن أثقل ميزانى بأوزان أخرى

من أجل أقربائى ومن أجل أعدائى

تطور براند من بطل يدافع عن منظومة جديدة من القيم فى الفصل الأول إلى شخصية مأساوية فى الفصل الخامس، حدث من خلال سلسلة من المحكات اختبرت من خلاله قدرته على الارتفاع إلى مستوى مثالياته، عن طريق اخضاع حبه لأمه وزوجته وابنه الوحيد الى الخيارات التى يجب عليه أن يقوم بها، والتى هى فى أغلبها فوق طاقة البشر. إذا نظرنا إلى البناء الدرامى لمسرحية "براند" نجد أن الفصول الثانى

والثالث والرابع مكرسة فى غالبيتها لدراما الحب التى يعيشها البطل، والتى يتخذ فيها ثلاثة قرارات رئيسية لصالح مهمته هى: أولاً قراره أن يدع أمه تموت دون أن تنال القربان المقدس، وثانيًا قراره أن يبقى فى البلدة مضحيًا بحياة أبنه، وثالثًا قراره أن يحرم آجنس من كل ما يريحها كأم، الاحتفاظ بملابس ألف هو الأمر الذى يؤدى إلى موتها. ونتيجة لذلك تتجسد مهمة البطل، وتتخذ شكل التطبيق الفعلى للموقف النظرى الذى قدمه مفصلاً فى الفصل الأول. وبالتالى يمكننا القول بأن شخصية آجنس تستخدم كرمز لمهمة براند؛ إذ إن الجزء الأكبر من عبء مهمة براند يقع عليها هى.

٣- الدراما الاجتماعية :

فى الدراما الاجتماعية نجد أن خصوم براند هم: المأمور الممثل الرسمى للدولة، والكاهن المسئول الذى يمثل صوت الكنيسة الرسمية، وكلاهما ينطق عن وجهات النظر نفسه الخاصة بالمواطن الصالح. الكاهن المسئول يرى أن الكنيسة موجودة فى خدمة الدولة، وتسهم، بصورة أساسية، فى صناعة المواطن الصالح. أما المأمور، كما يشير جاجر، فهو " الزعيم المثالى الذى يعتقد أن الكنيسة بوصفها جزءًا من الآلة المنظمة للدولة، يجب أن تتبع أسلوب تلك الأخيرة"(١٧). وفى الحقيقة فإن المأمور والكاهن المسئول، كلاهما يمثل صوتًا مختلفًا لخصم واحد عدو لبراند.

لا يشك براند فى انتمائه لنظرة الكنيسة الرسمية للمسيحية فحسب، بل إنه أيضًا ينكرها. وعندما يعرض رؤيته عن الله لأينار، يعبر براند عن

شكه فى كونه مسيحيًا ؛ فهو على سبيل القطع يعلم أنه لا ينتمى إلى الكنيسة الرسمية:

براند: لا، أنا لست بيوريتانيًا متطهرًا فوق منبر وعظ

أنا لا أتكلم عن الكنيسة أو نيابة عنها

أنا لا أعرف تأكيدًا ما إذا كنت مسيحيًا

الصراع القائم بين البطل وخصومه يصل إلى ذروته فى الفصل الخامس؛ حيث نجد براند، بعد أن يمر بمحن عديدة فى دراما الحب التى عاشها، ينبذ الكنيسة الجديدة، ويتجه صراحة إلى القيام بدوره الاجتماعى فى قيادة شعبه إلى الكنيسة المفتوحة فى كامل أرض الرب. يصل إبسن ببطله إلى هذه الذروة من خلال صدامين مع المأمور يشيران إلى أن الصراع الذى يخوضه براند هو صراع مع نظام بأكمله. فى وقت مبكر، فى المشهد الثانى من الفصل الثانى، يطلب المأمور من براند أن يغادر البلدة بعد أن يدرك أنه يمثل تهديدًا لاستقرار المجتمع ولسياساته الملائمة التى يتبعها. يدافع المأمور عن فكرة أن الدين يجب ألا يتعارض مع الكدح اللازم للحياة اليومية له ؛ فالمواطن الصالح بالنسبة له هو من يكرس يوم الأحد فقط لقضاء احتياجاته الروحية، ويحذر براند "ألا يجعل باقى أيام الأسبوع الست أيامًا مقدسة".

المواجهة الثانية بين براند والمأمور تكشف عن الفرق الواضح بين الوسائل الملتوية التى يتبعها هذا الأخير وبين استقامة البطل. يسعى المأمور إلى براند وهو يعلم أنه ورث أموال والدته طالبًا منه أن يساعده فى تنفيذ مشروعه لبناء سجن جديد وحجرة للاجتماعات السياسية ومصحة للمرضى العقليين "لصالح الحى ولصالحى فى الوقت نفسه" .

هذه المقاولة هدفها فى الأساس تحسين سمعة المأمور حتى يقوى موقفه فى الانتخابات المقبلة. وإذا وافق براند، فإن "خليج التناقضات" بينه وبين آلة الدولة من الممكن أن يغلق، كما يقول المأمور. ولكن براند، بدلاً من ذلك، يقترح مشروعًا مختلفًا، وهو بناء كنيسة جديدة، ويغير المأمور خططه بسرعة ويتبنى فكرة براند، التى يجهل تمامًا المعنى الروحى وراءها، ولا يرى إلا تأثيرها على حملته الانتخابية المقبلة.

يطرح بروستاين فكرة أن المأمور وبراند يحتكمان إلى مستويات مختلفة من الوجود: براند، وهو يناشد الإنسان الروحى، يسعى إلى خلاص الفرد من خلال ثورة فى وعيه الأخلاقى. العمدة، يناشد الإنسان الاجتماعى ساعيًا الى تهدئة المجتمع من خلال الاهتمام باحتياجاته المادية. العمدة، يامل أن يجعل الحياة أكثر سهولة، يريد أن يبنى مبانى عامة. وبراند يأمل أن يجعل حياة الإنسان أشد قسوة، يريد أن يبنى كنيسة جديدة(١٨).

مشهدا براند مع المأمور ينذران بالصراع الرئيسى بين براند والكاهن المسئول، ممثل الدين المنظم. يوم افتتاح الكنيسة الجديدة يكتشف براند خطأ فكرة أن يحصر إلهه فى جدران هذه الكنيسة بالرغم من عظمتها. " إنها صغيرة جداً بالنسبة للإله الذى يشهد له، ولذلك فهو يقرر أن يبنى كنيسة أكبر، ولكنه عندما يشرع فى تنفيذ هذا القرار، يدرك أنه وهو المتحدث الرسمى باسم المنطق، كان يتخذ موقفاً غير أكيد وغير منطقى. كلمات الكاهن المسئول عن العلاقة بين الكنيسة والدولة أيقظت فيه وعيًا كاملاً بخطأ موقفه، وعندما يعلن أن روح الحلول الوسط هى الشيطان بذاته ؛ فهو بذلك ينفصل تمامًا عن النظام البغيض بأكمله، ويأتى إغلاقه لباب الكنيسة وإلقائه المفتاح فى النهر، رمزًا يشير إلى القطيعة(١٩).

قرار براند بإلغاء الكنيسة الجديدة يأتى بعد أن يكتشف أنه هو نفسه سيعتبر جزءًا من النظام الذى يمثله الكاهن الرسمى بكل اقتدار. الكاهن المسئول يعتبر رجال الكهنوت موظفين فى الدولة، وبالنسبة إليه فإن كنيسة براند هى "رداء مصمم ليكسو روح الوئام والقانون"، وشعاره هو " المسيحى الصالح هو المواطن الصالح ". وبالتالى، فإن الكاهن المسئول يكرر تقريبًا نفس وجهة النظر التى عبر عنها المأمور آنفًا فيما يتعلق باستحالة الخلط بين الحياة والإيمان.

الكاهن المسئول: ولكن الحياة والإيمان شيئان مختلفان تمامًا،

إذا اختلطا، أصاب الضرر كلاهما.

يجب على المرء أن يخصص ستة أيام

للمهام الدنيوية،

ويستغل اليوم السابع وحده لينشط

القلب.

نقطة الذروة فى الحرب التى يخوضها براند ضد القوى التى تحكم المجتمع هى رفضه لموقف الكاهن المسئول، ولذلك، وبسبب هذا الرفض يحاول براند أن يناشد الجموع مباشرة. براند يدرك أن الكاهن المسئول والمأمور يقفان عقبة فى طريق محاولته بأن يحقق مهمته فى مسقط رأسه، وبالتالى يقنع شعبه أن يتبعه الى الكنيسة الواسعة، " مملكة الله الروحانية، والتى فيها كل يوم هو يوم الأحد والعمل فيها هو عبادة لله. لن يكون هناك فصل بين الحياة والعبادة. لن يكون هناك فصل بين الإنسان والكاهن "[٢٠].

بما أن مثالية براند تظهر بوضوح من خلال دراما الحب والدراما الاجتماعية، فإن كل الظروف تشير فى النهاية إلى نجاحه فى تحقيق البحث الذى يسعى إليه. ومع ذلك فإن هذا النجاح ليس إلا نجاحًا مؤقتًا وغير حقيقى. تحدث ردة مأساوية، ويواجه البطل هزيمة تتسبب، وياللمفارقة، فى موت أشبه بالانتصار. قبل وفاته، يشعر براند برؤية غامضة يبدو أنها تنقل الحركة داخل عقله، وتجعله يستعيد تفاصيل مهمته، ويعيد تقييمها.

بعد أن يتبرأ من الكنيسة الجديدة، يتوجه براند إلى الجموع ويناشدها مباشرة متقمصًا دور النبى أو الرسول. ومن خلال تأثير خطابته على نفسية الجموع يستطيع براند أن يقنع هذه الجموع أن الخلاص الحقيقى يكمن فى كنيسة أرض الله اللانهائية، وتستجيب الجموع على الفور، ويرتفع صوت الآلاف قائلاً:

" حلّ الضوء حيث كانت الظلمة

الحياة وعبادة الله شىء واحد لايتجزأ".

المشهد الثانى فى الفصل الخامس يبدأ مصورًا براند، تمامًا مثل موسى، يقود شعبه فى اتجاه أرض الخلاص الموعودة، وبهذا المشهد يبدو أن مهمته قد قاربت التحقيق.

جهل براند بحدود القدرة البشرية لهؤلاء الذين تبعوه وجهله بحنكة خصومه السياسية يتسبب فى الانقلاب من النصر إلى الهزيمة؛ فعندما يبدأ الذين تبعوه يشعرون بالتعب والجوع والعطش والشك فى نهاية المسيرة، لا يجد براند ما يعدهم به سوى تضحيات أشد قسوة. وهنا

يدرك الكاهن المسئول أن الوقت قد حان ليقلب موقف براند رأسًا على عقب مطالبًا بأستعادة "قطيعه". الكاهن المسئول يعدهم بأن "يقبل العلامات الحقيقية لتوبتهم" إن هم عادوا إلى البلدة، ولكنهم ينقلبون تمامًا ضد براند فقط عندما يخبرهم المأمور، كذبًا، بأن فوجًا من الأسماك قد وصل إلى مياه الخليج.

صعود البطل نحو تحقيق الهدف ينذر بالارتداد من النصر المؤقت إلى الهزيمة. فحينما يصل تأثير خطبة براند على الجموع إلى نقطة الذروة يذكرنا المأمور أنه فى الأخير، سيكون النصر النهائى من نصيبه هو والكاهن المسئول:

المأمور: نعم، ولكننا لم نهزم بعد إذا كنت أعرف شيئًا عن قطيعى.

و هو يفى بوعده للكاهن المسئول عندما يلعب على غرائز الدهماء، ويعترف له فيما بعد بأنه لم يقل سوى كذبة هى فى اعتقاده مبررة تمامًا:

"كان يجب أن أرشوهم فاخترت طعمًا هو أول خيط طويل جاء إلى خاطرى. هل يمكنك أن تلومنى وكل هذا كان قيد المخاطرة ؟... ماذا يهم أن كنا ربحنا اللعبة بالحقيقة أو بالكذب؟"

مع الارتداد، تلوح لبراند رؤية غامضة تتمثل فيها صورة المرأة التى ترمز لسعيه. شبح آجنس يعيد البطل ثانية إلى تخليه عن عالم الحب وعن السعى وراء الاهتمامات الإنسانية البسيطة فى سبيل سعيه وراء مهمته. الشبح يطرح على براند سؤلاً عما إذا كان سيختار أن يمر بنفس التجارب التى مر بها فى بحثه إن كانت له فرصة الاختيار.

وبالإضافة إلى ذلك، فإن وجود الشبح يمثل إغراءً لبراند بأن يستعيد آجنس والف وأمه إن هو وافق على التخلى عن مهمته. وعندما يجىء رد براند أنه متمسك بمثله الأعلى، يتحول شبح آجنس إلى "صقر عملاق" يتعرف فيه براند على عدوه المميت "روح الحلول الوسط". رؤية آجنس المزيفة سبقتها رؤية "كورس" من الأرواح غير المرئية التى تبث إليه رسالة فحواها أن كدح الإنسان فى سبيل تحقيق ذاته مآله إلى الفشل. فى لحظة الهزيمة، يمثل كل من شبح أجنس والكورس تهديداً خطيراً لإيمان براند بمثله الأعلى. وفى صورة معكوسة يبدون وكأنهم انعكاس لشك براند نفسه فى نتيجة تضحياته.

عندما يعلم براند بزيف شبح آجنس يدرك أنه تعرض لإغراءات هى الاختبار الأخير لتمسكه بمثله الأعلى. وعندما يتخلى عن الشبح، فإنه يحرر نفسه تماماً من عالم البشر، ويواصل مسيرته فى أرض سبخة ؛ حيث يتقابل مع جرد، الفتاة الغجرية البرية، وتنتهى المقابلة بوصوله إلى أبرشيته الحقيقية، كنيسة الثلج.

من خلال عينى جرد يبدو براند فى هذه اللحظة صورة مجسدة للمسيح، وتعبده جرد وكأنه هو الله. ومع ذلك فإن رؤية جرد لبراند توصف فى الحال وباعترافه هو بأنها اكتشاف لإنسانيته:

"حتى الآن كان واجباً أن أكون اللوح الحجرى الذى يكتب الله عليه وصاياه، ولكن منذ اليوم سوف تجرى قصيدة حياتى هائمة فى تيارات مياه دافئة ممتعة تكسرت قشرتها الثلجية. يمكننى أن أبكى، ويمكننى أيضاً أن أجثو، ويمكننى، أخيراً، أن أصلى".

عندما يفرض براند مبدأ التفانى الكامل على نفسه قبل أن يفرضه على الآخرين، يكون قد حقق انتصار الإرادة. ولكن ديكتاتوريته ينتج عنها إنسانية ناقصة. ولذلك فإن فى رؤية جرد له واعترافه هو ذاته بحدود قدرته البشرية، يتبلور التناقض المهيمن على حياته، والذى لا يمكن أن يحله سوى الموت إن كان له أن يحقق مثله الأعلى. الانهيار المفاجئ الذى بدأته جرد عندما أطلقت النار على الصقر يغمر براند بالجليد المرعى لكنيسة الثلج. فى الواقع أنها "القشرة الثلجية" لديكتاتوريته هى التى تتكسر الآن. وبالرغم من ذلك فإنها، على المستويين الحرفى والرمزى، تشى بحتمية موته. يحقق براند ذاته فقط عندما يفقد ذاته، هذا هو التطبيق الأسمى لمبدأه "كل شىء أو لا شيء". أيرفنج دير يلاحظ أن " براند فى اتباعه حرفياً لندائه : كل شىء أو لا شىء، إنما يتعلم المعنى الحقيقى للتناقض الذى فرضه هو نفسه على الآخرين فى معظم الأحيان: أن تكون أنت، وأن تفقد ذاتك "[٢١].

براند المحتضر يسأل نفسه ما إذا كان يستحق الخلاص عن طريق تفانيه المطلق، ويرد صوت من السماء "ابتلاء الله"، والذى فسره بعض النقاد بأنه اتهام لديكتاتورية براند، وبالتالى موته. مثل هذه التفسيرات تستبعد احتمال أن مثل براند الأعلى، وهو الكفاح من أجل الكمال، مازال سارياً[٢٢]. "إله الرحمة والشفقة"[٢٣] يذكر براند بخطئه المأساوى، وبالرغم من أنه يكفر عن ديكتاتوريته بالموت، فإنه بالموت أيضاً يستحق الخلاص، وبالتالى انتصار مثله الأعلى.

الهوامش

١ - Brian W. Downs, Ibsen (Cambridge : 1946), p. 80.

٢ - George Brandes, Henrik Ibsen : A Critical Study, trans. Jessie Muir (New York : Benjamin Blom, Inc, 1964). p. 21

٣ - Brian Downs, op. cit., p. 86. cf. M.A. Stobart, "New Lights on Ibsen's Brand ," Fortnightly Review, new series, LXVI (1899), p. 233.

٤ - انظر على سبيل المثال : Henrik Jaeger, Henrik Ibsen, p. 181, and Theodore Jorgenson, Henrik Ibsen : A Study in Art and Personality, p. 190.

٥ - Jaeger, op. cit., p. 182.

٦ - Quoted in Maurice Valency, The Flower and the Castle, p. 126.

٧ - Ibsen, Correspondence, pp. 199-200.

٨ - كل إشارة إلى النص هى إشارة ل"هنريك إبسن، براند" بترجمة : ج.م. جاثورن - هاردى (سياتل - جامعة صحافة واشنطن ، ١٩٦٦) .

٩ - رفض براند أن يعطى أمه سر القربان المقدس إن لم تتخل عن كل شىء ، يراه الطبيب على أنه شىء يتجاوز حتى قدرة الله نفسه. هذا الإله ، إله الحلول الوسط ، كان حكمه ، على نحو أكيد ، سيكون أكثر لطفًا من الحكم الذى قضى به براند :

الطبيب : ربما يمكنها أن تحصل على حكم أكثر كرم ، ليس عن طريق القانون ، ولكن بموجب رحمة الله .

١٠ - "الكاهن المسئول: ..لأنه فى الدين ، تتبنى الحكومة القوة المناسبة حتى ترتفع بالنبرة .

١١ – براند ينتقد بشدة الصورة التى يصور بها أينار الإله القومى :

"لا يمكننى القول على وجه القطع، أن كنت قد وضعت حذاءً فى قدميه أم لا ، سوف نتغاضى عن ذلك ، ولكنه من المؤكد أن قبعة ونظارات على العينين هى كماليات ضرورية " ص ٤٦-٤٧

١٢ – انظر : CF. Robert Brustein, The Theater of Revolt, p. 52

١٤ – يلاحظ بروستاين أن إبسن عادة ما يمزج بينه "براند" وبين صور للبرد والشدة (الجليد، الصلب، الحديد، الحجارة، حتى ظروف مولده) (ولد فى خليج بارد فى ظل جبل غقيم) توحى بطبيعته الشبيهة بالثلج. وعلى النقيض، فإن الرسم أينار المحب للحياة وخطيبته الجميلة آجنس ، يعبر عنهما الكاتب بوصفهما مرادفين ل" نسيم الجبل وضوء الشمس والندى وعبق الأشجار". ويبدو سعيهما وراء الملذات الجنونية فى تناقض ملف لسعى براند الذى لا يحيد عنه نحو تحقيق مثاليته .

١٥ – W. Berteval, Le Théâtre d'Ibsen (Paris : Librarie academique, 1912), p. 89

١٦ – CF. Brustein, op. cit., p. 56.

١٧ – Henrik Ibsen, p. 175.

١٨ – Brustein, op. cit., p. 55.

١٩ – Jaeger, op. cit., p. 177-178.

٢٠ – Theodore Jorgenson, op. cit, p. 209.

٢١ – Irving Deer, "Ibsen's Brand : Paradox and the Symbolic Hero, in Ibsen : A Collection of Critical Essays, ed. Rolfe Fjelde (Englewood Cliffs, N.J. : Prentice-Hall, Inc. 1965), p. 59.

٢٢ – انظر : CF. Brustein, op. cit., p 58. Otherwise the whole intellectual structure of the play collapses.

٢٣ – انظر : CF. Jorgenson, op. cit., p. 214. According to Jorgenson, Ibsen himself said that the phrase should be translated to mean : He is the God of mercy and compassion .

٣ - بير جينت
كوميديا رومانسية

I

نشرت "بير جينت" لإبسن فى كوبنهاجن عام ١٨٦٧، أى بعد عام واحد فقط من صدور "براند". فى خطاب لبيتر هانسن بتاريخ ٢٨ أكتوبر ١٨٧٠، كتب إبسن يقول:"بعد براند أتت بير جينت وكأنها أتت من تلقاء نفسها"[١]. وفى الواقع فإن المسرحيتين تمثلان مرحلتين وثيقتى الصلة من مراحل الحياة الداخلية للكاتب الدرامى. فإن كانت "براند" تمثل إبسن فى أحسن لحظاته (أى فى أعلى درجاته الشخصية كمناصر للتفانى الكامل) فإن "بير جينت" تمثله وهو فى أكثر لحظاته استرخاءً إن لم يكن أكثرها تنصلاً من المسئولية[٢]. الوفرة الغنية من الألوان والمناظر والخيال الشعرى والحركة السريعة من مشهد إلى آخر، بالإضافة إلى الفنتازيا الغنية والمناظر الطبيعية المغمورة بالشمس فى هذه المسرحية، كل هذا يتناقض مع المناخ المعتم فى "براند". فكما يلاحظ تيودور يورجنسن: "براند معتمة ومظلمة تقريبًا مثل الأمسيات الكئيبة فى الأراضى الشمالية فى شهر أكتوبر. أما "بير جينت" ففيها خيال مفعم بالحيوية وإبداع شعرى غنى لدرجة مذهلة. كلتاهما حقيقى وكل منهما تمثل الكاتب نفسه"[٣].

وبصرف النظر عن حاجة إبسن للتعبير عن نفسه، فإنه يبدو كما لو كان قد عقد العزم على كتابة مسرحية تكمل "براند" بالتباين معها. "بير جينت" صورة مجسدة للاستهتار والحلول الوسط والأنانية وعدم المسئولية، وكل تلك الصفات حارب براند ضدها حتى الموت. لارفين كتب يقول عن حق: "تماماً مثل القطب المعاكس لمبدأ براند الصارم (كل شىء أو لا شىء) يأتى بير جينت ليطلب (كل شىء ولا شىء). فبدلاً من أن يكون فردياً بالمعنى العميق للكلمة، فإن "بير جينت" هو نموذج للأنانية الشديدة التى تتجاهل كل القواعد والقيم الأخلاقية التى يتنازل عنها من أجل الجانب الكمى من الوجود. فالأشياء التى تحدث له ليست مرتبة، ولكنها تأتى بدون سبب"(٤). بروستاين يؤيد وجهة النظر المشوقة، والتى تقول بأن "بير جينت" بدلاً من أن تتناقض مع "براند" فإنها تعتبر تعبيراً مسرحياً عن نفس الموضوعات من وجهة نظر كوميدية ساخرة. ويشرح بروستاين وجهة نظره قائلاً بأن إبسن يعمل على تحسين أسلوبه "السلبى" الذى يستخدمه بصورة كاملة فى مسرحياته اللاحقة، والتى لا يحتل فيها المتمرد مقدمة المسرح، بل تحتله شخصيات متمردة ضده تأتى لتأخذ مكان الصدارة فى الحركة الدرامية. "بير جينت" هى حالة نموذجية لهذه النقطة(٥). سواء اتفقنا معه أو لم نتفق، فإن النقطة الواضحة هى أن "بير جينت" هى مسرحية كاملة لـ"براند".

يتعامل النقاد مع "بير جينت" على أنها تعبير عن شخصية "قومية". يقول يورجنسن "من بين كل مسرحيات إبسن فإن بير جينت، وباعتراف إبسن نفسه وباعتراف الآخرين، هى مسرحية نرويجية تحديداً يقوم بناؤها كما هو حول أساطير نرويجية، وتدور أحداثها فى بيئة الجبال العظيمة فى

قلب النرويج"[٦]. إذا كانت القصيدة الغنائية "بران" قد نبتت من عدم رضاء إبسن عن تقاعس بلاده عن مساعدة الدانمرك فى حربها ضد القوى الألمانية[٧]، فإن "بير جينت" ترسم مشهداً وضع فيه مصير بير فى مسار متوازٍ مع مصير النرويج[٨]. وبالرغم من ذلك وبعيداً عن اهتمام إبسن بفكرة "الإسكندينافية" فإن "بير جينت" تبدو وكأنها تجسد حالة مزاجية رآها إبسن نرويجية خالصة، كما لم يجسدها أى بطل آخر فى كل أعمال الكاتب الدرامى. وكما يشير داونز فإننا فى شخصية بير جينت "يجب أن نتبين تشخيصًا للنرويج، أو أنه فى أية صورة يجب أن يُنظر إلى بير جينت أولاً وأخيراً على أنه يمثل مفهوم إبسن عن النرويجى النموذجى"[٩]. ومن اللافت للنظر أن إبسن، بالرغم من أنه كتب روايته تحت شمس إيطاليا حيث الشمس الدافئة، كان يظن نفسه موجوداً فى بلده الأم[١٠].

وتناول "بير جينت" بوصفها رواية تمثيلية هجائية ذات ملامح أو صفات قومية محددة، هو بالقطع شىء جائز. والدارسون "لبير جينت" يمكنهم سرد أى عدد من الأمثلة تظهر أن إبسن، كما يعتقدون، يسخر من مختلف الأفراد أو الأفكار التى كانت سائدة فى النرويج فى عصره. وطبقًا للافرين على سبيل المثال، فإن شعار "الترول" وهو جبار خرافى يسكن الكهوف فى الميثولوجيا الإسكندينافية، وهو "كن لنفسك وهذا يكفى"، كان فى الأصل قصة فكاهية عن بعض القوميين اللطفاء الذين يؤيدون فكرة الانعزالية السياسية والاقتصادية التامة للنرويج[١١]. النزلاء فى مصحة المرضى العقليين فى القاهرة (الفصل الرابع) يترجم وجودهم فى بعض الأحيان، على أنه تشخيصات هجائية لحركات وشخصيات معاصرة بعينها. "هوهو"، على سبيل المثال، يعتقد البعض

أنه هجاء موجه للحركة اللغوية فى النرويج، والتى تضمنت تأسيس لغة قومية عن طريق استعادة المفردات والتركيبات اللغوية لبعض لهجات المقاطعات النرويجية[١٢]. والفلاح تعبير ساخر يهزأ من إعجاب السويديين الذى يبلغ حد العبادة بشارل الثانى عشر. وحسين الذى يظن نفسه قلمًا يحتاج دومًا إلى البرى يمثل ماندرستروم وزير الخارجية السويدى الذى كان "يتباهى بفاعلية المذكرات الرسمية التى كتبها عام ١٨٦٤عندما لم يحقق شيئًا يتعدى كتابة هذه المذكرات"[١٣].

و بالرغم من ذلك، فإن مثل هذا المنهج فى التحليل معرض لأن يفتقد بعض المقومات الرئيسية فى المسرحية. "بير جينت" يجب أن يُنظر إليها فى الأساس باعتبارها الوجه المعاكس للرؤية التى عبر عنها الكاتب فى "براند". وبالتالى، فإن الحركة المسرحية فيها تعبر عن رؤية أوسع بكثير من مجرد كونها مقطوعة هجائية. وفوق ذلك، فإن اللهجة والأسلوب لهما طابع كوميدى وليس هجائيًا بالضرورة. الكوميديا بالطبع يمكن أن تتضمن هجاءً، ولكن الهجاء بمفرده لا يملك الإمكانيات اللازمة لمثل هذه الكوميديا المتميزة التى نجدها فى "بير جينت".

نبذة عن المصادر التى استخدمها إبسن فى كتابة مسرحيته يمكن أن تساعدنا على تعريف الشخصية المحورية فيها، وبالتالى الحركة المسرحية ذاتها؛ فقد صادف إبسن اسم "بير جينت" خلال الجولة التى قام بها لجمع الفولكلور الشعبى عام ١٨٦٢ . ومع ذلك، فإنه اعتمد اعتمادًا كبيرًا على وصف أسبيورنسون لبير جينت فى كتابه "قصص الأساطير النرويجية" عام ١٨٤٧[١٤]، والذى جاء تحت عنوان "مناظر جبلية".

بعض مغامرات بير، كما جاءت فى كتاب أسبيورنسون، أدخلت فى الرواية المسرحية. ولكن ما استرعى اهتمام إبسن تحديداً كان هو سجية بير بوصفه كاذباً أسطورياً. هذه الصفة خدمت إبسن فى أن يناوب فى سهولة ما بين المستويين الحرفى أو الواقعى والخيالى فى المسرحية. ونجد الإشارة إلى تلك الصفة فيما يقوله أسبيورنسون: "إن بير جينت كان شخصاً غريباً"، وكما قال أندرز:"كان بارعاً جداً فى تأليف الروايات والحكى، ولا نملك إلا أن نضحك منه. كان دوماً يثبت أنه هو نفسه قد اختلط عليه الأمر فى كل الحكايات التى قال الناس إنها حدثت فى الأزمنة القديمة"(١٥).

وبما أنه كاذب، كان يجب تصوير بير جينت كشخصية كوميدية تثير ضحكاتنا من خلال التفرقة بين واقع بير وبين العالم الذى يصنعه خياله. وبصوفه مغامراً كان لابد أن تُبنى مسرحيته على أساس مشاهد متعددة تحتل فترة زمنية طويلة.

بير هو فى الأساس رجل ضئيل يمكن أن ينطبق عليه تعريف أرسطو للهزل الذى "هو تقليد أو محاكاة للرجال الذين هم أسوأ من المتوسط"(١٦). إلا أن بير لديه بعض الأستعداد الجيد. كانت شخصية بير مرسومة ليكون "زراً لامعاً فى سترة العالم" كما يقول صانع الأزرار.

II

الفكرة الرئيسية لشخصية بير مقدمة فى الحوار الافتتاحى فى الفصل الأول:

أوسة : هذا كذب يا بير.

بير جينت (دون توقف): لا ليس كذبًا

أوسة: حسنًا، إذا أقسم على ذلك، أقسم أنه حقيقى !

بير جينت: أقسم؟ لماذ يجب علىَّ أن أقسم؟

أوسة: أوه أنت لا تجرؤ !

كذب وهراء كل ما تقول(١٧) !

بير لا يكذب فحسب، ولكنه يؤمن أن ما يخترعه خياله هو الحقيقية ذاتها. فى الفصل الأول، يستعير إبسن قصتين من أسبيورنسون. الأولى عن صيد الرنة على حافة الجبل فى ياندن، والثانية هى التى يقصها بير على الضيوف فى حفل زفاف أنجريد، عن كيف وجد الشيطان مختبئًا فى صدفة جوزة. وعندما تسأله أمه لماذا لم يحضر معه الرنة التى اصطادها، يدعى أنها كانت ملقاة ميتة على حافة الجبل، وهو القول الذى تستنتج منه الأم أن ما كان يقصه بير ما هو إلا أكاذيب رائعة كالمعتاد. فى "الحديث" الثانى يدعى بير أن الشيطان حرر نفسه من صدفة الجوز لحظة أن كان الحداد يكسرها بمطرقته.

فى "الحكاية الأولى"، يعمل بير على المستوى الخاص؛ حيث إن ادعائه بشجاعته الساذجة يقول به أمام أمه وحدها. وفى "الحكاية الثانية" ينتقل بير من المستوى الخاص إلى العام. فى "الأولى" ينتبه إلى حقيقة التناقض الكائن بين واقعه وبين العالم الذى يبدعه كمؤشر على الانحلال. أوسه ترجع سلوك ابنها إلى نزعة فى العائلة ؛ حيث بعد أن

أهدر الأب بطيشه وتهوره أملاك العائلة، أدمن كل أفرادها الكذب كما يدمن الآخرون البراندى. فى "الحديث" الثانى يحاول بير متعمداً أن يفرض الصورة التى يفترضها عن نفسه على المجتمع من حوله. فى هذه اللحظة نفسها يتخذ الحديث صورة انحلال وشيك. وبما أن العالم الذى يمثله المجتمع الطبيعى لا يعترف بالبطولة البادية فى الصورة التى يظنها بير عن نفسه، يندفع هو أكثر وأكثر فى خداعه لنفسه.

بير جينت (مع إيماءة من رأسه): انظروا إننى أستطيع أن أمتطى أبرع جواد

وأشق به الفضاء، إننى أستطيع عمل الكثير،

سترون ما أستطيع أن أفعله!

وهنا ينعزل بير عن واقعه العائلى وعن معيار السلوك الاجتماعى ويبدأ فى فقدان هويته. فى مشهد الزفاف، يرى بير رؤية ، يشاهد نفسه فيها إمبراطوراً يمتطى صهوة جواده على رأس حاشية عظيمة:

بير جينت: ثم يأتى بير جينت فى مجده مبحراً فوق المحيطات،

إمير أنجلاند يقف منتظراً على شاطئ البحر،

وعذارى أنجلاند كلهن يتبعنه،

إمبراطور أنجلاند ونبلاء أنجلاند ينتصبون واقفين

من فوق عروشهم عندما يتقدم بير جينت ممتطياً جواده،

ويقول إمبراطورهم رافعاً تاجه......

"أوسلوك" الحداد (موجهًا حديثه إلى العديد من الناس الذين يمرون بجوار السور):

انظروا، هذا هو ذلك الخنزير المخمور بير جينت !
(الفصل الأول، ص ٣٩)

التعارض الموجود بين هذه الرؤية وبين رد الفعل الذى يبديه "أوسلوك" يشير إلى انحلال بير الوشيك حين يفشل فى التأقلم مع أى واقع آخر خارج ذاته هو. وبالرغم من ذلك، فإن بير بإبداعه القوى، يظهر استعداداً جيداً يضعه بعيداً عن سائر الناس "الطبيعيين".

"بير" ونقاؤه النسبى يصورهما الكاتب فى الفصل الأول مرتبطين بسولفايج. وكما يلاحظ يورجنسن:"إنه يجد نفسه فى مواجهة حب حقيقى ومثالى تكمن فيه قوة يمكنها أن تصهر شخصيته، وأن توحد جهوده"[١٩]. إدراك بير لنقاء سولفايج الحقيقى الذى يظهر جلياً مقارنة بالفتيات الأخريات يوم الزفاف، هذا الإدراك، يكشف عن البراءة النسبية لبير نفسه. ولكن عدم مقدرته على أن يرتبط بالعالم من حوله يجعل من المستحيل على سولفايج أن تلعب دوراً إيجابياً فى حياته فى هذه المرحلة.

وبالتالى، فإن الفصل الأول فى "بير جينت" يقوم على ثلاث نقاط محورية: النقطة الأولى هى التباين الكوميدى الذى ينتج عن عدم استطاعة بير أن ينتسب للطبيعة على المستويين الخاص والعام. والنقطة الثانية هى الفرصة التى سنحت لبير لتحقيق الكمال، وذلك بسبب خياله المبدع وإدراكه لنقاء سولفايج (عالم الحب الرومانسى البرىء) والنقطة الثالثة هى إمكانية أن يفقد بير ذاته نتيجة لغرور موروث يبدو بوضوح فى الرؤية التى لاحت له خلال حفل الزفاف.

التطور الذى يمر به بير يمكن أن نصفه بأنه حالة فقدان متصاعد للذات. تساهل بير مع نفسه يقوده إلى مغامرات تكشف عن فعل يؤدى به حتمًا إلى الانحلال التام. وهذه المغامرات تتمثل فى قصته مع فتيات القطيع الثلاث ومع أميرة الجبابرة سكان الكهوف وقصته فى مملكة الجبابرة. فى البناء المسرحى للرواية يقوم إبسن بوضع هذه الأحداث العرضية فى ترتيب متصاعد، يقابله، فى تناقض واضح، انحدار بير من كائن شبه إنسانى إلى مخلوق فوق الطبيعة.

فى "بير جينت" يستغرق هذا التطور الفصل الثانى بأكمله، ويتحقق بالتزامن مع حركة فى الفراغ، ويتوافق مع حركة نفسية متدرجة تبتعد عن عالم الواقع إلى عالم الأساطير الذى خلقه بير فى الأساس فى مخيلته.

الفصل الثانى فى "بير جينت" يبدأ بقصة بير الذى يهجر أنجريد العروس بعد أن اختطفها، وبعد أن ذهب بها بعيدًا إلى الجبال، بموافقة ضمنية منها على مايبدو، ويساعد هذا الحدث على تصوير نفور بير من أى التزام، وهى الصفة الرئيسية فى شخصيته، و ذلك فى تناقض واضح مع براند. مقابلة بير التالية مع فتيات القطيع تسهم فى رسم الصورة التى يريدها لنفسه، وهى صورة الرجل الذى يستطيع القيام بأفعال مذهلة مع النساء ودون أى التزام تجاه أى منهن، فبينما الالتزام تجاه أنجريد كان سيحتم على بير أن يعيش متحملاً لمسئوليته تجاهها، فإن فتيات القطيع الثلاث يرحنه من عبء المسئولية عندما يقدمن أنفسهن له فى الوقت نفسه .

فتيات القطيع الثلاث اللاتى يعشن فى الأراضى المرتفعة لسن مخلوقات فوق الطبيعة بل هن شخصيات بشرية تمامًا[٢٠]، ومع ذلك تمثلن مستوى من الوجود يبدو جليًا أنه أقل من ذلك الذى تمثله أنجريد؛ فهن يرافقن جبابرة الكهوف بدلاً من البشر العاديين بدافع من الوحدة و"الحاجة إلى رجل". ويمثل قبول بير أن يضاجع ثلاثتهن معًا أولى خطواته نحو الانحلال الكامل. فعلى نحو مميز، يشبه بير نفسه (فى القوة الجنسية) بجبابرة الكهوف، ولكنه، حين يفعل ذلك، ينأى بنفسه بعيداً عن دائرة البشر:

بير جينت (قافزًا وسطهن): أنا الجبار ذو الثلاثة رؤوس - ذلك الجبار الذى يلزم الفتيات الثلاث ! (الفصل الثانى - ص ٦١)

يجب أن نسجل أن أول خطوتين فى تطور شخصية بير ترتبط كل منهما بتجربة حسية فاسقة. ففى الخطوة الأولى، يعمل بير على مستوى إنسانى متدن، وفى التجربة الثانية يربط نفسه بتجربة حسية فاسقة، فوق الطبيعة وأكثر تركيزًا من الأولى. فى هذه الحادثة الثانية كان على بير أن ينتقل من عالم البشر إلى عالم الأساطير. النبرة الكوميدية بالإضافة إلى عدم قدرة بير الفعلية على التفرقة بين الحقيقة والخيال، كل هذا يجعل هذا الانتقال ممكنًا، وبالتالى وكما يلاحظ كاسكيل، فإن "المرأة الخضراء يبدو أنها أعدت لحركة من أنجريد، من خلال المشهد غير الواقعى مع فتيات قطيع البقر"[٢١].

قبل لقائه مع المرأة ذات الرداء الأخضر بوقت قصير، يتخيل بير نفسه جزءًا من ماضٍ سلفى عريق، ويتصور أنه أمير جرىء من عائلة ملكية يدعوها "بيت چينت". وعندما تصطدم هذه الرؤية بقول أوسة عن الانغماس فى الأوهام، فإنها تسهم فى ورطة بير الكوميدية وتؤسس فى الوقت نفسه أهليته لاعتلاء عرش الجبابرة[٢٢]. سكان الكهوف، وبالتالى، فإن هذه الرؤية تمهد لمعاشرة بير لأميرة مملكة الجبابرة على قدم المساواة.

داونز يرى أن أول تجارب بير المدهشة ربما لم تكن إلا حلماً. فقبل لقائه مع المرأة ذات الرداء الأخضر مباشرة، كان بير فى نشوته وسط الطبيعة البكر، يثب إلى الأمام، ولكن رأسه تصطدم بصخرة فيقع ممدداً بلا حراك. (الفصل الثانى ص ٦٥).

مغامرات بير مع الجبابرة سكان الكهوف ربما ليست سوى أحلام لاحت له، بينما هو ممدد بلا حراك على أثر الحادثة. هذه الأحلام يمكن أن يكون لها أثر التجربة الفعلية والحقيقية على عقل غير مرتب يملؤه الخيال مثل عقل بير.

أحلاماً كانت أم واقعاً، فإن الحقيقة تبقى وهى أنه فى سعيه للزواج من أميرة الجبابرة، ومن ثم مطالبته بنصف عرش والدها، فإن بير، تماماً كما يشير يوجنسن، "يتبع هوى طبيعته الدنيا إلى أرض من خيال لا تحكمها إرادة أخلاقية أو غاية مثالية"[٢٤]. فى أولى تجاربه لما فوق الطبيعة، نرى بير حراً يتحرك خارج إطار القواعد الاجتماعية، وبالتالى يحقق تطابقاً بين العالم الذى أبدعه فى خياله وعالم الأساطير الذى يريد أن يكون هو محوراً له. ولذا فان صفاته الأولى كمتشرد

منطلق الخيال كان المقصود منها أن تُسهم فى تغذية غروره وأنانيته.

نزول بير إلى مملكة الجبابرة سكان الكهوف هى المرحلة الثالثة والأخيرة فى تفكك شخصيته، ويفسر بيتر واطس فكرة الجبابرة سكان الكهوف للقارئ الإنجليزى قائلاً:

فى عصر إبسن وفى المناطق الريفية فى النرويج، كان الاعتقاد فى التروللات أو الجبابرة.

سكان الكهوف سائدًا، تمامًا مثلما كان الاعتقاد فى الساحرات سائدًا فى إنجلترا فى القرن السادس عشر. ولكن الجبابرة سكان الكهوف لا يشتركون فى شىء كثير مع الجنيات والسحرة فى الفلكلور الإنجليزى، فهم دميمون ومشوهون وغالبًا أغبياء وحمقى....ربما يكونون نتاج ذكرى شعبية عن بعض الأجناس الأقل رقيًا من الإنسان مثل (رجل الكهف) الذى دفعه انتشار نظرية أن الإنسان كائن بيولوجى إلى الصعود إلى قمم الجبال[٢٥].

مشهد القاعة الملكية ورجل دوفر العجوز مبنى على التناقض بين الإنسان المسيحى (بير) والجبار ساكن الكهوف من ناحية، وولوج بير إلى عالم الجبابرة سكان الكهوف من ناحية أخرى. ففى البداية، ينظر إلى بير بوصفه المسيحى المخادع الذى يجب تدميره. ويقوم التناقض بعد ذلك تأسيسًا على التمييز الذى يفعله ملك الجبابرة ما بين الإنسان والجبار. وبما أن بير يطالب بكل من الأميرة ونصف مملكة الجبابرة، فإنه يجب عليه أولاً أن يحل لغز الرجل العجوز (التمييز بين الإنسان والجبار)، وإن فعل فسوف ينتمى إلى عالم الجبابرة سكان الكهوف،

وعندما يفشل فى الاختبار يعرض عليه الرجل العجوز حل اللغز فى صورة شعارين هما:

الرجل العجوز: ...هناك خارجًا، بين الرجال حيث السماوات اللامعة، هناك مقولة "الإنسان بالنسبة لنفسه هو الحقيقة ذاتها:

ولكن هنا، بين الجبابرة، تكون المقولة هى "الجبار بالنسبة لنفسه هو كافٍ".

(الفصل الثانى ص ٦٩)

التمييز - كما يقدمه ملك الجبابرة - يشكل موقفين متضادين، وهذا ما يظهر بوضوح من خلال تأكيده على كلمة نوك (أى يكفى)[٢٦]. محاولة بير أن ينتمى إلى عالم الجبابرة دافعها الحقيقى هو الغرور، وبصوفه مغروراً أصيلاً، فإن بير لا يمكنه أن ينتمى إلى عالم عادى حتى ولو على حساب فقدانه لهدفه فى أن يصبح شريكا فى ملك الجبابرة. وبالتالى فإن رفضه النهائى لأن تخمش عينه اليسرى كدليل على انتمائه الكامل لعالم الجبابرة، لا يعد نتيجة للتأكيد على انتمائه لعالم البشر بقدر ما يعد رفضًا لفكرة الانتماء على حساب تضحيته بنفسه. بير على استعداد لأن يتخلص من "ردائه المسيحى"، وأن يقبل ذيلاً كدليل على حيوانيته. إنه حتى على استعداد لأن يتخلى عن إيمانه المسيحى، ولكنه يرفض أن ينصاع لطلب الرجل العجوز فى أن يكتسب مظهر الجبابرة وهو، فى عالمهم، الأمر الوحيد المهم: "العلامة التى يمكن أن تميز بها الجبار هى مظهره الخارجى" (ص ٧١). وعندما يرفض أن ينتمى لأى شىء، حتى إالى عالم الجبابرة، فإن تطور بير فى اتجاه التفكك التام يكون قد اكتمل.

مـقـابلة بيـر مع البـويج أو الكائن الخـرافى العظيـم، وهى قـمـة مغامراته فـى أرض الجبابرة، مستخدمة كتعليق درامى على افتقاد بير للهـوية. بيـر ينجــو مـن هـجـوم الجـبـابرة فى نهـاية المشـهـد السـابق، والذى ينقذه هو صوت أجراس الكنيسة على البعد، تدقها أمه وسولفايج، وهو الأمر الذى يعد باعثًا مـحـمـلاً برمـزية الخلاص عن طريق الحب (الحب الجنسى وحب الأم والحب الدينى)، وهو أيضـاً مـقـدمـة للنهـاية الكوميدية للمسرحية.

ومع ذلك، فإن بير ينغمس فى مغامرة أخرى مع الكائن الخرافى الذى لا شكل له، والذى هـو صوت وحضور فقط، ولكنه يستعصى على أى تعريف[٢٧].

البويج الذى جرح – البويج الذى ما زال كاملاً.

البويج الذى قتل – والبويج الذى ما زال حيًا!!

(الفصل الثانى، ص ٧٩)

وهو يعود كرجع الصدى لفلسفة بير نفسه:

بير جينت: ....من أنت ؟

الصوت: نفسى.

نصيحة البويج، هذا الكائن الخرافى إلى بير، يمكن أن نعتبرها رجع صدى لميله التام إلى تجنب الفعل المستقيم:

الصوت: يا بير، اسلك طرقًا ملتوية!!

نصيحة البويج تتوافق مع كون بير مصاباً بمرض النصفية"[٢٨]، على حر تعبير بروستاين. وبالتالى، فإن داونز يجادل مقتنعاً بأن المشهد بأكمله يمكن أن نراه على أنه مناظرة ذاتية[٢٩].

III

الرحلة إلى الشرق رومانسية فيها عبق الحكمة والروحانية، تقف فى مواجهة مادية الغرب، هذه الرحلة فى "بير جينت" تؤدى إلى التحقق الأخير لمادية البطل وتساهله تجاه ذاته. ومع ذلك، فإن الكاتب فى هذه المسرحية، لا يبرز التناقض بين القيم الشرقية وبين شخصية البطل بير.

الشرق، فى مسرحية إبسن، وبصورة خاصة مصر والجزيرة العربية، تمثلان الرمزية المطلوبة التى ينعكس عليها إنجاز بير لمسيرته الرامية إلى الانكفاء على الذات.

إذا كان الفصلان الأول والثانى يصوران التطور الذى يحدث فى شخصية بير، وإذا كان الفصل الثالث يطرح، بالتضاد، عالم الحب الذى رفضه بير، فإن الفصل الرابع يمثل فى الواقت ذاته قمة المسيرة والتعبير الدرامى عن "الذات الجينتية" أثناء الفعل[٣٠].

فى "بير جينت" هناك فجوة زمنية بين التتابع فى تصوير البطل وبين نقطة الذروة فى مسيرته فى الشرق، وفى سياق هذه الفجوة الزمنية، يقوم البطل بالانتقال من مرحلة الشباب إلى خريف العمر. الفجوة فى سيرة بير الذاتية تملؤها قطعة من السرد الاستعادى الذى

يخبر فيه بير ضيوفه بقصة اليخت وانتصاراته السابقة. وبالتالى فإن الفترة الزمنية تتيح المرحلة اللازمة لكى يحقق فيها البطل جزءًا من برنامجه الأنانى.

جورج براندز، المعاصر لإبسن، هاجم الفصل الرابع على أساس أنه لا يخدم توظيفًا معينًا. وبالرغم من "الشراء الشعرى" و"عمق الفكرة" التى عبر عنها باقى العمل، فإن الفصل الرابع "ليس طريفًا فى هجائه ولا فجًا فى سخريته"، وهو "لا يرتبط بما حدث قبله ولا بما سوف يحدث بعده"[٣١]. وفى رأيى، فإن إدانة براندز لهذا الفصل تعود لحكم متسرع، ساعدت عليه إشارات إبسن الهجائية إلى المشهد المعاصر. ومع ذلك، فنحن فى هذه الدراسة لا نهتم بموضوعية هذه الإشارات ولا نؤمن أنها يجب أن تترجم بعيداً عن صلتها بدراما بير؛ فأنا أقترح فكرة أن تتابع المشاهد فى الفصل الرابع هو توال لا غنى عنه فى سبيل فهم كل من مسيرة بير والبناء المسرحى للرواية.

توالى المشاهد فى الفصل الرابع هو تتابع عضوى بالنسبة لعمل المسرحية فى اتجاهين: أولاً، تقدم بير فى حيز المكان فى اتجاه الشرق قادماً من المغرب إلى مصر، ينسجم مع حلمه الأول فى أن يصبح إمبراطوراً، وهو ذلك الحلم الذى ينتهى به، ويا للسخرية، إلى أفول حظه. وبالتالى نجد أن تحقيق بير لبرنامجه الأنانى يتناسب عكسيًا مع نجاحه المادى. وثانيًا، الفصل الرابع يحقق، فى الوقت نفسه، التوقعات التى طرحت فى الفصول السابقة، ويمهد لختام المسرحية فى الفصل الخامس.

ثلاثة مشاهد رئيسية تطرح التصور المسرحى لتحقيق بير لرؤيته السابقة. فى المشهدين الأول والثانى، نجد أن بير يقيم مملكته بقوة المال أو من خلال السلطة الروحية بصوفه نبيًا مزعومًا. فى كلا المشهدين، مع ذلك، نجد أن تحقيقه لذاته يرتبط مباشرة بقوى خارج هذه الذات، وهو ما يتسبب فى سقوطه فى نهاية الأمر، ومن ثم يجب عليه أن يبدأ بداية جديدة. فقط فى المشهد الثالث من هذه المجموعة من المشاهد، يتمكن بير من تحقيق إمبراطوريته تحقيقًا كاملاً، حين يتوقف عن التلاعب بالظروف الخارجية. المشهد الذى يدور فى مصحة المرضى العقليين فى القاهرة هو إذًا تحقيق ساخر لرؤية بير، بما أنه فى النهاية يتوج إمبراطورًا وإن كان إمبراطورًا يحكم شخصًا واحدًا فقط هو بير نفسه، كما يعتبر هذا المشهد أيضًا دراميًا عاليًا عن اكتفاء البطل بذاته.

الضيوف الأربعة على متن يخت بير فى المشهد الافتتاحى للفصل الرابع، المقصود من وجودهم هو أن يحدثوا تأثيرًا ساخرًا عن طريق تمثيلهم لبلادهم(٣٢). وبصرف النظر عن ذلك فإن هؤلاء الضيوف يعملون كأصدقاء حميمين يستطيع بير أن يُفضى إليهم بقصص مغامراته السابقة، ويعملون أيضًا كقوى خارجية تتسبب فى هزيمته وسقوطه فى آخر المشاهد.

عدم الالتزام الذى يدين به بير يظهر جليًا فى الطريقة التى يجمع بها ثروته، وكذلك فى نظرية "السلوك" التى يقدمها لضيوفه على أنها نتاج تجربته. الأعوام السابقة منذ الفصل الثالث خصصها بير لتحقيق النجاح فى أعماله حتى يمكنه تحقيق رؤيته فى أن يصبح إمبراطورًا من خلال قوة المال، الطبيعة غير الأخلاقية لصفقاته تظهر واضحة فى تجارته فى العبيد

الأفارقة الذين نقلهم الى أمريكا وفى الأرباح التيجمعها عن طريق نقل الأصنام الى الصين فى الربيع ونقل المبشرين فى الخريف.

محملاً بكل تلك المتطلبات

مثل الكتاب المقدس والجوارب

والخمر والأرز . **(ص ١١٠)**

نتاج تجربة بير هو فلسفة تتحاشى أى قانون محدد لقواعد السلوك:

تذكر أن محنة اليوم

ليست نهاية المطاف؛ فالحياة تستمر

فتذكر إذا أن تترك خلفك

جسرًا تؤمن إنسحابك،

هذا المبدأ كان دومًا نصيرى الوفى

و كان دومًا مؤثرًا على كل أفعالى. **(ص ١١٢)**

هذه هى ملامح "الذات الجينتية". وفى أوج محاولاته لإقامة إمبراطوريته عن طريق قوة المال، استغل بير الحرب المزمعة بين تركيا واليونان، واستفاد عن طريق مساندة الطرف الأقوى:

سوف أساعد الطرف الأقوى!!

سوف أقرض الأتراك نقودًا.

و لكن ضيوف بير الأربعة يقوضون خططه بناء على اقراح فون

أبيركوف الذى يقرر أن يسرق أمواله، ويكون التناقض هنا أن هذا الفعل يقود بير الى تحقيق أمبراطورية أخرى في الجزيرة العربية، ولكن هذه المرة، يحقق بير إمبراطوريته من خلال ممارسة تأثير روحانى كاذب. بير، الذى يتأقلم دوماً على كل ما يحقق مصالحه الشخصية، يرحب به العرب معتبرينه نبيهم. ويمثل هذا الترحيب تحقيق "الجينتيانا" التى تحدث عنها بير فى مشهد المغرب. هذا ما يمهد له مشهدان قصيران، حيث فى المشهد الأول، يقابل بير جماعة من القردة تذكر، على المستوى الحيوانى، بالجبابرة سكن الكهوف. أما المشهد الثانى فهو مشهد صغير وغريب؛ حيث نجد اثنين من اللصوص يستوقف وجودهما بير؛ حيث يتصرفان وفقًا لفلسفته الخاصة من حيث إنهما يريدان أن يكونا "نفسيهما". المشهدان يذكران بشعار الجبابرة، ويقدمهما الكاتب كتعقيب غنائى على التزام بير بهذا الشعار.

الطبيعة الغنائية لهذين المشهدين تعبر عن نفسها فى غياب أى صراع مؤثر بين البطل والقردة أو اللصين. المشهدان يظلان مجرد رموز شعرية تذكر على الفور بالتجارب الخارقة للطبيعة التى خاضها البطل فى الماضى، وتتيح للمشاهد أن يتعرف على التطابق بين فلسفة الجبابرة عن الاكتفاء بالذات وبين سلوك بير.

الخطة التى ينتويها بير، قبل حتى أن يصل إلى الجزيرة العربية، وهى أن يحول الصحراء إلى مملكة "جينتيانا"، تعتمد على استخدام رمزين رومانسيين رئيسيين: البحر والصحراء. خطة بير هى أن يشق قناة من البحر إلى الصحراء لتمدها بالفيضان "المانح للحياة".

ويشرح دبليو آتش أودن يشرح جانبًا من المفهوم الرومانسى للبحر والصحراء بوصفهما شكلين متضادين للحياة:

... الصحراء هى المكان الجاف؛ أى المكان الذى انتهت فيه الحياة، نهاية الوجود الدنيوى. أولى خصائصها البارزة هى أنه لا شىء يتحرك وثانية الخصائص هى أن كل شىء مسطح ومكشوف. ليس هناك تربة ولا ربيع مختبئ. البحر، على النقيض، هو بداية الوجود ورمز الإمكانية(٣٣).

و مع ذلك، فإنه لا الصحراء ولا البحر لهما وجود مستقل عن رؤية بير لإمبراطوريته الخاصة. الجواد الأبيض الذى يأتى من حيث لا يعلم أحد ليساعد بير على تنفيذ خطته، هو جانب آخر لهذه الرمزية الرومانسية التى يقدمها الكاتب أسلوب شعرى أكثر منه دراميًا.

الطابع الهزلى يستمر فى المشاهد التالية من خلال الاحترام الكبير الذى يغمر به العرب على نحو اعتباطى. فهم ينادون به قائدًا روحيًا طال انتظاره، ومع أن برنامجه يتحقق بدون مجهود من جانبه، من جانب وأن فكرة بير الرومانسية عن إمبراطوريته، والتى وضحت فى المشهد السابق، تقوده مباشرة إلى ثراء جديد. بير يعتقد أن دور النبى أو الرسول يناسبه أكثر ؛ حيث إنه يضعه فى موضع المركز من عالمه، ليس بسبب أمواله، وإنما بدافع من شخصيته هو. وبالتالى فهو يمثل تحقيقًا لذاته المتمثلة بالجبابرة سكان الكهوف، والتى لا يمكن للقشرة المزركشة للثروة المادية أن تعطيها هوية أخرى:

أن تكون أنت ذاتك على أساس من المال

يشبه تمامًا أن يبنى المرء بيتًا على الرمال

ولكن أن تكون رسولاً ....آه، هنا

الموقف يصبح أوضح بكثير،
المرء يعرف تمامًا على أى أرض يقف
فإن حقق نجاحًا ؛ فالتصفيق له هو
وليس لجنيهاته أو شلناته أو بنساته.
هو من يكون، ولا هراء حول ذلك.

عندما يقدم عنيترة، يكون إبسن قد رتب الموقف بحيث إن بير، فى الوقت الذى يكون فيه قد حقق مملكته، يلقى الهزيمة على يد الفتاة العربية، وذلك بسبب نفس صفات " الذات الجينتية". تمامـًا مثل أفتتانه بعنيترة، فإن محاولة بير أن يغوى الفتاة إنما هى تعبير عن كونه "هو ذاته". ومع ذلك فإنه بهذه الفعلة، يكون قد نزع عن نفسه وقار النبى ويصبح معرضًا لخيانة عنيترة.

الارتداد الذى يحدث عندما يبقى بير وحيداً بعد أن تهرب عنيترة بماله، يتركه وحيداً مع نفسه يطالب بها مملكة له. المشهد الذى يدور فى مصحة المرضى العقليين فى القاهرة تعبير رمزى عن التناقض فى تحقيق بير لذاته، وبهذا يكون المشهد، تمامًا كما يشير بروستاين هو "نقطة الذروة فى القصة الدرامية" ؛ حيث " يكتشف بير بدون عناء أكثر الممالك ملاءمة له وهى الذات"(٣٥).

مقدمة هذا المشهد الأخير هى الحدث القصير مع أبى الهول فى مصر. فعندما يأتى بير إلى مصر عرضًا، مدفوعًا بهدف أن يصبح ضليعًا فى التاريخ القديم، يتمكن من حل لغز أبى الهول، عندما يتعرف

عليه بوصفه "هو ذاته". وبالتالى فإن أبا الهول هنا يمثل إشارة إلى البويج العطيم. وقبل ذلك بوقت قصير، يعرف بير تمثال ممنون على أنه ملك الجبابرة. هاتان الإشارتان تسهمان الآن فى التعرف على بير نفسه. وبالتالى فعندما يسأل الألماني بجريفنفيلد، الذى يظهر قادماً من خلف أبى الهول، بير أن يعرف نفسه، يرد بير قائلاً :

حاولت دومًا أن أكون نفسى

و الباقى يمكنك أن تعرفه من جواز سفرى. (ص ١٥٣)

الحدثان المرتبطان بتمثال ممنون وأبى الهول، وهما مقدمة مشهد مصحة المرضى العقليين، يعبران بالتالى عن شخصية بير فى صورة تطابق مع البويج ومع ملك الجبابرة اللذين ادعى كل منهما اكتفائه بذاته كهوية وحيدة له. فى مصحة المرضى العقليين، كل نزيل هو عالم فى حد ذاته ولا أحد يتعدى على عالم الاكتفاء بالذات الخاص بالآخر، وبالتالى فإنه عندما يتوج النزلاء بير إمبراطوراً على نفسه، تكون مسيرته فى الغرور والاكتفاء بالذات قد تحققت بشكل نهائى.

IV

لا يمكن لأية دراسة عن "بير جينت" أن تتجاهل دور سولفايج فى بناء الفصل المسرحى بها ، هذا الدور يمكن أن يتلخص فى أن سولفايج تعانى من حب رومانسى من جانب واحد فى أنقى صوره. وعلى هذا الأساس فهى تعمل فى إطار مختلف عن أطار البطل. ولأنها قادرة على المعاناة الداخلية، تكتسب تجربتها طبيعة مأساوية كاذبة.

نقاء "بير جينت" النسبى يجب أن يعرف مرتبطًا بسولفايج. فى الحدث المحورى للفصل الثالث، بينما كان بير على وشك إقامة إمبراطورية حب حقيقية مع سولفايج فى الجبل، يعترف فجأة أن ماضيه من الحياة المخزية، والذى يثيره وجود المرأة العجوز (أميرة الجبابرة) والطفل الدميم، لن يسهم إلا فى تدنيس النقاء الذى تجسده سولفايج. وهذا هو السبب الحقيقى وراء هجر بير المفاجئ لسولفايج ، وهى النقطة التى لم يتمكن بعض النقاد من شرحها فى سياق تطور الحبكة الدرامية.

قرار بير أن يغادر يأتى فى صورة مناجاة نشهد فيها للمرة الأولى، صراعًا يدور فى عقله:

ولكن أن أذهب إلى الداخل (الكوخ)

الآن، دميمًا ومكسوًا بالعار!

أن أتكلم، ومع ذلك

أظل صامتًا – أن أعترف ، ومع

ذلك أخفى.

(راميًا فأسه جانبًا)

هذه ليلة عيد كل القديسين.....

أن أقابلها على هذه الحال –

تمامًا كما أنا – ليس سوى

إنتهاك لحرمتها.

(الفصل الثالث، ص ٩٤)

فى الفصل الرابع، إبسن يدخل عن قصد مرحلة الذروة فى إكتفاء بير بذاته. مشهد قصير جداً يقطع فيه الكاتب تتابع الأماكن فى الشرق ليعود بنا إلى النرويج؛ حيث نرى أن سولفايج ما زالت تنتظر بير على الجبل بالرغم من مرور السنين، وبالرغم من أن حبها له غير متبادل، وبالرغم من ذلك فإن سولفايج تثق فى عودة بير ليؤسسا معًا بيتهما المنشود فوق الجبل، وهو ما يدل على أنها تعلم بوجود شىء طيب وحقيقى فى داخله.

سولفايج ترمز لعالم الحب الذى رفضه البطل، والذى كان يمكنه، لو قبله، أن يعيد إنسانيته. وهى، كرمز للحب، تسهم فى التركيز على العوامل الأساسية فى وصف شخصية البطل، عن طريق التباين. سولفايج، فى الأساس، تتصرف بوصفها العامل الأساسى فى الوصول إلى الحل الهزلى.

سولفايج تتحدى التقاليد فى حبها لبير، وفى الفصل الثانى، نجدها تصاحب أوسة فى بحثها اليائس عن بير فى بحيرة الجبل، وبالرغم من أنها مازالت، حتى هذه اللحظة، تطيع وتلتزم بحياة العائلة بما أنها تأتى بصحبة والديها، فهى تختار أن تقف موقفًا مخالفًا لمجتمع بأسره يدين بير بسبب حادثة الخطف معلنًا أن كل شخص له الحق فى أن يقتله. النقطة المحورية فى تعبير سولفايج عن حبها تأتى فى الفصل الثالث عندما تتخلى عن النظام الاجتماعى كله لتلحق ببير فى كوخه فوق الجبل، مطابقة نفسها مطابقة كاملة مع حياة المنبوذين.

بير جينت: هل تعرفين الشروط؟

إن أنا ذهبت خلف هذه الأحراش،

فمن حق أى رجل يأخذنى.

سولفايج: عندما أتيت إلى هنا

مستخدمة مزلاجى، سألت عن الطريق،

فقيل لى : "إلى أين أنت ذاهبة؟"

فأجبت: إلى بيتى. (الفصل الثالث ص ٨٩)

وطوال الفترة التى قضاها بير هائمًا فى الخارج، يظل وجود سولفايج ملموسًا فى خلفية الحركة، ويؤكد ظهورها المتكرر فى النقاط المحورية فى مسيرة بير. سولفايج تنبع منها رمزية الحب التى تجعل خلاص بير فى النهاية ممكنًا، وإحدى النظريات التى يؤيدها الكثيرون فى مجال البناء الهزلى هى تلك التى يصفها تورثورب فراى قائلاً: "نحن أيضًا نلاحظ كيف أن كاتبًا دراميًا هزليًا يحاول تكرارًا، وبقدر ما يستطيع، أن يجعل أحداثه أكثر قربًا من السقوط الكارثى للبطل، ثم بعد ذلك يعكس الحدث بأسرع ما يمكن"[٣٦]. و"كل امرئ قد يلاحظ ، فى الحدث الهزلى، نقطة قريبة من النهاية تتغير النبرة فيها فجأة لتصبح جادة رومانسية أو معبرة عن كارثة محتملة"[٣٧].

"بير جينت" تتبع نفس البناء الهزلى الذى وصفته النظرية السابقة، وبير نفسه يظل فى بؤرة الحدث فى الرواية بدون وجود لأية شخصية

ثانوية. الفصل الخامس فى مسرحية إبسن يأتى بالبطل قريبًا جداً من السقوط الكارثى، وهنا، من خلال ظهور سولفايج مرة أخرى، ينقلب الحدث فجأة لينتهى بحل هزلى.

ومع ذلك، فإن الحدث الجاد فى الفصل الخامس، يتحقق من خلال المواجهة بين بير وقوى خارج نفسه يمكنها تحديد مصيره، وبالرغم من أنها تتخذ صورة رموز شعرية فإن تلك القوى لها قوة القدر. هذه القوى تتمثل تحديداً فى ثلاث شخصيات خيالية هى : المسافر الغريب، وصانع الأزرار، وبدرجة أقل الرجل الرفيع[٣٨]. هذا الحدث الجاد يشعل كفاح بير ليس فقط من أجل تأسيس هويته، بل من أجل النجاة بحياته أيضا .

الفصل الخامس يبدأ بعودة بير إلى وطنه، ونراه على متن سفينة خارج ساحل النرويج، والهدف من ذلك المشهد الافتتاحى هو أن يأتى بير وجهًا لوجه مع الحقيقية الخارجية للموت، وبالتالى يقلل من اكتفائه بذاته إلى أقل درجة ممكنة، فبينما يبدو احتمال موت بير فى مشاهد الجبابرة غير حقيقى من وجهة نظر تقييمه هو نفسه لذاته، يكون خطر الموت هنا أيضاً مجازيًا، يعبر عن الحياة الفارغة من أى معنى، والتى عاشها بير.

يرى بعض النقاد أن المسافر الغريب يمثل الرعب[٣٩] والجدية أو أنه انعكاس للصورة التى يراها بير عن نفسه لحظة الخطر، عندما يبدأ النظر إلى ذاته بمنظور جديد[٤٠]، ومع ذلك هناك شىء واحد مؤكد هو أن المسافر الغريب يضع بير فى موقف يكون فيه تقييمه لحياته

ضرورياً لينجو بنفسه. ومن أجل إتمام هذا التقييم يجب على بير أن يؤسس هويته، ومن هنا تأتى أولى مواجهاته الحقيقية مع العالم خارج أسر ذاته.

المشهد الافتتاحى فى الفصل الخامس مبنى على مستويين من الواقع: أولاً، المستوى الحرفى حيث تستلزم نجاة بير منه أن يغرق طباخ السفينة. وهذا ما يلخص مسيرة بير فى سبيل الغرور والأنانية. وثانياً: المستوى الرمزى حيث ينظر إلى بير، من خلال المسافر، "كمجرد جثة مثقلة بالمياه"، كل شىء فيها ميت ما عدا الجسد.

وبالرغم من أنه يواجه خطر الغرق والهلاك على يد المسافر الغريب الذى يطالب بجسده بعد موته، فإن بير مع ذلك لا يغرق، ولكنه يخرج من التجربة وهو ليس نفس الشخص الأنانى الواثق من نفسه الذى قابلناه فى بداية الفصل الخامس. أن تؤدى مقابلة بير مع المسافر الغريب به إلى أن يحاول أن يقيم ذاته، تبدو واضحة من المونولوج الذى قاله عن البصلة.

ومع ذلك، فقبل أن يصل إلى الوعى الكامل بحالته، يتعرض بير لتجربة تتناقض بحدة مع حياته التى تفتقر إلى غاية أو هدف. فى مسقط رأسه، يصادف بير جنازة الرجل الذى يعرف على الفور أنه هو نفسه الصبى الذى رآه فى الماضى، وهو يقطع إصبعه بنفسه من أجل الهرب من الخدمة العسكرية[٤٢].

الكاهن، وهو على علم بالحماقة التى ارتكبها الرجل فى مطلع حياته، ظل يؤكد أن الرجل إنما تصرف بدافع من هاتف ظن أنه نداء

الخاص وهو: أن يعمل فى حقله الصغير وأن يرهى عائلته. التباين بين هذا الرجل وبين بير هو تناقض بين حياة تسير فى هدى إحساس بنداء أو هدف داخلي وحياة أخرى قضاها بير سعياً وراء مصلحة شخصية بحتة.

و بالرغم من أن بير لا يستوعب تمامًا السخرية التى تصمنتها عظة الكاهن فى الجنازة، فإنه يصبح مدركًا لافتقاره إلى الهوية. فى المشهد التالى، عندما يواجه بير أطلال الطبيعة التى مثلت خلفية الفصل الأول، بينما هو يلحق بجنازة أنجريد، نجده يطور وعيه وصولاً الى حد اليأس. بير، متخفٍ، يقيم مزاداً لبيع تذكارات ماضيه الذى لا معنى له: قلعته وحصانه الأبيض وذهبه وقلامته ولحية النبى التى استخدمها وإمبراطوريته. أعلى المزايدين هو من يريه الطريق القويم إلى حياة هادفة.

مشكلة بير هى أنه التزم بشعار الجبابرة عن الاكتفاء بالذات وبنصيحة البويج عن اللجوء إلى "الطرق الملتوية" لفترة طالت حتى أضاعت عليه فرصة أن يخطو فى طريق نداء هادف، وبالتالى يعرف ذاته. الموقف المازح الذى اتخذه الفلاحون تجاه يأسه وقت المزاد، يقوده إلى تحليل ذاتى رهيب من خلال مونولوج عن البصلة.

داونز يقول إن هذا المونولوج مطول ؛ لأنه "ينقل كل ما تفعله مشاهد صانع الأزرار وبالعكس".[٤٣] هذا الرأى معرض لأن يتجاهل حقيقة أن بير فى تأمله هنا إنما يمثل اعترافه هو نفسه بالتشابه بين البصلة التى تكشف قشرتها عن قلب غير موجود وبين حياته هو نفسه:

....تصل مباشرة إلى القلب

لا تجد شيئًا إلا طبقات، أصغر

فأصغر.   (ص ١٩١)

ومن جهة أخرى، فإن مشاهد صانع الأزرار تمثل قوى خارجية تهدد بهزيمة بير فى اللحظة التى يدرك فيها بالفعل افتقاره للهوية. وكنتيجة لإدراك بير لحالته يأتى المشهد المجازى الذى تبدأ فيه أشياء من الطبيعة فى الحديث مع بير وهو سائر فى طريقه، مشكلة صدى ليأسه الدفين. وبصورة ما، تعتبر هذه الأشياء تعبيراً خارجياً عن الأفكار التى تدور فى رأس بير. تشتكى كرات الخيط قائلة:

نحن لسنا سوى أفكار

كان يجب عليك أن تشكلنا   (ص ١٩٣)

وتشتكى الأوراق الذابلة قائلة:

نحن لسنا إلا كلمة سر

كان يجب عليك أن تعلن عنا   (ص ١٩٤)

و تشتكى "زفرة فى الهواء" قائلة:

نحن أغنيات

كان يجب عليك أن تغنينا   (ص ١٩٤)

الحدث المأساوى الكاذب، والذى يبلغ ذروته فى مشاهد صانع الأزرار، يثير احتمال أن ينصهر بير فى القالب، وهو مجاز درامى يعبر عن فقدان الذات الفردية. صانع الأزرار لا يهدد فقط بإهلاك بير، ولكنه يهدد أيضًا بأنه حتى بعد موته، لن يسمح لبير بأن يكتسب هوية فهو لا يستحق أن يذهب إلى الجنة ولا الجحيم، حتى الجحيم مكان للمخطئين الذين يتطلب ما اقترفوه، مهما بلغ من شر، غاية قوية يفتقدها بير. فبالرغم من أنه بدا مبشرًا بصورة كبيرة فى البداية، فإنه ينتهى كزر به عيب:

لذا يجب أن تذهب إلى كومة المخلفات

لتصبح ما يعرف ب"أنه محال إلى صبة".   (ص ١٩٩)

بير يشعر أن حتمية أن يقوم بإثبات أنه كان "هو ذاته" هى سبيله الوحيد إلى الخلاص. خطة إبسن فى الوصول إلى السقوط المأساوى الكاذب لبطله، تقوم على فكرة أن يتخذ بير شهودًا من هؤلاء الذين يمكنهم تهديد قضيته تهديدًا جديًا. صانع الأزرار يمنح بير الفرصة لكى يحضر شهودًا يقولون بأنه كان "هو ذاته" (هويته أو فرديته) بشرط أن تحل القضية عندما يلتقون فى أول تقاطع طرق بعد ذلك.

أول شاهد يقع عليه بير هو رجل دوفر العجوز نفسه الذى " وقع فى أسر أيام شريرة جدًا" الآن، والذى يشعر بالسعادة ؛ لأنه رأى ذلك الذى هو تقريبًا زوج أبنته. وعندما يدعى إلى الشهادة بأن بير رفض أن يصبح جبارًا كدليل على فرديته، يؤكد ملك الجبابرة السابق أن بير قد عاش أمينًا لشعار الجبابرة.

محاولة بير أن يجعل الرجل الرفيع[٤٤] يشهد لصالحه تبوء بفشل مماثل. أوراق الاعتماد التى يقدمها إلى الشيطان هى تجارته فى العبيد والأصنام وقيامه بإغراق الطباخ. بالنسبة إلى الشيطان، أوراق الاعتماد هذه ما هى إلا مؤشرات تدل على أن بير إنسان له "نصف قلب" ؛ إذ إنه لم يتبع طريقًا مستقيمًا حتى فى الخطيئة. وفى النهاية، ينفر الشيطان من محاولة بير أن يعقد معه صفقة ويفترقان.

فى آخر تقاطع طرق، يسمع بير صوت سولفايج وهى تغنى خارج كوخهم القديم، وفى هذه اللحظة، لحطة الخطر العظيم، يجبر بير على الاعتراف بأنه فى النهاية يحب عليه أن يتخذ قرارًا باتباع طريق مستقيم مهما كانت النتائج. ويكون هذا القرار هو أحد الأسباب التى من أجلها يستحق بير الخلاص:

لا، الآن ولمرة واحدة

يسير الطريق مستقيمًا، بالرغم من أنه

لا يضيق أبدًا

وبالتالى فإن افتداءه يصبح ممكنًا على يد سولفايج التى حافظ حبها دومًا على هويته.

يسأل بير سولفايج:

أين كنت أنا؟ هل كنت أنا كاملاً وتامًا؟

أين؟

ويكون جوابها:

فى يقينى، فى أملى وفى حبى.   (ص ٢٢٢)

الحل الهزلى فى "بير جينت" يتم من خلال افتداء بير عن طريق امرأة هى سولفايج. الحركة كلها فى الفصل الأخير، بينما تقود مباشرة فى اتجاه الإدانة، فهى تنعكس فى أقصى نقاط الخطر. أولاً، عن طريق ارتفاع بير إلى مستوى القدرة على اتخاذ قرار مؤثر، قرار فى المقابل كان الدافع وراءه هو إدراكه لوجود سولفايج. هذا النوع من الإدراك بالذاكرة، إن استخدمنا تعريفاً أرسطياً، يؤدى إلى إدراك سولفايج ذاتها لهوية بير فى صورة حبه لها، والذى يؤدى فى النهاية إلى الارتداد الهزلى.

الأسلوب المأساوى الكاذب للفصل الأخير يتحقق أكثر عن طريق استخدام الرمز والمثل والصورة والإشارة، وكلها من نتاج الخيال الشعرى أكثر من كونها نتاجاً للخيال الدرامى، أكثر من الصدام بين الشخصية والموقف. ومع ذلك، فإن الحركة الهيكلية للهزل موجودة هناك قطعاً. النهاية السعيدة، حتى وأن كانت غامضة وغير محددة ؛ فهى تكشف عن حركة تحدث فى الحبكة، وهو أمر نو أهمية رئيسية بما أنه "روح" الدراما، من الضراء إلى السراء، وهو، فى التحليل الأخير، ثمرة الخيال الدرامى.

الهوامش

١ – Quoted in Archer. IV, p x.

٢ – Brustein, The Theater of Revolt, p. 59. يشير بروستاين إلى الرؤية (التى لا يساندها التحليل فى الفصل السابق) القائلة بأن مثالية براند المتطرفة "تعاقب"، إبسن يحول أكثر جوانب شخصيته تسامحًا إلى نظام، "الباحث عن المتعة تحت الشمس الإيطالية" .

٣ – Henrik Ibsen : A Study in Art and Personality. p. 220.

٤ – Ibsen : An Approach, p. 56.

٥ – op cit., p. 59.

٦ – op. cit., p. 222.

٧ – For an account of the political background and the movement of "scandinavianism" with which Ibsen was deeply preoccupied, see Downs, Ibsen : The Intellectual Background, pp. 94-117.

٨ – Jorgenson, op. cit., p. 225.

٩ – Downs, op. cit., p. 106.

١٠ – فيلهلم برجسو، الذى كان على اتصال وثيق بإبسن وقت كتابة "بير جينت" قال إن إبسن قال فجأة : "أرى هناك حقلاً رائعًا من حشيشة الدينار" "حشيشة الدينار؟ ، قال بيرجاد، "إنها أعناب!" وعقب إبسن معترفًا: " أنت على حق بالطبع" "هل تدرى أننى أضطر لأن أقرص ذراعى هذه الأيام بصورة مستمرة لأذكر نفسى أننى لم أعد بعد إلى النرويج" .

١١ – op. cit., p. 54.

١٢ - See Jorgenson, op. cit., p. 343 .

١٣ - Brian W. Downs. A Study of Six Plays by Ibsem, p.100.

١٤ - للتعرف على النظريات المختلفة التى تناقش نموذج حياة بير انظر : Downs, A Study of Six Plays, op. cit., pp. 72-73. الأخوة أرشر قاموا بتجميع المقاطع التى تحدثت عن بير فى "اربيونسن للقارئ الإنجليزى" فى الفهرس الخاص بترجمتهم للمسرحية، ص ٢٧٢ .

١٥ - Archer, IV, p. 278.

١٦ - فن الشعر لأرسطو (V.) ترجمة Bywater

١٧ - كل إشارة إلى النص سوف تعود إلى ترجمة "بير جينت" Peter Watts (Penguin Books, 1966), p. 23.

١٨ - يجب أن نلاحظ منذ البداية أن علاقة أوسة ببير هى مزيج عجيب من الإعجاب الكبير وحب الأم واهتمامها واتجاه محزن إلى التأكيد على عدم نفع بير عن طريق تأنيبه على سوء حظه وحظها هى الأخرى .

١٩ - op. cit., p. 226.

٢٠ - آرشر يترجم الكلمة النرويجية ساتريانتا" على أنها فتاة ساتر غير أن كلمة ساتر تعنى مرعى فى مرتفاعات الجبال حيث الفتيات تبقين هناك لجز فرو الماشية فى الربيع حتى يبدأ تساقط الجليد. هؤلاء الفتيات يعشن فى كهوف الجبال، وهن فى العادة ما يكن فى غاية الوحدة .

٢١ - Ronald Gaskell, "Symbol and Reality in Peer Gynt," Drama Survey IV (1965), p. 63.

٢٢ - المقولات التى تنطق بها أوسة، كلما تعرض ابنها للخطر، تستخدم لتعبر عن محدودية العالم البشرى الذى يعزل بير نفسه عنه بصورة تدريجية، ولكنها ثابتة. هذه المقولات تعتبر أيضًا على طرق النقيض من انغماس بير فى الوهم، وبالتالى فهى تحافظ على النبرة الهزلية للمسرحية .

٢٣ - Downs, A Study, op. cit., p. 79. داونز يرجع هذا إلى كون إبسن دائمًا فى غاية الحرص على تقديم تفسير جسدى لما هو فوق الطبيعة هنا وفى مسرحيات أخرى (على سبيل المثال : الخيول البيضاء فى روزمرهولم) .

٢٤ – op. cit., p. 231

٢٥ – "Introduction" to the text, p. 14.

٢٦ – النص الأصلى كتب يقول "الإنسان، هو ذاته" و"الجبار لنفسه هو كافٍ!". التمييز هنا هو بين نموذج براند الملتزم بنداء داخلى من ناحية ، والاكتفاء الخالص بالذات والأنانية ، من ناحية أخرى. إذا نظر إلى هذا التمييز فى صورة التناقض الجوهرى بير بير (المسيحى) وبين الجبار، فإن الفرق يبدو أكثر وضوحاً. وكما يلاحظ جاسكل عن حق "فإن شاعر الجبابرة هو النقيض تماماً من تعاليم السيد المسيح"، انظر : . CF. Gaskell, op. cit., p. 60

٢٧ – البويج أو الوحش الخرافى موجود فى دراسة أسبيورنسن. الاسم يعبر عن عدة كائنات أسطورية (انظر : ,Downs, A Study, p. 83) ولكنه يطلق عليه فى دراسة أسبيورنسن "بويج أتندال العظيم"، وهو كائن ضخم جداً، لزج ومقزز إن لمسته .

٢٨ – op. cit., p. 60.

٢٩ – Downs, A Study, op. cit, p. 83.

٣٠ – عبارة من نحت «بير» نفسه .

٣١ – Henrik Ibsen (New York : Benjamin Blom, Inc., 1964), p. 35 .

٣٢ – هم عبارة عن رجل أمريكى، ورجل ألمانى، ورجل فرنسى، ورجل سويدى .

٣٣ – The Enchaféd Flood (New York : Random House, 1950), p. 20 .

٣٤ – هكذا فى النص الأصلى : Poundsterling og shilling.

٣٥ – op. cit., p. 60.

٣٦ – Anatomy of Criticism (New York : Atheneum, 1967), p. 178. هذه النظرية تنبع أساساً من بناء الكوميديا اليونانية الحديثة ونسختها الرومانية .

٣٧ – المصدر السابق p.179

٣٨ – Archer's The Lean One.

٣٩ – كان إبسن غاضباً جداً على وجه الخصوص بسبب تأكيد كليمنس بيتر على أن المسافر الغريب يمثل الرهب. إبسن كتب إلى بيورنسن قائلاً : "إنه يقول إن المسافر الغريب هو رمز للرعب والقلق. إن كنت أنا على وشك الإعدام، وإذا كل ما على أن أفعله لأنقذ حياتى هو أن أقدم مثل هذا التفسير، فلن يخطر لى هذا على بال". راجع See Ibsen : Letters and Speeches, ed. Evert Sprinchorw (New York : Hill and Wang, 1964,) p. 67. Cf. H Logeman, "The 'Caprices' in Henrik Ibsen's Peer Gynt," Edda, VII (1917), p. هو يعرض أيضاً وجهة النظر التى تقول إن هذه الشخصية تمثل الخوف .

٤٠ – See Downs, A Study, p. 86. السند الذى يقدمه داونز هو الملاحظة التالية التى أبداها المسافر لبير :

ياصديقى ، هل عرفت ، ولو مرتين كل عام ،

ما الذى يعنيه الرعب (وطبقاً لآرشر : أحسست بجدية الفزع)

فإن لم يكن هو الرعب ، فإن المسافر ربما مازال هو الجدية ، تأكيداً على أن بير وهو شبه متشائم، يحاول أن يأخذ نفسه بجدية ، وهو التفسير الذى ، طبقاً لداونز ، ربما يكون نتيجة للكتابات النقدية الألمانية التى تتبنى فكرة أن المسافر هو بير فى المرة الثانية" .

٤١ – المسافر الغريب يؤكد لبير أن "الأنسات لا يموت فى منتصف الفصل الخامس!"

نموذج للسخرية الرومانسية .

٤٢ – الفصل الثالث ، ص ٨٤–٨٥ .. مهما كان العمل الذى قام به الصبى وضيعاً، فإنه مازال يشير إلى نوع من التوحيه الإيجابى الذى لا يستطيعه بير :

يمكننى أن أفكر فيه، أن أتمناه، أن أريده بجنون ...

ولكن أن أفعله .... هذا أمر لا يمكن أن أفهمه .

٤٣ – op. cit., p. 87.

٤٤ – لاحقــاً، يتم التعــرف عليه بوصفه الشيطان عن طريق حافره وأظفاره .

٤ - الواقعية الحديثة

البطة البرية

"البطة البرية" (١٨٨٤) تحتل مكانة خاصة فى أعمال الكاتب فى مرحلة النضوج، ويبدو أن هذه المسرحية كتبت لتثبت كذب ما كان يعتقد أنه إجراء تقليدى.

الدراسات الأولى عن إبسن أطلقت وصف "مسرحيات الرأى أو الأطروحة" على المسرحيات الثلاث التى سبقت "البطة البرية" مباشرة، وهى تحديداً "أعمدة المجتمع" و"بيت الدمية" و"الأشباح" . وعلى ذلك، فقد كان يُنظر لإبسن على أنه الساعى الرئيسى إلى تقويض الدعائم الكاذبة للمجتمع المعاصر، بالرغم من أن عدداً قليلاً جداً من النساء الأوروبيات قد رفضن نموذج "نورا" بعنف شديد، وبالرغم من أن د. ستوكمان كان يعتبر فيما بعد شيئًا مزعجًا بغض النظر عن أنه كان محقًا فى مثاليته.

القول الذى نقل كثيراً عن إبسن بعد ذلك عن أنه كان "شاعراً أكثر منه فيلسوفًا اجتماعيًا، بأكثر مما يظنه الجميع"، هذا القول إنما يعبر عن عدم رضاء إبسن عن هؤلاء الذين كانوا يعتبرونه متمرداً اجتماعيًا أكثر منه فنانًا.

"البطة البرية"، بالتالى، لم تأت فقط "برأى أو أطروحة" تتناقض مع المسرحيات الثلاث السابقة عليها، وإنما جاءت أيضًا فى بناء مختلف. اعتبر النقاد أن "كذبة حياة" د. ريلنج غير-إبسنية بالمرة، وإبسن، على ما

يبدو، كان يثبت أن لديه قدراً كبيراً مما يود أن يقوله عن حالة الإنسان الحديث، وبأكثر مما يعتقد الكثيرون، وهو يعبر عن هذا القول كشاعر.

"البطة البرية" نموذج لمسرح الواقعية الحديثة فى كونها تعبر عما يميز الحساسية الحديثة: غياب الحقيقة المطلقة والاعتراف بأن الحقيقة هى نسبية فقط. حاول إبسن أن يتطرق إلى أحد جوانب هذه الرؤية فى "عدو الشعب" فى الفصل الرابع الذى يقدم بوضوح فكرة أنه لا يوجد شىء مطلق. ومع ذلك ، "عدو الشعب" فى تصويرها الدرامى لمواجهة تتم بين د. ستوكمان، الرجل المثالى، والمجتمع بأسره، لا تتعمق كثيراً فى العالم الداخلى للشخصية. ولذلك فإن المسرحية تتجه أكثر إلى الجانب الاجتماعى، وكان التعبير الشعرى فيها أقل مما نجده فى "البطة البرية".

بعض الدارسين لإبسن ينظرون إلى "البطة البرية" و"بيت الدمية" و"الأشباح" على أنها وحدة بنائية واحدة. فيقولون أن المسرحيات الثلاث تستخدم الأسلوب التحليلى المعروف بـ"العرض المتأخر"، مثل هذا الأسلوب، والذى استخدم بنجاح فى المسرحيات الاجتماعية، يشار إليه أيضًا على أنه دراما "الظروف المواتية"، حيث الحدث فى المسرحية كشف مستمر للماضى ينتج عنه ما يحدث انقلاباً رئيسياً فى حياة الشخصيات المعنية، ومع ذلك، فإن "البطة البرية" ليست إحدى مسرحيات "الظروف المواتية". فكما يشير هرمان ج. وايجند، فإن شئون عائلة أ "لم تكن تسير فى اتجاه أية أزمة طوال خمسة عشر عاماً هى عمر هذا الزواج... وبالتالى فإن الملاحظات التى تقال عن ماضيه، بالرغم من كثرتها، فإنها تصدمنا أكثر لكونها أحداثاً عرضية إجبارية أكثر من كونها اعترافات ذات أهمية جوهرية"(١). ويعطينا فالنسى قياساً مميزاً لبناء المسرحية:

تطور "البطة البرية"، مثل التطور فى مسرحية تورجنيف "شهر فى الوطن" أو فى مسرحية تشيخوف "الخال فانيا"، هو تطور يماثل تفاعلاً كيمائيًا ؛ حيث يضاف عامل كاشف إلى موقف يبدو هادئًا ورائقًا، وعلى الفور تنطلق التوترات الخافية ويرغى الشىء ويزبد ويثور مطلقاً أدخنته، هناك تعجيل مفاجئ للأحداث، ثم بعد ذلك، يعود التوازن[٢].

فى "البطة البرية" يستعرض الكاتب الماضىَ فى خلفية صورة عريضة لحياة العائلة فى أدق تفاصيلها وأكثرها خصوصية، وهى التفاصيل التى يخصص لها إبسن فصلين كاملين من مسرحيته قبل أن يأتى "جريجرز ويرله" متطفلاً ليتدخل فى حياتهم.

هذا الأمر يعطى إبسن الفرصة ليقوم بدراسة أكثر عمقًا عن تأثير الوهم بدلاً من أن يحافظ على التشويق المتصاعد الذى ينتج عن البوح بأسرار الماضى كما يحدث فى "بيت الدمية" على سبيل المثال، كما أن هذا الأسلوب هو الذى دفع فيرجسون إلى أن يعتبر هذه المسرحية، "بيت الدمية" فى جزء منها "رواية مثيرة".

فى "البطة البرية" هناك أكثر من مستوى للوهم متمثلاً فى أكدال العجوز وابنه هيلمار، فبينما يعتمد وهم أكدال العجوز على ماضيه، يرتكز وهم هيلمار على رؤيته للمستقبل. وبينما ماضى الأب يمثل عالمًا من النبل والفروسية والشجاعة، نجد أن الاختراع الذى يرى فيه الابن مستقبله لن يخلصه فقط من حرفية الحياة، كما يرمز لها عن جدارة بكونه مصورًا فوتوغرافيًا[٣]، وإنما سوف يكسبه اعترافًا اجتماعيًا كان الجميع ينكرونه عليهم. ليس هناك موضع واحد فى المسرحية يحدد فيه هيلمار طبيعة "اختراعه"، وعندما يحتفظ إبسن بطبيعة اختراع هيلمار، بعيدًا عن أى تحديد ملموس، ينجح فى أن يحتفظ به داخل مملكة الوهم.

فيما عدا الفصل الأول الذى تدور أحداثه فى غرفة المكتب فى منزل ورله، تدور أحداث "البطة البرية" فى منزل أكدال، ويعطينا بريان يونسنستن وصفًا موجزًا وبارعًا للمعنى المجازى لهذا الترتيب وعلاقته بموضوع المسرحية. فمنزل أكدال "مقسم بين ستوديو التصوير، فى المقدمة، وهو الذى يسجل الانطباعات السطحية للأشياء، وبين الجزء الداخلى الكلاسيكى ، الأكثر انزواءً، وهو الذى يحول الأشياء المظهرية الى أشياء خيالية"(٤). الحركة الدائمة لأفراد العائلة، باستثناء جينا، من الأستوديو إلى الجزء الداخلى، هى تجسيد لحركة نفسية تعبر عن نزعة للهروب من الحرفى إلى الوهمى. ويمكننا أن نقول بأنه فى حالة أكدال العجوز وهدويج، فإن وجودهما يحدده عالم هذا الجزء الداخلى.

هذان المستويان من الوهم اللذان يمثلهما أكدال وهيلمار، يبقيهما وجود جينا التى لا تنتمى إلى عالم الجزء الداخلى، ولكنها تراه عاملاً يساعد على استقرار العائلة. جينا، كما يراها يونستون "هى الواقعية الحرفية... هى المصور الحقيقى، وهى التى تقوم بالتقاط الصور بمفردها وتدير الأستديو. وهى، حتى وفاة هدويج، لا نراها تدخل إلى الجزء الداخلى من المنزل وعالم الخيال الذى يمثله"(٥). فبينما هى تدير الأستوديو والمنزل باقتدار، يجلس هيلمار يجتر مشروعه. روضت جينا نفسها على قبول نمط الحياة فى منزل أكدال على أنه نمط متكامل، وعندما تخفى جينا عن زوجها علاقتها السابقة بويرله، فإنها تكشف عن قبولها واعترافها بالعالم الوهمى الذى يعيش فيه هذا الزوج ووالده، وهى تدرك أنها إن صدمته بالحقيقة فإنها سوف تعكر صفو الحالة العقلية التى يقوم عليها بناء بيت أكدال.

تأتى جينا من طبقة اجتماعية أقل مستوى من تلك التى تنتمى إليها عائلة أكدال ؛ فقد كانت تعمل كمديرة منزل لدى عائلة ويرله قبل زواجها،

وهى غير متعلمة. هيلمار، الذى يريد أن يقدم زوجته إلى جريجرز فى صورة جيدة، هو فى الوقت ذاته، مدرك لحقيقة وضعها، "هى الزوجة الجيدة والماهرة التى يحلم بها أى رجل، غير أنها ليست متعلمة"(٦) (الفصل الأول، ص ١٣٧). وبالرغم من ذلك فقد استطاعت جينا، عندما أتت إلى بيت أكدال، أن تحتفظ بالتوازن غير مختل، وذلك عن طريق إظهار إيمانها بمشروع زوجها وتعاطفها مع أكدال العجوز، وهى بهذا تسهم فى عالم الوهم الذى يعيش فيه آل أكدال دون أن تكون جزءاً منه.

أحداث"البطة البرية" تبدأ عملية الوهم المدمر، وتدمير الوهم يقوم به شخص غريب عن العائلة، جريجرز الذى ينتمى إلى عائلة هى، على العكس من عائلة أكدال، عائلة تسيطر على عالم الحقيقة والنجاح المادى. عن طريق تطفل جريجرز على حياة عائلة إكدال، تكشف المسرحية عن بناء يقوم على إظهار التناقض بين عائلتين، وهو الأمر الذى يكتسب أهمية إظهار التناقض بين عالمين يحدد كل منهما الآخر.

جريجرز يقوم بدون العامل المساعد الذى يظهر التوتر القائم بين عالم الحقيقة وعالم الوهم. فنراه على المسرح وهو يقوم بعملية "إيصال" الحقيقة إلى عائلة أكدال. الدافع وراء شعور جريجرز أنه يجب عليه أن يخلص أفراد عائلة أكدال من أوهامهم، مدفوع بعلمه بدور والده فى حياتهم، كما هو مدفوع أيضًا بمثاليته العصابية، وهو على خلاف مع والده الذى يمثل عالم المادية والنجاح العملى، وبالتالى، فهو مثالى واع بمثاليته. جريجرز يعتقد فى وجود حقيقة مطلقة يسعى إلى فرضها على عائلة أكدال بغض النظر عن تأثيرها على سعادة هذا العائلة، ومع ذلك فإن مثاليته ليست قائمة على رؤية واسعة للحقيقة، ولكنها، وكما يشير وايجند، " مجرد هواية"(٧). جريجرز "نموذج أدنى لشخصية براند ،

يفتقر إلى الشخصية، ويحاول بالتالى أن يكتسبها عن طريق نفسه على عائلة إكدال. وبالتالى "فمثاليته" لا يمكن أن ترقى الى مستوى أن يطلق عليها "مهمة".

جريجرز يكتسب تعريفًا لشخصيته عن طريق التباين القائم بينه وبين شخصية والده. افتقاره إلى الحس العملى وعزلته بعيدًا عن الواقع المعاش للحياة، كلها صفات تتناقض مع ويرله وقبضته الصارمة على العالم العملى ولياقته الاجتماعية. ومع ذلك، فإن تأثير جريجرز على حياة عائلة أكدال، مبنى على رغبته الواعية فى تغييرها. الأسلوب التركيبى القائم على وضع عائلتين تمثلان مستويين مختلفين للحقيقة فى مواجهة، يتحقق فى المسرحية من خلال التلاعب بعلاقة كل من العائلتين بعالم الواقع أو عالم الوهم.

فى "البطة البرية" عالم كامل من خداع النفس، هو جوهر حياة عائلة أكدال، كان قد أتى من العجوز ويرله. كان ويرله قد أعد ترتيبًا يقضى بأن يحصل إكدال على دخل مقابل أن يقوم بنقل أوراقًا عديمة الأهمية فى مكتبه، وأعد أيضًا تعليمًا لجريجرز ليصبح مصورًا فوتوغرافيًا، والأهم من ذلك أنه رتب لزواجه من جينا. فى الفصل الأول، يقول هيلمار لجريجرز: " يبدو أن والدى قد لعب دور العناية الإلهية فى حياتكم". (ص ١٣٨).

عالم ويرله هو الذى شكل مصير أفراد عائلة إكدال، ويظهر هذا جليًا من خلال القوة العظمى التى يمارسها ويرله فى المسرحية ؛ فهو التاجر الذى يحكم مملكة لا تستطيع البطة البرية أن تعيش فيها، هو أمر ذو مغزى، على المستوى الرمزى، أن يكون أكدال قد تلقى البطة البرية من ورله، الذى أعطاها له ليقوم بتربيتها فى غابته المزعومة. بريان جونستن يعلق مدركًا "التاجر ويرله يحيط به الياوران الخاصان به، والذين يحول وجودهم بيته إلى بلاط ملكى". هو صديق للقانون، نفس القانون الذى انحاز للتاجر وتسبب فى سقوط أكدال العجوز، وهو يقبل تطبيق القانون بحرفية مادام فى مصلحته.

عندما يجىء جريجرز إلى بيت أكدال بـ"مطالبه المثالية": يتسبب فى الصدام بين العالمين، ويضيف تاثير ذلك الصدام بعداً جديداً إلى وجود عائلة أكدال؛ حيث إنه يفتح أعينهم على الدور الذى لعبه عالم ويرله القاسى فى حياتهم. خطة إبسن البنائية التى يستخدمها ليحدث مواجهة بين هذين العالمين، هى أن يوفر لجريجرز إدراكًا أعلى بالحقائق الخافية التى تشكل الأساس الذى بنى عليه بيت إكدال. فى الفصل الأول، يحقق الحدث الوحيد الذى يقع خارج بيت هيلمار، الغرض المطلوب وهو أن يدرك جريجرز هذه الحقائق، وبالتالى يتخذ قراره بأن يقوض الدعائم التى يقوم عليها بيت إكدال؛ فهو يقول مخاطباً والده:

جريجرز: ..وها هو الآن جالس (هيلمار)، واثقًا وبريئًا إلى أبعد الحدود، محاطًا بالخداع، يعيش تحت سقف واحد مع امرأة مثل هذه وهو لا يعلم أن ما يسميه منزله هو بناء مبنى على كذبة، (يقترب قليلاً) عندما أعيد النظر فى كل ما فعلته، أشعر وكأننى أرى ميدانًا لمعركة تناثرت فيها أشلاء حياة. (ص ١٥٠)

عندما ينتقل جريجرز للإقامة مع عائلة أكدال، يقوم بمهمته عن طريق كشفه لأحداث الماضى، جينا وهى الشخص الوحيد الذى يعرف أحداث هذا الماضى، لا تبدو متحمسة لطلب جريجرز أن يؤجر إحدى غرف المنزل، بالرغم من أنها، وسط الجو العائلى فى الفصل الثانى، كانت قد سعت بشدة لإيجاد مستأجر لهذه الغرفة بهدف تحقيق الاستقرار المادى للعائلة.

نتيجة لاعترافات جريجرز، يختل التوازن القائم فى عقل هيلمار بين الوهم والواقع، وينهار بالتالى وجود أكدال عائلة بأكمله. هيلمار لا فقط فى أبوته

لهدويج، ويزعج عالم والده المغلق بأن يخطط لنقله بعيداً عن الجزء الداخلى من المنزل، بل إنه أيضاً يطرح اختراعه برمته، فاقداً بذلك ما كان يظنه هويته، هذه اليقظة التى يمر بها هيلمار، يقدمها الكاتب فى صورة تحرره من ويرله:

هيلمار: ... سوف أسدد دين الشرف هذا

ها.. ها..! دين الشرف، هذا حسن!

ولكن هذا يكفى. سوف أسدد

كل شىء، وأزيد عليه فائدة خمسة بالمائة. (الفصل الرابع ص. ٢١٢)

يبدو تحطيم عالم الوهم فى "البطة البرية" موضوعياً من خلال رمزية البطة، وإبسن يستخدم هذا الرمز استخداماً مركباً، ليس فقط ليحدد عالم إكدال، بل أيضاً ليشرح العلاقات الخافية لأفراد العائلة. عندما يستخدم الكاتب البطة البرية بوصفها هدية من ويرله ؛ فهو يجعلها بذلك ترمز لهدويج، وذلك رغم أنه يترك مسألة بنوتها لويرله مبهمة. وهو بهذا أيضاً يفسر موقف هيلمار الذى هو تماماً مثل البطة الجريحة "قد دفعه شخص ما سريعاً إلى أسفل ليخر صريعاً فى الأحراش". (الفصل الثالث ص.١٨٩)

يرى إكدال العجوز صورته فى البطة البرية، ويجعل منها محوراً لحياته. دور جريجرز أيضاً يمكن شرحه فى صورة ارتباطه بالبطة البرية ؛ فهو يتصور نفسه الكلب الماهر الذى سوف يقوم بإنقاذ أفراد عائلة أكدال من الوهم، تماماً مثل ذلك الشخص الذى قام بالتقاط البطة من الأعماق.

بالرغم من الطبيعة المثيرة للجدل لرمزية البطة البرية[٩]، فهى تلعب دوراً حاسماً فى حل عقدة الأحداث. جريجرز، بوصفه الشخص الوحيد

فى عائلة أكدال الذى يتخذ موقفًا غير مرتبط بالبطة البرية، يرى فيها كما يقول ت.س. إليوت، ارتباطًا موضوعيًا بأوهامهم، وبالتالى فهو يسعى لتحطيم هذه الأوهام عن طريق تحطيم البطة البرية نفسها. وكما يلاحظ وايجند، فإن جريجرز قد حل رمزية البطة البرية فى عقله(١٠).

فى محاولته أن يفرض "مطالبه المثالية" يرى جريجرز أن تضحية هدويج بالبطة البرية، وهو تعبير سام عن الحب وإنكار الذات، وهو أمر لازم لإعادة الاستقرار لعائلة أكدال بدون أن يقوم، مع ذلك، ببناء حياة أفراد هذه العائلة، على "كذبة – حياة". ومع ذلك، فإن فى اختياره لهدويج لتقوم بهذا العمل، يكون مخطط جريجرز مكشوفًا ومعرضًا من وجهة النظر الدرامية.

فبرغم كون هدويج رفيقة دائمة للبطة البرية، والطائر يعتبر ملكًا لها، فإننا لا نراها ترتبط، فى أى موضع فى المسرحية، بالرمز إلى الوهم الذى تمثله البطة البرية، بل على العكس، فإن الكاتب يقدم هدويج كطفلة بريئة فى سبيلها للنمو. وعندما يدخلها جريجرز فى إطار رمزيته هو (بمعنى أن يسقط عليها خطته المتعلقة بالبطة البرية)، فإنه يجعلها تقع فى شباك عالم الكبار الذى ليست جزءًا منه:

هدويج: ... فى الليلة الماضية، عندما استمعت إليها للمرة الأولى،

بدت لى كفكرة رائعة، ولكن

عندما أعدت التفكير فيها بعد ذلك

نمت وأنا أفكر فيها، فلم تعد تبدو لى

كفكرة على الإطلاق

جريجرز: لا. أنت لا يمكنك أن تشبى

هنا بدون أن تقومى بالأسوأ فى صورة من الصور.

(الفصل الرابع. ص ٢٢٧)

عندما تضحى بالبطة البرية، فإن هدويج لا تدمر أية أوهام، بل تدمر محوراً لحياتها هى- تدمر الجزء الداخلى من المنزل، الذى هو فى ارتباطه بها فناء لعب لطفلة بريئة. عندما يجذبها معه جريجرز إلى عالم الكبار القدرى، تدرك هدويج أنها عندما تطلق النار على نفسها بدلاً من أن تطلق النار على البطة البرية، تكون بهذا قد قدمت تضحية حقيقية.

فى بداية هذه الدراسة، طرحت فكرة أن مسرحية إبسن تدور حول سؤال جوهرى : سؤال عن الحقيقة. الدور الذى لعبه د. ريلنج يشهد بهذه الحقيقة، وبوصفه يمثل صوت إبسن، فإن أهداف د. ريلنج تتعارض مع أهداف جريجرز، فهو يعطينا تشخيصاً لحالة جريجرز على أنه رجل مريض يعانى من إحساس حاد "بشكوك ملتهبة ومزعجة" (الفصل الخامس، ص٢٢٥ ,). وهو يستبدل بـ"المطالب المثالية" لجريجرز، فلسفة قائمة على "كذبة – حياة". ويبقى هيلمار محاصراً بين القوتين اللتين يمثلهما جريجرز وريلنج.

البناء المجازى لمنزل أكدال، والذى يحتل فيه ريلنج الطابق الأسفل (عالم العربدة والسكر بصحبة مولفيك)، يجعل من ريلنج الممارس النظرى لحياة الجزء الداخلى من المنزل. وبالتالى فهو يشعر بحاجة أفراد عائلة إكدال إلى وهم مستمر، ويقوى موقفه انتحار هدويج تحديداً، بالنظر إلى كل الدمار والألم الذى جلبه جريجرز إلى بيت أكدال.

ومع ذلك فلا يبدو أن أيًا من "مطالب جريجرز المثالية" أو فلسفة ريلنج عن "كذبة – الحياة" تحتمل نظرة حاسمة ومقنعة عن الواقع. فى المشهد النهائى، نرى مواجهة بيم جريجرز وريلنج ؛ حيث ينتقل الحدث، بعد وقوع الكارثة، إلى مستوى التجريد:

جريجرز: إذا كنت أنت على حق وكنت أنا على باطل، فلن يبقى للحياة معنى يجعلها تستحق أن تعاش!

ريلنج: أوه، الحياة لن تكون سيئة جدًا، إن كان باستطاعة هؤلاء الناس المباركين الذين يأتون بمثاليتهم يطرقون بها أبواب الناس، أن يتركونا نحن النفوس المسكينة، نمضى فى سلام.

عندما فرض جريجرز سلطة الحقيقة المطلقة لم يتسبب فقط فى فكرة هؤلاء الذين كانوا معرضين لرؤيته، ولكنه تسبب فى تدمير نفسه أيضًا. فهو قد رأى فى تحرير آل أكدال من أوهمامهم، تحريرًا لذاته هو. ومن جانب آخر، فإن "كذبة–الحياة" التى يؤمن بها ريلنج تبقى فقط فكرة مجردة يرددها صوت الحاكى. وطبقًا للرواية نفسها، فإن هيلمار، الهدف الرئيسى لمهمة جريجرز، يكون قد فتح أعينه بالفعل ورأى الكذبة التى بنى عليها منزله، عندما يتردد الصوت مذكرًا بفلسفة ريلنج فى المواجهة النهائية مع جريجرز.

وبالتالى، فإن موقف كلا الشخصيتين، موقف حقيقى داخل الحدث ذاته، ولكن حقيقته نسبية. التأثير الوحيد للمواجهة بين التعبيرات النظرية لرؤيتين متناقضتين للواقع، هو أن تقيم كلا الرؤيتين باعتبارها شاملة وليست قاصرة، والحقيقة فى حد ذاتها لا يمكن قياسها بالعلاقة مع أية رؤية للواقع.

الهوامش

١ – The Modren Ibsen, pp. 146-147.

٢ – The Flower, p. 172 .

٣ – مزج إبسن بين التصوير الفوتوغرافي والحرفية، ومن الواضح أنه استبعده من عالم "الشعر" أو الفن الحقيقي. ذات مرة، عندما خاب أمله وغضب جداً ، قال إبسن لبيورنسن إنه سيتوقف عن الكتابة، ويتحول إلى مصور فوتوغرافي. راجع :
See Letters and Speeches, p. 67.

٤ – "The Metaphoric Structure of The Wild Duck," in Contemporary Approaches to Ibsen : Proceedings of the First International Ibsen Seminar (Oslo : Universitetsforlaget, 1966), p. 84.

٥ – المصدر السابق .

٦ – كل إشارة إلى النص سوف تعود إلى المجلد السادس لطبعة جيمس والتر ماكفارلين لأعمال إبسن (لندن : صحافة مطبعة أوكسفورد ، ١٩٦٠) .

٧ – The Modren Ibsen, p. 159. يقدم وايجند تعليقًا مسليًا يقول فيه : "بكل جدية، يجب أن نعطي لجريجرز حقه؛ حيث إنه قرأ كل أعمال إبسن وأخذ إلهامه منها. فهو قد قرأ "براند" وقلده بأن نشر بضعف ادعائه للمثالين بين ساكني الأكواخ في الجبل. وهو قد قرأ "أعمدة المجتمع" وتذكر الدرس القائل بأن المجتمع يجب أن يقوم على الحقيقة والحرية. وقرأ "بيت الدمية"، وطفق يبحث منذ ذلك الحين عن الزواج الحقيقي القائم على التفاني المطلق. وهو بدون شك قد تعلم الدرس من "الأشباح" عن ظهر قلب فالتوازي بين زواج والديه وزواج آل الفينج، لا يمكن أن يكون قد سقط خارج اهتمامه" .

٨ – فى الفصل الأول "البطة البرية"، يعبر ويرله عن وجود أكدال فى صورة البطة البيرية: "بعض الناس فى عالمنا هذا لا يحتاجون سوى رصاصتين حتى يتهاوون إلى الأعماق ولا يظهرون على السطح بعد ذلك أبداً". (ص ١٤٥) .

٩ – بعض دارسى إبسن المرموقين يعبرون عن شكوكهم فى أن الرمزية هنا عضوية بالنسبة للعمل. فى مدخله إلى النص، فإن J. W. McFarlane, على سبيل المثال، يعتب الرمزية" شيئًا يتداخل بصورة اختيارية" (ص ٩) . فى his A Study of Six Plays by Ibsen يظن Brian Downs, أيضًا أن الرمزية "شىء يمكن فصله" (ص ١٦٧). ومع ذلك، فإن P. F. D. Tennant فى Ibsen's Vildanden," (Edda," XXXIV, 1934, p. 327 يقول مدافعًا عن رمز إبسن: " أعطى إبسن مسرحيته اسم البطة البرية وأنا أؤكد أن هذا اسم لم يتم اختياره فقط من أجل الربط الذى يمكن أن يثيره، ولكن لأن البطة البرية هى البطل الرئيسى فى الرواية". إبسن نفسه كان مهيأ لاختلاف النقاد حول رمزه المتحول. فكتب يقول عندما أرسل النص إلى ناشره:" إن النقاد سوف يجدون، بصورة أو بأخرى، العديد من الأشياء ليتشاجروا من حولها والعديد من الأشياء ليفسروها" .

١٠ – The Modern Ibsen, p. 163.

المراجع

Andrews, A. Leroy. "Further Influences Upon Ibsen's *Peer Gynt*," *Journal of English and Germanic Philology*, XV (1916), 51 — 55.

Berggrav, E. *Ibsens Sjelelige Krise* (Oslo, 1937).

Berteval, W. *Le théâtre d'Ibsen* (Paris : Librarie academique, 1912).

Beyer, H. *Soren Kierkegaard og Norge* (Kristiania, 1924).

Bing, J. *Henrik Ibsens Brand* (Kristiania, n. d.).

Boetteher, F. *La Femme dans le* théâtre *d'Ibsen* (Paris, 1912).

Boyesen, H. H. *A Commentary on Ibsen* (London, 1894).

Bradbrook, M. C. *Ibsen the Norwegian* (London, 1946).

Brustein, Robert. *The Theater of Revolt* (Boston :

Atlantic Little Brown, 1964).

Bull, F. *Henrik Ibsens "Peer Gynt"* (Oslo, 1947).

Chesnais, P. G. La. "Ibsen disciple de Kierkegaard ?" *Edda*, XXXIV (Oslo, 1934).

———. *Brand d'Ibsen* (Paris, n. d.).

Contemporary Approaches to Ibsen : Proceedings of the First International Ibsen Seminary, Oslo, August 1965 (Oslo, 1966).

Dahlström, Carl E. W. L. "Brand — Ibsen's Bigot ?" *Scandinavian Studies*, XXII (1950), 1 — 13.

Downs, Brian W. *Ibsen* (cambridge, 1946).

———. *A Study of Six Plays by Ibsen* (Cambridge, 1950).

Fergusson, Francis. *The Idea of a Theater* (Princeton, New Jersey : Princeton University Press, 1949).

Fjelde, Rolf, ed. *Ibsen : A collection of Critical Essays* (Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice - Hall, Inc., 1965).

Forster, E. M. "Ibsen the Romantic," in *Discussions of Henrik Ibsen*, ed. J. W. McFarlane (Boston, 1962).

Freihow, H. V. *Henrik Ibsens Brand* (Oslo, 1936).

Frye, Hall omance and Tragedy (Lincoln : University of Nebraska Press, 1961).

Frye, Northrop. *Anatomy of Criticism* (New York : Atheneum, 1967).

Gaskell, Roland, "Symbol and Reality in *Peer Gynt*," *Drama Survey*, IV (1965), 57—64.

Gassner, John. *Masters of the Drama* (New York : Random House 1940).

Gosse, E. *Ibsen* (London, 1907).

Halvorsen, J.B. "Ibsen," in *Norsk Forfatter-Lexicon*, III (Kristiania, 1892).

Heller, Otto. *Henrik Ibsen : Plays and Problems* (Boston and New York : Houghton Mifflin Company, 1912).

Host, S. *Ibsens Diktning og Ibsen Selv* (Oslo, 1927).

Ibsen : Leters and Speeches, ed. Evert Sprinchorn (New York : Hill and Wang, 1964).

Jaeger, Henrik, *Henrik Ibsen* : 1828 - 1888, trans. William Morton Payne (Chicago, 1890).

Jorgenson, Theodore. *Henrik Ibsen : A Study in Art and Personality* (Northfield, Minnesota : St. Olaf College Press, 1945).

Koht, Halvdan. *Henrik Ibsen* (Oslo : Forlagt av H. Aschehong & Ce., 1954).

Krutch, Joseph Wood. *Modernism in Modern Drama* (Ithaca, N. Y : Cornell University Press, 1953).

Lamm, Martin. *Modern Drama* (Oxford, 1952).

Lavrin, Janko. *Ibsen : An Approach* (London : Methuen and Co., Ltd., 1951).

Logeman, H. A. *Commentary* on *Henrik Ibsen's "Peer Gynt"* (The Hague, 1917).

Lucas, F. L. *The Drama of Ibsen and Strindberg* (London : Cassell, 1962).

Lynner, V. E. "Gregers Werle — og Ibsens Selvirioni," *Edda*, XXVIII (Oslo, 1928).

Morison, Mary, Frans. *The Correspondence of Henrik Ibsen* (London, 1905).

Prozor, M. *Le Peer Gynt d'Ibsen* (1897).

Tennant, P. F. D. *Ibsen's Dramatic Technique* (Cambridge, 1948).

Valency, Maurice. *The Flower and the Castle* (New York : The Universal Library, 1966).

Weigand, Herman J. *The Modern Ibsen* (New York : E. P. Dutton, 1960).

روائع المسرح العالمى
٥٢

بيرجينت

بقلم هنريك إبسن
ترجمة وتقديم الدكتور على الراعى
مراجعة الدكتور محمد مندور

وزارة الثقافة والإرشاد القومى
المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والترجمة والطباعة والنشر

مقدمة

العقرب والفاكهة الطرية

بقلم الدكتور على الراعى

حوالى عام ١٨٦٥ ، حصل هنريك ابسن على عقــرب ، اتخذه رفيقا له ، وجعله حشرة أليفة اليه ، يربيها ويرقبها . بل انه رأى فى العقرب بعضا من معنى الرمز ، فقد وجد تماثلا فى الحال بينه وبين العقرب . كلاهما ينشط للرد لدى أقل بادرة هجوم . وكلاهما يفرغ سمه اذا ما تكاثر عليه . يفرغه ويرتاح . وفى هذا يقول ابسن فى احدى رسائله :

« كنت وأنا أكتب « براند » أضع على مكتبى عقربا فى قدح فارغ من أقداح البيرة . وبين الحين والحين كان العقرب يشكو ويتململ ، واذ ذاك أضع فى القدح قطعة من الفاكهة الطرية ، فلا يلبث العقرب أن ينقض عليها فى سورة غضب ، ويفرغ فيها سمه ، ثم تبدو عليه علائم الراحة من جديد . أليس هذا حالنا أيضا ، نحن الشعراء ؟ » .

وكان السم الذى تراكم فى قلب ابسن فى تلك الأيام كثيرا حقا . كان قد أتم كتابه أولى المسرحيات التى لفتت اليه النظر فيما بعد — مسرحية « براند » ، ووافق مرغما على أن تنشر

فى طبعة محدودة ، وبأجر زهيد ، مقابل أن تخرج للناس قبل عيد الميلاد من عام ١٨٦٥ .

وانتهى العام والناشر يضرب موعدا بعد آخر لظهورها ، ثم لا يفى بمواعيده . وجاء مارس ١٨٦٦ ، ولم تظهر المسرحية بعد ، فكتب ابسن الى بيت الناشرين جيلدينذال ، فى كوبنهاجن ، موجها كلامه الى صديقه مدير البيت ، فردريك هيجل ، يشكو سوء حاله .

كان ابسن اذ ذاك فى ايطاليا يعيش هو وزوجته وابنه سيجورد عيشة الفقر المدقع ، يشترون الخبز بملاليم قليلة ، والجبن الرخيص بملاليم أخرى ، والنبيذ الأحمر السائب (غير المعبأ فى زجاجات) وتطهو الزوجة الطعام فى مطبخ له فرن كفرن الخبازين ، وفى درجة حرارة ثلاثين مئوية !

كتب ابسن يقول لصديقه مدير دار النشر : ان الانتظار قد أضناه ، وان التضحية التى أقدم عليها (بقبول العرض المتواضع) لم تؤت ثمارها . وأن القلق قد شله شللا ، فلا المسرحية تظهر ولا هو قادر على كتابة غيرها . وهو الى هذا لا يجرؤ على مطالبة الحكومة بمنحة تعينه على العيش ، انما كل ما يستطيع أن يفعله هو أن يرجو الناشرين أن يعطوه دفعة على الحساب ، ليس فقط بالنسبة لمسرحية « براند »

التى لم تنشر ، بل وعلى عمل آخر لم يكتب بعد ، وان كان المؤلف يزمع كتابته !

ولم يكن عجبا أن ييأس ابسن من منح الحكومة ، فهو كان قد طالب بها عقب اغلاق مسرح كريستيانيا ، الذى كان مستشارا له ، فلم تجبه الحكومة الى منحة تفرغ ، وانما اكتفت بهبة مالية صغيرة يجمع بها ألحانا وحكايات شعبية فى منطقة الفيوردات فى غرب النورويج وهى الحكايات التى أفاد منها فى كتابه المسرحية التى أقدم لها هذه المرة — مسرحية بيرجينت .

وفى عام ١٨٦٣ ، طالب ابسن مرة أخرى بمنحة سنوية يعيش منها ويمارس عمله كشاعر ، فأعطى جنيهات قليلة ، عوضا عنها، كمنحة سفر . وقد استغلها الكاتب فى اتمام مسرحيته : « المطالبون بالعرش » فى شهرين ، ثم سافر الى ايطاليا ، مخلفا وراءه ديونا كثيرة ، بلغ من كثرتها أن ظن صديق له يدعى دانكر أنه لن يعود ، فباع متاعه بالمزاد العلنى ! وكان بين هذا المتاع استكشات لأزياء ومناظر مسرحية ، وبعض الرسوم الفنية بريشة ابسن ، وفضيات منزلية هى بعض من ارث تخلص الى زوجته . كل هذه ضاعت الى الأبد ، لأن صاحبها العبقرى مفلس ، هارب يستحق أن يعرض فقره عريانا أمام أنظار الناس!

وفى مرة ثالثة ، طالب ابسن حكومة النورويج بمنصب مريح ، يستطيع فيه أن يكتب شعره ويكسب عيشه ، فعرضوا عليه منصب موظف صغير فى الجمارك . ورفض ابسن العرض ، وفضل عليه أن يتضور جوعا .

وواصل من بعـد فقره ومسغبته ، يكتب الخطاب الى صديق ، فيرجوه أن يدفع عنه ثمن طوابع البريد ، لدى وصول الخطاب ، لأنه لا يملك ثمنها . ويرجو فى مرة ثانية صديقا آخر أن يتحمل عنه هذا الثمن لأن رسوم التخليص على خطاب أرخص فى الدينمرك منها فى ايطاليا !

ثم يأتى مارس ١٨٦٦ فتنشر « براند » أخيرا ، وتستقبل فى النورويج استقبالا رائعا ، وتطبع ثلاث مرات قبل أن ينتهى العام . وفجأة تقبل الدنيا بوجهها على ابسن ، فتعطيه الحكومة المنحة التى طلبها كشاعر ، وتزيد فوقها منحة للسفر لم يطلبها . وكان ابسن يحب المراهنة ، ولكنه — حتى ذلك التاريخ — لا يجرؤ على الانغماس فيها ، فاشترى — بعـد أن تبـدل حظه — أوراق اليانصيب التى تصدرها الحكومة الايطالية وربح فيها مرتين !

لا جرم أن أحس بالنشوة تملأ فؤاده ، وترفعه عاليا فوق الرءوس ، فنراه فى مايو من تلك السنة يقول فى احدى رسائله:

« قد أخذ النشاط بجماعى وملأتنى القوة ، حتى لأشعر أننى مستطيع أن أقاتل الدببة وأقتلها » .

هنالك جعل يغير ويبدل فى احدى مسرحياته القديمة ، ويغازل موضوعا لمسرحية جديدة (لم يقدر لها أن تكتب) ، ويتأمل كتابة « الامبراطور والرجل من جليل » ثم — فجأة — يأخذ موضوع « پيرجينت » بخناقه ، ويملك عليه لبه .

كان ابسن قد استجاب للتغير البادى فى حاله مع الناس ومع الهة الحظ بتغير مادى ونفسانى ملحوظ . أخـذ يهتم بلباسه ، فزاد من أناقته ، وغير من شكل لحيته ، بل غير أيضا من خطه ، وبعد أن كان هذا لا يقرأ تقريبا ، أصبح واضحا عمودى الأحرف .

ثم شملت الكاتب سعادة داخلية ، انعكست على عمله . كانت الجهامة والاصرار القاسى الفؤاد على بلوغ الهدف ، طابع المسرحية السابقة « براند » ، فلانت قاسمت بطل ابسن فى العمل الجديد « پيرجينت » وشملته رغبة عفريتيـة فى السخرية والضحك من الدنيا ومن الناس ، بل ومن نفسه هو قبل كل الناس ! لكأنما سحرت شمس ايطاليا الساطعة الطبيعة القاسية فى النورويج عن نفسها ، فحولتها ضحكات تتألق ،

وسخرية تلذع ، وشعرا راقصا محلقا ، يتألف فيه الايقاع والقافية ، فيخلقان الجوى الأثيرى المجنح الذى نجده فى شعر ابسن فى « پيرجينت » .

وأكمل ابسن « پيرجينت » فى خريف ١٨٦٧ ، وأخذ يقرؤها لزوجته وولده بصوت عال ، وكان الولد اذ ذاك فى السابعة . فلما وصل الكاتب الى ذكر الأم آس صاح الولد سيجورد : « الله ! هذه امى ! » وكانت الملاحظة فى محلها ، فقد اعترف ابسن فعلا بأنه استعار بعضا من صفات زوجته لدور آس .

وظهرت « پيرجينت » للناس فى كتاب قبل عيد الميلاد من نفس العام . طبعت فى كوبنهاجن ، ونفدت على الفور . غير أن النقاد لم يتفقوا جميعا على مدحها ، سواء فى الدينمرك أو فى النورويج بل ان بعضهم اتخذ منها موقف العداء الصريح وفى النورويج بالذات ، هاجم المسرحية النقاد من كل صنف . وكتبت احدى الصحف تقول ، وقد لذعت كاتبها نغمة النقد الحرّاق الذى تخلل المسرحية ، ووجهه ابسن الى بنى وطنه : « حق له فعلا أن يضع على مكتبه عقربا ! » .

ورفع العقرب فى نفس ابسن ذيله وتهيأ للهجوم . وبدلا من أن يعود الى النورويج ، أخذ يعد العدة لقتال آخر ، فجاءته

فكرة مسرحية « عصبة الشباب » ورحل الى ألمانيا ، والسم يقطر من روحه .

***

هاجم النـــاقد الدينمركى المرموق : كليمنس بيترسن ، « پيرجينت » فقال انها خالية من الشعر ، ثم مضى فاتهم ابسن بخداع قرائه خديعة فكرية . واستبد الغضب بالكاتب الكبير ، فأرسل الى الشاعر والمسرحى المشهور بيورينسون يقول : « لو كنت فى كوبنهاجن ، وكانت لى بالناقد كليمينس بيترسين مالك به من وثيق العلاقة ، لأفنيت عافيته فى قتال ، بدلا من أن أدعه يرتكب هذه الجريمة .. ضد الحقيقة والعدل .. ان مسرحيتى شعر فعلا . فان لم تكن كذلك الآن ، فستصبح شعرا فى المستقبل . سيتغير بفضلها مفهوم الشـــعر فى بلادنا ، فى النورويج » .

وقد حدد ابسن مفهوم الحياة والشعر معا فى بيتين هامين قال فيهما :

ما الحياة الا قتال الجن
فى القــلب والفكــر
وما الشاعر الا من حكم على النفس بالحكم النهائى .

وهما بيتان يلخصان موضوع « پيرجينت » ، فى نفس الوقت الذى يلخصان فيه حياة ابسن ذاته .

كان ابسن مسحورا بفكرة المتناقضات الحادة فى روح

الانسان . كان هو نفسه شخصية منقسمة على ذاتها ، فهو عبقرى كبير فى آماله ، وتطلعاته ، وما يأخذ به نفسه من أهداف فى الأدب والفن وحياة الروح ، وهو فى حياته العادية قزم خجول ، كثيرا ما يهبط عن المستوى الذى حدده لنفسه فى الفكر والثورة(١) . وكان بين « الرجلين » صراع مر دام حياة ابسن كلها . صراع بين الوضاعة والسمو فى روحه . كان البشرى العادى فى نفس ابسن يزل ، فيتلقفه المثالى باللوم والتقريع ، بل وبالكى بالنار جزاء ما قدمت يداه . ولا تنتهى المشكلة عند حد الجريمة والعقاب ، بل تبدأ الدائرة من جديد : خطيئة يتلوها ندم . فلا الندم يكفر عن الخطيئة ، ولا الميل الى الزلل يمحوه العقاب . بل ان ابسن كان يكتنز فى صدره ذكريات خطاياه ، ولا يدعها قط تنساب الى ظلال النسيان .

فى سنوات حياته الباكرة ، حين كان الشقاء ضيفا دائما عليه فى جريمستاد ، اتصل وهو فى الثامنة عشرة بخادمة تكبره بعشرة أعوام ، فحملت منه سفاحا . وكان الذنب فى هذا — فى الغالب — ذنب الفتاة . ولكن ابسن لم يغتفر لنفسه قط هذه الزلة ، فقد شملته المعركة بسببها طول حياته . ظل يطوى عليها صدره سرا

---

(١) كان يسير ذات مرة مع فتاة خطبها لنفسه ، فرآه أبوها ، فأسلم ابسن ساقيه للريح . وبهذا فقد الفتاة الى الأبد .

مغلقا ، وأنفق على ثمرة خطيئته من ماله القليل طيلة أربعة عشر عاما . ثم تخمرت الزلة فى ذاته الفنية واتخذت أشكالا متعددة. هى فى « بيرجينت » تنعكس بوضوح فى العلاقة الشاذة التى أنشأها بير مع ابنة ملك الجان ، فكان ثمرتها أن أولدها ولدا ظلت تطارده به حتى أفسدت حياته القصيرة مع سولفيج فى الفصل الثالث . وهى فى مسرحية « براند » تبدو فى حرمان ابسن لقسه المتجبر من ابنه الذى يحبه . ان الولد يموت وتأتى الغجرية لترث ملابسه وأشياءه الصغيرة الأخرى ، وذلك تكفيرا عن زلة ارتكبتها أم براند ، حين رفضت خطيبا لها ، فتحطم قلبه وذهب من فوره فزنى مع جنية ما لبثت أن ولدت له جيرد، وهى نصف جنية ونصف بشرية ، ترمز الى الخطيئة التى تشوه جمال المثال . ترمز الى كنيسة الشيطان التى تودى بالكنيسة العظمى التى ظل براند يحلم بها ، وفقد حياته فى سبيلها .

كان ابسن اذن ، يختزن ذكرياته المريرة ، ويشقى بها ، ولكنه يعتصرها مادة لفنه . كان يعيش هذه الذكريات الى الحد الذى تصبح فيه الذكرى هى الحياة الحقة ، وتصبح الحياة الواقعة ظلا أو خيالا . كانت الذكريات تسكنه ، كما تسكن الأرواح بيتا مهجورا . لهذا أصبح الماضى بالنسبة له شيئا هاما ، وتشكلت به عواطفه ، وصنعته المسرحية . وفى

هذا يقول ابسن : « الشيء الذى نفقده هو وحـده الذى نملكه » . ويقول أيضا : « ما هو كائن لا وجود له . وما ليس كائنا هو الوجود الوحيد » . ويعنى بالقولين اننا اذ نفقد الشيء العميق الأثر فى نفوسنا — عاطفة ، أو شيئا عزيزا أو شخصا نحبه ، يتبلور أسانا عليه الى الحد الذى يتجسد فيه الفقيد داخل أنفسنا ، فيستوى شيئا أو شخصا موجودا بالفعل فى حياتنا وتتجه أفكارنا وعواطفنا اليه حتى يصبح هو والماضى الذى يلفه أهم ما فى حياتنا من وجود . بينما يتضاءل وجودنا فى الحاضر الى مكان ثانوى ، لا أهمية له » .

لكل هذا أصبحت ذكريات ابسن حقائق مجسدة موجودة دائما فى نفسه . أصبحت شخوصا درامية تعيش داخل فكره وقلبه . ودخل الفنان المفكر معها فى صراع مر ، هو الذى يشير اليه الشاعر ابسن حين يقول :

ما الحياة الا قتال الجن فى القلب والفكر .

قتال ، يهز كيان الفنان هزا اذ هو يحاول التصدى للماضى، مناجزا أشباحه ، متحديا اياها أن تقتله والا قتلها .

مثل هذا القتال خاضه براند ، اذ هو يناجز الخطيئـة الأولى التى هوت بآدم من النعيم الى الأرض ، فحقت عليه اللعنة . فنرى براند يتحدى آدمية الانسان وضعفه الطينى ، ويطلب اليه أن يرتفع عن الأرض محلقا مرة أخرى فى السماء .

وخاضه أيضا كل من مسز الفنج وولدها اوسوالد ، اذ هما يحاولان الهرب من أشباح الماضى -- أخطاء الزوج والوالد ، والميراث الذى تركه الوالد للولد من مرض وسكر ، وأخطاء الزوجة التى تركت نفسها تقع عبدة لواجب مزيف فرضته على نفســها .

ونازل الماضى أيضا روزمير وربيكا فى « بيت روزمير » ووقعا فريسة له فى النهاية ، اذ لم يستطيعا منه خلاصا .

ونازله كذلك بيرجينت وانتصر عليه انتصــارا ان يكن مؤقتا فهو على الأقل يغرى بشىء من الأمل .

وبيرجينت شاب قروى ، فقير ، يشعر بالمعرة من فقره ، ويعيش بروحه على الأحلام . هو كذاب جعجاع ، كسول ، ولكن المرء لا يملك الا أن يحبــه ، بل ويشغف به . فوراء شطحات خياله المضحكة ، وأكاذيبه التى تثير الأعصاب ، تكمن مأساة الانسان وشاعريته معا : اضطراره الذى لا مفر منه الى العيش فى الواقع الكالح ، وتمرده الذى لا يهدأ على هــذا الواقع ذاته . وخلف منظر بيرجينت الرث ، وجبنه البــادى وولعه بالشراب ، تطلع جسور الى مثل أعلى يبدو مستحيل التحقيق لمن هو — فى الظاهر — أكثر منه شجاعة . هو يتطلع دون تلبث الى حياة الروح الرفيعة متمثلة فى سولفيج ، ذات

البراءة العذرية والجمال الأزلى ، ولا يتردد فى أن يعرض عليها قلبه وروحه — هو الفقير ، الهزأة — هو الخاطىء العاصى ، هو المجنون الذى لا صبر له على حياة العقلاء .

وهو فى سبيل سولفيج يخوض نضالا روحيا طويلا مع « الجن فى القلب والفكر » . يحارب وضاعته وجبنه ، ونزواته التى تدعوه الى الثورة العارمة ، بلا تعقل ولا تبصر ، كما فعل حين خطف انجريد فى حفلة العرس ، فجلبت بهذا الشقاء على أهلها وعريسها ، وباعد ما بينه وبين أمه ، ونفى نفسه من حياة « العقلاء » فى الوديان الى حياة المتسكعين المنبوذين ، طريدى القانون ، فى أعالى الجبال .

فعل كل هذا لأنه استمع الى صوت « الجنى » فى نفسه ، فشرب وتعارك ، ونسج أكاذيب الخيال ، وجعل نفسه هزأة ، ومضحكة فى حفل العرس ، فلما رأته سولفيج على هـذه الحال ، رفضت أن تتحدث اليه ، أو تستمع الى نداء قلبه ، أو أن تراقصه أو حتى أن تكون معه على وفاق .

هنالك ثار ، وعاقب نفسه ، وعاقب غيره ، فخطف العروس انجريد ، ومضى بها مصعدا فى قمم الجبال ، ليتركها من بعد ، وحيدة ، فريسة لشهواته ، بعد أن قضى منها وطره .

من هذه اللحظة حتى اللقاء الأخير مع سولفيج فى الفصل

الخامس ، يمعن پير فى الطريق المؤدية الى الاستسلام الى رهط الترول [1] ، أى الجن أو الأوهام التى تعشش فى أرواح البشر، وتمثل فيها قوى الشر التى تشل الارادة البشرية فى كثير من الأحيان ، وتسيطر على أفعال الناس .

وينزلق پير عبر مغامرة هوجاء وليلة عابثة مع راعيات ثلاث للبقر كن على اتصال بمملكة الترول — ينزلق فاذا هو يغازل ابنة ملك الجان ، وتبدو لعينيه مليحة ولطيفة ، رغم ذيل البقرة الذى يلتصق بها . وتقوده الفتاة بعد أن يبذل لها من العهود والمواثيق ما يدير الرأس ، تقوده الى الملك ، الذى يرحب به ، ويرتضيه زوجا لابنته بشروط : هى أن يتطبع بطباع الجان وعاداتهم ومظهرهم (وان كان لايهم أن يعتنق معتقداتهم ، فالمظهر فى مملكة الجان هو العمدة ، وما عداه ثانوى) ، وأن يلصق فى مؤخرته ذيلا ، وأن يفقأ احدى عينيه ليرى الأمور من وجهة نظر الترول .

ويلقن الملك صهره المقبل الفرق بين الترول والانسان فيقول : ان شعار الترول هو : اجعل فى نفسك لنفسك الكفاية . أما شعار الانسان فهو : كن أمينا لنفسك .

(١) لا يوجد مرادف دقيق لهذه الكلمة النورويجية فى أية لغة . والمعنى الذى أورده هنا تقريبى .

والفرق بين الشعارين واضح . الأول يدعو المرء الى أن يعيش لذاته ويدافع عن بقائها بالحق والباطل ، لا يهم ان أصبح فى هذا انتهازيا . والثانى يهيب بصاحبه الى أن يستمسك بالمبدأ الشريف ويناضل فى سبيل تحقيقه . انه يدعو الى أن يخلص الانسان لأحسن ما فى نفسه ، وأن يناصر الخير فى روحه على حساب الشر .

الشعاران على هذا هما وجهان للخير والشر فى روح الانسان . والصراع بينهما يستعر طوال المسرحية فى روح پير . وفى هذه اللحظة التى يقف فيها پير أمام ملك الجان ، ملوثا بمغامرته مع راعيات البقر ، منبوذا من قلب سولفيج ، مطرودا من دنيا « الفضلاء » وقارئى الانجيل ، تعلو فى روحه موجة الانتهازية ، ويلوح له طيف الملك والسلطان فاتنا ، مبشرا ، فيقرر أن يعيش مع الجان وينحو نحوهم .

ولكن الثمن الذى يطلبه الملك فادح حقا . انه يريد من پير استسلاما دائما . وپير — ككل انتهازى حق — يود لو يستسلم مؤقتا ، ليعود من بعد الى طريقه المألوف . لذلك، يقول للملك : اذا أنا وافقت على أن تسمل عينى ، فمتى أستعيد

قدرتى الطبيعية على الابصار ؟ ويرد الملك : بل لن تسترد بصرك المألوف قط .

هنالك « يثور » بير جينت على هذا العسف ، ويقــرر الهرب من مملكة الجان . ولكنها ثورة انتهازية مفتعلة . هو لا يحارب بها من أجل الشرف ، وانما يريد أن يحتفظ عن طريقها بقدرته على اقتناص الفرص .

هذا هو السر فى أنه يمضى قدما فى طريق الترول ، حتى بعد أن يفلح فى الهرب من مملكتهم . انه — دون أن يدرى — يعتنق شعارهم الذى ثار عليه فى الظاهر . وحين يقابله الترول المسمى بويج (معناه : المنحنى) يلقنه المفهوم الواضح الصريح لشعار الترول . يقول له : لا تتجه قط فى خط مستقيم . وانما در ، وراوغ ، ولا تقرر شيئا . اترك الجسور سليمة وراءك لترتد اليها فى أى وقت . فكر فى الحلول التوفيقية ولا تحسم شــيئا .

وحين تعرض لبير فرصة العيش الســعيد مع سولفيج (الفصل الثالث) يجد نفسه غير قادر ولا هو مؤهل لتحمل هذا القدر النفيس من السعادة الروحية . ان ســولفيج قد تركت الأب والأم من أجله ، وتخلت فى سبيل العيش معه عن كل ما لها . وها هو ذا — بدوره — ابتنى لها فى الغابة بيتا

وهيأ مكانا وثيرا . غير أن شبح خطاياه السابقة سرعان ما يفرق بينهما . ان ابنة ملك الجان لا تلبث أن تظهر له ومعها ثمرة خطيئته : الولد الشائه الذى ولدته له . الولد الذى « خرج من أفكار وشهوات » كما تقول أميرة الجن .

ويتذكر پير ما قاله له البويج : در دائما وراوغ ، واترك وراءك الجسور سليمة لترتد . ويجد أن الطريق المستقيم بينه وبين سولفيج غير مهيأ — الآن على الأقل — فيقرر أن يكون انتهازيا مرة ثانية ، ويترك سولفيج بدعوى أنه غير أهل لها .

على أن پير كان يكذب على نفسه — كدأبه حتى الآن . فليس صحيحا أن الطريق الى سولفيج لم يكن مهيأ ، فما كان أهون عليه — لو أراد — أن يندم على ذنبه ويعلن — مخلصا — توبته . هو نفسه يقول هذا حين يشير الى آية فى الانجيل تحض على الندم والتوبة . ولكنه فى حقيقة الأمر لا يريد . ان ظهور أميرة الجن وابنها ان هو الا رمز لعودة قوى الشر فى نفسه الى السيطرة عليه . فكأنه وقد ابتنى لسولفيج البيت ، وتهيأ الظرف لتوبة وتبتل — كأنه قال فجأة ، وقد مالت فى نفسه كفة الانتهاز : ومالى أتوب الآن وما زالت فى العمر بقية لمزيد من امتاع الذات ؟

هنالك تلقف پير عذر كل جبان مخاتل تطبق عليه فرص

الخير اطباقا فيفر منها ، ويزعم أنه غير جدير بها ، فترك سولفيج وما ضحت ، وهرب ، مرجئا فرصة التوبة الى وقت آخر !

وتموت أمه آس فى نهاية هذا الفصل ، فينقطع عنه ، من تلك اللحظة ، عون المرأتين اللتين ناصرتاه دائما ضد كل الدنيا ، وضد شرور نفسه . ويقول بير « لكارى » ، للمـرأة التى صادقت أمه وعاونتها حتى الممات : احرصى على أن تدفن أمى فى شرف . ثم يمضى عنها وهو يقول : سأركب البحر . وتسأله المرأة : أتذهب هكذا بعيدا ؟ فيقول : بل وأبعد .

وبعيدا حقا ذهب بير ، ممعنا فى الطريق ! لقد أصبح من بعد رأسماليا كبيرا ، وتاجر عبيد ، وموردا للأصنام ، ومنافقا باسم المسيح فى ربوع الصين ، كما ناصر الاسـتعمار على ضحاياه ، وباع السلاح لمن يملك الثمن ، وادعى النبوة ، وعبد الجسد ، وصلى للشهوات وانتهى به المطـاف فى مستشفى للمجاذيب بالقاهرة ، حيث أطبق عليه النزلاء وأوقعوه فى الوحل ، ووضعوا على رأسه تاجا من قش ، وأعلنوه امبراطورا لعبّاد بالذات !

وبهذا حقت عليه لعنة الشعار الذى اتخذه هاديا : « اجعل من نفسك لنفسك كفاية » .

***

ويعود پير جينت من أسفاره الطويلة الى النورويج — عجوزا ، لوحتــه صروف الزمن ، وقست ملامح وجهــه ، وانطوى — أكثر مما كان — على ذاته . يعود بلا قلب ، الى مسقط رأسه ، ومهد طفولته ، لينكر على الناس أن يكون لهم أولاد ، ما دام هو لا ولد له . وليعلن أنه يستحق الحياة — هو العجوز — قبل الشباب ، لأنه لم يبق له فى العمر طويل بقية .

ويقابله الموت فيطالب بجسده ، ولكن پير يفر منــه ، مستعيذا ، ساخطا ، ويقابله أيضا صانع الأزرار ، ويلح عليه فى أن يسلمه روحه ، لتلقى فى مغرفة الصهر ، ويعاد تشكيلها من جديد ، بوصف أنها بضاعة تالفة ، لم يحسن مصنع الحياة اخراجها ، فلم تبلغ هدفا ، وأصبح حتما أن تصهر من جديد .

ويدخل الاثنان فى نقاش طويل ، يحاول صانع الأزرار أن يثبت به أن پير جينت قد كان مجرد خاطىء تافه ، لا يحسب له حساب . وهو من أجل هذا لا يستحق الخلود فى نار جهنم ، شأن العصاة الكبار ، وانما يليق به فقط أن يعود الى مادة الخلق الكبرى ، ويندمج بها ، فاقدا بهذا كيانه وشخصيته وفى هذه اهانة ما بعدها اهانة لانسان أفنى عمره فى عبادة ذاته وتوكيدها على حساب كل القيم وكل الناس .

وازاء هذا المصير المفزع ، تصح توبة پير جينت ، بعد أن

تتبين له النتيجة المحتومة لكل عابد لذاته . بعد أن يعرى البصلة من قشرها فلا يجد لها جوهرا ، وبعد أن يصلى دوما فى معبد الذات فينهد المعبد عليه ، وينتهى أمره الى مغرفة صانع الأزرار.

هنالك تتبدى له سولفيج من جديد . يسمع غناءها هو وصانع الأزرار ، فيقوى قلبه ، ويتبين طريقه اليها — الطريق المستقيم ، الذى يدور ولا يراوغ ، وانما يقرر ويتجــه الى تنفيذ القرار .

وتحتضنه سولفيج ، وقد أضحت الآن امرأة عجــوزا ، وتضمه الى صدرها ، وتغنى له أغنية من أغانى الأطفال . أجل فهو الآن طفلها الذى طال ضلاله وتنكبه للطريق . وهى الآن امرأته وأمه معا . هكذا يدعوها بير ويضيف انها امرأة مقدسة ، ويهيب بها أن تخبئه — من الموت والفناء — فى ثنايا حبها .

وتنتهى المسرحية وقد مالت كفة الميزان لحساب الخير ، وحلت المتناقضات فى روح بير .

ولكن صانع الأزرار ما زال يلح :

سنلتقى فى آخر مفترق للطريق يا بير . واذ ذاك نرى .

نرى ماذا ؟ لا يقول صانع الأزرار ، وانما يلتحف بالصمت البليغ .. !

لعله يريد أن يقول : نرى ما اذا كان حب سولفيج لك ، والتجاؤك اليها قادرين على انقاذك من مغرفة الصهر !

***

فى پير جينت لمحات قوية من دون كيشوت ، وفاوست . وله أيضا وثيق الصلة بالقس الجهم براند ، فى مسرحية ابسن التى تحمل هذا الاسم .

وهو كذلك يرمز للانسان ، مثلما ترمز اليـه شخصية هامليت .

له من دون كيشوت شطحات الخيال التى تجعلنا نتراوح بين الهزء به والعطف عليه . وله أيضا ما للفارس الأسبانى من تعلق ساذج مؤثر بالمثل الأعلى الجميل الذى يسـعى وراءه وتناله فى سبيله الاهانات ، بل وتدمع عينه ويسيل دمه فداء له .

وله من فاوست هذا الميثاق الذى يعقـده كلاهما مع الشيطان ، لقاء متع الدنيا ولذة الجسد . وله كذلك ضـجر فاوست بحياة الناس العادية الرتيبة ، وتطلعه الى حياة أسمى منها وأمتع ، وانقسام روحه بين الأرض والسماء والسعى الدائب وراء هدف مستحيل البلوغ ما دامت روح الانسان تسكن فى هيكل من لحم .

وفى حياة كل من فاوست وپير مثل أعلى للجمال الذى

يتناهى حتى يصبح قدسية فى حياة فاوست هيلين وفى حيـاة پير سولفيج . وكلاهما قد ارتكب الخطيئة ووقع فى براثن الشر، غير أنهما قط لم يغب عن بصرهما طويلا طيف الحق والخير .

أما ما يربط بين پير جينت وبراند فهو عـلاقة النقيض بالنقيض براند جهم قاسى الفؤاد ، يسعى الى هدفه فى خط شديد الاستقامة ، ويبلغه على أشلاء حبه وحطام قلب أمه ، وجثة ابنه ، وحياة زوجته . أما پير ، فهو يظل يدور ويدور طوال حياته ، حتى يوشك أن يتلف فليجأ فى اللحظة الأخيرة الى الطريق المستقيم . وهو غير نافر من متع الجسد والقلب ، ولا هو شاك السلاح دائما فى سبيل الدفاع عن مبدأ يراه بوضوح ويؤمن به .

انه فى تردده ، وبحثه الروحى والفكرى الطويل ، أقرب ما يكون الى هامليت . هو كالأمير الدينمركى فى مخـاوفه وتردده ، وفى حيرته على مفترق عديد من الطرق . وهامليت ينحو نحو پير — وان اختلف المعنى — حين يقطع الحلقة المفرغة بحد سيفه ، ويمضى أخيرا الى الطريق المستقيم — طريق الفعل، بعد أن ظل طريق الفكر سبيله الوحيد .

***

قال ابسن فى وصف مسرحية « پيرجينت » انها نبتت

من تلقاء ذاتها بعد مسرحية « براند » . ولعله بهذا كان يشير الى حقيقة بعينها ، وهى أنه هنا ، وفى هذه المسرحية فقط ، قد أطلق العنان لخياله ، وترك نفسه على سجيتها ، فاذا به يكتب متأثرا بشمس ايطاليا الساطعة ، وبالحظ الذى كان قد تحول اليه ، فتخرج من قلمه قصيدة درامية مليئة بالحياة ، استمد بعضها مما جاء فيها من تجارب شبابه ، ورسم أمه فى شخصية آس [1] ، وأخرج صورا كاريكاتورية لبعض شخصيات عصره، ثم ملأ مسرحيته بكثير من الاقتباسات من أعمال أدباء آخرين مثل هانز كريستيان اندرسون وبيورنسون ، وجوته ، مما دفع نقادا من أمثال « بول » ومارتن لام الى تسجيل شدة وثوق ابسن من اصالته ، واعتماده الكبير على قدرته على اظهار هذه الاصالة ، وسط هذا الحشد الواضح من الاقتباسات من من أعمال الأدباء وأقوالهم الى جوار العديد من آيات الانجيل. والواقع أن أصالة ابسن تبدو فى هذه المسرحية فى أسطع وأنصع صورها .

أما السبب الأساسى فى هذا فمرده الى شخصية بيرجينت

(١) هكذا يقول ابسن نفسه . ولكن راجع ما تقدم من وصف ابنه سيجورد لشخصية « آس » بأنها صورة من أمه ، أى زوجة ابسن .

نفسها . انها الى جوار ما تقدم ذكره من انتماءات الى شخصيات أدبية عالمية ، تمثل الشخصية النورويجية ، خير تمثيل . ويذكر ابسن انه وصل اليها عن طريق شيء من تحليل الذات . أى أنها تمثله هو الى جوار انها تمثل مواطنيه . وقد حصل ابسن على اعتراف صريح بنسب بيرجينت وأصله النورويجى ، فى رد الفعل العنيف الذى أحدثته المسرحية فى النورويج . لقد اعتبرت سخرية من الشخصية القومية للبلاد ، وتحير موقف الناس منها بين الاعجاب والسخط الشديد . الاعجاب بالقروى الشاعر الكذاب ، الذى يشتعل خياله لأقل بادرة ، فيجمل الواقع بالأكاذيب الساحرة ، ويحيل القصص القديمة المتهالكة جديدة فتانة بمجرد روايته لها . والسخط الشديد على هذه الصفات نفسها ، وعلى ما جاء فى المسرحية من سخرية شديدة من رجل الأعمال الناجح ، الذى يبدأ عصاميا ، ثم ينقله نشاطه، وذكاؤه ، وقدرته الخارقة على سرقة اللقمة من أفواه ضحاياه الى مرتبة الرجل العظيم المحترم .

لقد كان ابسن شديد الرغبة فى فضح هؤلاء الناجحين ، بدليل ما فعل فيما بعد بكل من هيلمر (بيت الدمية) وبيرنيك (أعمدة المجتمع) كما كان دائب السخرية من مواطنيه فى النورويج ، الذين كانوا يتطلعون الى محاكاة جارتهم البعيدة

الناجحة : بريطانيا . فكان يقول : ان أهل النورويج يريدون أن يتنازلوا عن انسانيتهم ويصبحوا انجليزا !

ولكى يضمن ابسن مسرحيته المعانى الكثيرة التى أشرت الى بعض منها لجأ الى أسلوب الحكاية الخرافية فى بناء مسرحيته . اننا لا نجد هنا البناء المحكم الذى اشتهر به ابسن، وانما طريقة سهلة هينة فى اختيار الأحداث وفى نمط تتابعها . فالمشاهد التى يغلب عليها الرمز ، مثل مشهد مملكة الجان ، ومشهد صانع الأزرار ومشهد المسافر الغريب فوق السفينة وفى الزورق ، تتساوى فى الأهمية المعطاة لها مع المشهد المؤثر الذى يدور بين پير جينت وأمه حين تحضرها الوفاة ، ومع تلك التى تدور بين پير جينت وأنيترا ، أو بينه وبين مجانين القاهرة، أو مع مشاهد أخرى قصيرة مثل مشهد اللص وبائع المسروقات.

كل هذه المشاهد تتتابع فى سهولة ظاهرة ، وبغير ارتباط واضح ، ولكنها فى الواقع لازمة جميعا لنقل المعنى الكلى للمسرحية . والتفاعل الذى يتم بين بعضها البعض هو الذى يضفى على المسرحية كل هذه الحيوية التى نحسها فيها ، ويخلع عليها السذاجة اللذيذة التى تبدو هنا ، خاصة فى مشاهد الفصلين الأول والرابع حيث يجرى پير وراء أفكاره النشوى المجنونة

ويخلط الفعل بالخيال ، والخيال بالفعل ، فنتتبع مغامراته فى الحالين فى نشوة كبرى .

أجل هى نشوة كبرى تلك التى أبدعت هــذه المسرحية الفذة ، وجعلتها شعرا لذيذا محلقا ، يتفق ومفهوم الشعر عند كاتبها . ألم يقل ذات مرة : ما الشعر الا أن ننظر حوالينا ونرى — نرى بنشاط ؟

وأى نشاط يفوق ذلك الذى نجده فى « پير جينت » ؟

على الراعى

الفصل الأول

المشهد الأول

المنظر : قرب مزرعة آس — يرى تل تعلوه أشجار الغابات وتتساقط منه مياه جدول جبلى . فى الجانب الآخر طاحونة عتيقة . يوم قائظ من أيام الصيف . بير ، جينت ، وهو شاب قوى البنية فى نحـو العشرين ، يهبط التل من أحد الممرات . تتبعه امرأة ضئيلة الحجم ، هزيلة ، وعليها امارات الغضب . انها آس ، أم بير .

آس : بير ، أنت تكذب .

بـير : (دون أن يتوقف) ماذا ؟ أنا ؟ أكذب ؟

آس : قسم اذن أنها الحقيقة .

بـير : أقسم ؟ لماذا أقسم ؟

آس : اخص ، أنت مفزوع ! أكاذيب ، أكاذيب ، أكاذيب ! هذا كل ما فى الأمر .

بـير : كل ما قلته هو الحق الصريح .

آس : (تواجهه) تقدر أن تنظر فى وجهى دون خجل ؟ أولا ، وموسم العمل على وشك المجىء ، تهرب

بالأسابيع سعيا وراء نزواتك الراقصة فى الجبال، تسرق غزال الرنة فى الجليد ! غير أنك تعود وقد مزقت منك الثياب — فأين صيدك ؟ وأين سلاحك ؟ تظن أنك تستطيع خداعى بقصص للصيد سخيفة مخترعة ! قل لى أين رأيت هذا الغزال ؟

پير : قرب جيندين .

آس : (فى ضحكة هازئة) معقول هذا !

پير : كنت مختبئا فى دغل ، محتميا به من ريح مثلجة . وكان هو راقدا فى الجليد ، يبحث عن نبت يأكله .

آس : (نفس الهزء) لا يا شيخ !

پير : كتمت أنفاسى ، ووقفت أستمع ، فوصلنى صوت حوافره تأكل فى الجليد . ثم رأيت قرونه العظيمة، فزحفت ببطىء على بطنى ، متجها الى أمام . كانت الأحجار الصغيرة الناعمة تغطينى . فأخرجت رأسى من مخبئه . يا له من غزال ! ناعم لماع ، مكتنز الشحم ! لم أكد أصدق عينى .

آس : لم تكد !

بيــر : بانج ! أطلقت عليه رصاصة . وقع الغزال بكل ثقله بين الأحجار . وفى غمضة عين كنت راكبا على كتفيه ، ممسكا باذنه اليسرى . واذ أنا موشك أن أغمد سكينى فى نحره — هى ! ، هب الوحش البغيض واقفا وصرخ ، ثم دفع برأسه فى الهواء وقذف بالسكين من يدى قذفا ، ثم اذا هو يستل قرونه ويخزنى بها حتى الصلب ، ويمسك برجلى فى قبضة من فولاذ . ثم انطلق مسرعا كالبرق ، بحذاء حافة جيندين .

آس : (دون وعى) يا اله السموات !

بيــر : أتعرفين الحافة ؟ تمتد نصف ميل من بدايتها حتى المنتهى ، حادة كأنها المنجل . والى أسفل ، وراء الثلاجات ، خلف المنحدرات والوديان العميقة الشـــهباء ، ترين على الجهتين ، على منخفض مقداره ألفا قدم وأكثر ، مياه البحيرات الصامتة المتأملة . بحذاء هذه الحافة شققنا طريقنا فى كبد السماء ، أنا والغزال . يا لها من رحلة ، ويا له من جواد ! على البعد البعيــد منا كانت الشمس تشرق على الثلاجات وفى الفراغ المخيف الذى

انعقد بيننا وبين تلك البحيرات المظلمة بدا لنا أن نسورا مذهبة تهيم فى الهواء ثم تسقط مبتعدة كأنهـا ذرات الغبار تسبح فى ضـوء الشمس . وكانت هيرات الثلج تزمجر وهى تسقط ، ولكن صوتا ما لم يصلنى ، فقد كان جن الجبل يمرقون من حولنا ، راقصين ، مغنين ، دائرين سابحين ، كأنما هم سكارى ، فحجبوا عنى البصر والسمع معـا .

آس : (توشك أن يغمى عليها) آه ، يا رب رحمتك !

پـير : وفجأة هب طائر عظيم من طيور القطا ، ناهضا فى الجو من مخبئه الحافل بالخطر ، على شـفا صدع كبير فى الجبل ، وتحت أقدام الغـزال تماما . هب مصوتا ، ضاربا الهواء بجناحيـه العظيمين ، فزعا . ودار الغزال حواليه ، ونهض برجليه الأماميتين ، ثم قفز قفزة فاذا بنـا معا مندفعان فى الفضاء المخيف .

(تتعثر آس وتمسك بجذع شجرة) . خلفنـا الحائط الجبلى العملاق ، وتحتنا هوة بلا قرار! مررنا فى سـقوطنا بطبقـات من السحاب ، ثم

اخترمنا قطيعا من طيور البحـــر ، كانت تزعق وتدور حولنا ، ففرقناها ودفعنا بها فى مهب الرياح الأربع . وما زلنا نسقط ونســقط ، فى سرعة ما برحت تزداد ، وفى أســفل سافلين كان شيء يلمع ، ضاربا للبياض . آه يا أمى ، كان هــذا الشيء خيالنا وقد انعكس فى مياه بحيرة الجبل . كان يصعد الينا وكنا فى الوقت نفسه نهوى اليه، ونحن نقترب من الماء .

آس : (منبهرة الأنفاس) بير ! ارحمنا يا رب ! أكمل سريعا !

پــير : والتقى الغزال القادم من الجو بالغزال الساكن فى الأعماق ، وارتطمنا فى صوت عظيم ، ودفعا بزبد الماء أميالا عديدة فى دائرة كبيرة . وهكذا وصلنا ، ونحن أقرب الى الغرقى منا الى الأحياء . ثم استطعنا أخيرا أن نهــرول الى الشــاطىء الشمالى . سبح الغزال وتعلقت أنا به بكل قواى الى أن — ها أنذا !

آس : ولكن أين الغزال ؟

پــير : الغزال ؟ ربما لا زال هناك .

(يفرقع بأصابعه ، ويدور على قدمه) .

حلالى بلالى[1] ! اذهبى وانظرى بنفسك .

آس : ولكن كيف لم يدق عنقك ؟ رجلاك سليمتان . انك حتى لم تكسر عمودك الفقرى . لله الحمد ! لنسبح بحمد الله فى فرح ، فقد حمى ابنى العزيز! سروالك ! .. انه حتى لم يتمزق ! ولكن هذه نقطة فرعية ، ما دمت قد نجوت من شر ما كان يتأتى من سقطة مخيفة كهذه !

(فجاة تتوقف ، وتحدق فيه مفتوحة العينين ، والفم ، وقد انعقد لسانها ، ثم تصيح فجأة أيضا).

آه ، أيها الكذاب ! آه ، أيها الشيطان ! آه ، يا الهى ! يالها من أكاذيب ، يالها من أكاذيب ! تذكرتها الآن جميعا ! أسمعت هذه القصة أول مرة عندما كنت فتاة عذراء . هذه القصة الخرافية التى حكيتها لى الآن ، حدثت بحذافيرها لرجل يدعى جودبراند جلسن ، ولم تحدث لك .

---

(١) تعبير دارج يقابل تماما العبارة الانجليزية الدارجة ، findings keepings التى يستخدمها النص
ومعناه : حلال لى أن أتملك ما أجده صدفة . (المترجم) .

بيـــر : بل لى أنا أيضا . وما دام هو فعلها ، فلم لا أفعلها أنا ؟

آس : (مغضبة) آه ، شد ما تستطيع تجميل أكاذيبك، وطلاءها ، وإلباسها الزاهى من الثياب ، لتخفى جلدها المتعفن وعظامها البارزة . فى هذا تنفق وقتك ، تبنى قصورا فى الهواء ، مخترعا ومتخيلا، راكبا جناح نسر ، أو مطلقا أكاذيبك بالشمال وباليمين ، مهـــرفا بكل فارغ من الكلام حتى ليختلط الأمـــر على مستمعيك ، فلا يعـــودون يدرون أحقيقة ما تقول أم خيالا .

بيـــر : لو غيرك قال هذا ، لما أضعت وقتى فى التردد ، اذا لالقيته على الأرض من فورى .

آس : (تبكى) آه يا ربى ، يا ليتنى مت قبل هـــذا ، ووريت أعمق التراب ! حتى الدموع والصلوات لا تترك فيه أثرا . أنت ملعون — هذا كل ما فى الأمر .

بيـــر : يا أعز الناس — يا أمى الصغيرة المليحـــة كل ما تقولينه صحيح ، ولكن لم الأسى ؟ هـــونى عليك !

آس : اسكت ! أهون على ؟ وكيف تأتيني السعادة ؟
ربيت خنزيرا ولم أرب ولدا . يا لها فضيحة صارخة أبدية ، أن تضطر أرملة فقيرة عزلاء الى الاطراق خجلا من أعمال ابن لها .

(تعود الى البكاء) .

ماذا بقى من المال الكبير الذى كان يملكه جدك الغنى ؟ أين النقود السائلة التى تركها رازماس جينت ؟ طارت ، اختفت ، بددت ، ذابت ! سالت كالرمل خلال أصابع أبيك ذى اليد المبسوطة . اشترى أرضا هنا ، وأرضا هناك ، وأرضا فى كل مكان . وركب عربة مذهبة يجرها جوادان . أين الآن ما أنفق فى تلك الوليمة المشهورة أقامها ذات شتاء ، حين شرب المدعوون وألقوا وراءهم الأقداح فتهشمت على الحائط ؟

پير : أين ثلوج شتاء مضى ؟

آس : احفظ لسانك حين تتكلم أمك . انظر حواليك الى منزلك البديع . نصف نوافذه لا يسدها الا الخرق ، وأسواره وأخشابه المحيطة وأعشابه كلها جاثية على الأرض . والماشية فى العراء دائما ،

هبت الريح أم سقطت المطر ، والمروج لا تمسها يد العناية قط ، وكل شهر يقع على رأسنا حجز جـــديد .

پـــير : كفى عن النـــواح والعـــويل . أنت تعلمين أن المصائب لا تأتى فرادى . قد أدبر الحظ عنا ولكنه سيعود .

آس : والأرض التى كانت كثيرة الخصب ، أضحت الآن ملحة . ولكنك تتبختر وتختال ، متألقا ، راضيا ، رشيقا مثـــلما كنت يوم جـــاء ذلك القس من كوبنهاجن وسألك عن الاسم الذى عمدت به ، اذ ذاك أقسم القس أن أكثر أهل البلدة علمـــا خليقون أن يحســـدونا على ابننا هـــذا اللامع الذكاء . واستخف الطـــرب أباك فمنح القس جوادا ثم عربة انزلاق ، تحية منه لتباسطه . فى تلكم الأيام كان كل شىء على ما يرام . كان رجال الكنيسة ورجال الجيش ، وكل ذى سمعة وجاه يغشون بيتنا دواما ، يأكلون ويشربون حتى تكاد تنشق منهم البطون . الفقر يرينا حقيقة الناس . ما أن أعرضت عنا آلهة الحظ ، وولت أكياس أموالها حتى أصبح هذا البيت قبرا مهجورا .

(تجفف عينيها بمريلتها) .

وأنت أيها الفحل المفعم صحة ، كان من واجبك أن تكون لى عكازة أتوكأ عليها وأنا فى هـذه السن الطاعنة . كان من حقى عليك أن تشتملك المزرعة ، وتشغلك عن نفسك ، وبهـذا ترعى ميراثك وتحفظه .

(تعود الى البكاء) .

الله يعلم قلة ما تقدمه لى من عون ، أيها المتشرد ! حين تكون فى البيت تأخذ تقلب نار المدفأة — هذا كل ما تفعل . تخيف من البنات من تلقاهن فى حفلات الجيران ، وتضحك علينا النـاس ، وتتعارك مع كل من يصادفك .

پـيـر : (مبتعدا عنها) اسكتى ، يا أمى .

آس : (تتبعه) وفى ذلك العراك الأخير الذى شب فى لوند فى حفلة للتسابق على الشراب ، أصحيح أنك كنت قـائد تلك الجمـاعة التى تنازعت كالكلاب ؟ أتنكر أنك أنت الذى كسرت ذراع الحداد « أسلاك » أو أنك — فى المقيل — أصبته بخلع فى اصبعه ؟ .

پـير : من ذا الذى أرجف لك بكل هذا! ؟

آس : (فى انفعال) زوجة العامل الزراعى . لقد سمعت الصرخات .

پـير : (يدلك كوعه) كنت أنا الذى صرخ .

آس : أنت ؟

پـير : نعم ، آنا . آنا الذى ناله الضرب .

آس : ما هـذا ؟

پـير : هل شعرت بوطأة عضلاته ؟

آس : عضلات من ؟

پـير : عضلاته . عضلات أسلاك . أنا شعرت بها !

آس : يا رحمة الله ! انك تحملنى على التقيؤ . هـذا الكسول السكين ، الخبيث النظرات ، هذا العاطل المخمور المخبول ، هذه الكتلة اللحمية الفارغة العقل ، قد ضربك هكذا .

(تأخذ فى البكاء من جديد) .

قد تحملت بسببك العار واحتقار الناس ، ولكن هذه ، هذه ضربة أكبر من أن أحتمل . وبفرض

أن عضلاته قوية ، هل يليق أن تبدو أنت رخوا غبيا هكذا ؟

پـير : أنت لا يهمك ضربت أم ضربنى الناس ، المهم عندك أن تبكى . (يضحك) هونى عليك ، يا أمى !

آس : كنت تكذب على ! هيه ؟

پـير : نعم . هذه المرة كذبت . جففى دمعك وكفى عن البكاء .

(يقبض يده اليسرى) .

انظرى . بهذه الكماشة التى يشكلها ذراعاى أمسكت بالحداد وثنيته . كانت ذراعى اليمنى مطرقتى الكبرى .

آس : يا وغد ! ستدفع بى الى القبر بأعمالك المجنونة هذه .

پـير : لا ، لا ! بل أنت تستأهلين مصيرا أحسن من هذا ، أحسن منه عشرين ألف مرة ! حبيبتى ، أمى الصغيرة البسيطة ، أنت لا شك خليقة أن تثقى بى . ستنحنى لك الناحية كلها ، لأميال عدة،

وتنكس لك الرأس يوما ما . انتظرى فقط حتى آتى شيئا عظيما حقا ! .

آس : (فى احتقار) أنت ؟

پير : من يدرى ماذا يخبىء الغيب .

آس : لو أوتيت من العقل ما يعينك على رتق فتوقك ، لحمدت الله وشكرته .

پير : (فى انفعال) سأكون ملكا . سأصبح امبراطورا .

آس : يا اله السموات ، أوشك المسكين أن يفقد عقله على قلته !

پير : أمهلينى قليلا فهذا كل ما أسأل .

آس : المثل يقول : لو أمهلتنى قليلا لطاولت السماء .

پير : مهلا ، يا أمى .

آس : اسكت ! أنت مجنون ! ولكنك كنت جديرا أن تصبح شيئا مذكورا ، لو لم تضيع الوقت بأنيا قصورا فى الهواء — فتاة هجستاد كانت تريدك ، وكنت خليقا أن تظفر بها لو أحسنت التصرف .

پير : تظنين هذا ؟

آس : أبوها العجوز لا يقوى على مقاومة نزواتها . حزمه لا يتعدى حدا معينا ، بعده تحصل الفتاة على

ما تريد . وأيان تسير أنجريد ، ينقل أبوها وراءها الخطو ، وهو حريص .

(تأخذ فى البكاء من جديد) .

آه ، يا بير ! انها تفرز ذهبا ! انها وارثة ! تصور لو أنك كنت عقدت العزم ، لأصبحت الآن عريسا ذا شأن ، بدلا من المتشرد القذر ذى الرائحة الذى أنت هو الآن .

پـير : (فى انتفاضة) هيا معى . سأجد فى طلبها من الآن.

آس : الى أين ؟

پـير : الى هجستاد .

آس : يا ولدى المسكين . لم يعد الطريق خاليا الآن للمحبين .

پـير : ولم ؟

آس : آه ، يا الهى ، بى رغبة فى البكاء ! لقد ضاعت منك الفرصة !

پـير : ولم ؟

آس : وأنت تهيم فى طرقك الجبلية ، وتركب الغزلان صاعدا فى السماء جاء « مادس موين » وظفر بالفتاة !

پـــير : ايه ؟ هو ؟ ذلك المغفل ! ذلك الهزءة !

آس : نعم ، هذا هو الرجل الذى ستتزوجه .

پـــير : انتظرى ، فسأذهب أعد المهرة والعربة .

(يتحـــرك) .

آس : اقعد مكانك ، فالعرس يقام غدا .

پـــير : وأى بأس ! سأصل هناك الليلة .

آس : ستزيد الطين بلة . ستنالك الاهانة فوق ما أصابك من جراح .

پـــير : هونى عليك ! الأمور ستسير وفق المرام . اعداد المهرة يستغرق وقتا طويلا .

(يزعق ويضحك فى آن واحد) .
على استعداد يا أمى ؟ سنترك العربة جانبا .
(يمسكها بين يديه) .

آس : أنزلنى !

پـــير : لا ! سأحمل أمى الى حفل الزواج .

(يخوض بها الجدول) .

آس : النجدة ! آه ، ارحمنا يارب ! بير ! اننا نغرق !

پـــير : أنا لا أغرق ! ولدت لأموت ميتة مجيدة .

آس : صحيح ! سيهتز جسمك فى عود المشنقة يوما من الأيام .

(تشد شعره) .

پير : كفى عن التملص . فالقاع هنا زلق !

آس : يا حمار !

پير : قولى ما بدا لك . فما على الحديث حرج . لا العصى ولا الحجارة تنال منى أو تكسر لى عظما . الآن ، الآن ، يصبح القاع أقل غورا !

آس : لا تنزلنى !

پير : شيه ، حا ! هل نلعب لعبة بير والغزال ؟ (يركض كالفرس) أنا الغزال وأنت بير .

آس : سيغمى على . أين أنا ؟ يا الهى !

پير : الآن ، الآن . وصلنا الشط الآخر . (يصعد جانب الشط) الآن أعطى الغزال قبلة طويلة أخرى ، واشكريه على هذه الركوبة اللطيفة .

آس : (تعرك أذنه) هذا هو الشكر الذى تستحقه منى .

پير : آى ! يا له من جزاء لطيف .

آس : أنزلنى !

پيـــر : الى حفل الزواج أولا ! أنت تحسنين الكلام ، فحاورى هذا الرجل الأخـــرق ، قولى له أن « مادس موين » من السكر لا يفيق .

آس : أنزلنى !

پيـــر : اظهرى له حلاوة من اللسان . بينى له فضـــائل ابنك .

آس : من هذه الناحية ، اطمئن . فسأصورك فى خير صورة . سأقول له كل ما أعرف عن ابنى الذى لا تقع فيه . صدقنى ، لن أدخر وسعا .

پيـــر : حقا ؟ اذن ، اذن !

آس : ولن أكف حتى يطلق الرجـــل عليك كلابه كما يطلقها على اللصوص .

پيـــر : فى هذه الحال ، سأذهب بمفردى .

آس : فى هذه الحال ، سأتبعك .

پيـــر : أمى العزيزة ، أنت لا تقوين .

آس : سترى ! اننى فى حال تجعلنى أطحن الصـــخر فأحيله مسحوقا ! ها ! أحس أن فى امكانى أن آكل الزلط نفسه ! أنزلنى !

پيـــر : هيه ، هل تعدين .

آس : لا ، بل سأذهب معك . سأشرح للحضور جميعا حقيقة أمرك !

پـير : اذن تبقين فى المكان الذى أختاره لك .

آس : أبدا ! بل أسير وراك .

پـير : لا ، لا ، لن تفعلى !

آس : وكيف تمنعنى ؟

پـير : سأضعك فوق السقف .

(يضعها فوق سطح الطاحون . تصرخ آس) .

آس : أنزلنى !

پـير : تسمعين كلامى اذن ؟

آس : لا !

پـير : أمى العزيزة ، اسمعى نصيحتى .

آس : (تلقى عليه حفنة من الحشائش) .
أنزلنى توا ، يا بير .

پـير : لا أقدر ، لا أجرؤ ، والا لفعلت .

(يقترب) .

الآن ، اذكرى ، أرجوك ، ان عليك أن تقبعى فى

سكون . لا تحركى ساقيك ، لا تنتقلى أنملة ،
لا تمزقى قش السقف ، والا وقعت ثم —

آس : أيها الوحش الفظيع !

پير : لا تضربى برجلك !

آس : وددت لو كانت العفاريت خطفتك ، كالطفل البديل ، من وجه الأرض .

پير : يا للعار !

آس : ياه !

پير : كان أجدر بك أن تمنحينى بركتك وأنا مقدم على رحلة مجهدة كهذه . هل تفعلين ؟

آس : بل سأضربك كما يضرب الطفل ، وأنت كبير وفحل هكذا .

پير : اذن ،وداعا ، يا أمى العزيزة . كونى صبورة ! لن أغيب طويلا !

(يروح عنها ، ولكنه يستدير ويرفع اصبعه محذرا) .

تذكرى ! أهدئى كما يهدأ الفأر فى جحره !

آس : بير ! يا رب ارحمنى ، لقد ذهب ! يا راكب الغزلان ! يا كذاب ! هوه ! هل تصغى الى ؟

لا ، لقد ذهب ، راح عبر الحقول — (تصرخ)
أوشك أن يغمى على ! النجدة !

(تقترب من الطاحــون عجوزتان تحملان غرارتين على ظهريهما) .

العجوز الأولى : من هذة التى تكاكى كالدجاج ؟

آس : أنا !

العجوز الثانية : آس ! لقد ارتفع مقامك فى الدنيا !

آس : الدنيا ؟ بل سأصعد الى السماء قريبا !

العجوز الأولى : رحلة طيبة !

آس : علىّ بسلم ! انزلانى . ملك الأوغاد هذا ...

العجوز الثانية : ابنك ذاك ؟

آس : قد رأيتما بأعينكما كيف يفعل بى .

العجوز الأولى : سنشهد عليه .

آس : أعينانى على النزول . سأذهب الى هيجستاد من فورى .

العجوز الثانية : هل ذهب بير الى هناك ؟

العجوز الأولى : اذن فستأخذين بثأرك . ان الحداد سيحضر حفل الزواج .

آس : (تعصر يديها) آه ، ارحمنى يارب ! يا لولدى المسكين ! سينتهى الأمر بقتله .

العجوز الأولى : سمعتهم يلمحون لهذا مرارا . لا تقلقى ، فسرعان ما يصلك النبأ اليقين .

العجوز الثانية : العجوز قد فقدت عقلها . هذا واضح .

(تزعق حتى يبلغ صوتها التل) . أيفينــد ، أنديرس ! هيه ، أقبلا !

(تزعق حتى يبلغ صوتها التل) . أيفيند ، أنديرس ! هيه ، أقبلا !

صوت رجل : ماذا جرى ؟

العجوز الأولى : انظر ، بير جينت قذف بأمه الى السقف .

الفصل الأول : المشهد الثانى

المنظر : منحدر مغطى بالعشب والشجيرات . **خلف المنحدر ووراء** سور ، يجرى الطريق العام . يظهر بيرجينت سائرا فى **الممر** ، ثم يتجه الى السور مسرعا ، ويدقق النظر فى الأفق .

پــير : هيجستاد أخيرا ! سرعان ما أصل . (يطــوح باحدى ساقيه عبر السور ، ثم يتردد) . ترى هل أنجريد بمفردها فى حجرتها ؟ (يحمى عينيه من وهج الضوء بيده ويدقق النظر الى أمام) . لا ! بل سيهومون حولها بهداياهم كما يهوم الذباب . خير لى أن أعود من حيث أتيت . (يسحب ساقه) انهم سيضحكون منى من وراء ظهرى ، وسوف تسم همساتهم لحمى كما يسم الحـــديد المحمى اللحـــوم .

(يبتعــــد خطوة من السور ويهرش رأسه مفكرا) .

ما حاجتى الحقة الا لشراب طيب قوى . ربما استطعت أن أنزلق داخلا دون أن يرانى أحد ! من أسف أنهم يعرفوننى جميعا ! شراب قوى

جدا هو خير ما أسعى اليه ، واذ ذاك لن تفعل بى سخرياتهم شيئا .

(يتلفت حواليه فى انزعاج ، ثم يختبىء وراء بعض الشجيرات . يمر به اناس يحملون هدايا العرس ، متجهين الى المزرعة) .

رجـل : (محدثا غيره) قضى الشراب على أبيه ، أما أمه فكلبة قذرة .

المـرأة : لا غرو أن يكون الابن من هو .

(يمضيان . بعد قليل يخرج بير من مخبئه ، تعلو وجهه حمرة الخجل . ينظر وراءهما) .

پـير : أنا الذى يعنيان بهذا المديح ! (يهز كتفيه) ليكن ! لا يهمنى ! لم أسمع قط عن رجل قتلته الاشاعات .

(يرمى نفسه على العشب ويظل راقدا على ظهره بعض الوقت ، ويداه مشبكتان خلف رأسه ، وهو ينظر الى السماء) . يا لها سحابة غريبة الشكل ! تبدو كجواد منازل . وهذا رجل ممتط صهوة الجواد ، وذاك سرج ولجام . ثم عجوز طاعنة فى السن ، تمضى وراءه راكبة مكنسة .

(يبتسم لنفسه) .

انها أمى ! انها تلوم وتصرخ : « أيها الوحش ! أنت هناك ، يا بير ! » .

(تنغمض عيناه تدريجيا) .

انها الآن تنكمش . يخيل لى أنها خائفة . فى المقدمة يركب بير جينت ، وخلفه حشد هائل من أعوانه . لجامه من الفضة ، وجواده ينتعل الذهب . يلبس قفازين هائلين ويحمل سيفا وغمدا . أما عباءته الفضفاضة فمزينة بغالى الحرير . انهم كالأمراء رفعة شأن ، أولئك الذين يسيرون فى ركابه ! ولكن أحدا منهم لا يمتطى جواده فى نبل كما يفعل بير — ليس منهم من يلتمع مثله فى ضوء الشمس . ومئات فوق مئات من الناس يصطفون على جانبى الطريق ، يقذفون بقبعاتهم فى الهواء من فرط الفرح . النساء تنحنى محييات . فمن ذا الذى لا يعرف الامبراطور بير جينت والآلاف المؤلفة من رجاله؟ انه ينثر الفضة على طول الطريق ، وقطع النقود تنتشر هنالك كالزلط . وفى ثوان ، يصبح الكل

أغنياء كالنبلاء . ثم يركب بيرجينت البحار ويصعد الى السماء ، وعلى الشاطىء ينتظره أمير انجلترا ، ومن حوله أجمل فتيات البلاد وكبار رجال انجلترا ، وملك انجلترا العظيم ، يهبون واقفين حين يهل عليهم بير جينت . ويخلع الملك تاجه ويتحدث فى احترام :

(يظهر « أسلاك » الحداد ، ومعه آخرون ، فى الناحية المقابلة من السور) .

الحداد : انظروا ! هذا بير جينت ! الخنزير فاقد الوعى من الشراب مرة أخرى !

بير : (ينتبه فجأة فزعا) يا صاحب الجلالة .

الحداد : (يتكىء على السور ويضحك) ألا تستطيع أن تنهض ، يا بنى ؟

بير : اللعنة ! انه « اسلاك » ماذا تريد ؟

الحداد : (للآخرين) انها أعقاب حادثة لوند .

بير : (يقفز واقفا) انصرفوا !

الحداد : لا تخش شيئا . لن نبقى . ولكن أين كنت ، يا رجل ، أين كنت مختبئا ؟ لقد غبت ستة أسابيع ! هل احتجزتك الجن ؟

بيــير : أنا نفسى مندهش مما فعلت هذه الأسابيع .

الحــداد : (يغمز لمرافقيه) اذن حدثنا !

بيــير : لا فائدة ! لن تفهموا قط .

الحــداد : (بعد فترة) ذاهب الى هيجستاد ؟

بيــير : لا .

الحــداد : طالما قالوا ان انجريد بها أكثر من صبوة اليك .

بيــير : أيها الغراب العجوز القذر .

الحــداد : (يوشك أن ينصرف) لا تفقد أعصابك . اذا كانت أنجريد قد هجرتك فغيرها كثير . لا تنس أنك ابن الثرى الأمثل . تعال معنا الى المزرعة ستجد هناك بنات فى مرح الحملان ، وأرامل ناضجات ، ينتظرن القطاف .

بيــير : اذهب الى الجحيم !

الحــداد : ستجد واحدة أو أخرى ترضى بك . طاب مساؤك. سأحمل تحياتك للعروس .

(ينصرفون ضاحكين متهامسين . يحدق بيرجينت فيهم لحظة ، ثم يضرب برأسه ويستدير نصف استدارة) .

بيــير : من جهتى أنا ، تستطيع أنجريد أن تتزوج من تريد . لا يهمنى هذا ببصلة !

(يتفحص ملابسه) .

سروالى ممزق ، وملابسى أسمال ! لو أننى فقط حصلت على بدلة جديدة !

(يخبط الأرض بقدمه) .

شد ما أنا مشوق الى أن أسن سكين جزار ثم أقطع بها هذه السخريات من قلوبهم !

(ينظر حواليه فجأة) ما هذا ؟ من هناك ؟ سمعت شخصا يضحك فى خفوت . أكاد أقسم أننى سمعت شيئا ! لا بد أننى واهم . علىّ أن أعود الى أمى .

(يأخذ يصعد التل ، ثم يتوقف ثانية ويصغى ، وهو مسدد أذنه فى اتجاه المزرعة) .

الآن يبدأ الرقص .

(يضنى عينيه وأذنيه تحديقا واصغاء ، ثم يسير ببطء فى الطريق يمسح يديه فى سرواله) .

بنات ، يا لهن بنات ! سبع أو ثمان لكل رجل ! اللعنة ! سأذهب ، لا أقدر أن أضيع حفلة ! ولكن أمى ستبقى معلقة فوق السقف .

(تهيم عيناه فى اتجاه المزرعة . يقفز ويضحك)
اصغ ! العشاء والسمر ! لقد أضفوا عليهما حياة ومرحا ! وجوتورم موفق تماما فى العزف على كمانه ! ان نغماته تبرق وتزأر كمياه الشلال . ثم هاته البنات ، هاته البنات الرائعات ! اللعنة ! سأحضر الحفل ، لا يمكن أن تفوتنى حفلة !

الفصل الأول : المشهد الثالث

المنظر : فناء فى هيجستاد . المزرعة تبدو فى الخلف . الفناء يملؤه الضيوف ، والرقص يدور على الحشائش . عازف الكمان يجلس على مائدة ، ومشرف الحفل يقف بالباب . العذارى يرحن ويجئن بين الأبنية . العجائز متحلقون يتناقلون الاشاعات . احدى النساء تنضم الى جماعة تجلس على كومة خشب .

المرأة : العروس ؟ انها طبعا تبكى قليلا . ولكن منذا الذى لاحظ هذا ؟

مشرف الحفل : (لجماعة أخرى) هيا ، يا سادة ، افرغوا كئوسكم . فما زال الكثير فى الزجاجة .

رجل : شكرا ! ولكنى أجد صعوبة فى اللحاق بك !

الشاب : (يمرق أمام عازف الكمان ممسكا بيد فتاة) واصل العزف بنفس الهمة يا جوتورم ، أعزف حتى تنفجر !

الفتاة : اعزف واعزف ، وخل التلال تردد نغماتك .

فتيات : (متحلقات حول فتى يرقص) انه بارع الرقص، أليس كذلك ؟

الفتـــاة : ساقاه طويلتان جدا !

الشـــاب : (وهو يرقص) ، وما الضرر ، والسقف عال ، والغرفة كبيرة .

(يقترب العريس من والده ، وهو يكاد يبـكى . الوالد يتحـــدث الى اثنين من الضـــيوف . العريّس يجذب والده من كمـــه) .

العريس : أبى ، حاولت ، ولكنها لا تستجيب . انها متكبرة.

الوالد : تستجيب لماذا ؟

العريس : لقد ذهبت فأغلقت وراءها الباب .

الوالد : ولماذا لا تذهب فتبحث عن المفتاح ؟

العريس : لا أدرى أين أبحث .

الوالد : أنت مغفل كبير .

(يلتفت للضيفين . العريس يسير تائها) .

شـــاب : (قادما من خلف المنزل) بير جينت قدم لتوه . سيصبح الموقف مدعاة للتسلية .

الحـداد : (وقد وصل من فوره) ولكن من الذى دعاه ؟

المشرف : هذا ما أود أن أعرفه !

(يتجه صوب المنزل) .

الحداد : (للفتيات) تجاهلنه ، يا بنات ، لو حاول التودد اليكن .

الفتاة : (للأخريات) من جهتنا نحن ، هو لا وجود له !

(يدخل بيرجينت متدفقا بالحياة . يقف بازاء الجماعة ويفرك يديه) .

بير : من أبرع الراقصات هنا ؟ من منكن سريعة القدم؟

الفتاة : (وقد اقترب منها بير) غيرى .

فتاة اخرى : ولا أنا .

فتاة ثالثة : ولا أنا بكل تأكيد .

بير : (لرابعة) تقدمى أنت اذن ،، قبل أن تظهر من هى أبرع منك !

الفتاة : (توليه ظهرها) لا وقت لدى .

بير : (لخامسة) أنت ، اذن !

الفتاة : حان وقت الرحيل .

بير : الرحيل ؟ مبكرا هكذا ؟ لا يحسن أن تذهبن جميعا !

الحداد : (بعد لحظة ، وفى صوت خفيض) . انظر ، يابير ، لقد ذهبت مع هذا العجوز الأجرب !

پـــير : (يلتفت مسرعا الى رجـل عجوز) أين تجلس الفتيات ؟

الرجل : اذهب وتبين بنفسك .

(ينصرف الرجل . يفقد بيرجينت حيويته فجأة . يرمق الجماعة فى خجل ، مختلسا النظر . الكل ينظر اليه ولكن لا أحـــد يكلمه . يدنو من جماعات أخرى . الصمت الحجرى يقابله فى كل مكان . وكلما غادر مكانا ابتسم الناس وتابعوه بالنظر) .

پـــير : (فى صوت خفيض) نظرات سود ، وأجـوبة حداد ، وبسمات تعال ! هزء ! انهم ينشزون ، كما ينشز المبرد على سلاح منشار .

(ينكمش عنـد السور . تدخل سولفيج بصحبة الصغيرة هيلجا ، ومع الاثنين والدا سولفيج) .

رجـل : (لرجل آخر قريب من بير جينت) هؤلاء جيراننا الجـدد .

الرجل الثـانى : القادمون من الغرب ؟

الرجل الأول : من هيدالين .

الرجل الثـانى : آه . أجل . أنت على حق .

(يقترب بيرجينت من القادمين ، ويشير الى سولفيج ثم يسأل أباها) .

پـــير : تسمح بأن أراقص ابنتك ؟

الرجل : (فى هدوء) أجل ، بالتأكيد . ولكن ، لندخل أولا لنحيى صاحب الحفل .

(يدخلون) .

المشرف : (يعــرض على بير شرابا) ما دمت قد جئت ، فلا بأس أن تشرب شيئا من هذا .

پـــير : (يسدد النظر خلف القادمين) لا . شكرا . لست ظمآنا . انما جئت لأرقص .

(ينصرف المشرف . ينظــر بير الى البنت ويبتسم) .

كم هى مليحة ! لم أر أخرى فى ملاحتها ! عيناها تغضان النظر ومريلتها ناصعة البياض ! والطريقة التى أمسكت بها ثوب أمها ! وحملهــا لكتاب الصلاة فى طيات منديلها ! لابد أن أراها ثانية .

(يتجه ليدخل المنزل . يخرج من المنزل عدد من الشبان) .

الشــاب : ماذا ، أترحل هكذا سريعا ؟

پيـــر : لا .

الشــاب : اذن قد فقدت الاتجاه .

(يمسك بكتفيه ويحمله على الاستدارة) .

پيـــر : دعنى أمضى .

الشــاب : آه . فهمت ! أنت خائف من الحداد !

پيـــر : أنا ؟ خائف ؟

الشــاب : أجل ، ان حادثة لوند لم تنقض بعد .

(تضحك الجماعة ، ويتجـــه أفرادها الى حلبة الرقص) .

سولفيج : (وهى بالبـــاب) أظن انك أنت الذى طلبتنى للرقص .

پيـــر : طبعا ! لا يمكن أن تكونى نسيتنى — هيه ! تعالى !

سولفيج : أمى قالت لى لا تذهبى بعيدا .

پيـــر : أمى قالت ، أمى قالت ! انت ابنة الأمس ؟

سولفيج : تسخر منى !

پيـــر : الظاهر انك ما زلت طفلة ! لم تكبرى بعد .

سولفيج : قد ثبت فى الربيع الماضى .

پيـــر : أخبرينى باسمك ، ترتفع بيننا الكلفة .

سولفيج : اسمى سولفيج . وما اسمك ، من فضلك ؟

پـــير : أنا پير جينت .

سولفيج : (تسحب يدها) آه ، يا الهى !

پـــير : أى عيب فى هذا ؟

سولفيج : قد انفك رباط جوربى . لابد أن أعقده .

(تبتعـــد عنــــه) .

العريس : (يجذب اليه أمه) — حاولت ولكنها لا تريد —

الأم : لا تريد ماذا ؟

العريس : لا تريد ، يا أمى !

الأم : ماذا ؟

العريس : لا تريد أن تفتح الباب .

الأب : (فى صوت خفيض ، غاضب) الولد لا يصلح الا لاطعامه بالملعقة !

الأم : لا تلم المسكين هكذا ، سرعان ما ينصلح حاله .

(ينصرفان . يقترب أحـــد الشبان من پير ومعه جمع من الناس) .

الشـــاب : براندى ، يا پير ؟

پـــير : لا ، شكرا !

الشـــاب : هيا ، هيا ، قليلا فقط .

پـــير : (ينظر اليه فى تشكك) ألديك براندى اذن ؟

الشـــاب : ربما نعم ، وربما لا !

(يجذب زجاجة من جيبه ويشرب) يا له من مذاق يبعث النشوة ، هيـــه ؟ .

پـــير : صحيح ؟ اعطنى قليلا ! (يشرب) .

الشاب الثانى : جرب شيئا من هذا ! خذ لك جرعة طيبة !

پـــير : لا !

الشاب الثانى : سخف ! ماذا حدث لك ؟ لم تكن أبدا تتباطأ هكذا فى الشراب .

پـــير : اذن جرعة واحدة ، لا أكثر (يشرب ثانية) .

الفتــاة : (فى صوت منخفض) يجب أن نذهب .

پـــير : أنت تخافيننى .

شاب ثالث : ومن ذا الذى لا يخافك ؟

شاب رابع : رأينا منك أشياء فى لوند . بدا منك ما فتح منا العيون .

پـــير : أفعل أكثر من هذا ، اذا ما أردت .

الشـاب الأول : (هامسا) ويبدو أنه يريد الآن ، صدقونى !

عدد من الشبان : (يتحلقون حوله) هيا ، اجعلها قصـــة تشـــق الجنوب ! قل لنا ما تستطيع أن تفعله .

پـــير : غـــدا .

عدد من الشبان : بل الآن .
فتـاة : هل تتقن السحر الأسود ؟
پـير : استحضرت العفريت المشهور !
رجـل : جدتى فعلت هذا قبل أن أولد .
پـير : كذاب ! لا أحد سواى يتقن هذه اللعبة . قد أدخلت الشيطان فى بندقة ! بندقة أتلفها الدود .
عدد من الشبان : آه ، هذا واضح !
پـير : أخذ الشيطان يلعن ، ويصرخ ، وحاول جاهدا أن يرشونى بهذا وذاك —
واحد من الجمع : وهل أكرهته على دخول البندقة ؟
پـير : طبعا . ثم سددت الثقــوب بدبوس يا الهى ! لو سمعتم كيف أز وكيف هدر !
فتـاة : كان يمتعنا أن نسمع ؟
پـير : طبعا . كان كالنحلة الهائلة !
فتـاة : ولكن أين هو الآن ؟ ما زال داخل البندقة ؟
پـير : لا ، لا . استطاع الافلات من فوره . وهذا هو الذى يجعل الحداد يكرهنى الى الآن .
شـاب : صحيح ؟
پـير : ذهبت للحداد وقلت له : دق لى هذه البندقة .

فقال على العين والرأس ! أمسك بالبندقة ليسحقها . ولما كان قبيح الحركة كدأبه دائما ، فقد أرجح المطرقة فى الهواء كما هى عادته .

صوت من بين الحاضرين : وهل قتل الشيطان ؟

پير : هوى بالمطرقة كالمجنون ، ولكن الشيطان خرج فى عاصفة من اللهب — واخترق السقف والحيطان .

جمع من الناس : والحداد ؟

پير : فغرفاه ، وتحرقت يداه كالروستيف ! ومن يومها أصبحنا عدوين .

(الجميع يضحكون) .

جمع من الناس : قصة طريفة !

آخرون : من أحسن قصصه .

پير : تلمحون الى أننى اخترعتها ؟

رجل : لا ، أبدا ! لا يمكن أن تكون اخترعتها . هذه احدى قصص جدى التقليدية .

پير : يا كذاب . لقد حدثت لى .

الرجل : لن نجادل اذن .

پير : (ضاربا برأسه) ماذا تظنون ، اننى أستطيع أن

أصعد فى الجو على ظهر جـواد . عشرات من الأشياء لا تحيط بها أفهامكم أستطيع أن آتيها .

(انفجارات أخرى بالضحك) .

احد الحاضرين : هيا اذن ، واركب الهواء !

كورس من الناس : هيا ، هيا ، أيها العزيز !

پـير : فى الوقت الذى أحدده أنا . فكفوا اذن عن الرجاء والسؤال . سـيأتى يوم أركب فيه ، كدوامة الهواء ، فوق رؤوسكم جميعا ، واذ ذاك ستسجدون بين يدى .

رجل عجوز : جنونه بين !

آخـر : فقد عقله .

ثالث : المدعى !

رابع : الكذاب !

پـير : (مهددا) عليكم بالانتظار ! وعوا كلامى !

رجـل : (نصف سكران) احفـظ أنت كلامى هكذا . سأعطيك علقة تدفىء سروالك .

كثـيرون غـيره : علقة كبيرة ممتـازة . وعينان سـوداوان من الضرب !

(ينصرف الجمع ، الكبار فى السن منهم غاضبين ، والصغار ضاحكين أو مستهزئين) .

العريس : (قرب پير) اسمع ، يا پير ! أصحيح انك تركب الهواء ؟

پير : صحيح طبعا يا مادز . أستطيع أن أفعل الكثير .

العريس : أعتقد أن لديك سترة الاخفاء ؟

پير : تقصد طاقية الاخفاء . طبعا !

(يترك العريس . تقطع سولفييج الفناء ، وفى يدها هيلجا . يتجه بير اليهما . تبدو الحياة فى عينيه أكثر تألقا)

ها قد عدت يا سولفيج ! أنا سعيد ! هيا نرقص .

(يمسك بمعصمها) .

سأريك كم أنا رشيق الحركة .

سولفيج : دعنى أذهب من فضلك .

پير : أتركك تذهبين ؟

سولفيج : أنت حاد الطبع !

پير : كغزال الجبال حين يقبل الصيف ؟ هيا يا فتاة ، ولا تكونى عنيدة .

سولفيج : (تجذب منه ذراعها) لا أقدر لا ، لا أجرؤ .

پـــير : ولم ؟

سولفيج : كنت تشرب (تذهب مع هيلجا) .

پـــير : لماذا لم أشهر سكينى وأرشقها فيهم كلهـــم — أجل — فيهم جميعا ؟

العريس : (يلكز پير بكوعه) يا ليتك تســاعدنى على أن أدخل حجرتها .

پـــير : (فى غياب ذهن) حجرة العروس ؟ أين هى ؟

العريس : فى الغرفة العلوية .

پـــير : آه ، فهمت !

العريس : انها أهون أفعالك عليك . حاول .

پـــير : أن أدخل بعروسك ؟ هذا شيء تفعله أنت بنفسك.

(فجـأة ، تلمع فى رأســه فكرة . يتحدث برقة ، ولكن بلهجة ذات مغزى) .

انجريد فى الغرفة العلوية ! .

(يذهب الى سولفيج) .

هل غيرت رأيك ؟

(تحاول سولفيج أن تذهب . يسد عليها الطريق) .

أنت خجلانة منى ! أبدو كالمتشرد !

سولفيج : لا أبدا . ليس صحيحا ! لم أفكر فى هذا قط .

پـــير : بل أنا أبدو كالمتشرد فعلا . وأكثر من هذا ، أنا سكران قليلا . كنت مغتاظا . لقد أغظتني . لهذا شربت والآن هل .. ؟

سولفيج : آنا خائفة . وحتى لو ..

پـــير : خائفة ؟ ممن ؟

سولفيج : من أبي قبل غيره .

پـــير : أبوك ؟ فهمت ! انه رجل مستقيم ! هل يحكم البيت بعصا من حديد ؟ أجيبيني .

سولفيج : وماذا أقول ؟

پـــير : هل يغني في فريق الانشاد الكنسي ؟ وأنت وأمك كذلك ؟ هل أنتم جميعا سواء ؟ لماذا لا تجيبينني؟

سولفيج : أرجوك أن تدعني أذهب !

پـــير : (في صوت خفيض يتهدد) لا ، لن أفعل ! أستطيع أن أحول نفسي الى جني ! وعندما تدق الساعة الثانية عشرة سأكون في غرفتك ، وستسمعين صوتا غريبا ، صوت يفح ويبصق ، قرب سريرك ، ولن يكون صادرا عن قطتك ، انما هو صوتي أنا ! سأنزح دمك من عروقك وأفرغه في كأس ، وسأخطف أختك وآكلها . فأنا في كل ليلة أتحول

الى ذئب . سأعض منك الصلب وأعض منك الظهـــر .

(فجأة يستدير ويستعطفها) .

ارقصى معى ، يا سولفيج !

سولفيج : (تنظر اليه فى استرابة)

لا ، لقد كنت فظيعا !

(تدخل البيت . يعود العريس هائما الى پير) .

العريس : لك منى ثور لو ساعدتنى .

پـــير : هيا بنا !

(يختفيان وراء البيت . فى نفس الوقت يأتى حشـــد من الناس قادمين من حلبة الرقص . معظمهم ســـكارى . ضوضاء وفوضى . تخرج سولفيج وهيلجا من البيت ومعهما الوالدان وناس آخرون) .

المشرف : (للحداد الذى يقف فى المقدمة) اخرس !

الحـداد : (يخلع سترته) لا ، سنصفى الحساب الآن بصفة نهائية . أما پير جينت واما أنا ، الآن أو أبدا .

بعض الحضور : دعهما يصفيان الحساب .

آخرون : بل خلهما يتبارزان بالكلام .

الحداد : الكلام ! يسقط الكلام ! اما اللكمات والا فلا .

والد سولفيج : اضبط نفسك ، يا رجل !

هيلجا : أهم يريدون أن يضربوه ؟

شاب : لماذا لا نطرحه أرضا من ساقه ، جزاء أكاذيبه العتيقة السخيفة ؟

شاب ثان : ارفسوه حتى يغادر المكان !

شاب ثالث : سأبصق فى وجهه .

شاب رابع : (للحداد) وأنت ، هل تنسحب ؟

الحداد : (يلقى بالسترة جانبا) لا ، بل سأقتله .

والد سولفيج : (لسولفيج) الآن عرفت نظرة الناس اليه !

(تدخل آس وفى يدها عصا) .

آس : أهو هنا ؟ أين ولدى ؟ سأعطيه ما يستحق ! يا الهى ! يا لها من علقة ينالها منى !

الحداد : (مشمرا عن ساعديه) وغد مثله ، الهراوة لطيفة عليه .

أصوات : الحداد سيفرشه !

آخرون : سيهبشه !

الحداد : سآنهشه !

(يبصق على يديه ويهز رأسه لآس) .

آس : ماذا ؟ أنت تنهش ولدى بير ؟ حاول ان جرؤت! أمه العجوز آس لها أسنان حامية ومخالب ! أين هو (تدعوه) بير ! .

(يدخل العريس وهو يجرى) .

العريس : أبى ! أمى !

الوالد : ماذا جرى ؟

العريس : هل دريت ؟ بيرجينت .

آس : (تصرخ) هل قتلته ؟

العريس : لا ، بير جينت قد — انظرى — الى أعلى — فوق التلال !

الجمع : بالعروس !

آس : (تسقط منها العصا) .
آه ، الحيوان !

الحداد : (مصعوقا) انها قمة شاهقة ! انه يصعدها ! يا الهى ، كأنه جدى !

العريس : (باكيا) انظروا كيف يحملها ! كأنها خنزير !

(آس تهز قبضتها مهددة بير) .

آس : يا رب يقع ! (تصرخ فى رعب) انتبه ! انها خطوة خطرة !

(يدخل والد انجريد عارى الراس ، وقد ابيض وجهه من فرط الغضب) .

والد انجريد : قد هتك عرض فتاتى ! سأقتله .

آس : ليعاقبنى الله إن سمحت لك أن تمس شعرة واحدة من رأسه .

الفصل الثاني

المشهد الأول

المنظر : ممر ضيق فى أعالى الجبال . الصباح الباكر . بير جينت يتمشى ، وهو كثير العبوس . انجريد ، وهى فى بقية من ملابس العرس ، تحاول أن تستبقيه .

بـير : اغربى عنى !

انجريد : (تبكى) ولكن أين أذهب ، بعد ما حدث ؟

بـير : اذهبى حيث تشائين .

انجريد : (تعتصر يديها) أيها المجرم !

بـير : احفظى لسانك ! الآن نفترق الى الأبد .

انجريد : الذكريات تربطنا الى الأبد .

بـير : لعنة الله على الذكريات جميعا ! ولعنته على النساء أيضا ، الا واحدة !

انجريد : ومن هى هذه الواحدة ؟

بـير : ليست أنت !

انجريد : فمن هى ، اذن ؟

بـير : اذهبى ! عودى الى بيتك ، ارجعى الى أبيك .

انجريد : يا أعز الأحبة — !

پـــير : أوه ، بحق السماء !

انجريد : لا يمكن أن تعنى ما تقول .

پـــير : بل أعنى كل كلمة .

انجريد : تحصل على بغيتك ، ثم تضعنى فى صرة وترمينى.

پـــير : قولى لى ماذا عندك تقدمينه .

انجريد : مزرعة هيجستاد ، وكثير غيرها .

پـــير : هل تضعين كتاب صلاتك فى طيات منديلك ؟ أين ضفيرتك الذهبية ؟ هل تغضين الطرف وتنظرين الى مريلتك ؟ أتراك تتعلقين بثوب أمك ؟ أجيبى!

انجريد : لا .

پـــير : هل ثبتوك الربيع الماضى ؟

انجريد : لا ، ولكن اسمع يا بير —

پـــير : هل لعينيك ذلك الخفر العزيز ؟ أتستطيعين أن ترفضينى اذا ما توسلت ؟

انجريد : يا الهى ! قد جن الرجل !

پـــير : هل تهبط رحمة الله على من يراك ؟ أجيبينى !

انجريد : لا ، ولكن —

پـــير : هذا كل ما يهمنى .

(يستدير ليذهب) .

انجريد : (تمنعه) سيشنقونك اذا ما تخليت عنى الآن .

پـــير : سأخاطر بعنقى لأهرب منك .

انجريد : ستنال الثروة والجاه اذا ما اتخذتنى —

پـــير : **مستحيل** .

انجريد : (تنفجر باكية) آه ، يا مخادع !

پـــير : كنت راغبة !

انجريد : كنت يائسة —

پـــير : كنت مغفلا .

انجريد : (مهددة) ستدفع الثمن غاليا !

پـــير : أغلى الأثمان سأجده بخسا .

انجريد : تصر على هذا ؟

پـــير : ثابت كالصخر .

انجريد : ليكن اذن ! سنرى من ينتصر !

(تهبط أنجريد عبر المنحدر) .

پـــير : (بعد برهة) لعنة الله على الذكريات جميعا ! ولعنته على كل النساء .

انجريد : (تلتفت اليه وتهتف ساخرة) الا واحدة !

پـــير : الا واحدة .

(يذهبان كل فى طريق) .

الفصل الثانى ــ المشهد الثانى

المنظر : بحيرة جبلية تحيطهــا أرض قاحلة . عاصفة تتهيآ للهبوب . آس تصيح ، وتدقق النظر حواليها . تبدو يائسة . سولفيج تجــد صعوبة فى اللحاق بها . والدا سولفيج وهيلدا يتبعونهما غير بعيد . آس تقبض راحتيها وتمزق شعرها .

آس : الأشياء جميعا تتآمر ضـــدى مع قوات الشر ، الضباب والمياه ، والجبال اللعينة ! الضـــباب يسبل ستائره ليعميه ويضله . المياه الخائنة تنتظره لتغرقه . الجبال ستفتح فاها لتبلعه أو تهرسه . والناس ! كلهم خرج يطلب حياته ! يا الهى ، برحمتك احمه ! لا حياة لى من بعده . المجرم ! يسمح للشيطان أن يغره !

(تلتفت الى سولفيج) .

لا أجدنى أصدق أن هذا قد حدث حقــا . هو الذى لا يفعل شيئا سوى الرقاد والانغماس فى الأحلام ، هو الذى لا حول له الا قدرته على التفاخر ، هو الذى لم يؤد عملا حقيقيا يوما ما ،

هو — ! بى رغبة للضحك والبكاء فى آن ! كنا على وفاق فى شقائنا وحاجتنا . لابد قد بلغتك سمعة زوجى السيئة — كيف أنه جاب الحى كله ينثر ماله كانما هو قاذورات، وكيف سكر وسب، بينما أنا وبير قابعان فى البيت . فماذا كان فى طوقنا الا أن نحاول النسيان ؟ لم يكن لى قدرة على أن أمسك الأمور بحزم . من المريع أن ترى القدر يحدق فيك وأنت ساكتة . اذ ذاك تريدين فى استبسال أن تلقى عنك الهموم . ولكن الفكر لا يجلب الا الأسى والدموع ، ولذا فاما تسكرين أو تجرين وراء الأوهام . وهكذا لجأنا الى قصص الخرافة وحكايات الملوك والجان وغريب الحيوان ، وأخرى عن عرائس يخطفهم الشبان . فأنى لى أن أعلم أن القصص ستثبت فى رأسه ؟

(ينتابها الفزع ثانية) .

آه ، يا لها من صرخة ! أهو جان أم شيطان ! بير، أهذا أنت ؟ هناك فوق التل ؟

(تجرى الى قمة المرتفع وتحدق من فوقها فى البحيرة ، يتبعها والدا سولفيج) .

لا أرى شيئا !

الزوج : (فى هدوء) هذا من سوء حظه !

آس : (تبكى) آه ، يا ولدى بير ! يا حملى الضائع المسكين !

الزوج : (يحنى رأسه فى رقة) أصبت ، هو ضائع حقا .

آس : لا ، لا ! لا تقل هذا ! انه شديد المهارة . لا أحد يدانيه !

الزوج : تتحدثين لغوا من الكلام !

آس : أجل ، أجل ، أعلم هذا . قد أكون مغفلة ، ولكن ابنى بخير !

الزوج : (مواصلا هدوءه ورقته) قد قسا قلبه ، وضاعت منه روحه !

آس : (فى فزع) لا ، لا ! الله ربنا سيحيطه برحمته .

الزوج : قد أثقلته الذنوب . أتظنين أنه سيندم ؟

آس : لا ، ولكنه سيركب الجو على ظهر غزال !

الزوجة : الله أكبر ! مجنونة أنت ؟

الزوج : ما هذا الذى تقولين ؟

آس : لا شيء يعز عليه ، أقول لكما ! فقط انتظرا ! لو امتد به العمر فسيأتى شيئا عظيما .

الزوج : من الخير أن نراه على المشنقة .

آس : (تصرخ) بالله لا —

الزوج : وحبل ملتف حول عنقه ، فقد تنفتح عيناه ، وربما شعر بالندم .

آس : (فزعة) انكما تدفعاننى للجنون بكل هذا الكلام ! يجب أن نعثر عليه !

الزوج : لننقذ روحه !

آس : وجسمه ! ان كان سقط فى بركة ، فلنجره منها الى الشط — وان كان الجان قد خطفوه فلندق الأجراس .

الزوج : انظرى ، هذا أثر !

آس : الله يجزيك على ما تقدم من عون .

الزوج : انه واجبى كمسيحى .

آس : غيرك من الناس وثنى . ما من أحد منهم يريد أن يرفع اصبعا فى عونى !

الزوج : لأنهم يعرفون ابنك جيدا .

آس : بل هم لا يستحقونه بينهم .

(تعتصر يديها) .

كلما فكرت — كلما فكرت أن حياته فى خطر !

الزوج : هذا أثر أقدام ! انظرى !

آس : اذن فنحن على الطريق الصحيح .

الزوج : لنتفرق اذن ، ولنجرب البحث فى هذه الأرض القاحلة الممتدة الى أسفل .

(يواصل هو وزوجته السير) .

سولفيج : (لآس) رجوتك أن تقولى لى المزيد .

آس : (تمسح دمعها) عن ابنى ؟

سولفيج : أجل ، كل شىء !

آس : (باسمة ورافعة رأسها) أقول لك كل شىء ، بل سأصدع رأسك !

سولفيج : بل تتعبين أنت من الكلام قبل أن أتعب أنا من الانصات بوقت طويل .

الفصل الثاني : المشهد الثالث

المنظر : تلال صغيرة عارية ، تحت الهضبة الجبلية — على البعــــد ترى قمم الجبال مغطـاة بالثلوج . أوشك المساء أن يهبط ، وظل الأشياء يزداد طولا . يدخل بيرجينت وهو يجرى ويقف على المنحدر .

بـــير : القرية كلها تجد فى أثرى . سلحوا أنفســهم بالبنادق والعصى . وعجوز هيجستاد على رأسهم . اسمعه الآن يعوى ! انتشر الخبر يقول أن بير يطارده الناس . ليس الأمر هينـــا كعراكى مع الحداد ! هى الحياة ! أنا قوى كذب .

(يقذف ذراعيه حواليه ، ويقفز فى الهواء) .

سأسبح فى التيار السريع ، سأنزع أشجار الصنوبر من منابتها ! سأحطم ! سأقلب الدنيا كلها رأسا على عقب ! هذه هى الحياة ! انها ترفع روحك عاليا بالنشوة ، وتسلحها بالحديد ، وتقسيها ! لتذهب الى الجحيم كل الأكاذيب الصغيرة !

(تظهر ثلاث من راعيات الأبقار ، يجرين عبر التل ، وهن يغنين فى انتشاء .) .

راعيات الأبقار : يا تروند ڤالڤيلد ! يا بارد وكار . ناموا معنا يا جان ، واسمعوا حكايتنا !

پير : على من تزعقن ؟

الراعيات : على الجان — كلهم أجمعين !

الراعية الأولى : تروند ، كن قويا !

الراعية الثانية : بارد ، كن رقيقا مخلصا .

الراعية الثالثة : على التبن فى كوخنا مكان فسيح .

الراعية الأولى : القوة رقة !

الراعية الثانية : والرقة قوية !

الراعية الثالثة : ننام مع الجان الليل بطوله !

پير : وأين رجالكن اذن ؟

راعيات الأبقار : (يضحكن فى ابتذال) ذهبوا جميعا .

الراعية الأولى : رجلى كان ينادينى يا حبوبة : يا معشوقة الفؤاد. ثم مضى فتزوج شرسة فى أواسط العمر !

الراعية الثانية : ورجلى عثر بغجرية تنام فى الأعشاب . والآن هما أفاقان يجوبان معا الطرقات .

الراعية الثالثة : ورجلى قتل ابننا غير الشرعى ، وهو الآن يضحك جالسا على خازوق ، مكفرا عن جريمته السخيفة.

الراعيات : تروند ڤالڤيلد ! بارد وكار ! ناموا معنا ، يا جان، واسمعوا قصتنا !

پــير : (يقفز بينهن) أنا جان ذو ثلاثة رؤوس ، وأنا رجلكن اليوم .

الراعيات : لى هذا الحد أنت قوى ؟

پــير : ستعلمن نبأى بعد حين !

الراعية الأولى : الى الكوخ ! لنذهب من فورنا !

الراعية الثانية : لدينا عسل مخمر !

پــير : فليسل فى أجوافنا !

الراعية الثالثة : فى كوخنا ، الليلة ، سيتغضن التبن .

الراعية الثانية : (تقبله) انه يبرق ويلتمع كالمعدن — تحسسا !

الراعية الثالثة : (تقبله) عينا طفل ، وأطراف كالفولاذ !

پــير : (يرقص معهن) نذر كئيبة ، وأفكار سود تستيقظ ، عينان تضحكان وقلب يتحطم !

(الراعيات يضعن أصابعهن ، على أنوفهن استهزاء بالجبال ، ويغنين فى وحشية) .

الراعيات : تروند فالفيلد ، بارد وكار ! قد نمتم معنا يا جان ، وعرفتم حكايتنا .

(يرقصن على التلال ، مبتعدات ، بينهن بير جينت) .

الفصل الثانى : المشهد الرابع

المنظر : بين جبـــال الروند الوقت : المغرب . القمم كأنها تلتمع ، مغطاه بالثلوج ، ومحيطة بالمكان .

بــير : (يدخل وحشى المنظر ، مضطرب التفكير) .
القصر فوق القصر يرتفع ! انظـر الى البوابة
اللامعة ! قفى ! هلا وقفت ! انها تبتعد ، أكثر
وأكثر ! الديك على مؤشر الريح يرفع جناحيه
كأنه على أهبة العــراك . هو يذوب فى ضباب
أزرق ، والجبل يغلق وتقوم أمامه الأســوار
ما هذه الأشجار ونباتات الجبــل التى تنمو فى
شقوق الصخور ؟ انهــا أقزام باقــدام مالك
الحزين ، وهى الأخرى تبهت وتختفى . الهواء
مخطط كأنه قوس قزح ، يتعب عينى وعقــلى
على البعد أسمع أجراسا تدق ، وعيناى مثقلتان
بالرصاص . اللعنة ! شرايين رأسى تنبض كأنما
قد أحيط بها بشريط من نار أوثق ربطه . ولكنى

بحق الشيطان ، لا أدرى من وضع ذاك الشريط هنـــاك .

(ينهار على الأرض) .

ركبت مرتفع جيندن ، وراء الأوهام الجميـــلة وصغار الأكاذيب ! تسلقت أحد الصخور مع العروس ، وسكرت يوما بطــوله ، مطــاردا الصقور والحدأة ، تتهددنى العفاريت والجان وفظائع من نسوة مجنونات ، أحلام وأكاذيب سخيفة ! .

(يحدق طويلا الى أعلى) .

نسران ذهبيان يحلقان ! الأوز البرى يطير جنوبا وأنا أنقل الخطو الثقيل وأتعثر فى الطين والدنس حتى الركبتين .

(يقفز واقفا) .

سأطير وراءها ! سأغسل ذنوبى فى حمــام من أحد ما يهب من ريح ! سأحلق مرتفعا ، علويا ثم أقذف بنفسى عميقا فى ماء هذا النبع المتألق الطهور ، لأخرج ، وقد خلصت من كل الذنوب سأطير فوق المروج ، سأطير حتى تطهر روحى

فوق المحيط الأجاج ، ممعنا فى الارتفاع فوق أمير انجلترا . أجـل ، انظرن يا بنات ، ولكن لا تظنن اننى قادم اليكن . لا تكلفن أنفسكن مشقة الانتظار ! أو ، لعلى أنقض هابطا عليكن آه ، ياللعنة ! هـذان النسران الذهبيان ؟ قد سرقهما الشيطان ! انظر ! هذه نهاية جدار مثلث وثمة بيت يرتفع حجرا فوق حجر ، من بين هذه الأنقاض العفنة ! والآن ، ها هو ذا الباب مفتوح على مصراعيه ! اذن فهـذه هى المسألة ! انى أعرفها ! هذه مزرعة جدى العجوز ! قد ذهبت الخرق التى تسـد كسور النوافذ ، وأخشاب السور جديدة لامعة ، وفى كل حجرة نار تتأجج للدفء ، وفى القاعة مأدبة تقام . اسـمع القس ينقر بسكينه على كأسه . والقبطان يلقى بزجاجته فيهشم المرآة تهشيما . خلهم يسرفون ويبذرون أهذا يهم ؟ أمى ، اهدئى ! ان جون جينت الثرى الأمثل ، قد أقام وليمة . مرحى لبيت جينت ! ما هذا الهرج والمرج كله ؟ لم كل هذه الضوضاء؟ القبطان يدعونى ، والقس يشرب فى صحتى .

ادخل اذن يا بير جينت لتشارك فى الانخاب ، ان أصـــداء الهتاف والغنـــاء تتردد عاليا « أنت يا بير جينت قد ولدت فى رحاب العظمة ، وعظيما ستكون قبل طويل وقت » .

(يندفع الى الأمام ولكنه يصدم أنفه فى صخرة ويقع مغشيا عليه) .

الفصل الثانى — المشهد الخامس

المنظر : منحدر جبلى عليه أشجار ضخمة . تصفر فيها الريح النجوم تتألق خــلال فرجات أوراق الشجر ، والطيور تغنى على الأغصــان . ترى امرأة فى ثياب خضر ، سائرة على جانب التل . خلفها بيرجينت ، وهو يعبر بالحركة عن كل آيات التودد الغرامى .. تقف المرأة وتستدير اليه .

المــرأة : صحيح ؟

پــير : (يشير بأصبعه عبر حنجرته) صحيح كما أننى أنا نفسى بير جينت . صحيح مثلما أنت عطوف وجميلة . أتقبليننى ؟ ستجديننى رقيقا كل الرقة . لن تضطرى الى غزل أو نسيج ، أو رتق فتوق . طعامك سيكون وافرا ومصروفك كثيراً ، وأبدا ، أبدا ، لن أشدك من الشعور .

المــرأة : ولن تضربنى ؟

پــير : لا ، هذا يكون أمرا غير مألوف ! نحن أبنــاء الملوك لا نضرب نساءنا .

المــرأة : أنت ابن ملك ؟

پــير : نعــم .

المـرأة : وأنا أيضا ابنة ملك دوفر .

پـير : لا يا شيخة ! ، يا لها من مصادفة غريبة !

المـرأة : وقصر والدى فى أعماق الروند .

پـير : أنا واثق ان قصر والدتى أفخم من قصركم .

المـرأة : هل تعرف أبى ؟ اسمه الملك بروس .

پـير : هل تعرفين أمى ؟ اسمها الملكة آس .

المـرأة : حينما يغضب أبى ، تصحو الرياح الأربع .

پـير : وحين تعنف أمى ، تزلزل الأرض زلزالها .

المـرأة : أبى يرفس برجله فيرفع الشىء الى عِلـِّيين .

پـير : أمى اذا شاءت طحنت الصخر فأحالته دقيقا .

المـرأة : أليس لديك ما ترتديه سوى هذه الأسمال ؟

پـير : انما يهم الرجل داخل الثوب .

المـرأة : كل يوم أرتدى الحرير وقميصا من الذهب .

پـير : انما يبدو لى ما ترتدينه غزلا وصدأ نحاس .

المـرأة : آه ، اسمع ! عليك أن تذكر شيئا بذاته ، فى الروند ، نرى الأمور فى غير هذا الضوء ، فيبدو لكل شىء وجهان . حينما تدخل قاعة عرش أبى ، فقد تظنها كومة حقيرة من الأنقاض .

پـير : غريب ! فعندنا نفس الحال ! فقد تنظرين الى

الذهب فتجدينه معدنا خسيسا لا نفع فيه ، وقد يبدو لك زجاج النافذة اللامع حزمة من الجوارب والقاذورات وحشيش الصخور .

المـرأة : الشر يبدو خيرا ، والأسود يصبح أبيضا .

پــير : والكبير يرتد ضئيلا ، والسخيف لامع الذكاء .

المـرأة : (تهوى على عنقه) أرى أننا خلقنا لبعضنا يا بير!

پــير : كالسراويل للأرجل أو المشط للشعر !

المـرأة : (تهتف عبر التلال) يا جواد زواجى ! هلمَّ الى! فسنقفز على صهوتك !

(يدخل خنزير هائل وهو يدب . لجامه من الخيط ، وسرجه من الخيش العتيق . يقفز بيرجينت فيمتطيه ، ويضع المرأة أمامه) .

پــير : هى — هو ! عبر أبواب « الروند » نمضى ! شى حا ! يا خنزيرى الأمين !

المـرأة : (فى وله) وأنا الذى كنت حزينة منذ قليل ! هذا يريك أن عمدتنا هو القدر !

پــير : (يضرب الخنزير ليستحثه فينطلق) انما تظهر عظمة العظماء من طريقة ركوبهم .

الفصل الثانى : المشهد السادس

المنظر : القاعة الملكية فى قصر ملك جبال دوفر . جمع كبير من رجال بلاط الجان من كل عمر وحجم ووصف . الملك جالس على عرشه تاجه فوق رأسه ، وصولجانه فى يده . بالقرب منه أولاده وبخاصة أقاربه متحلقين . فى مواجهته يقف بيرجينت . بالقاعة ثورة كبيرة .) .

رجال البلاط : اقتلوه ! مسيحى تجاسر فخدع أجمل بنات ملك دوفر !

جنى شاب : دعونى أقطع أصابعه شرائح !

جنى شاب آخر : خلونى أمزق شعر رأسه .

جنية شابة : اسمحوا لى بأن أقطع قطعة كبرى من لحم اليته !

ساحرة : (ممسكة بمغرفة) هل نأكله ثريدا أم نضعه فى اناء الحساء ؟

ساحرة اخرى : (ممسكة شاطورا) نلتهمه مشويا ، أم محمرا على نار وسيخ ؟

الملك : اهدأوا ! (يشير الى المستشارين) آن الأوان لكى نكف عن تملق أنفسنا . قد انحدرت فى الآونة الأخيرة أمورنا . ولا أحد يعلم هل تعود

الى صعود ، أم تمضى فتصبح هشيما . لهـذا لا نملك أن نرفض العون ، مهما كان مصدره . ثم ان الشاب لا عيب يذكر فيه . وهو — ان لم أكن مخطئا — بادى الفحولة . صحيح أن له رأسا واحدا فقط ، ولكن ابنتى نفسها بها هذا العيب . الجان ذوو الثلاثة الرؤوس أصبحوا مودة قديمة ! بل ان ذوى الرأسين قد أضحوا نادرين . ومن واجبى أن أقول انهم ليسوا أصحاب منظر جميل .

(مخاطبا بيير جينت) .

اذن فأنت تجرى وراء ابنتى ؟

بيـر : ابنتك ومملكتك معا ، كجزء من دوطتها .

الملـك : سأعطيك نصف المملكة وأنا حى ، فاذا ما انقطع نفسى فخذ الباقى .

بيـر : اتفاق عدل .

الملـك : اصبر قليلا ، يا بنى . علىَّ أن آخذ منك بعض المواثيق . فاذا ما خرجت على أحدها صار اتفاقنا لاغيا ، واذ ذاك لن تخرج من هنا حيا . عليك أولا أن تمحو من ذاكرتك العالم خارج الروند .

تجنب النهار وأموره ، ولا تمشى قط فى الشمس .

پـير : ما دمت سأصبح ملكا ، فلن يكون هذا عسيرا .

الملك : ثانيا : الآن نريد أن تتبين ما لا تعرفه من أمور .

(يقف)

اكبر رجال البلاط من الجن : الآن نرى ما اذا كان ضرس العقل عندك يستطيع أن يكسر بندق الألغاز ويستخرج منها ثمار الحكمة لدى رجل عجوز .

الملك : ما الفرق بين الجنى والانسان ؟

پـير : لا فرق مطلقا فيما أرى . كبير السن بين الجن يريد أن يشوينى ، وصغير السن يود لو يسلخنى . ونحن البشر تفعل المثل لو جرؤنا .

الملك : هذا حق ! هناك نقط تشابه كثيرة . غير أن الصباح هو الصباح والليل هو الليل ، والفرق واضح اذا كان بصرك حديدا . الآن أقول لك ما الفرق . هناك حيث البشر يعيشون تحت القبة الزرقاء ، يمضى القول : « أيها الانسان ، لنفسك كن مخلصا ! » أما فى التلال فلسنا نأبه بمثل هذه الأقوال المعظمة للذات . انما نحن نقول : « أيها الجنى ، كفى بنفسك معينا » .

رجال البلاط : (مخاطبا بير) : أتفهم ؟

پـير : تبدو لى المسألة غير واضحة .

الملك : « كفى بنفسك » عبارة شاملة يا بنى ، وعليك أن تحفرها على شارتك .

پـير : (يهرش وراء أذنه) ولكن —

الملك : هذا واجبك ، ما دمت ستصبح ملكا هنا !

پـير : ما دام هذا واجبا فهو واجب . انه ليس أسوأ —

الملك : وبعد هذا ، عليك أن توائم ما بينك وبين أسلوبنا البيتى الصريح البسيط فى الحياة .

(يشير ، فيدخل جنيان لهما رأسا خنزير ، يلبسان قلنسوتين بيضاوين ويحملان طعاما وشرابا) .

أبقارنا تلد فطائر وثيراننا تحلب العسل المخمر .
لا تسأل ان كانت الفطائر والعسل حلوة أم مرة،
فالمهم أن الفطائر بيتية والعسل مخمر فى المنازل.

پـير : (يدفع بها بعيدا عنه) اذهبوا للشيطان بشرابكم الغريب ! لن أعتاد قط أحوال بلدكم .

الملك : ان القصعة جزء من الشراب ، وهى من الذهب. فمن يأخذ القصعة يأخذ ابنتى أيضا .

بيير : (متفكرا) هيه — يقولون ان علينا أن نبلع ما نكره ، ولا شك عندى فى اننى سأعتاد هذا الطعم بمرور الوقت . الآن أشرب (يشرب) .

الملك : هذا قول حكيم ! أتبصق ؟

بيير : كان هذا مجرد حكم العادة .

الملك : بعد هذا ، عليك أن تخلع ملابسك المسيحية . فى هذا البلد ، يشرفنى أن أقول ان كل شىء هو من صنع الجبال . لا شىء يأتينا من الوادى الا الذيول .

بيير : (فى غضب) أنا لا ذيل لى .

الملك : اذن أعطيك ذيلا . أيها الحاجب ، ألصق به أفخر ذيولى .

بيير : اياك أن تجسر ! أنتم تسخرون منى !

الملك : لن تستجيب لك ابنتى وعجزك عاطل من الذيل!

بيير : أتريدون أن تحيلوا البشر وحوشا !

الملك : يا ولدى ، أنت مخطىء ! انما أنا أحيلك فارسا غندورا . سنعطيك ذيلا أصفر فى لون اللهب وهذا تشريف ما بعده تشريف .

بيير : (متفكرا) هيه — يقولون اننا ريش فى مهب

الريح ، وان العادة والطريقة تحملاننا حملا .
ليكن اذن ، امضوا قدما !

الملك : أنت شاب حكيم .

رجل البلاط : انظر كيف تحرك ذيلك فى خيلاء .

پير : (مغيظا) أهناك شىء آخر يجب أن آتيه ؟ هل أنزل عن عقيدتى المسيحية أيضا ؟

الملك : بل تمسك بها اذا كان هذا يسرك . حرية المعتقد هنا مكفولة . لا ضرائب عليها . انما يميز الجنى طريقة تفصيل ثيابه . اذا ما اتفقنا على العادات والملابس ، فأنت حر فى أن تؤمن بما تشاء ، ولو كان جديرا أن ينزل فى قلوبنا الفزع .

پير : بالرغم من الشروط التى تفرضونها ، فأنتم أكثر اعتدالا مما قدرت .

الملك : من أسف يا بنى ، اننا نحن الجن لا تطابق حقيقتنا سمعتنا . وهذا فارق آخر بيننا وبينكم . على كل حال ، قد انتهى القسم الجاد من المسألة ، والآن نمتع العين ، ونشنف الأذن . يا صاحب القيثارة ، المس برفق أوتار قيثارتك ! أيها الراقص ، ارقص بخفة على أرض قاعة دوفر .

(موسيقى ورقص)

رجل البلاط : أيعجبك هذا ؟

بيير : يعجبنى !

الملك : قل رأيك بصراحة . ماذا ترى ؟

بيير : شيئا لا يعقل ! بقرة تجذب وترا بحافرها ، وخنزير فى جوارب قصيرة ، يرقص مضطربا ، على هذا النشاز .

رجال البلاط : كلوه !

الملك : اذكروا أن مقاييسه انسانية .

فتيات الجن : دعونا نقطع أذنيه ، ونخزق عينيه !

امراة فى ثياب خضر : (تبكى) بو — هو ! حرام أن تتحمل هذا كله ، وأنا وأختى نرقص ونعزف بكل مهارة !

بيير : يا لسوء الحظ ! أهو أنت ؟ انما كنت أغيظك فقط . فى الحفلات كل ما يقال هذر .

المرأة فى الثياب الخضر : أتقسم انك كنت تغيظنى ؟

بيير : كانت الموسيقى والرقص تخلب اللب . أقسم على هذا .

الملك : شىء غريب ، هذه الطبيعة البشرية . تلتصق بالانسان كأنها بشرته . فاذا ما أصيب فى شجار ، تركت فيها الاصابة أثرا . غير أن الجراح سرعان

ما تلتئم . هذا زوج ابنتى أصبح مطواعا . خلع عنه سراويله المسيحية ، وشرب ، مختارا ، عسلنا المخمر ، ورضى أن نلصق بمؤخرته ذيلا . فعل كل هــذا بمحض رغبتـــه حتى لقد ظننت أن الانسان المدرك فيه قد خرج الى الأبد ولكن كنت واهما ! فما آسرع ما عاد اليه هذا « الانسان » ! لهذا ، ترانى مضطراً ، يا بنى ، الى أن أشفيك من انسانيتك هذه .

پـــير : وكيف تفعل ؟

الملـك : سأسمل عينك اليسرى حتى ترى كما نرى ، ويصبح كل ما يقع عليه بصرك مدموغا بطــابع الامتياز . وبعدها سأكسر اللوح الزجـاجى الأيمن فى نافذتك —

پـــير : أنت سكران ؟

الملـك : (يضع على المائدة بعض الآلات الحادة) هذه أدوات الزجّاج . سنروضك كما يروض الثور الهائج ، واذ ذاك ستجد عروســك فاتنة . لن تخدعك من بعد عيناك فتخيــل لك خنــازير مضطربة الخطى وأبقارا تعزف بحوافرها .

بـــير : هذا جنون .

اكبر رجال البلاط: هذا قرار ملك الجان . انه هو الحكيم وأنت المجنون !

الملـك : اذكر المتاعب التى ستنجو منها عبر السنين، ولا تنس أيضا أن العيون هى مصدر الدموع المرة الغاضبة .

بـــير : هذا حق ، والانجيل يقــول : اذا ما أغضبتك عينك اليمنى ، فاسملها . الآن قل لى ، متى يعود بصرى الى سابق عهده ؟

الملـك : لا يعود قط ، يا صديقى !

بـــير : ما دام الأمر كذلك فانى أقول : «لا ، أشكركم».

الملـك : وماذا تفعل اذن ؟

بـــير : أرحل على الفور !

الملـك : صحيح ؟ من السهل الدخول الى مملكتى ، ولكن أبواب قصرى لا تفتح الى الخارج .

بـــير : هل تبقوننى هنا قسرا ؟

الملـك : اصغ الى ، أيها الأمير بير ، وحاول أن تكون حكيما ! ان مواهبك تؤهلك لأن تكون جنيا

ممتازا — أليس له طابع الجنى وهيأته ؟ وأنت تحب أن تكون جنيا ، أليس كذلك ؟

بير : يعلم الله انى أريد ! ان كسب عروس جميلة ، ومملكة نموذجية الى جوارها ، مسألة تستأهل بعض التنازل . ولكن لكل شيء حدود . قد قبلت الذيل ، هذا صحيح ، ولكن ما الذى يمنعنى أن أخلعه ؟ وقد خلعت سراويلى ، وكانت قديمة ممزقة . ولكن ماذا يردنى عن ارتدائها من جديد؟ أما حياة الجن هذه ، حياتكم ، فلتخطفنى الشياطين ان لم أستطع أن أنضوها عن نفسى . اذا شئتم أقسمت أن البقرة فتاة بكر ، فانى أستطيع دائما أن أتحلل من القسم . ولكن أن أفقد حريتى ، وأعلم انى لن أستردها من جديد ، وانى حين أموت لن أدفن كما يدفن خيار الناس، وانى سأقضى بقية أيامى مع الجن فى الجبال ، وكما تقول الأقاصيص لا أعود الى بيتى قط — وهذه مسألة تلحون عليها كل الالحاح — فأمور كلها غير مقبولة لدى .

الملك : الآن ، بعزتى وجلالى ، أشعر أن صبرى ينفد ،

ولست أنا الذى يستهان به . أيها الحمار الطويل الأرجل ! أتعلم من أنا ؟ أنت أولا قد تماديت مع ابنتى —

پـير : هذا كذب !

الملك : وعليك أن تتزوجها !

پـير : أتجرؤ أن تدعى — ؟

الملك : أتنكر أنك قد أحسست بالرغبة فيها ؟

پـير : (يصفر) هذا ليس جرما كبيرا ، على كل حال .

الملك : البشر كلهم سواء . أتتم تتحدثون وتتحدثون وتتحدثون عن أرواحكم ، غير انكم انما تعنون حقا بالجسد . واذن فأنت ترى أن الرغبة أمر غير ذى بال . ليكن اذن ، فسرعان ما تتبين انك واهم .

پـير : لن تصيدنى بهذا الطعم من الأكاذيب .

المرأة فى الثياب الخضر : لا ينتهى العام حتى تصير والدا فخورا .

پـير : اتركونى أخرج من هنا .

الملك : سنرسل لك وليدك ملفوفا فى جلد عنزة .

پـير : (يمسح العرق من جبهته) لو اننى فقط أستيقظ !

الملك : أنرسل الوليد الى قصرك ؟

پـير : الى القرية .

الملك : ليكن اذن ، أيها الأمير بير ، هذه مسألة تخصك. ولكن شيئا واحدا مؤكد ، وهو أن ما كان قد كان . وسيأخذك العجب حين ترى ابنك ، فان الأولاد المخلطين يكبرون بسرعة هائلة .

پير : أيها العجوز ، أنت كالبغل فى عنادك . سيدتى العزيزة ، هدئى نفسك ! فقد نستطيع الوصول الى اتفاق . على أولا أن أوضح اننى لا أنا أمير ولا ثرى . ومهما تصورتمونى فلن أكون مصدر فخر لكم .

الملك : (ينظر اليه باحتقار ثم يقول) مزقوه اربا على الصخور ، يا أولادى .

شباب الجن : ألا نلعب به أولا لعبة النسور والبوم ؟ أو لعبة الذئب ؟ أو لعبة الفأر الأشهب والقطة ذات العين الجهنمية ؟

الملك : أيها تشاءون ، ولكن اسرعوا ! فانى مغضب ، نعسان . طاب مساؤكم !

(يخـــرج)

پير : (يطارده شباب الجن) اغربوا عنى ، أيها الشياطين !

(يحاول الخروج من المدخنة) .

شباب الجن : أيها العفاريت ، يا صغار الشياطين ، عضوا جسمه جميعا .

پـــير : آی !

(يحاول الخروج من الباب السحرى الى غرفة الكرار) .

شباب الجن : سدوا كل المنافذ .

رجل البلاط : كم ينعمون بهذه الدعابة ، هؤلاء الأعزاء الصغار !

پـــير : (مناضلا مع جنى صغير ملتصق بأذنه) اتركنى ، أيها الدودة !

رجل البلاط : (يضربه خفيفا على ركبتيه) اذكر انك تتحدث مع أبناء الملك .

پـــير : جحر فأر ! (يندفع صوبه) .

شباب الجن : أيها العفاريت ، سدوا هذا الجحر !

پـــير : الملك العجوز كان جهنميا ، وهؤلاء الصـــغار أسوأ منه .

شباب الجن : اسلخوا جلده !

پـــير : (يدور ويدور فى سرعة) لو اننى كنت فى حجم الفأر —

شباب الجن : (يتجمهرون حوله) أحيطوا به ! قد وقع فى أيدينا !

پـــير : لو اننى كنت قملة ! (يسقط) .

شباب الجن : اسملوا عينيه !

پـــير : (يختفى عن الأنظار وراء كتل الجن) النجدة ، يا أمى ، انهم يقتلوننى !

(تسمع أصوات أجراس الكنيسة عن بعد) .

صبيان الجن : أجراس فى الجبال ! أبقار ذوى الملابس السود !

(يهرب الجان . ضوضاء وصيحات متوحشة . تتداعى قاعة الملك يختفى كل شيء) .

الفصل الثانى — المشهد السابع

المنظر : ظلام دامس . يسمع بيرجينت وهو يلهب شيئا بسوط من غصن الشجر .

پير : قل لى ! من أنت ؟

صوت فى الظلام : أنا نفسى .

پير : تخل عن الطريق .

الصوت : بل در أنت . فى الجبال متسع .

(بير يحاول أن يسير فى اتجاه آخر ، ولكنه يصطدم « بالشىء ») .

پير : من أنت ؟

الصوت : أنا نفسى . أتستطيع أن تدعى انك نفسك ؟

پير : أقول ما أريد ، وسيفى هذا يضرب بشدة ! خذ حذرك ، والا أوقعته على رأسك ! كان الملك « سول » يذبح بالمئات ، أما بيرجينت فيقتل الوفا . (يلهب بالسوط) من أنت ؟

الصوت : أنا نفسى !

پـــير : رد يدل على غباء خـــله لنفســـك . وكن أكثر وضوحا . من أنت ؟

الصــوت : أنا الجنى بويج العظيم .

پـــير : هذا رد أفضل قليلا . لغزك قد أخذ يتكشف . الاسود فيه أصبح رماديا . خـــل عن الطريق ، يا بويج .

الصــوت : بل در أنت ، يا پير .

پـــير : سأخترقك . (يقطع الهواء بضربة من الغصن) . ها قد سقط !

(يحاول التقدم ولـكنه يصطدم بالشيء من جديد) .

آه ! هذه « أشياء » أخرى !

الصــوت : بل البويج ، يا پير جينت ! هناك واحد فقط . البويج الذى لم ينله الأذى ، البـــويج الذى جرح . البويج الذى مات، البويج الذىهو حى.

(يلقى بير جينت الغصن جانبا) .

پـــير : لا جدوى من سيفى ؛ فلأعتمد على قبضتى .

(يلكم الهواء) .

الصــوت : أعتمد على قبضتك ؛ اجعـــل أملك فى قوتك . ها ها ! انك جدير ، يا پير جينت أن تبلغ الذرى.

پيـــر : (يعود) الى الوراء أو الى الأمام ، نفس المسافة. بالداخل ، أو الخارج ، الممر ضيق . انه هنا ! وهو هناك ! وهو فى كل مكان يبـدو أننى نجوت ! لا ! الدائرة السحرية اطبقت على . من أنت ؟ اظهر ! قل ماذا تكون !

الصـوت : آنا البويج .

پيـــر : (يتحسس على غير هدى) لا أنت ميت ولا حى. لا شكل لك . غروى وضبابى . دبة تهمهم فى غضب ، وهى نصف نائمة ، تتجـه حـولى وتدوسنى . (يصرخ) اضرب ، ألا تستطيع ؟

الصـوت : بويج ليس مجنونا .

پيـــر : اضرب !

الصـوت : لا حاجة هناك .

پيـــر : قاتل . يجب أن تقاتل !

الصـوت : بويج العظيم سينتصر ، ولكنه لا يقاتل .

پيـــر : هل من جنى صغير يقرصنى أو يغزنى ! ولو جنى فى عامه الأول ! شىء اقتتل واياه ! وليس فراغا ! آه ، انه يشخر ! بويج ؟

الصـوت : نعـم ؟

پـــير : لماذا لا تقاتل ؟

الصـــوت : بويج العظيم يحصـــل على ما يريد بالتمســـك بأسباب الأمن .

(پير يعض ذراعيه ويديه) .

پـــير : اعطونى مخالب وأسنانا لأقطع لحمى ! دعونى أذوق طعم دمى ، وأحس ملمسه !

(يسمع صوتا كأنما هـــو لجناحى طائر ضخم) .

الطيور : أهو قادم ، يا بويج ؟

الصـــوت : نعم . قدما قدما !

الطيور : اخواتنا قادمات من مكان بعيد !

پـــير : اذا كنت تريدين انقاذى ، يا فتاة ، فافعلى الآن . لا تقفى هناك هكذا ، مغضية الطرف فى خفر . كتاب صلاتك ! أقذفيه فى وجهه تماما !

الطيور : انه يضعف !

الصـــوت : قد وقع فى أيدينا .

الطيور : يا شقيقاتى ، اسرعن !

پـــير : ساعة كهذه من نضال كالعذاب ، ثمن أفدح من أن تستأهله الحياة .

(يتهـــاوى) .

الطيور : يا بويج ، ها قد سقط ! امسكه ! ، امسكه الآن.

(تسمع اجراس كنائس ، وغناء كنسي عن بعد) .

بويج : (يشهق ويتلاشى صوته تدريجيا) كان أقوى منا. قد حمته النساء

الفصل الثانى — المشهد الثامن

المنظر : الفجر : جانب الجبل خارج كوخ آس . الباب مغلق . المكان صامت مهجور . بير جينت نائم ، الى جوار الحائط . يصحو ، وينظر حواليه بعينين بليدتين ذهب منهما البريق ، ثم يبصق .

بير : ما أشد ما تهفو نفسى الى الرنجة المخللة !

(يبصق ثانية . فى نفس الوقت يرى هيلجا تقترب منه وفى يدها سلة بها طعام) .

هوه ، يا صغيرة ، ماذا تفعلين هناك ؟

هيلجا : سولفيج —

بير : (ينتفض واقفا) أين هى ؟

هيلجا : وراء الكوخ .

سولفيج : (وهى مختبئة) اذا جئت الى ، فسأفر هاربة !

بير : (متوقفا) أما زلت تخشين أن أضمك الى صدرى ؟

سولفيج : أنت لا حياء لك !

پـــير : أتدرين أيا كنت الليلة الماضية ؟ ابنة ملك دوفر كانت تطاردنى !

سولفيج : اذن فخيرا فعلنا اذ قرعنا الأجراس .

پـــير : ليس بيرجينت بالذى يؤخذ دون مجهود . هيه— قولى شيئا !

هيلجا : (باكية) آه ، انها تولى هاربة !

(تجرى وراءها) .

انتظرى !

پـــير : (يمسكها من ذراعها) انظرى ماذا أحمله فى جيبى ! زرار من الفضة ! سأهبك اياه لو قلت كلمة طيبة فى حقى !

هيلجا : دعنى أذهب ، أرجوك !

پـــير : هذا هو .

هيلجا : دعنى أذهب . هذه هى السلة !

پـــير : اذا لم تفعلى ، فالله يرحمنى —

هيلجا : أنت تؤلمنى ! اتركنى من فضلك .

پـــير : (فى هدوء ، يدعها) لم أقصد شرا ، أرجها أن لا تنسانى .

(تفر هيلجا هاربة) .

الفصل الثالث

المشهد الاول

المنظر : فى أعماق غابة صنوبر ، يوم داكن من أيام الخريف الثلج يتساقط . يرى بيرجينت وقد خلع سترته ، يقطع أشجارا . ويسدد ضرباته الى شجرة شربين طويلة ، لها أغصان ملتوية .

بير : آه ، أنت قوى يا صديقى العزيز ، ولكن قوتك لن تجدى . ان أيامك معدودة (يقطع من جديد) أعلم انك ترتدى درعا ولكن سأخرقه ، رغم قوته . أجل ، حرك أذرعك الملتوية ، فأنت غاضب مغيظ أنا فاهم . ولكنى سأجعلك تجثو على ركبتيك — !

(يتوقف فجاة)

مزيد من الأكاذيب ! لا بطل هناك وراء الدرع ، مزيد من الأكاذيب ! ليس البطل الا شجرة عتيقة ، شجرة شربين لحاؤها مشقق . عمل شاق ،

قطع الأخشاب ، ولكنه أكثر مشقة حين يخلطه المرء بأحـلام اليقظة . يجب أن تنتهى هـذه الشطحات العجيبة الى ما فوق السحاب ، الى عالم اثيرى لم يوجد قط . أنت طريد ، خارج على القانون ، يا فتاى ، طريد فى غاب .

(يقطع فى سرعة كبيرة)

أجل ، هارب ! لا أم لك الآن تبسـط المائدة وتحضر لك الطعام . اذا أردت أن تأكل ، فاعمل فى سبيل القوت ، اصطد الوحوش فى الغـاب أو السمك فى جداول الماء ، اقطع الخشب الذى تحتاج وأشعل النار للدفء ، ابن بيتك بيديك ورتبه بنفسك . تريد الملابس دثارا ؟ اقتل غزال الزنة . تريد أن تبتنى بيتا ؟ اقطع بيديك الأحجار . تحتاج عروقا من البلوط ؟ عليك أن تنشر الخشب وتحمله الى البيت على كاهلك القوى العريض .

(ينزل بلطته ويحدق فيما أمامه) .

سأبنى لنفسى بيتا ذا جمال ، له برج ، ومؤشر للريح ، وعند نهاية الحائط سأحفر صورة لحورية بذيل طويل تضرب به الماء . سأكسو مؤشر الريح

والاقفال كساء من النحاس . وقد أحصل على زجاج للنوافذ وسيرى الأغراب البيت عن بعد فيفغرون الأفواه ويعجبون بمجده وجلاله .

(يضحك فى عدم ارتياح) .

أحلام وأكاذيب ! فعلتها ثانية . أنت طريد منبوذ.

(يستأنف العمل فى لذة جديدة)

كوخ له سقف مناسب ، يمنع المطر والصقيع .

(ينظر الى الشجرة)

انه يتداعى . ضربة أخرى ! ها قد سقط ! ها قد انطرح على الأرض عند قدمى . الأشجار الشابة ترتعد كلها حولى .

(يأخذ فى تكسير الأغصان : وفجأة يتوقف ويتسمع ، وفأسه مرفوعة) .

هذا شخص يطاردنى . أيكون ذلك العجوز من هيجستاد جاء يجرب فىّ ألاعيبه ؟

(يختبىء وراء شـجرة وينظر امامه باحتراس) .

صبى ! مجرد ولد ! يبدو خائفا . متسللا أيضا . ما هذا الذى يخفيه تحت سترته ؟ منجلة ؟ انه

يحدق فيما حوله . يضع يديه على غصن. ما الذى يفعله الآن ؟ انه ساكت السكوت كله ، متوتر تماما .. آه ، يا للفظاعة ! لقد بتر اصبعه ! بتره تماما ! وهو ينزف الدم كالثور الذبيح . انه يجرى هاربا وقد لف خرقة حول يده .

(يقترب من مكان الحادث) .

يا للشيطان ! اصبع ! بتره ! فعل هذا عن عمد . آه ! الآن فهمت ! طريقة ناجعة للهرب من الخدمة العسكرية . لابد أن الأمر كذلك . أرادوا له أن يحارب ، وهو يكره الحرب . ولكن ، يبتر اصبعه — ! يشوه نفسه — ! فكر فى هذا ، نعم ، لديك الرغبة ، والنية . افعلها اذن ! لا ! هذا يفوق قدرتى .

(يهز رأسه ويستأنف العمل)

الفصل الثالث : المشهد الثانى

المنظر : غرفة فى بيت آس . الفوضى ضاربة اطنابها . الصندوق فارغ . الملابس متناثرة فى أرجاء الغرفة . على الفراش ترقد قطة آس ، وزوجة أحد الفلاحين ، واسمها كارى ، تحاولان جاهدتين ترتيب الغرفة .

آس : (تهرع الى أحد أركان الغرفة) . كارى ، اسمعى !

كارى : ماذا هناك ؟

آس : (من أبعد أطراف الغرفة) أين هو ؟ انى لأعجب أين — قولى لى . قولى لى أين — عم أبحث . سأجن ! أين مفتاح الصندوق ؟

كارى : فى الثقب .

آس : ما هذه الضوضاء ؟

كارى : هذا آخر حمل ينقل الى هيجستاد .

آس : (تبكى) يا ليتهم ينقلوننى فى نعشى الى القبر ! شد ما تتحمل نحن البشر المساكين من عناء ! ارحمنا يا رب ! قد أخذوا معهم متاع البيت كله ،

وتركوه خواء . ما نسيه هيجستاد ، أخذه المحضرون . ولم يتركوا لي خرقة أستر بها ظهري. من المخجل أن يبلغ الناس هذا الحد من القسوة.

(تجلس على حافة الفراش) .

ذهبت المزرعة والأرض معا ، والى الأبد . كان هيجستاد العجوز قاسيا ، ولكن القانون أقسى منه . لم يساعدني انسان . لم يظهر أحد عطفا عليّ . وابني بير غائب ، وما من ناصح لي أو معين .

كاري : هذا البيت ملكك حتى يوافيك الأجل .

آس : آكل خبز الاحسان ، أنا وقطتي !

كاري : الله في عونك ! كل هذا بسبب بير !

آس : بير ؟ أظن انك تخلطين الأمور ! قد عادت انجريد الى بيتها سالمة في النهاية . لو كانوا عادوا باللائمة على الشيطان لكانوا أكثر حكمة . انه هو الذي أجرم ، ولا أحد غيره . ان أبا الأكاذيب قد غرر بابني المسكين !

كاري : أليس من الأوفق أن نرسل للقس ؟ قد تكون حالتك أسوأ مما تقدرين .

آس : ترسل للقس ؟ أظن أن هذا واجب .

(تنهض) .

ولكن ، يا الهى ! لا ، لا أستطيع ! اننى والدة بير ، وعلى أن أساعده ! انه واجبى المقدس . قد تخلوا عنى جميعا . فلأفعل ما أستطيع . قد تركوا له هذه السترة . وسأرقعها . لو وجدت من نفسى الجرأة على سرقة البساط ! أين الجوارب ؟

كارى : فى هذه الكومة من النفايات .

آس : (تبحث فى الكومة) ما هذا ؟ آه ، انها مغرفة قديمة للصهر . كانت احدى لعبه . كان يلذ له أن يصهر فيها الأزرار ويشكلها من جديد . وذات يوم ، دخل ابنى بير على أبيه فى حفلة ، وسأله أن يعطيه قطعة من الصفيح . فقال زوجى « لن أعطيك صفيحا وانما فضة . لا يليق بابن جون جينت الا نقود الملك كريستيان » سامحه الله ، فقد كان سكرانا ، لا يفرق بين الصفيح والذهب . هذه هى الجوارب . انها مليئة بالخروق . على أن أرفوها ياكارى .

كارى : اسرعى اذن ، فلا وقت أمامك .

آس : حين انتهى من الرفو ، سآوى الى الفراش . انى منهكة ، وأحس بالمرض يثقل على .

(فى ابتهاج) .

انظرى يا كارى ! ، هذان قميصان ! نسوا أن يأخذوهما ! .

كارى : فعــلا !

آس : هذا شيء من حسن الحظ ! أظن أنه يحق لى أن أحتفظ بأحدهما . لا ! بل ليس ما يمنع أن أبقى الاثنين . ان القميص الذى يلبسه قد أصــبح خيوطا .

كارى : ولكن هذه خطيئة ، يا آس ، كما تعلمين .

آس : أعلم هذا . وأعلم أيضا أن الندم يغفر الذنوب . ليكن اذن ، سأندم !

الفصل الثالث . المشهد الثالث

المنظر : خارج كوخ حـديث البناء فى الغابة . قرون غزلان مثبتة على الباب . الثلج متراكم فى أكوام عالية . الوقت غسق . بيرجينت واقف بالباب يثبت رتاجا خشبيا كبيرا . بين الحين والحين يتوقف ويضحك .

پـير : يجب أن أضع رتاجا . رتاجا يضمن لى أن يدرأ الباب عنى الجان ، والرجال والنساء . على أن أضع رتاجا ، رتاجا يصد عنى طائفة الشياطين المسمومة الأنفاس . انها تهبط حينا يأتى المساء . تدق الباب وتخبط عليه ، وتصيح : افتح يا بير اننا خفاف الحركة كالأفكار ! سنزحف تحت الفراش ، وننكش فى الرماد ، وننفخ فى المدخنة فتسـقط كالتنين الملتهب . هى — هى — ! يا بيرجينت ، أتظن أن المسامير والأخشاب تمنع عنك الأفكار العفريتية ؟

(تدخل سولفيج على قبقـاب الانزلاق . جاءت عبر الأرض الخلاء . تلبس شالا وتحمل فى يدها صرة) .

سولفيج : كلل الله عملك بالنجاح ! رجوتك ألا تطردنى . لقد طلبتنى وها قد جئت . والآن أنا ملك لك .

پـيـر : سولفيج ! لا ، لا يمكن — ! بل هى أنت فعلا ولا تخافين أن تقربينى الى هذا الحد !

سولفيج : قد بعثت برسالة مع هيلجا الصغيرة ، وجـاءت رسائل أخرى مع الريح والصمت . وكانت كلمات أمك محملة هى الأخرى برسائل ، وفى أحلامى المزدحمة رأيت رسائل كذلك . قالت لى الليالى الطويلة ، الطويلة ، وأيامى الفارغة : اذهبى اليه . فى الوادى ، نضب معين الفرح . عز على الضحك والبكاء معا . لم أدر ماذا يدور فى نفسك ولكنى عرفت ما يجب أن أفعل .

پـيـر : وأبوك ؟

سولفيج : فى هذه الدنيا العريضة الواسعة ، لا أعرف أحدا أسميه أبى أو أمى . قد تركتهما الى الأبد .

پـيـر : سولفيج يا درتى ! . كل هذا لأجلى ؟

سولفيج : نعم . لأجلك وحدك . كن لى وحدى ، يا صاحبى ، يا حياتى .

(تبكى) .

أسوأ ما عانيت فراق أختى الصغيرة . وأسوأ منه فراق أبى ، وأشق منهما فراق من حملتنى فى

ذراعيها وعلى صدرها . لا ، غفر الله لى ، بل الأشق فعلا هو ألم فراقهم جميعا — أجل جميعا .

پـــير : تدرين بالحكم الذى صدر على ؟ كيف صادروا تركتى ؟

سولفيج : ما من أجل متاعك ومنقولاتك تركت من أحبهم كل هذا الحب .

پـــير : وتعلمين الباقى ؟ حياتى فى خطر لو عثر علىّ أحد خارج هذه الغابة .

سولفيج : جئت على حذاء الانزلاق . سألت عن الطريق . قالوا لى : « الى أين تقصدين » قلت : «بيتى» .

پـــير : لتذهب اذن المسامير والألواح والقضبان ! مابى حاجـــة لرتاج يحمينى من أفكار العفـــاريت . ما دمت جسرت على أن تقيمى معى هنا ، فمقدس هذا الكوخ . خلينى أنظر اليك يا سولفيج ! لا ، لا تقتربى هكذا ! دعينى أديم النظر فيك فأنت نقية ، وجميلة ! دعينى أحملك ، فأنت رشيقة ، مجنحة ! هل أحملك يا سولفيج ؟ لن أتعب قط ! لن تتسخى لملمسى . سأحملك بعيدا عنى . أنت مليحة دافئـــة ! . من كان يظن أننى أجعـــلك تهويننى ؟ شد ما طال اليك بالليل والنهار حنينى! انظرى ! قد بنيت هذا ! قطعت الخشب ، أيضا . انه ينهار ! انه ضئيل وحقير —

سولفيج : صغيرا كان أم كبيرا ، أنا أحبه ، فهو بيتك . ما أروح أن ينسم المرء الهواء هنا فى الجبل . الوادى خانق . شعرت اننى فى قبر . من أجل هذا جئت . أما هنا فانى أسمع نواح الصنوبر — اسمع الصمت والغناء — هنا أنا فى بيتى .

پير : وواثقة أنت من حبك ؟ هذا عمل لا رجعة فيه .

سولفيج : جئت اليك — ولا رجوع .

پير : فأنت اذن لى ! ادخلى ! أريد أن أراك داخل البيت . ادخلى ! سآتى بحطب للنار . سرعان ما يصبح المكان وثيرا ومنيرا ودافئا . سيكون دائما أليفا . ولن تحسى قط ببرد .

(يفتح الباب . تدخل سولفيج . يظل واقفا لحظة . ثم يضحك ويقفز من الفرح) .

ابنة الملك ! وجدتها ، كسبتها أخيرا ! والآن يقوم فى هذا المكان قصر ملك .

(يلتقط بلطته ويأخذ فى مغادرة المكان . تظهر عجوز تلبس أسمالا خضرا . وتقترب من غابة الصنوبر . ولد قبيح المنظر ومعه قنينة يقفز على رجل واحدة وراءها ، ممسكا بثوبها) .

المرأة : طاب مساؤك يا بير ، خفيف الرجل .

پير : ماذا ؟ من أنتما ؟

المرأة : صديقان قديمان ، يا بيرجينت ! بيتى قريب . نحن جيران .

پير : صحيح ؟ لم أكن أعلم .

المرأة : حينما بنيت كوخك ارتفع كوخى الى جواره .

پير : (محاولا الذهاب) أنا فى عجلة —

المرأة : كنت كذلك دائما . ولكننى سأنقل خطوى الثقيل، ولا أزال أتبعك .

پير : أنت مخطئة .

المرأة : لا ، أبدا ! أخطأت مرة .. حين بذلت وعـودك الفاتنة .

پير : وعود ؟ أنا ؟ ماذا تعنين بحق الجحيم ؟

المرأة : ذلك المساء الذى زرت فيه أبى وشربتما معا — هل نسيت ؟

پير : نسيت ما لم يحدث قط ! ما هذا ؟ متى التقينا آخر مرة ؟

المرأة : آخر مرة كانت أول مرة .

(للصبى) .

أبوك ظمآن . أعطه شرابا .

پير : أبوك ؟ أنت سكرانه ؟ أتريدين أن تقولى —

المـرأة : يعرف الخنزير من جلده ! أين عيناك ؟ ألا ترى أنه معوج الساقين كما أنك معوج العقل ؟

پـــير : تريدين —

المـرأة : تريد أن تتملص ؟

پـــير : هذا الشقى الطويل الساقيين —

المـرأة : قد كبر سريعا .

پـــير : أيتها السّاحرة العجوز ، هل تجسرين على أن تقولى —

المـرأة : اسمع ، يا بيرجينت ، أنت وحشى كالثور !.

(تبكى) .

أهو ذنبى اننى لم أعد على جمالى الذى عهدته يوم غررت بى فى التلال ؟ فى الخريف الماضى ، حين جاءنى المخاض ، كان الشيطان طبيبى الوحيد . لا غرو أن ذهب جمالى . اذا شئت أن ترانى جميلة كعهدك بى فاطرد هذه الفتاة . اطردها من عقلك ومن بصرك ، آفعل هذا ، يا حبيبى ، وسيعود الىّ الجمال .

پـــير : امشى من هنا ، أيتها الكركوبة !

المـرأة : لن ترانى آفعل !

بيـــير : سأفلق رأسك .

المـرأة : جرب ، ان جسرت ! لا ، لا يابيرجينت ، انى أتحمل شديد الضربات . سآتى هنا كل يوم . سأفتح الباب وأتلصص عليكما . وحين تجلسان فى وهج النار ، وتهفو نفسك الى حبها ، وتحن الى قبلات وعناق ، ستجدنى الى جانبك فى مكانى الشرعى . سنتقاسمك . سننام بالدور فى فراشك . وداعا ، يا عزيزى بير ، الآن اذهب وتزوج !

بيـــير : أيتها الشيطانة من الجحيم !

المـرأة : يالله — كدت أنسى ! عليك أن تربى ابنك ، أيها الشقى ! ، اذهب ، أيها الشيطان الصغير ، اذهب الى أبيك .

الولد : (يبصق) سأحطم رأسك ببلطتى . اصــبر ! اصبر على .

المـرأة : (تقبل الولد) يا للفرحة ! يا له من ولد ممتاز ! ستكون صنو أبيك حين تكبر ويشتد منك العود!

بيـــير : (يدق الأرض بقدمه) ليت دونكما من البعد .

المـرأة : مثلما ما بيننا من قرب ؟

پـيـر : (يقبض راحتيه) وكل هذا —

المـرأة : ثمرة أفكار وشهوات . الأمر قاس عليك ، يابير!

پـيـر : هو عليها أشد قسوة ! سولفيج ! يا أجمـل ، يا أنقى نضار !

المـرأة : آه ، أجل ! انما يقاسى من الناس الأبرياء . هكذا قال الشيطان حينما ضربته أمه لأن أباه عاد اليها وهو بيّن السكر !

(تختفى وراء الشجيرات مع الولد ، الذى يقذف القنينة فيصيب بها رأس بير) .

پـيـر : (بعد قليل) .

در مكانك . هكذا قال بويج . وهذا ما يجب أن أفعل . قد تهاوى قصرى الملكى . كنا جد قريبين. والآن أحاطت بها الأسوار . والجمال والفرح ذهبا الى الأبد .

در مكانك . ليس ثم طريق مستقيم بينى وبينها. مستقيم ؟ هيه .. ربما .. ربما كان هناك طريق . أظن أن بالانجيل شيئا عن الندم . ولكن ما هو؟ ليس معى انجيل . قد نسيت . ليس فى هذا الغاب من يدلنى على الطريق . النـدم ؟ قد تمضى سنوات وسنوات قبل أن أكسب اليها الطريق !

وخلال هذه السنين تكون الحياة خواء ، ويهلك الانقياء ذوو الجمال . أمســـتطيع أنا أن أقيم المتداعى بالقطع والشظايا ؟

قد ترقع الكمان ولكنك لا ترقع الساعة . اذا أردت لحقلك أن يظل أخضر ، فلا تدسه بالأقدام. على كل حال ، فقد كانت الساحرة العجــوز تكذب ! قد غابت عن بصرى بأفكارها النتنة ، نعم ، غابت عن بصرى ، ولكنها لم تغب عن عقلى. ستعقبها أفكار دساسة . انجريد ! والنسوة الثـــلاث اللاتى رقصن وصرخن على التـــلال ! أيأتين ويلمن ويسخرن ، ويطلبن أن أهصرهن فى عناق كما فعلت هذه ؟ أو أن يحملن فى حنان على ذراعين ممتدتين ترحيبا ؟ در مكانك ! لا ، لا ، لو أن ذراعى كانت طويلة كغصن الصنوبر ، وكجزع شجرة الشربين ، لضممتها قريبا الى ، ثم وضعتها على الأرض ثانية كأنقى ما كانت . لا . لا ، لابد من أن أجد طريقى الدائرى . ليس بحثا عن كسب أو خسارة وانما لأظهر نفسى من أشياء خير لى أن أنساها .

(يخطو خطوات ثم يقف)

أأدخل بعد هذا ؟ وأنا خبيث الرائحة ملوث هكذا ؟ أدخل ومعى هذه الحاشية من الجن ؟ أأتحدث فلا أقطع السكون ، وأعترف ولا أظهر الخبىء ؟ .

(يلقى بلطته جانبا) .

هذا يوم مقدس . فان ذهبت اليها الآن على هذه الحال ، فقد دنست القداسة .

سولفيج : (فى العتبة) ألا تدخل ؟

پير : (كأنما لنفسه) در مكانك .

سولفيج : ماذا ؟

پير : عليك بالانتظار . الدنيا ظلام هنا ، وعلى حمل ثقيل .

سولفيج : انتظر ! بل أعاونك ! سآتى وأشاطرك الحمل .

پير : لا ، ابقى حيث أنت . سأتولاه بنفسى .

سولفيج : اذن ، لا تتأخر .

پير : كونى صبورة يا حبيبتى ، مهما طال غيابى —

سولفيج : (تطرق) سأنتظر .

(يدلف الى الغاب . تظل سولفيج واقفة بالباب وهو نصف مفتوح .) .

الفصل الثالث — المشهد الرابع

المنظر : غرفة آس . مســاء — نار المدفأة تضىء الغرفة . القطة راقدة على الكرسى عند الفراش . آس فى الفراش تجذب الأغطية فى قلق .

آس : يا الهى ؟ ألن يعود قط ؟ الساعات تزحف ببطء ولا تنتهى . حتى الرسائل لا أملك أن أبعث بها. ولدى كثير أقوله . لم أعد أملك أن أضيع دقيقة واحدة . هكذا سريعــا ! أيجىء الموت هكذا سريعا ! اشد ما أود لو اقتنعت بأننى لم أكن معه قاسية .

پــير : (داخلا) مساء الخير !

آس : أهذا هو بير ؟ الحمد لله ! أنت هنا أخيرا ، يا بنى العزيز ! أنت تخاطر مخاطرة فظيعة ، وحياتك هنا مهددة .

پــير : حياتى ؟ وما تهم حياتى ؟ أحسست برغبــة فى رؤياك على الفور .

آس : ها قد كذبت كارى . الآن أتركك فى سلام .

پـــير : تتركينني ؟ ما هــذا الذى تقولين ؟ أين اذن تذهبين ؟

آس : آه ، يا بير ، قد دنت ساعتى . لم يعد يبقى فى عمرى الكثير .

پـــير : (يوليها ظهره ويقطع الغرفة ماشيا) هيه ! ظننت اننى أهرب الى هنا من المتاعب . ظننت أن هنا ، على الأقل ، مكاناأجد فيه حريتى . هل تحسين بردا ؟ فى قدميك ؟ فى يديك ؟

آس : نعم ، يا بير . أضحت ساعتى قريبة . حينما ترى عينى أظلمتا ، اقفلهما فى رقة كبيرة . ثم تكفل بعد هذا بالتابوت . لابد أن يكون جيد النوع ، يا حبيبى . لا ، بالطبع ليس —

پـــير : اسكتى أرجوك ! سيتسع الوقت من بعد لكل هــذا .

آس : نعم ، نعم . (تنظر حواليهـا فى الغرفة بقلق) أرأيت هذا القليل الذى تركوه لنا ؟ عملوا على شاكلتهم .

پـــير : (يستدير فى حدة) عدت لهذا الحديث ! (فى

خشونة) أعلم أن هذا كله بسببى . فلا تذكرينى به .

آس : أنت ! لا ، انما المسئول تلك الخمر اللعينة . انها أس البلوى . كنت سكرانا يا بنى ، يا بنى العزيز. لم تدر ماذا كنت تفعل . وهذا الذى فعلته من ركوب الغزال ! لا غرو أن بدت أحوالك غريبة !

پـير : نعم ، نعم ، فلننس كل هذا الهراء . لننس المسألة اللعينة كلها . لنخزن أحزاننا جميعا ولنبقها لقابل الأيام .

(يجلس على حافة الفراش) .

الآن ، خلينا نتحدث حديثا طويلا عذبا فى هذا وذاك . لننس الحزن والألم . انظرى هذه قطتنا العزيزة ! لا تزال حية ! بعد كل ما جرى !

آس : بالليل تصبح كثيرة القلق . تعرف معنى هـذا ، أليس كذلك ؟

پـير : (يغير الموضوع) هل من اشاعة جديدة هنا ؟

آس : (تبتسم) يقولون ان فى الحى فتاة ، تتشوف للمرتفعات ــ

پـير : (بسرعة) ومادز موين . هل استقرت به الأحوال؟

آس : يقولون ان انجريد لا تعير دمـوع والديهـا ولا توسلاتهم أذنا صاغية . اذهب وزرهم فقد تقدم لهم بعض العون .

پـير : والحداد ؟ ماذا يفعل « أسلاك » ؟

آس : لا تذكر هذا الحداد النتن . من الخير أن أذكر لك اسمها . الفتاة هي — أنت تعلم — اسمها —

پـير : لنجعل حديثنا العذب الطويل عن هذا وذاك من الأمور ، ولنترك كل ما هو حزين ومؤلم . أنت ظمآنة ؟ سآتيك بماء . ألديك براح من الفراش لتمدى أطرافك ؟ هذا السرير يبدو صـغيرا عليك . الله ! لابد أنه سريرى وأنا طفل صغير . كل مساء كنت تجلسين على حـافة الفـراش وتدسـينني تحت الأغطية ، وتغنين لى أغنيـات الأطفال . وأحيانا كنت تنادين على الماشية لتعود. أتذكرين ؟

آس : نعم . نعم . وهل تذكر أنت كيف كنا نلعب لعبة الزحافات ، حين يخرج أبوك ؟ كنا تتخذ من الملاءة زحافة ، ومن الأرض برزخـا تحاصره الثلوج .

پـــير : نعم ، نعم ، ولكن هل تذكرين ما هو أمتع من كل هذا جميعا ؟ جيادنا العربية النارية الحماس ..

آس : كأن فى مقدورى أن أنساها ! كانت هذه الجياد قطة كارى استعرناها ، ووضعناها عالية فوق كرسى —

پـــير . وجعلنا نسوقها صاعدين التــلال وهابطين الى الوديان ، لنصل الى قصر صوريا موريا ، القصر الذى يقع غرب القمر وشرق الشمس . وجعلت من عصا وجدتيها فى ركن من الصــوان سوطا تحثين به الجياد .

آس : جلست فى المقدمة كالسائق .

پـــير : نعم ، وتركت الأعنة تتراخى ، واســتدرت الى ونحن نمضى تسألينني : هل أحس البرد . بارك الله فيك أيتها العجوز القبيحة الجميلة ، فقــد كنت دائما محبة عطوفا — ! لم تنوحين ؟

آس : ظهرى ، يا حبيبى ، يؤلمنى على هــذه الألواح الخشنة .

پـــير : انهضى اذن ، ودعينى أمسك بك .. هكذا ! هذا يريحك أكثر .

آس : (فى قلق) أريد الله أن يختارنى ، يا بير .

پـــير : يختارك ؟

آس : أشتاق الخلاص .

پـــير : لفى نفسك فى أغطية الفراش . سأجلس على حافة السرير ولنقض المساء فى سمر . سأغنى لك مثلما كنت لى تغنين . وسأنادى الماشية .

آس : رجوتك يا بير أن تعطينى كتاب صـــلاتى . ان روحى قلقة .

پـــير : فى قصر صوريا موريا ، أولم الملك والأمـــير وليمة . فارقدى الآن على وسادتك وسآخذك الى هناك فى عربتى .

آس : ولكن ، هل أنا مدعوة يا بير ؟

پـــير : نعم ، كلانا بين المدعوين .

(يلقى قطعة من الخيط حول مقعد القطة ، ويمسك بعصا فى يده ، ويجلس على حافة الفراش) .

شى — ! أرنا همتك يابلاكى ! أمى ، هل تحسين ببرد ؟ آه ! الآن تتقدم والفرسة جرين فى مألوف خطوها السريع .

آس : حبيبى بير ، اسمع أجراسا تقرع .

پـير : انها أجراس الزحافة اللامعة ، يا حبيبتى !

آس : انه قرع أجوف كالأشباح .

پـير : نحن نمر فوق « برزخ » .

آس : بير ، انى فزعة . ما هذا الذى يتنهد ؟ وما هذا الهمس المخيف ؟

پـير : انها أشجار الصنوبر ، يا أمى ، تتمتم على التلال.

آس : الأنوار تلتمع على المدى . أتعرف من أين يأتى النـور ؟

پـير : من نوافذ القصر . أتسمعينهم يرقصون ؟

آس : نعـم .

پـير : وهذا القديس بطرس ، يقف ، حارسا ، خارج القصر . انه يدعوك للدخول فورا .

آس : هل هو يحيينى ؟

پـير : نعم . تحية الشرف ، ويقدم لك النبيذ الحلو .

آس : ومعه فطير يقدمه مع النبيذ ؟

پـير : نعم ! طبق منه ملىء . وزوجة القس تصنع لك القهوة ، ومعها الحلوى .

آس : آه ، يا الهى ! وهل حتم أن أقابلها ؟

پــير : ان أردت ، يا حبيبتى ، بالطبع .

آس : أنت تسوق أمك العجوز المسكينة الى حفلة جميلة يا بير .

پــير : (يفرقع بسوطه) شى ! أسرع يا بلاكى !

آس : أنت واثق اننا على الطريق الصحيح ؟

پــير : (يفرقع بالسوط ثانية) هو طريق مريح

آس : ولكن الرحلة طويلة ومتعبة .

پــير : القصر باد ، قريب . سرعان ما ندخل .

آس : سأرقد الآن ، وأغمض عينى ، واثقة فيك ، يابنى الحبيب .

پــير : أسرعى الخطو ، يا جرين . ثمت جمع هائل حول القصر . انهم يتجمهرون عند المدخل . بيرجينت وأمه هنا ! ماذا قلت أيها السيد القديس بطرس؟ أمي لا تدخل ؟ أملأ الدنيا بحثا ، طولا وعرضا ، فلن تجد مثلها نبل روح . لن أذكر نفسى ، فانى أستطيع أن أعود من حيث أتيت . اذا دعوتنى ، فسأبقى طبعا . وان لم تفعل فأنا راض. قد كذبت على الناس عدد ما كذب أبو الأكاذيب . سميت أمي دجاجة ، لأنها كانت تزعق وتكاكى ، ولكن

عليك أن تقدرها وتسبغ عليها أمارات الشرف ، وتسرها وتسعدها . لن تجد من هى خير منها فى هذه الأنحاء وفى هذه الأيام . هو ، هو ، هذا هو الرب ! يا قديس بطرس ، الآن ينالك التقريع.

(فى صوت عميق) .

« لا تكن متكبرا مصعرا الخد هكذا . الأم آس تدخل على الرحب والسعة » . (يضحك ويلتفت لأمه) أسمعت ! ألم أقل لك ؟ القديس بطرس انكمش وتضاءل . (فى قلق) أمى ؟ ماذا جرى قولى لى ، هل جننت ؟ (يذهب الى مقدمة الفراش) لا تحدقى فىّ هكذا ، يا أمى قولى شيئا أنا بير ، ابنك الحبيب ! .

(يتحسس جبهتها ويديها فى حنان . ثم يلقى بالخيط على المقعد ويقول فى صوت خفيض) .

الآن ، استريحى يا جرين . قد بلغنا نهاية الطريق. (يغمض عينيها وينحنى فوقها) شكرا لله ، يا حبيبتى لكل ما وهبتنى . الضرب والقبلات معا . والآن اشكرينى أنا أيضا . (يضغط خده على فمها) هذا كان أجرك على الرحلة .

كارى : (داخلة) من ؟ بير ؟ اذن قد أنهيت حزنها ، وألمها. يا الهى العزيز ، انها تنام بعمق — أم هى — ؟

پــير : هس ! هس ! لقد ماتت . (كارى تبكى بجوار الجثة . بير يذرع الغرفة وقتا طويلا . ثم يتوقف، عند الفراش) . ادفنيها دفنة كريمة . على أن أرحل الآن .

كارى : أتذهب بعيدا ؟

پــير : نعم ، أركب البحر .

كارى : تمعن فى البعد هكذا ؟

پــير : نعم ، وأبعد .

الفصل الرابع

المشهد الأول

« الشاطئ الجنوبي الغربي فى مراكش »

المنظر : مائدة معدة للعشاء بين غابة من النخيل ، وتحت مظلة من القماش . على الأرض بساط من لحاء النخيل المجدول . والى الخلف أسرة معلقة مصنوعة من الحبال . فى الميناء يخت بخارى ، يرفع العلمين النرويجى والأمريكى . على الشط يرى زورق من زوارق خدمة السفن . الوقت قرب مغيب الشمس . يبدو بير جينت جميل المنظر ، وهو الآن فى منتصف العمر ، ويرتدى بذلة رشيقة للسفر ، مثبت فى سترتها منظار محلى بالذهب . بيرجينت على رأس المائدة ومعه مستر كوتون ، ومسيو بالون ، وهر فون ايبير كويف ، وهر ترامبيتارستال ، والجميع يتناولون العشاء .

بير : اشربوا ، يا سادة ! ما دام المرء مخلوقا للمتعة ،
فليشرب منها حتى يرتوى . يقولون ان ما فات
فات . والماضى أبدا لا يعود . ماذا تشربون ؟

ترامبيتارستال : أنت أمير المضيفين ، أيها الأخ العزيز جينت —

بير : فلتشاركـ أموالى الطباخ والساقى فى هذا الشرف

كوتون : ليكن اذن ! لنشرب نخبنا نحن الأربعة !

بالون : مسيو ، ان لك ذوقا ورنة ترحيب نادرا ما نلقاها هذه الأيام من عزاب يعيشون en garçon هنالك شيء لا أدرى كيف أصفه .

فون ايبير كويف : انه يتمثل فى اشارة يديه ! هو مرآة التحرر ، والتأمل الروحى ، والانتماء الى العالم كله . له رؤيا تخترق السحب من فرط النفاذ ، وعقل خال من التحيز ، وان اصطبغ بصبغة النقد الأعلى[1]، وله ميزة الـ Ur-natur ومعرفة حقة بالحياة، هذه الصفات الرائعة جميعا ملتحمة فى كل واحد يشمل سائر الأشياء أليس هذا ما عنيت ، مسيو؟

بالون : نعم . محتمل تماما . ولو أن عبارتى الفرنسية أقل من هذا فخامة وطنطنة .

فون ايبير كويف : Ei was [2] ان لسانكم محدود . ولكننا كنا نبحث عن سبب هذه الظاهرة .

بيير : قد عرف هذا السبب . أيها السادة ، اننى لم أتزوج ، وهذا يفسر كل شيء . اذ ، ما هو واجب الانسان ؟ باختصار : هو أن يكون نفسه ، وأن

---

(١) الطبيعة الأولى .
(٢) لا يا شيخ .

يكرس نفسه لنفسه ، ولما يخصه ، يفعل هـذا دائما وبلا حدود . وانى له أن يفعل هذا ، اذا كان كالجمل ، يحمل على ظهره أفراح غيره وأتراحهم؟

فون ايبير كوبف : ولكن — ميزة أن تكون كل شيء لنفسك — لا شك أنك كافحت من أجل كسبها ؟

پـيـر : فى سبيلها لم ينقطع لى كفاح ، ولكنى دائما كنت أوفق فى الخروج من المعركة موفور الشرف ، ولو أننى فى مناسبة واحدة كدت أنزلق . كنت اذ ذاك شابا مرحا ، متلافا ، وكانت السيدة التى أحببت من أسرة ملكية .

بالون : ملكية ؟

پـيـر : (بلا احتفاء) واحدة من أولئك الأسر — لا ريب انكم عرفتم بعضها —

ترامبيتارستال : (ينقر على المائدة) مغفلون ذوو دم أزرق —

پـيـر : (يهز كتفيه) لهم أنساب لا محل لها اليوم ، كل همهم أن يحفظوا حسب أسرهـم من أن تلوثه بصمات الرعاع .

كوتون : وماذا حدث ؟ هل فشلت الزيجة ؟

بالون : عارضت الأسرة القران ؟

پيـــير : العكس .

بالون : آه !

پيـــير : (فى برود) آه ، ستبتسمون الآن ! تطـورت الأمور حتى أصبح من الحكمة أن نتزوج من فورنا . ولكننى ، بصراحة ، وجدت المسألة من أولها لآخرها ، كريهة الطعم . وأنا من عـدة وجوه مبالغ فى التدقيق . وأحب دائما أن أقف بفضل ساقىّ ، وليس بعون الآخرين . ولذا ، فحينما أخذ أبوها يلمح الى طلبات يراها معقولة وعادلة ، من أمثال : ضرورة أن أتنازل عن اسمى ومركزى الاجتماعى وأنضم الى الفريق الذى يمثله ، ثم عدد آخر من الطلبات لم أجدنى قادرا ولا راغبا فى قبولها ، رفضت انذاره النهائى ، وانسحبت بالكبرياء المطلوب ، وأحللت عروسى المتفتحة من التزامات العقد .

(ينقر على المائدة ويتظاهر بالتقوى) .

نعم ، نعم ، ان القدر هو الذى يقود خطواتنا . وعلى الانسانية أن تعتمد عليه . بل أن فى هذا راحة ، صدقونى .

بالون : وهل انتهت المسألة عند هذا الحد ؟

پــير : لا ، أبدا ، بل تعدته بكثير ، تدخـل غيرنا فى الموضوع ، وقام هياج شديد ، وطالب الشبان من أسرة العروس برد شرف . وكان أن بارزت من لا يقل عن سبعة منهم . سأظل اذكر هذا حتى أموت . غير أننى ، مرة أخرى ، خرجت محتفظا بكرامتى ، سالت دماء طبعا ، ولكن هذه الدماء نفسها حفظت على سمعتى ، وأكدت ما أوضحته لكم وهو أن القـدر هو دائما بجانبنا يقـود خطواتنا .

فون ايبير كويف : ان نظرتك الى الحياة قد رفعتك الى مصاف كبار المفكرين . وبينما معظم الناس يرون مناظر الحياة مجزأة منظرا منظرا ، ومنفصلة عن الكل الذى يصنع البانوراما ، تراها أنت بمنظار محيط . ان نظرتك تسع كل شىء ،وأسس الحياة عندك كأنها الأشعة تصدر عن شمس مركزية ، هى لب تأملك العميق . ومع هذا تقول لنا انك لم تتثقف .

پــير : أنا ، كما قلت لكم من قبل ، انسان بسيط ، علم نفسه بنفسه . لم يكن تحصيلى على منهاج .

ولـــكننى فـــكرت ، وقرأت كثيرا فى معظم الموضوعات ومن سوء الحظ اننى لم أبـــدأ التحصيل قبل أن يتقدم بى العمر ، واتعدى مرحلة الشباب ! ومعنى هذا اننى كنت أشق طريقى بصعوبة ، صفحة وراء صفحة ، محاولا استيعاب كل شىء . ولقد قرأت التاريخ فى نوبات متقطعـــة . لم يكن لدى وقت للدراسة المـــركزة . ولما كنا محتـــاجين الى ملاذ نهرع اليـــه حين لا تنجح مشروعاتنا ، فقد أخذت أتشرب الدين . وعلى هذا النحو ، أصبح أيسر لى أن أبتلع المكاره ، كما نبتلع حبوب الدواء المغطاة بالسكر . ليس ثم فائدة فى ادمان القراءة، بل الواجب أن يلتقط المرء ما يمكن الافادة منه — وحسب .

كوتون : هذا ، على الاقل اتجاه عملى .

يشعل سيجارة

(يشعل سيجارا)

پـــير : أيها الأصدقاء — تأملوا مجرى حياتى . حينما رحلت الى الغرب ، كنت معدما . صفر اليدين ، وكنت ملزما بالعمل لكسب قوتى . صدقونى أنه كان أمرا عسيرا . ولكن الحياة حلوة ، والموت

مر ! ثم واتانى الحظ ، وكان القدر بى حفيا . تعلمت فقد كنت قابلا للتعليم . وسارت الأمور على ما يرام ، ثم تحسنت وزادت تحسنا ، وفى عشرة أعوام أصبحت كالملك كروسس (١) بين أهل تشارلستون ، طار صيتى من ميناء لميناء ، وسارت سفنى بشيرا بطالع السعد .

كوتون : وفيم كنت تتجر

پـيـر . العاج الاسود ! كنت اشحن العبيد لكاورلينا ، والاصنام للصين .

بالون : Fi donci (١)

ترامبيتارستال : انت تمزح ، يا عم جينت !

پـيـر : انتم ولا شك ترون المسألة قد تأرجحت شيئا ما على حدود ما هو مشروع . لقد خالجنى نفس الشعور ، وأحسسته بقوة . بل الواقع أن

---

(١) يضرب به المثل فى الثراء . كان ملك ليديا بين الأعوام ٥٦٠ ــ ٥٤٦ ق . م . وأصاب من الثروة ما جعله واسع الجاه ، فقصد بلاطه الحكماء والعلماء من أنحاء اليونان كافة . (المترجم) .

ويسميه العرب ملك قارون « المراجع » .

(٢) بئس هـذا .

تجارتى أضحت بغيضة فى نظرى . غير اننى كنت قد بدأت ، وأؤكد لكم أن انهاءها لم يكن سهلا. وعلى كل حال فان تصفية تجارة فى مثل هــذا الحجم الهائل وتتناول الآلاف ، أمر لا يمكن أن يتم دون أن يجلب كارثة . وقد كنت دائما أبغض تصفية الأشياء . ومن جهة أخرى فأنا دوما حفى بما نسميه النتائج ، وعندما اضطر الى خــرق القانون ، تجدوننى شقيا . ثم اننى كنت أتقدم فى السن ، ويزداد اقترابى من الخمسينات ، وكان شعرى يتحول عنه السواد . كانت صحتى طيبة، ولكن فكرة واحــدة لم تزل تتردد فى نفسى : « من يدرى متى تحين ساعتك ؟ من يعلم متى يحق عليك القول ، ويحل حسابك ؟ » فماذا كنت فاعلا ؟ لم يكن سبيل الى ايقاف تجــارتى مع الصين . وسرعان ما وجدت الحل !

فقد نظمت نوعا آخر من التجارة مع تلك البلاد. واصلت ارسال الأصنام لها كل ربيع ، ولكننى فى الخريف كنت أرسل اليها المبشرين مجهزين بكل

ما يلزم عملية التبشير من جوارب وأناجيل وروم وأرز .

كوتون : بأرباح طيبة !

پيير : طبعا ! وأكثر من هذا ، فقد نجح مشروعى . فقد بذل المبشرون أقصى الجهد . وفى مقابل كل صنم كنت أبيعه ، كان واحد من الكادحين يتحول الى الدين المسيحى . أجهد المبشرون أنفسهم وأمكن القول أن مكاسبهم قد عادلت أصنامى . ولم يكف المبشرون قط عن محاولة اللحاق بالأعداد الكبرى من الأصنام التى كنا نبيعها .

كوتون : وماذا جرى لتجارة العبيد ؟

پيير : مرة أخرى تغلب على حبى للأخلاق الكريمة . كنت أدرك أنها ليست تجارة من يتقدم بهم العمر. فمن يدرى متى يموت المرء . والى جوار هذا كنت أحسب حساب آلاف الشباك التى ينصبها فى طريقى دعاة الانسانية الأعزاء . فقد تقع سفنى فى الأسر دونما انذار . الى جوار أخطار الريح وتقلب الجو . ومثل هذه الأفكار جعلتنى أعقد العزم . قلت لنفسى : « يا بير ، لمّ شراعك ،

وأعمل كى تكفر عن ذنبك » . وهكذا ، اشتريت أرضا فى الجنوب ، واحتفظت لنفسى بآخر شحنة آدمية ، وكانت من نوع فاخر ، ثم أنزلتهم الى البر فى أرضى ، وجعلتهم يستقرون هناك ، وسرعان ما ازدهروا ، وسمنوا وحلت عليهم النعمة ، وأصبحوا مصدر فخر لى ولأنفسهم . بل انى لا أفاخر بنفسى حين أقول ، اننى كنت بمثابة الأب لهم جميعا وحققت ربحا طيبا . فبنيت لهم المدارس حتى تظل روحهم المعنوية فى أعلى قمم الامتياز . وفرضت عليهم رقابة صارمة ، حتى لا يرتدوا من بعد . ثم حدث أن انصرفت عن هذا اللون من النشاط ، فبعت المزرعة بقضها وقضيضها ، ثم تقدمت اليهم بهدية الوداع ، فكلت لكل شيئا من الشراب ، قدمته مجانا ، فشرب الرجال والنساء حتى ارتووا . أما الأرامل منهم ، فقد نال كل شيئا من النشوق الى جوار الشراب . وهكذا ، وبكل اخلاص أقول لكم اننى أومن بالنص الذى يقول ان من لا يفعل الشر انما يفعل بهذا بعض الخير . ان

هذا القول ليس خداعا كله . وأظننى مستطيعا أن أقول وأنا أكثر قربا من الحق من معظم الناس ، ان حسناتى تعدل سيئاتى .

فون ابيير كوبف : (يرن معه الكأس) انه لمن الباعث على الموعظة حقا أن نسمع هذا العرض لخطة حياة عملية ، لا تعوقها النظريات الغامضة ، ولا تقض مضجعها مظاهر القلق الخارجى .

(خلال حديثه الأخير هذا ، كان بيرجينت يعب بنشاط من زجاجته) .

پـير : نحن أهل الشمال تعلمنا من زمان ألا نركن لأنصاف الحلول . ان مفتاح الحياة يكمن فى الحكمة التالية : صم أذنيك عن سماع فحيح الحية القتالة .

كوتون : أية حية تعنى ، يا صديقى العزيز ؟

پـير : تلك التى تغريك بأن تفعل ما لا رجوع فيه .

(يشرب ثانية) .

كل منا يملك أن يعمل فى شجاعة ، ويكون ثابت الجنان ، طالما هو يناضل ليتجنب شراك الحياة الكثيرة ، يناضل وهو يعلم أن يوم القتال ليس

آخر أيامه ، مبقيا جسرا سليما يعبره ليصل الى دار أكثر أمنا . هذه الخطة قد أبقت عليّ حتى الآن ، ولونت أفعالى . انها أرث تخلّص الى من الأسرة ، وتسلمته من طفولتى الباكرة .

بالون : أنت نورويجى ، أليس كذلك ؟

پـــير : بالميلاد ، ولكن عالمى مزاجا . أما النجاح الذى أصبته فمرده أمريكا ، ومكتبتى العامرة مؤلفوها أكثر الألمان عصرية . واتخذت من فرنسا أنماط ملابسى ، ومنها كذلك سلوكى وفكاهتى الذكية. أما انجلترا فقــد أمدتنى بالنشاط العمــلى ، وأسبغت عليّ احساسا مرهفا بما هو فى صالحى. وعلمنى اليهود الصبر ، وفى ايطاليـــا لقنت حب الـ(١) dolce for niente . ومرة وقعت فى مأزق خطير ، فأنقذت نفسى منــه بسيف من الصلب السويدى .

ترامبيتارســتال : (رافعا كأسه) نعم ، الصلب السويدى !

فون ايبير كوبف : فلنتقدم بالتحية للرجل الذى يحرك سيفه بكل هذا النجاح .

---

(١) الحياة الحلوة بلا مقابل من عمل .

(يقرعون الكئوس ويشربون. يحمر وجه بيرجينت من فرط الشراب)

كوتون : ما قلته الى الآن يخلب اللب . ولكنى ، يا سيدى، أود لو علمت ماذا تنوى أن تفعل بكل هذا المال.

پـــير : هيه ؟ افعل به ؟

الأربعـة : (يقتربون) نعم ، قل لنا !

پـــير : أولا ، وقبل كل شىء ، سأسافر . من أجل هذا صحبتكم فى سفينتى من جبل طارق . أنا محتاج لرفقاء سفر . كهنة يقومون على خدمة الهيكل الذى أعبد فيه العجل الذهبى .

فون ايبير كويف : يا لك رجلا لامع الذكاء !

كوتون : ولكن المرء لا يسافر من أجل الرحلة فقط . لاريب أن لك من وراء السفر غرضا هو .. ؟

پـــير : ان أصبح أمبراطورا !

الأربعة معا : ماذا ؟

پـــير : (يهز رأسه) امبراطورا .

الأربعة معا : امبراطور من ؟

پـــير : العالم كله .

بالون : ولكن كيف ، يا صديقى ؟

پـــير : بقوة الذهب ! فكرة الامبراطور هــذه ليست جديدة عليّ . قد كانت مصدر الهامى طــوال حياتى . كنت وأنا صبى أحــلم وأحلق فوق المحيطات على جناح من السحب . كنت أطــير مزدانا بالحرير والذهب ثم أهوى من بعد بكل ثقلى على الأرض. غير أنالهدف،أيها الأصدقاء، ما كان يغيب قط عن ناظرى . قال فيلسوف أو آخر ، لا أدرى فى أى كتاب ، ومن أسف أننى لا أدرى أى كتاب ، انك اذا كسبت العالم كله وفقدت نفسك ، أصبح كسبك تاجا على جمجمة مفتوحة الشدقين . هذا ما قاله ذلك الفيلسوف — أو هو قال شيئا شبيها به . وهذه — أقول لكم — كلمات غير جوفاء .

فون ايبير كوبف : قل لى ، ما هى النفس الجنتية ؟

پـــير : هى ذلك العالم هنا ، داخل رأسى . العالم الذى يجعلنى من أنا ، وليس شخصا آخر ، مثلمــا لا يمكن أن يصبح الاله شيطانا .

ترامبيتارستال : الآن أتبين ما ترمى اليه .

بالون : مفكر رفيع الشأن !

فون ايبير كوبف : شاعر عظيم !

پـير : (فى انفعال متزايد) النفس الجنتية — هى جيش من الأمانى ، والمساعى والرغبات . النفس الجنتية — هى بحر من الخيالات والأشواق والأوامر . انها كل ما يفور داخل صدرى . هى كل ما يجعلنى أحيا الحياة التى أحيا . انها كل ما يجعلنى من أنا . ولكن ، كما خلق الله الأرض ليكون لها الها ، أجدنى أنا ، بيرجينت ، محتاجا للذهب أجعل به من نفسى امبراطورا .

بالون : ولكنك الآن تتقلب فى الذهب .

پـير : ما لدى يكفى ليجعلنى دوقا على طريقة ليب — ديتمولد ، يوما أو يومين — لا غير . لا . بل يجب أن أحقق ذاتى بجماعها . أريد أن أكون جينت فى كل مكان . السيد بيرجينت من الرأس حتى أخمص القدم .

بالون : (منتشيا) وتملك أجمل ما فى العالم من كنوز .

فون ايبير كوبف : أقبية خمور جوهانزبرج ذات المائة عام .

ترامبيتارستال : وكل ما ملك شارل الثانى عشر من سلاح .

تروتون : وقبل كل شىء ، فرصة المزيد من الربح .

بيير : أرى أن الفرصة قد واتتنى ونحن نرسو على الشط . هذا المساء ، نتجه شمالا . قد حمل لى ما رفع الى على ظهر السفينة من صحف أنباء هامة .

(ينهض ويرفع كأسه) .

هذا يثبت أن الحظ انما يعين من يعين نفسه .

الأربعة معا : ماذا ؟ ماذا جرى ؟

بيير : اليونان فى هياج .

الأربعة معا : من ؟ اليونان ؟

بيير : نعم ، قد ثاروا .

الأربعة معا : مرحى !

بيير : والأتراك فى حيرة من أمرهم .

(يفرغ كأسه فى جوفه) .

بالون : الى اليونان ! هنالك طريقة المجد ! سأعين اليونان بسيف فرنسا !

فون ايبير كويف : سأحثهم على السير — ولكن على مبعدة !

كوتون : سأحثهم على السير — بعقد كبير أبرمه .

ترامبيتارستال : الى الأمام ! فى « بيندر » سأعثر على مهماز شارل الثانى عشر الطائر الصيت .

بالون : (يهجم على بير ليعانقه) يا صديقى ، عفوك . أسأت الظن بعض الوقت بأهدافك .

فون ايبير كوبف : (يشد على يده) ، وأنا ، كالأحمق ، ظننتك وغدا .

كوتون : هذا كلام غليظ . أما أنا فما ظننت بك الا الغباء .

ترامبيتارستال : (محاولا تقبيله) وأنا ، يا عمى ، ظننت انى احطت بك حين قلت لنفسى : انه أحقر صنوف اليانكى .

فون ايبير كوبف : كنا جميعا مخطئين .

پير : لست أفهمكم .

فون ايبير كوبف : الآن نتبين عظمة ذلك الجيش الجينتى من الأمانى والأشواق والرغبات .

بالون : (فى اعجاب) مسيو جينت ! هذا ما قصدت !

فون ايبير كوبف : (معجبا هو الآخر) هذا جينت شريف !

پير : ولكن قولوا لى — ؟

بالون : ألا تفهم ؟

پـــير : أفهم ؟ على اللعنة ان كنت فاهما .

بالون : ستساعد اليونان بالمال وأسطولك من السفن !

پـــير : (يصفر) لا ، شكرا لكم . أنا أؤمن بأن القوة هى الحق . سأقرض الأتراك أموالى .

بالون : لا يمكن !

فون ايبير كوبف : طريف ! نكتة طيبة .

(يصمت بيرجينت برهـــة ، ثم يتكىء على كرسى ، ويتخذ سمت العظيم السامى .) .

پـــير : اسمعوا ، أيها الســـادة ، الآن يذوب آخـــر ما يربطنى بكم من صداقة . من الخير لنا أن نفترق من فورنا . انما يقامر بالشىء من لا يملك شـــيئا يخسره . اذا كان ما تملك من أرض لا يتعدى طول ظلك ، فمصيرك الواضح أن تصبح وقودا للمدافع . أما ان كنت ميسورا كما أنا ميسور ، فخطر القمـــار اذ ذاك أكبر . تريدون الذهاب الى اليونان ! سأحملكم اليها بلا مقابل . سأنزلكم الى البر موفورى السلاح. وكلما نجحتم فى اشعال نار الحرب كلما رضيت عنكم . اضربوا بشدة من أجل الحرية ومن أجل

الحق ! الى الأمام ! قدما ! قدما ! أذيقوا الكفار طعم النار ! وودعوا الحياة ممجدين ، مرفوعة رؤوسكم على حراب الانكشارية ! ثم ، قدموا من أجلى الأعذار !

(يضرب جيبه) .

المال ! نفسى ! السيد بيرجينت !

(يفتح مظلته ويذهب الى حرجة النخيل ، حيث ترى السور المعلقة .) .

ترامبيتارستال : الخنزير !

بالون : أين ذهب احساسه بالشرف ؟

كوتون : مالنا وللشرف ! اذكروا ما يمكن أن نحقق من أرباح لو أن اليونان حصلت على استقلالها .

بالون : رأيت نفسى غازيا متوجا ، تقوم على خدمتى الحسان من أهل اليونان .

ترامبيتارستال : رأيت ذلك المهماز الشهير وقد استقر مطمئنا فى يدى السويديتين .

فون ايبير كوبف : رأيت « الكولتور » الألمانية تزحف على البر والبحر .

كوتون : بل الخسارة المادية أكبر من كل ما عداها .

يا للعنة ! أوشك أن أبكى من فرط الغضب ! رأيت نفسى مالكا لجبل أوليمب .فلو كان هذا الجبل جديرا حقا بما له من شهرة لوجب أن أجد فيه كنزا من النحاس يطلب من يستخرجه. وهذا النهر الذى يكثر الناس الحديث عنه — نهر كاستال ، انهم لا يعلمون أن مساقط المياه فيه قادرة على توليد ألف حصـــان من طاقة الكهرباء .

ترامبيتارستال : ســأذهب برغم كل العقبـــات . ان ســيفى السويدى أغلى كثيرا من ذهب ذلك اليانكى ..

كوتون : ربما ، ولكننا حين ننضم الى صفوف المحاربين العاديين — ولا مفر من هذا — فسنضيع فى زحمة الجمهرة ، واذ ذاك أنى لنا أن نحصل على ربح ؟

بالون : ما أشد ما قربنا من النجاح ، وشد الآن ما بعدنا عنه !

كوتون : (مهددا اليخت بقبضة يده) .

ان ذهب ذلك النخاس الغنى مقبـــور فى تلك السفينة التابوت !

فون ايبير كويف : فكرة رائعة ! اسرعوا ، اسرعوا ! الآن أوشكت امبراطوريته أن تتداعى ! مرحى !

بـالون : ماذا تقول ؟

فون ايبير كويف : استولوا عـلى السفينة . سنرشوا البحارة . لن يكون هذا عسيرا ! اركبوا ! استولوا على اليخت .

كوتون : لا تستطيعون !

فون ايبير كويف : سنسرق هذه الباخرة اللعينة !

(يذهب الى الزورق) .

كوتون : فى هذه الحال ، تملى على مصالحى أن أسرق شيئا أنا الآخر .

ترامبيتارستال : هذا الرجل لص !

بـالون : ياله من اجرام ! Enfin(١)

(يتبعان الآخرين) .

ترامبيتارستال : ليكن اذن . سأتبعهم ، ولكنى أولا أحتج أشد الاحتجاج أمام ساحة العالم أجمع .

(يتبعهم) .

---

(١) نهايته !

الفصل الرابع : المشهد الثانى

المنظر : مكان آخر من الشاطىء . ضوء القمر منتشر ، والسحب تمضى سراعا . اليخت منطلق بعيدا فى البحر بسرعة كاملة بيرجينت يجرى على طول الشط . يقرص ذراعه ، ثم يتطلع الى البحر محدقا فيه .

پير : كابوس ! أوهام ! لن ألبث أن أستيقظ !
السفينة تبحر ! بأقصى سرعة ، أيضا ! انى
أحلم ! أنا نائم ! أنا مجنون ! أنا سكران !

(يعض يديه) .

لا أريد أن أموت هنا ! مستحيل !

(يمزق شعره) .

هذا حلم ! انى أقرر انه حلم . أمر مخيف !
ولكن ، يا للأسى ، انها الحقيقة ! هؤلاء
الأصدقاء الثعابين الذين اتخذتهم ! اسمع
دعاى ، يا الهى ! أنت حكيم . أنت عادل ! ثم
احكم بيننا !

(ناشرا ذراعيه) .

انه أنا الذى يدعوك ! بيرجينت ! سألتك أن تسمع دعاى ، يا الهى ! أعنى ، أيها المولى ، والا هلكت ! اجعلهم يعودون بالسفينة ! اجعلهم ينزلون الزورق ! اقبضوا على اللصوص! أصبهم بعطب ما ! اسمعنى ! انس غيرى من الناس ! Pro tem [1] . العالم يستطيع أن يدبر أموره بنفسه برهة ! لا . الله لا يسمعنى ! انه قد ازداد صمما ! يا لها من حال ! اله لا يقدر على العون !

(يشير الى السماء) .

اسمع ! لقد تنازلت عن مزرعة العبيد ! وأرسلت المبشرين الى آسيا ! هل جزاء الاحسان الا الاحسان ! أعنى على ركوب السفينة !

(يرتفع لسان من اللهب يشق السماء ، صاعدا من اليخت ، تليه سحابة ثقيلة من الدخان . يطلق بيرجنيت صيحة ويهوى على الرمل . يتزايل الدخان تدريجيا . السفينة دمرت عن آخرها . يبدو بيرجنيت شاحبا . منكسرا .)

(١) مؤقتا .

يا الهى ! يا له من قضاء ! الى القاع بما عليها من بحارة ، وركاب وفيران ! لك الشكر ، الشكر أبدا ، على أن أنجيتنى !

(فى عاطفة)

أكانت مجرد نجاة ؟ بل أكثر بكثير ! أن أبقى أنا ويغرقون ! الحمد كله لله الذى نجانى ورعانى على ما بى من عيوب .

(يجذب نفسا عميقا)

يا له من شعور رائع بالأمن والسلام تحسه حين تدرك ان رعاية خاصة تحوطك وتحفظك . ولكنى فى الصحراء ! من أين لى بالطعام والشراب ؟ لا بأس ، فسرعان ما أجد شيئا يقيمنى ، ولا شك . سيكون الأمر على ما يرام .

(فى صوت عال متودد)

لن يسمح المولى بأن يهلك عصفور صغير مثلى. سأخفض له جناح الذل ، وسأصبر حتى يعيننى . علىّ أن أثق بالله . اننى ملىء بالايمان .

(يقفز واقفا فى رعب) .

أهذا أسد يزأر بين الشجيرات ؟

(تصطك أسنانه)

لا يمكن أن يكون ..

(يتماســـك)

أظنه كان أسدا ! يقولون ان الحيـــوانات الضارية تتجنب البشر . قد تعلمت ألا تعض من هم أرقى منها . ان لها غريزة . انها تحس — وهى محقة فى احساسها — ان اللعب بالنــار خطر ومــع كل هذا ، فلابد أن أبحث عن شجرة ، هناك نخيل وشجر سنط . لو تسلقتها لكنت آمنا ، وخاصة لو كنت أعرف مزامير أرددها .

(يتسلق الشجر) .

« الصباح صباح والليل ليل » هذه آية توزن دائما وتناقش .

(يستقر فى مكانه مستريحا)

ما أروع أن يحس المرء روحه تسمو ! الأفكار النبيلة أثمن من الملك والذهب . علينا فقط أن نثق بالله . هو وحده يعلم كم من كئوس الشقاء أقوى على شربها . انه لى بمثابة الأب .

(ينظر تجاه البحر ويتنهد) .

ولا أحد بوسعه أن يقول انه قد بخل بالعون .

الفصل الرابع : المشهد الثالث

المنظر : بالليـل ـ معسكر مراكشى عند حافة الصحراء . المحاربون يستريحون قرب نار المعسـكر . يجرى أحد العبيد وهو يمزق شعره .

العبـد : قد اختفى حصان الامبراطور الأبيض .

(عبد آخر يمزق ثيابه)

العبد الثانى : قد سرق ثوب الامبراطور المقدس .

كبيرالخصيان : مائة ضربة بالخيزران ، لكل من يعجـز عن الامساك باللص !

(المحاربون يمتطون جيادهم ويركضون فى كل اتجاه) .

الفصل الرابع : المشهد الرابع

المنظر : الفجر . نفس الأشجار السابقة . بير جينت لا يزال فوق شجرته . يضرب فيما حوله بغصن يرد به عن نفسه رهطا من قردة البربر يهاجمه .) .

بير : فطيع ! ليلة بالغة الازعاج !

(يضرب) .

ها قد عادت ! اللعنة عليها جميعا ! ها هي ذي تقذفني بالفاكهة . لا ، بل بشيء آخر ! حيوان كريه ، القرد !
يقولون : « خل عينيك مفتوحتين وقاتل » . ولكن هذا هو بالضبط ما لا أستطيعه . انني منهك .

(تهاجمه القردة ثانية . يفقد صبره) .

على أن أضع حدا لهذا ، حدا نهائيا . سأقبض على واحد منها وأشنقه وأسلخه ثم أكسو جسدي بجلده الكثيف الشعر هذا قدر ما أستطيع . اذ ذاك تظن القردة اني واحد منها .

من هم البشر ؟ مجرد ريشات فى مهب الريح . علينا أن تتشكل بالبيئة . مزيد من القردة ! انهـا فى كل مكان . وصفيقة أيضا ! أيتهـا الشـياطين ! هش ! انهـا تتصرف كالمجانين ! وددت لو ربط ذيلا فى مؤخـرتى ! أو شيئا يجعلنى أبدو كالقرد ! ما هذا ؟شىء يخرفش فوق رأسى !

(ينظر الى أعلى) .

انه القرد العجوز . وقبضته مليئة بالروث .

(ينكمش بير جالسا ، وهو متذرع بالهدوء . يأتى القرد بحركة تهديد . يأخذ بير جنيت يلاطفه ويحادثه كما لو كان كلبا) .

آه ، هذا أنت ! أنت شخص لطيف ! ولد ماهر، أليس كذلك ؟ يعرف الأصـول ! لا يمكن أن يلقى القاذورات على الناس !لا ،أنا واثق من هذا ! هذا أنا ، ألا تعرفنى ! هاللو ! نحن صديقان ، هه ؟ بو — وو ! سمعت هذا ؟ أستطيع أن أتكلم لغتك ! بل اننا أولاد عم ، يا شيخ ! غدا ، أعطيك قطعة سكر . الحيوان !

قذف بحمل عربة من الروث على رأسى ! فظيع !
أو لعل ما قذف طعام ! مذاقه غير عادى . ولكن التذوق ، على كل حال ، مسألة تكتسب . من من الفلاسفة قال : « ابصق واعتمد على حكم العادة ؟ » ها قد جاءت القردة الصغار !

(يأتى بحركات سريعة ويضرب حوله) .

أليس من المؤسى ان الانسان ، وهو سيد الخليقة ، مضطر الى — النجدة ! يقتلوننى! النجدة ! القرد العجوز كان جنيا ، ولكن الصغار أشد منه هولا .

الفصل الرابع : المشهد الخامس

المنظر : الصباح الباكر . مكان صخرى يطل على الصحراء . على أحد الجوانب صدع فى الصخور وكهف . ويرى لص وتاجر مسروقات وقد اختبئا فى الصدع ، ومعهما ملابس الامبراطور وجواده . الحصان ، وعليه نفسه السروج ، مربوط الى صخرة . على البعد أناس على ظهور الخيل .

اللص : انصال الرماح تبرق وتتألق . انظر ، انظر !

تاجر المسروقات : رأس سرعان ما يطاح به الى الرمال . ويلى ! ويلى !

اللص : (يعقد ذراعيه) أبى سرق ، كذلك الآن أسرق .

تاجر المسروقات : أبى تاجر فى المسروق ، وأنا مثله أتاجر .

اللص : عليك أن تحمل مصيرك . عليك أن تكون نفسك .

التاجر : خطوات تقترب ! اجر ! اجر ! ولكن الى أين ؟

اللص : القبر واسع ، والنبى كريم .

(يفران تاركين وراءهما الغنيمة . يختفى ركاب الخيل فى خلفية المنظر . يظهر بير جينت ، وهو يصنع من البوص مزمارا) .

بيير : آه ، يا له من صباح بديع ! الخنفساء تتقلب مسرورة فى الرمـل ، والحلزونة تخرج من قوقعتها . الصباح ! أجل ، انه أسمى من الذهب بكثير ! ما أروع ما فعلته الطبيعة اذ أضفت على النهار هذه القوى السحرية . المرء يشعر فيه بالطمأنينة ، ويحس شجاعته تنمو وتزداد . انه ليتقدم طواعية فيجر ثورا وحشيا من قرونه طلبا للنزال . يا للدعة ! آه ، الريف ! انظر ورائى فلا أكاد أصدق اننى هجرته لأحبس نفسى فى مدينة مزدحمة ، ليخزنى بالشوك الناس من كل لون وصنف . بالله انظر الى هـذه السحالى تروح وتجىء مسرعة ، أو تستلقى فى الشمس ولا تبالى ! كم هى بريئة ، هذه الأحياء ! كل منها يحقق ذاته وهو يلعب أو يتعارك ، هو هو كما كان يوم الخليقة .

(يلبس منظاره) .

ضفدع ! هنا ، فى هذه الكومة من الحجـر الرملى ، نصف مختبىء ، لا يظهـر منـه الا رأسه . ها هو ذايجلس ، ويحدق فى العالم ،

كأنما ينظر من نافذة . هو لذاته فيه الكفاية . كفاية ! كن نفسك ! اين قرأت هذا ؟ فى الانجيل على ما اظن . أو ترى كان فى كتاب الدعاء ؟ أم أنه ضمن كتاب الأمثال ؟ غريب ! كلما مرت السنون ساء ذكرى للتواريخ والاسماء .

(يجلس فى الظل) .

هاهنا مكان رطيب . سأرتاح هنا وامد رجلى . انظر ، هذا نبات له جذور تؤكل .

(يقضم واحـــدا) :

هذا طعام الحيوان. غير ان المثل يقول « عالج نفسك حتى تحب ما تـكره » . ومثل آخر يقول : « الكبر يسبق السقوط » وثالث يقول : « من تواضع له الرفعة » (بقلق) الرفعة ؟ أجل ، هذا ما سوف يجرى لى . لا أرى لى طريقا آخر . سينجينى القدر من هذا المكان ، ويعيدنى الىطريقالفلاح. هذه ساعة الامتحان. وسأكون من الناجين ، لو مد لى الله يد العون .

(يدفع بهذه الأفكار جانبا ، ويشعل سـيجارا ، ويمد جسده مسترخيا وهو يحدق فى الصحراء) .

ياله من خراب هائل بلا حدود ! على مــدى البصر نعامة تجرى . ترى ما هى حكمة الله فى خلق هذا الفراغ الهائل المهجور ؟ هذه الصحراء التى تنقصها أسس الحياة ؟ هذه الارض الجافة العاطلة ، هذه الجثة التى لم تشكر الله يوما ما ، منذ الخليقة حتى الآن ؟ الطبيعة مبذرة . أهذا هو البحر يبدو فى الشرق ؟ مستحيل ؟ لابد أنه سراب . البحر فى الغرب . هو ورائى . وهذا التل هو الجسر الذى يحجزه .

(تخطر له فكرة)

جسر ! آه ، ليكن اذن — ! انه ليس تلا كبيرا . جسر !. نقوم ببعض التفجير ! ثم نحفر قناة ! تصبح كأنها نهر الحياة ، تدفع بالماء فى جوانبها ، فتغرق الصحراء . وسرعان ما يصبح هــذا الجحيم المتصاعد الدخان رطيبا كالبحر المتماوج وتظهر الواحات كالجزر ، وتمسى جبال الأطلس خضراء كشواطئنا فى الشمال ، وتسرع السفن متجهة صوب الجنــوب ، كالطيور تعود الى الأوكار ، فى مسالك كانت من قبل دروبا تمشى

فيها القوافل . وتهب النسائم الرقيقة فتهبط بدرجة الحرارة ، وينزل الندى من السماء ، وتظهر المدائن فى كل مكان ، وينمو الحشيش حول كل متمايلة من النخيل ، والى جنوب الصحارى يخرج الى الوجود بلد جديد موفور الصحة ، له موانىء واسعة ، ويدير البخار مصانع تيمبكتو ، ويمتد العمران سريعا الى بورنو ، ويسافر الرحالة المستكشف بالقطار من هابيس الى أعالى النيل ، وفى واحة خصبة قابعة فى بحارى ، سأكثر جنسى النورويجى . ان دم أهل الوديان يقرب أن يكون ملكيا ، وامتزاجه بالدم العربى سيتكفل بالباقى . وحول بحيرة قليلة الماء سأقيم عاصمتى! سأسميها بيروبوليس! « العالم راحت عليه » ! اليوم جاء دور جينيتانا ، دولتى الناشئة !

(يقفز واقفا)

اعطونى المال ! التنفيذ ممكن ! مفتاح من الذهب لباب المحيط ! حملة صليبية على الموت ! هذا النخيل الشره العجوز حتم أن ينزل عن غنائمه .

كل البلاد الآن تصيح طالبة الحرية . وأنا بدورى ، كالحمار فى فلك نوح ، سأطلق صيحتى مدوية لتدور حول العالم . ان مولد الحرية قريب ! سأذهب الآن الى هاتة الشطئان الوليدة البديعة الموشكة على العمل . سأجمع المال فى الشرق والغرب ! الى الأمام ! الى الأمام ! ملكى كله — لا ، نصف ملكى فقط ، مقابل جواد !

(يصهل الحصان فى الوادى)

حصان ! وملابس ! وجواهر ! وسيف ! مستحيل ! بل هى فعلا موجودة ! نعم ، حقا ! قرأت فى كتاب ما ان الايمان يحرك الجبال ، ولكن هذا لا يعنى أنه يحرك الحصان أيضا ! ولكن الواقع واقع ! هذا هو الحصان ! Ab esse ad posse [1] الخ .. الخ .

(يلبس الثياب ويتأمل نفسه) .

أنت الآن السيد پير وعظيم تركى من الرأس الى القدم ! تيقظ يا جرين ، يا حصانى الأثير !

---

(١) « القدرة أساس التكليف » أو « كل ميسر لما خلق له » . (المراجع) .

(يركب) .

مهمازان من الذهب أيضا ، ليمسكا قدمىّ !
هذا يثبت أن القدر وحده عليه المعول . يمتاز
العظماء من طريقة الركوب !

(يعدو بالحصان متوغلا فى الصحراء) .

المنظر : خيمة كبيرة لرئيس قبيلة عربى وسط واحة . بيرجينت ، فى ثياب شرقية ، مسترخ على وسائد ، يشرب القهوة ويدخن النارجيلة . أنيترا وبعض الراقصات يرفهن عنه بالرقص وبالغناء .

تورس : جاء النبىء ! النبىء ، سيد الأرض جميعا ، الينا
جاء السيد ، راكبا بحار الرمال . النبىء ،
السيد ، الحكيم المحيط ، الينا جاء السيد
راكبا بحار الرمال . انفخوا فى الناى ، ودقوا
الطبول ، فالنبىء ، النبىء جاء .

انيترا : جواده أبيض كاللبن يجرى فى أنهار الجنة .
اركعوا ! اركعوا حتى تلامسوا الأرض !
اركعوا حتى توشكوا على السجود ! عيناه
الحانيتان نجمتان تستطيعان العبوس . ما من
بشرى يصمد أمام نور السماء تشعه هاتان
العينان . عبر الصحراء جاء النبىء ، محلى
صدره باللؤلؤ والذهب . الينا سار فجاء بالنور.

ووراءه سادت ظلمات الليل ، والجفاف وريح السموم . ها قد جاء ، ذو الروعة ، عــــبر الصحراء ، فى ثوبه الأرضى . والبيت ، البيت وراءه خلاء . ها قد تحدث ، الحكيم المحيط .

تورس : انفخوا فى الناى ، ودقوا الطبول ، فالنبىء ، النبىء جاء !

(يرقصن على موسيقى رقيقة) .

پــير : قرأت فى الكتب — وصحيح لابد ما قرأت — أن لا كرامة لنبى فى وطنه . هذه حيــاة أبهج كثيرا من حياتى هناك تاجرا فى تشارلستون . كان ثم شيء من خواء يشوب تلك الحياة — شيء غريب عنى ، بل قل شيء من فساد . لم أك قط مرتاحا لحياتى ، ولم أنجح أبدا فى أن أكون رجل دنيا . ماذا قذف بى الى تلك الجيزة ؟ ما الذى جعلنى أنقب فى بؤرة التجارة هذه ؟ أتأمل المسألة ولكن النور لا يشرق علىّ . قد حدث ما حدث ، وهذا كل شيء ! أن يحقق الانسان ذاته على قاعدة الذهب يساوى بالضبط أن يبنى بيتا على الرمــال . اذا التمع خاتمك

وساعتك وغلت ثيابك ، زحف أمامك النــاس ولعقوا حذاءك ، انهم يرفعون القبعات تحيــة للدبوس الماسى . غير ان الخاتم والدبوس ليسا الانسان . نبىء ! هذا يجعل وضعى واضحا . أنا على الأقل ، قد وجدت لى مهنة . اذا مدحنى الناس الآن فلأننىمنأنا ، وليس لأن حسابى فى البنك كبير . انما نحن ما أودع ما فى نفوسنا من أشياء ! لا تتفلسف ، لا تستند الى الحظ أو الظروف ، لا تعتمد على براءات الاختراع ، أو الرخص أو المنح . نبىء ! أجل ، هذا يوافقنى تماما . وانى لأجد نفسى فى زمرة الأنبيــــاء بمحض الصدفة ، لمجرد اننى تمخطرت على الرمال ، وصادفت أبناء الطبيعة هؤلاء . قيل ، النبىء جاء !. فكان فى هــذا الكفاية لهم . لم أقصد أن أغشهم . لا أبدا ! ان النبؤات ليست أكاذيب ، بكل تأكيد . وعلى كل حال ، يسعنى دائما أن أستقيل . لست مقيــدا فى شىء . ما أنا فيه خير من كثير غيره من مواقف . انها مسألة خاصة تماما . وكما جئت أستطيع

الرحيل ، جوادى على استعداد . باختصار ، أنا سيد الموقف .

انيترا : (مقتربة) أيها النبىء والسيد !

پـــير : ماذا تريد جاريتى ؟

انيترا : أبناء الصحراء منتظرون بالباب ، يرجون السماح لهم باجتلاء طلعتك .

پـــير : كفى ! قولى لهم يصطفوا على البعد فلن أسمح بأن يرونى عن كثب . قولى أيضا اننى لن أدع أحدا منهم يدخل هنا . الناس ، يا ابنتى العزيزة ، طغمة من الفاسدين . بل هم فى الواقع خنازير قذرة . أنيترا ، لو انك عرفت كيف خدعونى بصفاقه ، أقصد كيف أذنبوا فى حقى ، يا طفلتى ! لا يهم ! كفانى ما لقيت منهم ! ارقصى لى ، يا ابنتى . النبىء يريد أن ينسى آلامه .

كورس : (يرقصن) .

النبىء طيب ، النبىء حزين لما ارتكب بنو آدم من آثام . النبىء عطوف ، يستأهل الحمـد عطفه ! للمذنبين يفتح جنته !

پـــير : (تتابع عيناه أنيترا وهى ترقص على اللحن) .

ساقاها تتحركان فى سرعة عصى النقرزان . قطعة من اللحم الشهى ، هذه الوقاح . فى أجـزاء من جسمها مبالغة فى التكور . ما أبعد هـذا عن فكرة الجمال فى الشمال ! ولكن ما هـو الجمال ؟ مجرد عرف ! لا أكثر ! عملة تسك وتثبت قيمتها فى أماكن بعينها ولمناسـبات بالذات . الرجل الذى قضى حياته معرضا عن الشراب لا يعرف قط لذات السكر . أجـل ، لا يجتذب الطعام المفرط فى اللذة الا من طال أكله للعـادى من الطعام . والشىء العـادى لا يكون قط مقبولا . اذا كانت المرأة غـير مفرطة فى السمنة قالوا : هى كيس عظام ، فاذا لم تكن جد صغيرة قالوا : احدى قدميها فى القبر . فان كانت لا صغيرة ولا كبيرة قالوا : سخيفة العقل . لا ! ان العادى من الأشـياء كالح ، متعب . قدماها — نعم ليست بالغتى النظافة ، ولا ذراعاها — أو احداهما عـلى الأقل ، ولكن من يأبه بصغائر كهذه ؟ بل انى أعتبرها مزايا . أنيترا ، اسمعى .

انيترا : (تقترب) سمعا لك وطاعة .

پيـر : أنت فاتنة ، يا ابنتى . قد شغل بك النبىء . اذا لم تصدقينى ، فهاك الدليل — سأجعلك حورية فى الجنة !

انيترا : مستحيل ، يا مولاى .

پيـر : تظنين اننى أكذب ؟ بل أنا جاد كل الجد ، وحياتى !

انيترا : ولكنى لا روح لى .

پيـر : سأمنحك روحا !

انيترا : وكيف ، يا مولاى ؟

پيـر : اتركى لى تدبير هذا ! سأجعل همى فى تعليمك . لا روح لك ! أنت بلا شك عبيطة شيئا ما ، هذا واضح ، وقد آلمنى قليلا ، غير أن فيك متسعا لروح من الحجم الصغير . تعالى ! دعينى أقيس دماغك ، أيتها العزيزة . هنا متسع ! متسع كبير ! قد كنت واثقا من هذا ! صحيح ان روحك هذه لن تذهب بك بعيدا ، ولكن عليك أن تقنعى بما أعطيك ! سيكون لك من الروح ما يكفيك مؤونة الخجل .

انيترا : النبىء بالغ العطف .

پــير : لماذا ترددين ؟ تكلمى !

انيترا : أفضل أن تعطينى —

پــير : أفصحى ، يا ابنتى — لا تتلعثمى .

انيترا : لا رغبــة قوية لى فى أن أحصل على روح .
أفضل كثيرا لو أعطيتنى —

پــير : مــاذا ؟

انيترا : (مشيرة الى عمامته) هذه البيضاوية البديعة !

پــير : (يعطيها الجوهرة . وقد استبد به السرور) .
أنيترا ! أنت ابنة حــواء حقا وصدقا ! أنت
تجتذبيننى المغناطيسى فأنا رجــل . وكما قال
كاتب طائر الصيت : "Das ewig Weibliche:
Ziehet uns en." (١).

(١) الأنوثة الخالدة تجذبنا .

الفصل الرابع : المشهد السابع

المنظر : خارج خيمة أنيترا . على القرب بعض النخيل ـ **القمر** بدر . بير جينت جالس تحت شجرة ، وفى يده عود عربى . شعره ولحيته قد شذبا ، فبدا أصغر سنا . يغنى ويعزف على **العــــود** .

بيــــر : أغلقت أبواب الجنة
وأخذت المفتاح .
ركبت البحار وريح الشمال تكسح
الأعماق ، والجميلات من النساء يبكين
فى روع غير مكتوم .
ومخرت طرادتى عباب البحار المالحة
وسارت جنوبا لأرض قاصية ،
وحيث النخيل باسق ، رشيق
يتمايل حول خليج تغمره الشمس
نزلت وأحرقت مراكبى
وركبت من بعد سفينة الصحراء
ذات أربع ، سريعة ، منطلقة
فمرقت بى بأخفاف مجنحة

طائر مهاجر ، أنا ! سو ، سو !
هكذا أزقزق على شجرة .
أنيترا ، أنت لبن نخيل
سأذوقه من فورى
جبن ماعز الأنجورا شهى
ولكنه لا يدانيك ، أيتها العزيزة
فى لذعتك ونكهتك .

(يعلق عوده فى كتفه ويقترب)

صمتا ! ترى هل تسمع جميلتى ؟ هل سمعتنى
أنوح بأعذب الألحان ؟ هل تنظر خلل الأستار ،
وقد نضت عنها القناع وما أشبه ؟ هس !
صوت أشبه بسدادة تنزع بعنف من زجاجة !
ها هو ذا يعود ! زفرات الحب ؟ أنشودة
غرام ؟ لا ، بل شخير واضح ! موسيقى الهية !
أنيترا نائمة . أيها البلبل كف عن الغناء !
ستصيبك ألوان شتى من الطاعون لو جسرت
على التحدى بالمناغاة وخرير النغم — على
رسلك اذن ، امض فى الغناء ! القدر جعل
البلبل مغنيا كما جعلنى . هو ، مثلى ، يكسب

بالموسيقى القلوب الغضة النابضة . هذا الليل الرطيب قد خلق للغنـــاء . الموسيقى ملكنا المشترك . الغناء يجعلنا ، بيرجينت والبلبل ، من نحن . كما أن نومها هو قمـــة نعيمى بالغرام .. أشعر كأن شفتى قد مستا الكأس وتركتا شراب الآلهة فيه دون مذاق .. بل هذى هى ! من الخير أن تظهر لى بنفسها .

انيترا : (من داخل الخيمة) هل ينادينى مولاى فى الليـــل ؟

پـــير : أجل ، مولاك قد دعا . وهو فى النداء لا يزال . أيقظتنى القطط بعراك مريع .

انيترا : لا تظن أنها كانت تتعارك . بل الأمر من هـــذا أســـوأ .

پـــير : ماذا اذن ؟

انيترا : ارحمنى من الجواب !

پـــير : قولى .

انيترا : الخجل يعلونى !

پـــير : (مقتربا) لعله نفس ما شملنى من شعور حين أعطيتك الجوهرة البديعة .

انيترا : (منزعجة) .
يا كنزى ، كيف تقرن بين نبىءوقط أجرب .
پـــير : عند المحب لا شىء يفرق بين نبىء وهر عجوز ،
انيترا : النكات ، أيها السيد ، تسـيل من شـفتيك كالعسل .
پـــير : صديقتى الصغيرة العزيزة ، أنت ، كغيرك من العذارى ، تحكمين عـلى عظماء الرجـال من ظواهرهم . أنا فى أعماقى انسان مرح ، خاصة حينما أنفرد بك . وضعى يحتم علىّ أن ألبس قناعا من الجد الثقيل . المضمون العالمى لشغلى اليومى ، القرارات الخطيرة ، النقاط المعقدة التى تزحف على يوما بعد يوم ، تجعل منى نبيئا قليل الكلام . ولكن هذا هو السطح منى . حينما انفرد بك لا أكون هكذا . أنا مجرد بير البسيط ، منطلقا بلا تعقيد . واحـد ، اتنين ، ها قد اختفى النبىء ! ونفسى الصافية تمثل أمامك .

(يجلس تحت شجرة ويجذبها اليه) .

تعالى ، يا أنيترا ، تحت هـذه النخلة الوارفة

الظل ! سأهمس لك وتبسمين ، ثم نعود
فنتبادل الأدوار ، تهمس شفتاك الورديتان
كلمات الهوى ، وأقنع أنا بالابتسام .

انيترا : (تجلس عند قدميه) .
كلماتك كلها أغان عذاب ، ولو أنها تعلو على
فهمي . قل لي ، أيها النبيء ، أتستطيع ابنتك
أن تفوز بروح بمجرد الانصات ؟

پير : روح ، هي نور الحياة والمعرفة ! نعم ، تحصلين
على روح قريبا . حينما يكتب الشرق ، بقلم
من نار : « النهار يطلع » ، سأبدأ معك الدروس.
سنجعل منك سيدة صغيرة . غير أن من الغفلة
أن آخذ سمت المعلم وأفرض عليك حكمتي
المتآكلة في ساعات الليل الصامتة . لنحذر أن
تكون الروح شغلنا الشاغل . بل القلب أجدر
أن يكون في المقدمة .

انيترا : تحدث ، اذن ، يا مولاي ، فحين تتكلم أرى
ومضات من جواهر أخر !

پير : الافراط في العلم يسلم الى الغفلة ، وبرعم
الجبن ينشق عن القسوة . الحقيقة ، ان بالغنا

فيها ، أضحت عمــود الحكمة مقلوبا . نعم ، يا بنيتى ، فى الدنيا أناس غارقون فى ذواتهم حتى أن أبصارهم لتفتقد الصورة الصحيحة . ان لم يكن هذا حقا ، فلا كنت ! عرفت انسانا هذا شأنه . بدا لى كالجوهرة فى الوحــل ، الكلمات الرائعة كانت تتساقط من فمه ، على أنه ، على المدى ، ضل الطريق فى غابة فصاحته . انظرى الى الصحراء الهائلة تحيط هذه الواحة لو قد أدرت عمامتى قليلا لجاءت المحيطــات الخمس الكبرى فابتلعت كل شق وزاوية فيها . ولكن لم أتعب فى خلق قارات ومحيطات الآن ؟ انها لعبة المعتــوه ، لا أكثر . أتعرفين ما هى الحياة ، يا ابنتى ؟

انيترا : لا ، علمنى ، رجوتك .

پــير : أن نطفو ، ولا نبتل ، فوق جدول الحيــاة ، ونكون أنفسنا . هذه ، هذه ، هى الحياة . فى الشباب والرجولة فقط أكون حقا من أنا . الكهولة تجعل النسور تسقط ريشها ، الكهولة تصيب كبار السن بالروماتيزم ، الكهولة تسقط أسنان

العجائز من النساء ، الكهولة تجعل أيدى عجائز البخلاء معروقة ، وواحدا بعد آخر ، تجف منهم الأرواح . الشباب ! سلطانا يجب أن أكون ، ناريا بفضل الشباب ، وغير مقتر على في العافية . أحكم ، ليس فى سهول جينيتانا فى ظل النخيل والكروم المتسلقة ، وانما فى حقول أكثر من هذا خضرة وأشد نضرة ، حقول أفكار عذراء تراود احدى الصبايا . فأنت ترين اذن لماذا أنا حفى بك ، ولم اتخذت قلبك وجعلت فيه قدس أقداس خلافتى . بى شوق لأن أعرف كل حنين يراودك ، وأن أكون طاغية حبك ! يجب أن تكونى لى وحدى ، أن تصبحى سجينتى ، موثوقة الى كما توثق الجواهر فى سلاسل الذهب . فاذا افترقنا ، انتهت الحياة ، حياتك أنت ، أذكرى جيدا ، من فضلك . وكل عصب فيك ، كل خلية وكل مسم ، لابد أن يقر سلطانى ، ويدخل فى خدمة ارادتى . وخصلات شعرك ، أشد سوادا من منتصف الليل ، وجمالك ، وكل ما يفتن فيك ، سوف

يجذبنى ، أنا سلطانك ، الى مكان لللقيا أشد جمالا من حدائق بابل المعلقة . لهذا أعده من حسن الطالع انك غرة لطيفة هكذا . من يملك روحا من الناس يبــدد نفسه فى تأمل ذاته . والآن ، ما دمنا دخلنا فى الموضوع ، خــذى هــذا الخلخال الذهبى زينى به رسغ قدمك البديع . فى هذا رضا لكلينا . لن تملكك روح ، بل أنا الآن الذي سيملكك . والا — يستمر الوضع الراهن .

(يسمع شخير أنيترا)

نامت ! جمال كلماتى الذى لا يقاوم قد انساب وتعداها ، لا ، بل هذا يثبت أن سلطانى ثابت قوى . لقد سبحت الى عالم الأحلام على خرير أغنيتى الصافية .

(يقف ويضع جواهرفى فى حجرها) .

هاك ، اذن . جواهر ! وأخــرى ! وثالثة ! واصلى النوم ، يا أنيترا ! احلمى ببير ! نامى ! فانك بالنوم قد توجتنى امبراطورا ! الليلة ، بفضل شخصيته فقط ، حقق بيرجينت أعظم انتصاراته .

الفصل الرابع : المشهد الثامن

المنظر : طريق القوافل . ترى الواحة عن مبعـــدة كبيرة . بير جينت راكبا جواده الأبيض يركض به عبر الصحراء ، وأمامه انيترا .

انيترا : دعني ! سأعضك !

پــير : أيتها الوقاح الصغيرة !

انيترا : ماذا تريد ؟

پــير : أريد ؟ أن ألعب لعبة الصــقر والحمامة ! أن أهرب بك وآتي أشد الأفعال جنونا ونزقا .

انيترا : عار عليك ! وأنت نبيء عجوز !

پــير : كلام فارغ . لست عجوزا الى هذا الحــد ، يا حمقاء ! أركوبي الحصان دون سرج دليـــل الكهولة ؟

انيترا : اتركني ! أريد أن أعود الى بيتي !

پــير : أيتها المجرمة الصغيرة ! بيتك ، بيتك ! تقصدين أن تردى لي حقوق المجرم المدنية ! هى فكرة ، مع ذلك ! ولكن الطيور التي نجت مرة من

القفص تحرص كل الحرص على ألا تعود اليه . ثم ان المرء يا بنيتى ، يجب أن لا يبقى طويلا فى مكان ما . لأنه يفقد من احترام الناس له بقدر ما يكسب من معرفة بهم ، خاصة اذا كان نبيئا . على المرء أن يأتى ويروح ، كالقصيدة الجميلة . آن لزيارتى أن تنتهى . أبناء الصحراء هؤلاء بهم نزق ! لم يعد يأتينى منهم البخور والصلوات .

انيترا : ولكنك نبىء ؟

پـير : أنا امبراطورك !

(يحاول تقبيلها) .

انظروا كم هى ظريفة هذه العصفورة الجارحة .

انيترا : أعطنى هذا الخاتم الذى فى أصبعك .

پـير : أنيترا ، حبيبتى ، خذى كل ما أملك .

انيترا : كلماتك موسيقى . كم تطن فى أذنى جليلة !

پـير : يا لفرحتى ، اذ أجدك تحبيننى الى هذا الحد ! هيا بنا ! سأقود جوادك كأنى عبد .

(يعطيها السوط وينزل) .

هكذا ، هكذا ، يا وردتى ، يا زهرتى النادرة ،

أنقل وراءك الخطو فى الرمال ، حتى تضربنى الشمس وأرقد عنـد قدميك . أنا شـاب ، يا أنيترا ، اذكرى هذا ! لا تحكمى على دعاباتى بالحكم القاسى . انما يعرف الشباب بما يأتون من عبث . ولو لم تكونى حمقاء هكذا لقدرت ، يا زهرة سم الفأر العذبة[1] ، انه ما دام حبيبك مليئا بالعبث ، فهو اذن شاب !

انيترا : نعم . أنت شاب . ألديك خواتم أخرى ؟

بير : طبعا أنا شاب . أترين ! أستطيع القفز كالغزال النضير ! ولو كان عندك أوراق عنب ، لوضعتها فوق رأسى كالاكليل . أجل ، أنا شـاب . انظرى ، هأنذا أرقص أمامك .

(يغنى ويرقص) .

أنا ديك فصيح ،
انقرينى ، يا فرختى الصغيرة .
كوكو كوكو كوكو !
أنا ديك فصيح .

انيترا : العرق يسيل منك ، أيها النبىء ، أخشى أن

---

(١) سم الفار نبات عشبى دائم الخضرة وسام (المترجم)

تذوب . تخفف من هذا الشيء الثقيل على حزامك .

پيير : يا له من حرص على رقيق ! طبعا ، أدعك تمسكين لى كيسى . الأحبة لا يحرصون على الذهب .

(يغنى ويرقص ثانية) .

الشاب بير مجنون ، مجنون !
لا يعرف نفسه من حبيبته المصون !
طظ ، طظ ، يقول بير ، يى يى
فالشاب بير ، مجنون مجنون !

انيترا : أهناك أبدع من نبيء يرقص ؟

پيير : الى الجحيم بنبوتى ! دعينا نتبادل الملابس ! هيا بسرعة !

انيترا : برنسك طويل على ، وحزامك واسع ، وجوربك قصير .

پيير : Eh bien (1)

(يركع) .

اذن عذبينى واضنى فؤادى ، فمعذب أن تشقى

---

(1) وبعد .. !

قلوب المحبين . حين نصـــل الى قصرى ، يا أنيترا —

انيترا : جنتك ! أهى بعيد ؟

پـير : ألف ميل أو —

انيترا : بعيدة جدا ! جدا !

پـير : هناك ستحصلين على الروح التى وعدتك —

انيترا : لا ، شكرا ! لا حاجة بى الى روح . كنت متشوقا للعذاب .

پـير : (ينهض) أجل ، والضنى ! عذاب رائع ، طارىء ، بنوبات !

انيترا : أنيترا تجيب النبىء الى طلبه ! وداعا !

(تضربه بالسوط على ركبتيه ، وتركض بالجواد بأقصى سرعة عبر الصحراء) .

پـير : (مشدوها) اللعنة — !

الفصل الرابع : المشهد التاسع

المنظر : نفس السابق ـ بعد ساعة . يرى بير وقد تظهر وبدا متفكرا ، وهو يخلع رداءه الشرقى . أخيرا يخرج من جيبه قلنسوة صغيرة للسفر ويضعها على رأسه فيبدو فى ثياب أوربية مرة أخرى . يلقى بعمامته الى أبعد ما يستطيع .

بير : هنا يرقد التركى ، وهنا أقف أنا ! عادات هؤلاء الكفار لا يمكن أن تفيدنا بشىء . من حسن الحظ أن هذه ستذهب مع الملابس ، وانها لم تنقش نقشا على لحمى . ما الذى دفع بى الى هذه الحيرة ؟ أنا مسيحى ! أهناك خير من هذا ؟ بعدا لهذه المظاهر الطاووسية ! كن مع القانون ، كن أخلاقيا ، هذه هى الحياة الحقة ! يجب أن أكون نفسى ، وأضمن لنفسى عظة تلقى على قبرى ، وزهورا توضع على تابوتى .

(يخطو خطوات الى الأمام) .

خذ مثلا هذه الجريئة — لقد نجوت من فتنتها فى آخر لحظة . أنتى لى أن أعرف ماذا فتننى فيها ،

وأنا بشرى ، ولست عفريتا . حمدا لله على النجاة ! لو ان هذه الدعابة طالت لبدوت سخيفا للناظرين . قد أخطأت — هذا حق ! غير ان ما يريحنى اننى أخطأت بالنيابة . لم أكن أنا الذى سقط وانما النبىء ، حرم على بوصفى نبيئا أن أكون نشيطا ، فواسيت النفس بهذه الأفعال المؤسفة الخالية من الذوق . حياة النبىء قاسية . عليه أن يعتزل الناس ، ويعيش فى السحاب . لو أظهر بارقة من الرغبة فى الدنيا ، فسرعان ما يخرجه الناس من اعتبارهم . ظننت اننى نجحت حين غازلت هذه الحمقاء ! ومع هذا ، ورغم كل شىء —

(ينفجر ضاحكا) .

تصوروا ! ظننت اننى أوقف الزمن بالرقص والغناء والزفرات والنواح السخيف ! فماذا كانت النهاية ؟ أصبحت فرخة منتوفة ! حتى أصحاب القداسة لهم خطاياهم ! أجل ، نتفت تماما ! يا الهى ، كيف نزعت عنى الريش ! من حسن حظى أننى أبقيت شيئا للاحتياط ، فى

جيبى شيء ، وشيء آخر لى فى أمريكا ، واذن فلست على الحديدة . طبقة وسطى ! أجل ، هذا ما يجب أن أكون ! ليس لى سائق وعربة بحصانين ، وما على أن أحرص على حقائبى ونقلها ، فأنا بعد سيد الموقف . أمامى طرق كثيرة . فأيها أختار ؟ يعرف الحكيم كيف يفصل القمح من النخالة . قد انتهت حياتى كرجل أعمال . كذلك انقضت غرامياتى . ولست أريد أن أعود من حيث أتيت . « الى الخلف أو الى الأمام ، نفس المسافة ، للداخل أو للخارج ، الطريق ضيق » . هذا ما يقوله كتاب أو آخر من الكتب المقدسة . علي أن أفكر وأخرج بشيء جديد ، شيء يكسب النفس النبل ، شيء يستأهل العمل والنقود . هل أكتب قصة حياتى ، دون حذف ، ليهتدى بها الأبرياء ، لا ، انتظر ! ما دام أمامى وقت طويل ، فلم لا أعطى لنفسى Carte blanche [1] كيما أسافر وأدرس الانسانية عبر القرون ؟ أجل ، هذا

(١) مطلق الحرية .

ما أريد ! ما أريد بالضبط . فى شبابى كان يلذ لى أن أمعن النظر فى الوثائق القديمة . التاريخ والبشرية كانا دائمـــا يجتذبانني . سأدرسهما الآن . سأطفو ، كالريشة ، فوق نهـــر الزمن الذى لا ينتهى ، وأعيش الماضى من جديد ، كما لو كنت فى حلم ، وأرى الأبطال يخوضون المعارك دفاعا عن قضايا مجيدة . سأكون مجرد متفرج ، من مسافة تضمن لى السلامة . سأرى المفكرين يعذبون ، والشهداء ينزفون الدم ، والعروش تتهـــاوى والامبراطوريات تبيـــد ، سأرى الأشـــياء العظيمة تنمــــو من بدايات متواضعة ، وباختصار سأقشط قشدة التاريخ . سأحصل على نسخة من بيكر ، وأرحـــل من مكان الى مكان حسب تتابع الزمن . أعلم ان أساسى الفكرى ليس قويا ، وان التاريخ شىء عويص ، غير ان أشـــد التجارب بساطة كثيرا ما تمخضت عن نتائج مذهلة . انه لعظيم أن تحدد لنفسك رسالة ، وتصر على الأسنان ، وتسلح أعصابك بالحديد ، ثم تصل الى هدفك.

(متأثرا ، وانما يتماسك) .

وأن تحطم القيود التى تعوق نفسك ، وتترك وراءك الأهل والوطن وأعز الأصدقاء ، وتبذر أموالك بذرا ، وبضائع هذه الدنيا ، ولا تلقى بالا الى دعاء الحب ، كل هذا فى سبيل قضيـة الحقيقية العليا .

(يمسح دمعة من عينه) .

هذه هى طريقة رجل العلم ! أجل ! قد حللت لغز حياتى وما ينبغى أن أعمل ، والآن أنا سعيد بلا حدود . سأخوض السهل والصعب ، فاذا ما نجحت فى أن أرفع رأسى ، فكل ما عدا هذا مغفور . قد وجدت نفسى ، الانسان ، بيرجينت ، امبراطور الانسانية ! سيصبح الماضى مكانى المفضل ، أترك العصرى ، والحى يمر بى مرا ، لن أصرف طاقة ما على شئون اليوم ، ليس فى رجل اليوم ايمان ولا همة ، روحه ينقصها النور ، وأعماله لا وزن لها .

(يهز كتفيـه) .

أما المرأة — يا عدم العفة ، انما أنت امرأة ! [1]

(يذهب) .

(١) يردد بير عبارة هامليت المشهورة فى وصف أوفيليـا (المترجم) .

الفصل الرابع : المشهد العاشر

المنظر : كوخ فى غابة كبيرة فى شمال النورويج . باب مفتوح ذو رتاج خشبى كبير . على الباب قرون غزال الرنة . قرب الكوخ قطيع من الماعز . يوم مشرق من أيام الصيف . سولفيج ، وقد أصبحت الآن شقراء مليحة فى أواسط العمر ، تجلس فى الشمس تغزل . تحدق فى المشى وهى تغنى :

سولفيج : قد يأتى شتاء وراءه ربيع .
ويهل الصيف بل العام الطويل
ويمضى الجميع ..
ولكنك يوما ستعود لى
وسأنتظرك كما قطعت العهد .

(تنادى الماعز ، ثم تأخذ تغزل وتغنى من جـــــديد) .

رعاك الله حيثما تكون
ان كنت على الأرض أو فى رحمته
سأنتظرك فى الدنيا حتى تعود ،
فان كنت فى الأخرى فالى لقاء .

الفصل الرابع : المشهد الحادى عشر

المنظر : فى مصر . يرى تمثـال ممنون وسط الصحراء . الوقت فجر . يظهر بير جينت وهو ينظر حواليه .

بـير : هنا أستطيع فى يسر أن أبدأ أسفارى . هـذه المرة سأصبح مصريا . ولكن على أساس النفس الجينتية ، ومن ثم اتخذ طريقى الى آشور ، ولكن لن أتراجع عبر القرون ، الى البداية ، فهذا لن يؤدى الا الى ارتباك . لا ، سأكتفى بزمان الانجيل . أنا واثق اننى سأجد بعضا من آثاره ، ولكنى لن أنغمس فيها بعمق ، هذا ليس فى مقدورى ولا فى برنامجى .

(يجلس على صخرة)

الآن ، أجلس هنا وأستريح ، وأنتظر فى أناة حتى يغنى التمثال أغنية الصباح . وبعد الافطار أتسلق الهرم ، واذا تبقى لى وقت فتشته من الداخل . ثم أسير فى طريق البر حول الشاطىء الشمالى للبحر الأحمر ، قد أعثر هناك عـلى

قبر الملك بوتيفار [1] . ومن ثم ، الى آسيا !
فى بابل سأسعى الى الحدائق المعلقة ،
والمحظيات — العلامات الأولى للحضارة .
ومن هناك مشيا على الأقدام حتى أسوار
طروادة ، ومن طروادة رأسا بالبحر الى أثينا
العتيقة المجيدة . هناك ، وعلى الموقع ، سأفحص
حجرا بعد حجر ، الممر الذى حماه ليونيداس [2] .
وسأدرس الفلاسفة الكبار ، وأسعى الى السجن
الذى استشهد فيه سقراط . ولكن ، مهلا ،
انى أنسى ! هناك حرب مشتعلة فلنترك الهيلينية
جانبا .

(ينظر فى ساعته) .

غريبا جدا — هذا الوقت الطويل الذى تنفقه
الشمس حتى تطلع ! أزف الوقت . آه ، نعم ،
من طروادة — كنت قد وقفت هنا —

(١) زوج زليخة ، التى فتنت بيوسف الصديق . (المترجم) .

(٢) ماركو بوزاريس ليونيداس ، القائد اليونانى الذى استطاع فى عام ١٨٢٣ أن يكتسح ، عن طريق رجاله الألف ومائتين ٤٠٠٠ مقاتل تركى وألبانى . (المترجم) .

(يقف ويتسمع) .

ما هذا الصوت الغريب الهامس ؟

(تشرق الشمس) .

تمثال ممنون (يغنى) .

من رماد نصف الاله الذى ولد من جديد
قامت طيور وأنشأت تغنى
زيوس ، العالم بكل شيء
خلق طيورا جارحة .
وبوما للحكمة البالغة ،
أين ينام طيرى ؟
اذن حل هذه الأغنية
أو مت !

بـيـر : أجزم ان صوتا قد خرج من التمثال . انه موسيقى الماضى . من الصخر يعلو ويخفت . سأسجل ما سمعت . فليتأمل العلماء .

(يكتب فى دفتر مذكرات) .

« غنى التمثال . سمعته بوضوح ، ولكننى لم أتبين ما هية الكلمات . لابد انه كان وهما . لم ألحظ شيئا آخر هاما اليوم » .

(يخـــرج) .

الفصل الرابع : المشهد الثانى عشر

المنظر : قرب قرية الجيزة . يرى أبو الهول العظيم ، وعلى المـدى البعيـد مآذن مسـاجد القاهرة وأبراجها . يدخل بير جينت . يفحص أبا الهول ، ثم يلبس منظـاره ويواصل التحديق ، تارة من وراء المنظـار ، وأخرى وهو واضع يديه مكورتين على عينيه .

بـير : أين رأيت هذا الشيء من قبل ؟ هذه الصورة المخيفة تذكرنى بشيء . أنا قطعا رأيتهـا فى الشمال أو فى الجنوب . ماذا كأن ؟ أكان رجلا ؟ من هو ؟ يخيل الى أن تمثال ممنون يشبه من يسمى ملك دوفر ، كان الملك يجلس هكذا تماما ، متصلبا ومستقيما ، وعجزه ثابت على مقعده الحجرى . ولكن هذه الفظيعة الغريبة المولدة ، هذه الفلتة ، هذا الهجين بين الأسد والمرآة ، هل رأيتها فى شطحات خيالى ، أم هى ذكرى لشيء وقع ؟ انسان أعرفه ؟ ها ! الآن أذكر . انه البويج ، طبعا ، الذى حطمت رأسه ،

أو فى القليل حلمت انني حطمته . كنت اذا ذاك أهرف من وطأة الحمى .

(يقترب) .

نفس العينين ، نفس الفم ، هذا أقل كسلا وأشد دهاء . وفيما عدا هذا هو شديد الشبه . هيه ، هذا أنت أيها البويج ، تبدو من خلف كالأسد فى ضوء النهار ! ألا زلت تتحدث بالألغاز ؟ لنجـــــربك اذن . أتراك لا زلت تردد نفس الاجابات !

(يهتف بأبى الهول) .

الصــوت : (من خلف أبى الهول) Ach Sphlinx, wer[1] bist du ؟

پــير : ما هذا ؟ صدى بالألمانية ؟ من سمع بهذا من قبــل !

الصــوت : Wer bisr du؟[2]

پــير : تتكلم الألمانية كأهلها ! ملاحظة جديدة ، من عندى تماما .

---

(١) يا أبا الهول ، من أنت ؟ .

(٢) من أنت ؟ .

(يكتب فى دفتره) .

« صدى صوت بالألمانية . لهجة برلينية » .

(يخرج منوراء أبى الهول بيجريفينفيلدت)

بيجر يفينفيلدت : رجـــل !

پــــير أظن أنه هو الذى كان يتحدث .

(يكتب من جديد) .

« غيرت رأيى فيما بعد » .

بيجريف : (فى تأثر كبير) : Mein Herr [1] ، أرجو عفوك — !

Eine Lebenafrage ! [2] قل لى من فضلك ما الذى جاء بك اليوم .

پــــير : جئت أزور صديق الطفولة .

بيجريف : أبو الهول ؟

پــــير نعم . عرفته فى الماضى طيب المعرفة .

بيجريف : Feimos ! وبعد ليلة قلقة كهذه ، أيضا ! رأسى يوشك أن ينفجر . تعرفه ، mein herr ! اذن قل لى ، ماذا هو ؟

---

(١) سيدى .
(٢) سؤال هام جدا .

بـــير : ماذا هو ؟ أمر بسيط ! هو نفسه !

بيجريف : (يقفز) فهمت ! قد ومض الأمر أمـــام عينى كالبرق ! لغز الحياة قد حل . شيء واحـــد مؤكد ! هو نفسه !

پـــير : هذا ، على الأقل ، ما يقوله هو .

بيجريف : نفسه ! قد أشرق يوم المعرفة .

(يخلع قبعته) .

واسمك mein herr

پـــير : عمدونى باسم بيرجينت .

بيجريف : (فى اعجاب متحفظ) پيرجينت ! اسم رمزى ! هذا ما ظننت پيرجينت ! بعبارة أخرى : الواحد المجهول ! المهدى الذى كشف لى عن مقدمه .

پـــير : ولكن — حقا — أجئت هنا لتقابل — ؟

بيجريف : بيرجينت ! عميق ، ملىء بالأسرار ، بعيد الغور ! كل كلمة منجم من الأفكار ما زال بكرا . فمن أنت ؟

بـــير : (فى تواضع) حاولت دائما أن أكون لنفسى . ومع هذا فهاك جواز سفرى .

مرة أخرى هذه الكلمة الملغزة !

(يقبض على معصمه) .

الى القاهرة ! وجدت امبراطور الوحى .

پـــير : الامبراطور ؟

بيجريف : تعـــال !

پـــير : أيعرفوننى هنا ؟

بيجريف : (يجر بير معه) امبراطور الوحى القائم على الذات !

الفصل الرابع : المشهد الثالث عشر

المنظر : القاهرة ، مستشفى للمجاذيب . فناء كبير تسوره حيطان عاليــة ، وتحفــه مبان . نوافذ ذات قضبان وزنازين من حـــــديد . يرى ثلاثة من الحراس ، ويدخل رابع .

الحارس الرابع : شافمان ، قل لى أين المدير ؟

حــارس : خرج اليوم قبل طلوع الشمس .

الحارس الرابع : لابد أن شيئا ضايقه . أظن ، ان ليلة الأمس —

آخـر : أصمت . هذا هو بالباب !

(يدخل بيجريف ومعــه بير . يغلق الباب ويضع المفتاح فى جيبه) .

بـــير : (لنفسه) .

هو لا شك رجل بالغ الموهبة ، فأنا لا أفهم شيئا مما يقول .

(يحدق فيما حوله) .

اذن هذا هو نادى الدارسين ، هيه ؟

بيجريف : نعم ، ستجدهم جميعا هنا . كل واحد فيهم .

٢١٢

سبعون دارسا ، هم حلقة المفسرين . قد أضيف اليهم أخيرا مائة وستون .

(ينادى الحراس) .

ميكيل ، شلينجبيرج ، شافمان ، فوخس ، أدخلوا الأقفاص فورا !

الحراس : نحن ؟

بيجريف : ومن غيركم ؟ هيا ! اسرعوا ! العـالم مقلوب رأسا على عقب ، وكذلك نحن .

(يدفع الحراس الى الأقفاص) .

بير العظيم جاءنا اليوم ، افهمـوا من هـذا ما تشاءون . لن أزيد .

(يغلق الأقفاص بالأقفال ، ويلقى بالمفاتيح فى بئر) .

پـير : Herr Dokotor, Heur Director[1]

بيجريف : أنا لا هذا ، ولا ذاك ؟ كنت فى السابق أما الآن فلا — هر بير ، أتكتم السر ؟ أريد أن أبوح بمكنون صدرى لشخص ما .

پـير : (يتزايد شعوره بالحرج) .

---

(١) سيدى الدكتور ، سيدى المدير .

ما هو سرك ؟

بيجريف : عدنى أنه لن يغمى عليك .

بـــير : سأبذل كل جهدى .

بيجريف : (يجذبه الى ركن ويهمس) .

العقل المطلق مات الليلة الماضية فى الحـادية عشرة .

بـــير : يا اللهى !

بيجريف : نعم ، شىء يدعو الى أشد الأسى . وفى حالتى أنا يتضاعف الأسى . حتى الآن كان هذا المكان مستشفى للمجانين .

بـــير : للمجانين ؟

بيجريف : ليس الآن .

بـــير : (يشحب لونه ويخفض صوته) .

أخذت أفهم . الرجل مجنون ولا أحد يدرى !

(يبتعـــــد) .

بيجريف : (يتبعه) .

الآن ، آمل انك ترى الأمور بوضوح . عندما أقول انه مات فأنا لا أهرف . لقد جن . خرج

عن اهابه كما حدث لثعلب مونخهاوزن ، أحد مواطنى .

پيير : عن اذنك لحظة .

بيجريف : (يمسك به) كان زلقا كثعبان البحر ، ولم يكن ثعلبا . دبوس فى عينه ، واذا به يتلوى على الحائط مبتعدا —

پيير : ماذا أفعل لأنقذ نفسى ؟

بيجريف : وشق حول رقبته ثم — وجد نفسه خارج جلده !

پيير : جنون مطبق !

بيجريف : واضح تماما ان هذا « الخروج عن الذات » لا يمكن أن ينتج الا عن ثورة تعم العالم كله . من كان يظن انهم مجانين أصبحوا عقلاء فى الحادية عشرة من الليلة الماضية ، متابعة لهذه المرحلة الجديدة من مراحل العقل . وأكثر من هذا ، فمن وجهة النظر الجديدة هذه ، أصبح واضحا ان من كنا نظنهم عقلاء قد فقدوا جميعا عقولهم فى هذه الساعة نفسها .

پيير : بمناسبة الزمن ، أنا فى عجلة كبرى —

بيجريف : زمنك أنت ؟ كذا ! تقطع على حبل أفكارى .

(يفتح بابلا ويصيح) .

اخرجوا ! قد حانت ساعة الميلاد من جديد !

العقل مات ! يحيا بيرجينت — !

پــير : ولكن ، أيها العزيز —

(يخرج المجانين واحــــدا وراء الآخر الى الفنـــــاء) .

بيجريف : تحية لهذا الصباح السعيد ! حيوا فجر يوم الخلاص ! امبراطوركم قد جاء !

پــير : امبراطور ؟

بيجريف : امبراطور !

پــير : ولكنه شرف لا أستحقه — انه يتعدى —

بيجريف : فى مناسبة كبرى كهذه لا تسمح لنفسك بأن يقهرها التواضع الزائف .

پــير : امهلنى ! أنا لا أصلح ، قد ملك قلبى الذهول .

بيجريف : الذهول ؟ أنت ؟ الرجــــل الذى حل لغـــــز أبى الهول ! الرجل الذى حقق ذاته !

پــير : هذه هى النقطة بالضبط . قد حققت ذاتى فى

كل الأشياء . أما هنا فالظاهر ان على المرأ أن يخرج من عقله ، ويجن .

بيجريف : يخرج ؟ لا ، أبدا ! أنت مخطىء بشكل محزن . هنا نحن نحقق ذواتنا منذ أن يقال لنا : «هيا» ! نحن ذواتنا ولا شيء غير ذواتنا . نطير والشراع مليء ونحن ذواتنا، نكن أنفسنا فى دن الذات، نطهو أنفسنا فى رحيق ذواتنا ، ونسد على أنفسنا بسدادة الذات ، ونروح ننضج ونتتبل فى بئر الذات . أبدا لا نفكر فى غير أنفسنا . لا أفكار هنالك ولا أحزان خارج أفكارنا وأحزاننا ، نحن أنفسنا فى الفكر والقول ، أنفسنا حتى أبعد الحدود وأشدها تناهيا ، ولذا ، وما دمنا فى حاجة الى امبراطور ، فقد وضح لنا انك أنت من نحتاج .

بير : لو ان الشيطان فقط —

بيجريف : الآن لا تفقد شجاعتك . كل عمل جديد لابد له من بداية . « الذات » . هيا ، دعنا نبحث عن أمثلة . فلنخاطر باختيار مثال حيثما اتفق .

(مخاطبا شخصا ، مكتئبا يقف قريبا منه)

طاب يومك ، يا هوهو ! كيف حالك يا رجل ،
أما زات مثقلا بأحزانك الكبرى ؟

هوهو : أنى لى أن يتغير حالى ، وأسراب من الناس
تموت وليس من يفهمها ؟
(مخاطبا بير) .
أنت غريب عنا . هل أحكى لك ؟

پـير : (ينحنى) بالتأكيد .

هوهو : اصغ ، اذن . فى الشرق تقبع شطئان مالابار ،
كأنما هى تيجان من الزهور . وأهل البرتغال
وهولندا يبذرون هناك بذور الثقافة ، غير
أنه الى جوارهم توجد قبائل من أهل مالابار ،
قد خلطوا فى لغتهم حتى أضحت غير مفهومة ،
وان كانوا هم السادة . ومن قرون خلت ، كان
قرد الأورانج — أوتانج هو سيد الغابة غير
منازع ، وحاكمها المطلق . كان يقاتل ويرطن
ملىء حريته ، يضحك ويفغر فاه ما شاءت رغبته ،
كما قدرت له الطبيعة . كان يكشر عن أنيابه
بكل حرية ، وكان الملك فى قصره ، ولكن ،
سرعان ما جاء الغزو الأجنبى ، وفقدت لغة

الغاب عذريتها الأولى . ران على جنس القرود ظلام ليل طويل مقداره أربعمائة عام . وليل كهذا يقتل كل تقدم ، لم تعد أصوات الغابة القديمة البدائية تتردد . لا أحد يهدر بالصوت ، حين نبغي التعبير عن أفكارنا نستخدم الكلمات . يا له من قيد ! نال الأذى البرتغالى والهولندى، والملاباري والأوروبى — الآسيوى ، على حد سواء . حاولت أن أدخل المعمعة دفاعا عن لغتنا الأصلية ، لغة الغاب ، جاهدت كى أرد الى جثتها الحياة ، ساندت حق الشعب فى أن يرطن ، رطنت أنا نفسى وبينت حاجتنا جميعا الى الرطانة ، عن طريق الأغنية ولكن جهادى كله ذهب بددا . الآن تعرف لم أنا مرير هكذا . شكرا لاصغائك . ان كان لك مقترحات ، يسرنى أن أسمعها .

بير : (لنفسه) يقول المثل ، اذا خرجت الذئاب تعوى ، فاعو معها ، ذلك أدنى الى سلامتك . (بصوت عال) يا صديقى العزيز ، اذا لم تخنى الذاكرة فثمة قبيلة من الأورانج — أوتانج

تعيش فى مراكش ، لا معبر عنها ولا شاعر قومى لها . ان لغتها تشبه لغة الملابار . ألا يكون جميلا منك ، وأنت القائد الكبير ، أن تشد الرحال الى هناك لتخدم هؤلاء الناس ؟

هوهو : شكرا لسماعك قصتى . سآخذ بنصيحتك . (ينحنى انحناءة كبيرة) قد أعرض المشرق عن شاعره ، وفى المغرب قردة الأورانج — أوتانج . (يذهب) .

بيجريف : هيه ، ألم يكن هو ذاته ؟ أظن ذلك ! انه ملىء بذاته ، وذاته فقط . انه ذاته فى كل فكرة يعرضها ، ذاته لأنه خرج من دائرة العقل . تعال ! سأريك آخر عاد اليه العقل فى الليلة الماضية .

(يخاطب فلاحا يحمل على ظهره مومياء) .

أيها الملك أبيس ، يا ذائع الصيت ، كيف الحال ؟

الفلاح : (فى هياج ، مخاطبا بير) .

هل أنا الملك أبيس ؟

بير : (مختبئا وراء الدكتور) أعترف بأننى لا أعرفه

حالتك . ولكن اذا أخذتك بمسلكك قلت —

الفلاح : أنت الآخر تكذب .

بيجريف : هل يسمح صاحب الجلالة باعطائنا تقريرا عن الحالة .

الفلاح : سأفعل .

(ملتفتا الى بير) .

هل ترى هذا الشيء على ظهرى ؟ كان يوما الملك أبيس . أما الآن فهو يعرف بالموميــاء ، والى هــذا ، فهو قد مات . لقد بنى هــذه الأهرامات هناك ، ونحت أبا الهول العتيد ، وقاتل ، كما يقــول الدكتور ، الترك عــلى الشطئان ذات الأعشاب يمينا ويسارا . وهكذا رفعته مصر كلها الى مقـــام الاله ، ووضعت صورته فى معابدها على شكل ثور . ولكننى أنا الملك أبيس نفسه ، هذا واضح لى كأوضح ما يكون الوضوح ، فاذا لم تتبين هذا الآن ، فسرعان ما تتبينه . ذات يوم كأن الملك أبيس يصطاد وفجأة نزل عن جواده وانسحب معتذرا ثم توغل فى حقل جدى . ان الأرض التى ترك

فيها الملك أبيس سباخا قد غذانى قمحها ، فاذا لم يكف هذا دليلا ، فانى أقول أن لى قرنا غير منظور . أليس من الظلم الفادح اذن أن أحدا لا يقر لى بحقى فى الملك ؟ أنا بالميلاد الملك أبيس ، وان كنت فلاحا فى نظر الجميع . الآن قدم نصيحة طيبة ، رجوتك ؟ القضية هى : كيف أصبح الملك أبيس وأغيظ من يظنون اننى مدع ؟

بـيـر : عـلى جلالتك أن تبنى أهـرامات وتنحت من الصخور أبا هول آخر أعتى من هذا ، وتحارب، كما يقول هر دكتور ، الترك يمينا ويسارا .

الفـلاح : هيه ، يا لها من نصيحة رائعة ! وأنا فلاح ! قملة تموت من الجوع ، كل حولى أن أرد عن بيتى الفئران والجرذان ! أسرع ، يا رجل ! وقدم لى نصحا خـيرا من هذا ، يمنحنى ما قد حـرم الآخرون ، سمات ملكية تشبه الملك أبيس ، الذى أحمله على ظهرى .

بـيـر : يا صاحب الجلالة ، هل لى أن أنصحك بأن تشنق نفسك ، فـاذا ما دخلت التـابوت ،

وأصبحت فى حضـــن الأرض ، تصرفت كما لو كنت ميتا ؟

الفـلاح : سأفعل ! حياتى لمن يقدم لى شناقا ! أريد حبلا ألفه حول رقبتى ! سأحس أولا اننى تغيرت ، ولكن الزمن كفيل بأن يذلل هذه الصعوبة .

(يذهب ويأخذ يعد العدة ليشنق نفسه) .

بيجريف : هر بير ، هذا ما أسميه شخصية ، رجـــل له منهاج .

بـــير : بلا شك — ولكنه يشنق نفسه فعلا ! آه ، يا الهى ! الرحمة ! أنا مريض ! رأسى يدور !

بيجريف : مرحلة انتقال ، لن تطول .

بـــير : انتقال ؟ الى ماذا ؟ عفوا — انى ذاهب —

بيجريف : (ممسكا به) هل جننت ؟

بـــير : ليس بعد . أجن ؟ لا قدر الله !

(ضـــجة . يشق حسين ، وهو وزير ، طريقه وسط الجمع) .

حســين : قيل لى أن امبراطورا وصل اليوم (مخاطبا بير) أهو أنت ؟

بـــير : (يائسا) الظاهر ان هذا تقرر فعلا .

حســين : اذن فعليك أن توقع بعض الوثائق .

بيـير : (يقطع شعره) طيب ! هات ! كلما اشتد الجنون كان أفضل !

حسين : هلا شرفتنى بغمسة ؟

(ينحنى انحناءة كبيرة) .

أنا ريشة .

بيـير : (ينحنى انحناءة أكبر) أنا مجرد ورقة امبراطورية لا قيمة لها .

حسين : وباختصار ، يا سيدى الهر ، فان قصتى هى : الناس جميعا تقول اننى صندوق رمل ، بينما أنا فى الواقع ريشة .

بيـير : وقصتى ، يا سيدى الريشة ، وجيزة كقصتك — أنا قطعة من الورق تركوها بيضاء .

حسين : لا أحد تطوف بذهنه حقيقة قدراتى . انهم يستخدموننى لمجرد التجفيف بالرمل .

بيـير : وأنا كانت لى امرأة — كتاب ذو قفل من فضة ! مجنون أم عاقل ، الفرق بسيط .

حسين : تصور كم هو محطم للأعصاب أن تكون ريشة ولا تحس وقع المطواة .

بيـير : (يقفز عاليا) تخيل انك غزال رنة تقفز من

فوق الأحجار ، وتسقط ، تسقط تسقط ، دون أن تحس بأرض ما تحت حوافرك !

حسين : سكينا ! قد فقدت حدى اسرعوا ، اقطعونى ! شقونى ! سينتهى العالم اذا لم تعيدوا الى أرهافى .

پير : خوفى على العالم ! لقد أبدعه الله ، مثل كثير غيره من الأشياء ، قريبا من الكمال .

بيجريف : اليك سكينا !

حسين : (ممسكا بها) آه ! الآن أستطيع أن أمتص الحبر امتصاصا ! يا لها من لذة ، يا لها من نشوة اذ يقطع المرء نفسه هكذا !

(يحز رقبته) .

بيجريف : (يبتعد عنه) لا داعى لأن ترشنى بالدم !

پير : (فى فزع متزايد) امسكوه !

حسين : أجل ، امسكونى ! هذا هو المطلوب . امسكوا . امسكوا الريشة ! ضعوا الريشة على الورق ! (يسقط) انتهيت . الحاشية ، لا تنسوها : عاش ومات ، ريشة تسوقها أصابع الغير .

پير : (فى هياج) ماذا أفعل — ماذا أنا ؟ أيها الاله

العظيم ، ثبتنى . أنا كل ما تريد — تركى ،
خاطىء ، عفريت . فقط أعنى ، قد انفجر شيء .

(يصرخ) .

اسمك — ذهب — نسيته — أعنى ، أنت ،
يا حامى المجانين أعن !

(يسقط وهو متهالك . يقفز بيجريف ، وفى يده تاج من القش ، ويجلس فوق پير) .

بيجريف : ها ! انظروا اليه جالسا على عرش فى الوحل !
انه مجنون ! سنتوجه هنا !

(يضع التاج على رأس بير ويصيح) .

عاشى الامبراطور ، امبراطور الذات !
شافمان (فى قفصه) .

Es lebe hoch der grosse Peer (١)

---

(١) يحيـــا بير العظيم .

الفصل الخامس

المشهد الأول

المنظر : على ظهر سفينة فى بحر الشمال ، تسير قريبا من الشاطىء النورويجى . الوقت : المغيب . الجو عاصف . يرى بيرجينت فى صحة جيـــدة ــ وان أضحى عجوزا أشيب شعر الرأس واللحية واقفا فى أعلى مؤخرة السفينة ، فى ملابس شبه بحرية . سترة بحار ، وحذائه . الملابس بالية الى حد كبير . يبدو وقد عركه الجو ، وأصبح وجهه أصلب من قبل ، القبطان ، ومعه السائق ، أمام عجلة القيـــادة . البحارة فى المقدمة . بير جينت متــكىء بذراعيــه على سياج السفينة ، وقد ثبتت عيناه على الشاطىء .

بـــير : انظروا الى جبـــل هالينجسكارف وقد ارتدى حلة الشتاء ؛ هذا العتيق مزهو بجماله فى شمس المغيب . وهذا أخوه ، جبل « يوكل » ، واقف وراءه وقلنســـوته الثلجية الخضراء مطروحة ، لا تزال ، وراء ظهره . وهذا جبل « فولجفان » لم تلحقه بقعة واحدة ، كأنما هو عذراء فى ملابس ناصعة البياض . ابقوا فى مكانكم !

مكانكم الى الأبد ! لا تلعبوا بى ، يا أصدقائى الأعزاء ! ما أنتم الا صخور .

القبطان : (يصيح الى الأمام) رجلان عند العجلة — وضعوا المصباح فى مكانه !

پير : الهواء يهب قويا .

القبطان : العاصفة فى الطريق .

پير : أترى تلال روند من البحر ؟

القبطان : لا ، انها وراء الثلاجات .

پير : ولا بلاهو ؟

القبطان : لا ، ولكن من أعلى ظهر السفينة ، وحين يصحو الجو ، تستطيع أن ترى بوضوح جالدهوبيجين.

پير : وأين هارتيجين ؟

القبطان : (مشيرا) هناك .

پير : آه ، صحيح .

القبطان : الظاهر انك تعرف هذه البقاع .

پير : ركبت البحر عبر هذه الأماكن حين غادرت وطنى . قال أحدهم ذات مرة : ان عقولنا كمخازن الخشب ، مليئة بالذكريات العابرة .

(يبصق ويحدق ثانية فى الشاطىء) .

انهم يعيشون هنا ، فى تلك الوديان الزرقاء ،

وفى الوديان الجبلية السوداء كأنها الخنـــادق الضيقة ، هناك عند شطئان الفيوردات المفتوحة .

(ينظر الى القبطان) .

البيوت متناثرة جدا ، ها هنا .

القبطـــان : تسير أميالا قبل أن تصادف منزلا .

بـــير : أننزل الى البر فى الصباح ؟

القبطـــان : تقريبا . الا اذا صادفتنا ليلة سيئة .

بـــير : منظر السماء فى الغرب ينذر بشر ما .

القبطـــان : آه !

بـــير : حين أدفع الحساب ، ذكرنى بأن أهب البحارة شيئا . أريد أن أعطيهم جميعا !

القبطـــان : شكرا .

بـــير : لن يكون ما أعطيهم كبيرا . جمعت ثروة ولكن أغلبها ذهب . أنا والحظ على خلاف الآن . أنت تعرف ما أملك على ظهر هذه السفينة . هذا كل ما بقى ! الباقى راح !

القبطـــان : ما بقى يكفى ويزيد ليهىء لك مكانا بين الناس هنـــا .

بـــير : لا أسرة لى . ليس من ينتظر عودتى ، أنا الابن

المتلاف . سأنجو من « مناظر الاستقبال » جميعا حين ننزل الى الميناء .

القبطان : انظر ! ها قد هبت العاصفة !

پير : لن تنسى ما قلت لك ، هيه ؟ لو وجد بين بحارتك من هو محتاج حقا ، فلن أتردد فى البذل .

القبطان : هذا منك كريم . الكل تقريبا مفلس . وكلهم متزوج وله أولاد . وليس بينهم من يفى أجره بمطالبه . ولو زدتهم على ما يحصلون شيئا ، فستكون هذه أوبة العمر لهم .

پير : ما هذا الذى قلت ؟ لهم زوجات وأولاد ؟ هم متزوجون اذن ؟

القبطان : عن آخرهم ! الطباخ أشدهم حاجة . عائلته نصف ميتة من الجوع .

پير : متزوجون ؟ لهم بيوت ؟ هناك من ينتظرهم ؟ من يرحب بعودتهم ؟

القبطان : نعم . ترحيب الفقير .

پير : واذا وصلوا بالليل — ماذا اذن ؟

القبطان : يضمنون طعاما خاصا على العشاء .

بيـــر : وشموع على المائدة ؟

القبطـان : وشيء من شراب .

بيــر : يجلسون فى استرخاء الى جوار نار تلتمع ، وحولهم زوجاتهم وأولادهم ، ويحدثون ما شئت من جلبة وضوضاء — يتحدثون جميعا فى نفس واحـد ، وقد غلبتهم السـعادة فلم يعودوا ينصتون لبعضهم البعض !

القبطـان : نعم ، هذا كله سوف يحدث ، لهذا كان جميلا منك أن تعد بمنحهم مزيدا على أجورهم .

بيـــر : (يخبط حافة المركب بشدة)

ملعون أنا ان فعلت ! أتظننى مجنونا ؟ أتعتقد حقا اننى سأفرغ جيوبى من أجل أولاد الغير ؟ قد عملت كالعبد لأحصل على مالى . وليس من ينتظر بيرجينت العجوز .

القبطـان : افعل ما بدا لك ، المال مالك .

بيـــر : طبعا ! وسيظل مالى . سأدفع حسابى فور أن نرسو ! أجرة سفرى من بناما ، ثم أدفع ثمن دورة شراب على البحارة ، فقط لا غـــير . لو أعطيت المزيد فلك أن تحطم رأسى !

القبطـان : لا شأن لى برأسك . انما تعنينى قائمة الحساب.
عن اذنك الآن . الريح تشتد .

(يقطع ظهر المركب مشيا . يخيم الظلام . يوقد مصباح فى غرفة القبطـان . يزداد اضـطراب السـفينة . السماء تتلبد ، وتكثف (الشابورة) .

پـير : أنفق عـلى أسراب من أولاد الغـير ، ازرع الضحكة فى أرواحهم وادخل البهجة الى بيوتهم واثقا انهم دوما يلقون رعاية شخص ما ، وأنا لا أجـد قط من يرعانى . نور يرحب بهم ؟ سأطفىء حالا هذا النور ! سرعان ما أجـد الطريقة ! سأسكرهم جميعا . الملاعـين ! سأحرص على أن يفقـدوا الوعى جميعـا . سيعودون الى زوجاتهم وأولادهم وهم فى سكر بيّن . سيسبون اذن ويقرعون الموائد بأيديهم حتى ترن . ستفزع الأسر حتى تفقد العقول . وتجرى الزوجات وهن يبكين ويتركن البيوت هن وأولادهن . هكذا أدخل عليهم السعادة !
(تميل السفينة ميلا شديدا . يفقـد توازنه ثم يقف ثابتا بصعوبة) .

آه ، هذا اضطراب فظيع ! البحـر يعمل كما لو أن أحدا قد نقده أجرا عن كل موجة . هذه المياه الشمالية أمينة دائما لنفسها . دوما ثائرة ، غريبة الأطوار ، عاصفة .

(يصغى) .

ما هذا ؟ سمعت —

البحـار المراقب : حطام يسير مع الريح .

القبطـان : (من وسط السفينة) أدر العجلة الى اليمين ! اتبعوا الريح من قريب !

الضابط الأول : أهناك أحد على الحطام ؟

البحـار المراقب : أرى ثلاثة .

پـير : بسرعة ، انزلوا زورقا .

القبطـان : لا يمكن أن يصل .

(يخطو الى الأمام) .

پـير : كيف تقول هذا ؟ لو انكم رجال ، لحاولتم . ماذا لو أصابكم البلل شيئا ما ؟

ضابط الشراع : مستحيل فى مثل هذا البحر .

پـير : انهم يستنجدون مرة أخرى . والريح آخذة فى

الهدوء . انت ، أيها الطباخ ! هل تقبل؟ سأجزيك خير الجزاء .

الطبـاخ : حتى ولو دفعت عشرين جنيها .

بـير : يا كلاب ، يا جبناء ! انهم رجال ، لهم زوجات واولاد ينتظرون عودتهم —

ضابط الشراع : حلمك ، حلمك .

القبطـان : ابتعدوا عن الامواج العالية .

الضابط الأول : اختفى الحطام فى اليم .

بـير : هذا الصمت — ؟ ماذا ؟

ضابط الشراع : لو صح انهم متزوجون ، كما تظن ، فقد اضيف اليوم الى قائمة الارامل ثلاث جديدات .

(تزداد حدة العاصفة يتجه بير الى مؤخرة السفينة) .

الايمان يموت بين الناس والمسيحية مجرد كلمة مطبوعة . الخير من الأعمال نادر . الناس لا يقيمون الصلاة ، ولم يعد لهم احترام للسماوات العلا . ليس كالعواصف ما يظهر بأس الله . واجب هؤلاء الخنازير أن يحذروا ويتعظوا بالمثل الذى يقول : « اللعب بالنار

خطر » . ولكنهم لا يفعلون . ويصرون على تعدى حدود الله . أما أنا فبرىء . ويوم القيامة أستطيع أن أثبت انى كنت على استعداد ، ومالى فى يدى . هل أحصل على جزاء ؟ طبعا ، فالمثل يقول : « الضمير المرتاح يهيىء وسادة مريحة » . هذا ينطبق على البر فقط ، أما فى البحر فالرجل الطيب نادر . فى البحر ، لا يمكن أن تكون نفسك . تعوم أو تغطس مع الجميع . وحين تحل ساعة الانتقام من الطباخ أو ضابط الشراع ، تحل أيضا بالنسبة لى . المصالح الفردية لا تهم القدر على الاطلاق . الفرد بالنسبة له كواحد « السجق » يخرج من الآلة . قد ارتكبت خطأ بالافراط فى السوداعة ، فما أفادنى هذا شيئا . لو كنت أصغر سنا لغيرت خططى ، وأصبحت أدنى الى فرض ارادتى . لم يزل هناك وقت . سرعان ما ينتشر الخبر بأن بيرجينت قد عاد من أسفاره . سأستعيد مزرعتى بالحق أو بالباطل ، وأبنيها من جديد ، واجعل لى فيها قصرا ، ولكن لن

أدخل فيه أحدا . سيقف الناس بالعتبة ، عارى الرؤوس ، تعبث أيديهم بالقبعات فى خجـل ، وسيرجون ويستحلفون . ولن يضيرنى هذا ، ولكنى لن أعطيهم شيئا . ولا مليما . طالمـــا أحنيت رأسى تحت ضربات القدر . الآن فليحن غيرى رؤوسهم .

الراكب : مساء الخير !

پـير : مساء الخير ! ماذا ؟ من أنت ؟

الراكب : راكب زميل .

پـير : أمر غريب ! ظننت أننى المسافر الوحيد .

الراكب : غلطة بسيطة . ها قد تلافيناها .

پـير : لماذا لم أرك قط من قبل ؟

الراكب : لا أخرج الى ظهر المركب بالنهار .

پـير : كنت مريضا ؟ أنت أبيض كملاءة السرير .

الراكب : لا ، أبدا . أنا فى خير صحة .

پـير : يا لها عاصفة مخيفة !

الراكب : نعم . هذا حسن .

پـير : حسن ؟

الراكب : الموج فى ارتفاع المنازل . لعابى يسيل ! تخيل

عـــدد السفن التى تغرق الآن . فكر كم من الجثث سيلفظها البحر عما قريب !

پـــير : يا رحمة الله !

الراكب : هـــل رأيت قط انسانا يشنق ؟ أو يختنق — أو يغرق ؟

پـــير : اسمع ، أنت تتعدى الحدود !

الراكب : الجثث كلها مفتوحة الشدقين ، كأنها تضحك فى سخرية ، ومعظمها تقريبا قد قطعت ألسنتها .

پـــير : هس . ابعد عنى !

الراكب : اصغ الى . تخيل اننا اصطدمنا بالأرض فى مياه ضحلة ، واننا نغرق فى الظلام —

پـــير : تظن أننا فى خطر ؟

الراكب : لست واثقا . أنا فى الحقيقة لا أعرف . تخيل فقط اننى نجوت وانك تهبط الى القاع .

پـــير : كلام فارغ !

الراكب : من السهل أن يحدث . المرء حين تكون احدى قدميه فى القبر تأخذه موجة من الكرم ، فيمنح الناس الأشياء .

پـــير : (يبحث فى جيبه) آه ! نقود ؟

الراكب : لا ! انما أطلب جسدك الثمين .

پـــير : الحق انك تعديت الأصول بكثير !

الراكب : جسدك ، ولا شيء غيره ! من أجل العلم —

پـــير : امش !

الراكب : سيدى العزيز ، فكر فيما سوف تكسب بهذا ! سأفتح بطنك وأعرضك على الناس . أنا أحاول أن أعثر على مقر الأحلام فى جسم الانسان . سأدقق النظر فى كل موضع منك .

پـــير : امش من هنا .

الراكب : يا سيدى العزيز ، ما فائدة جثة غريق !

پـــير : أيها المغفل المجدف ! أنت تعين علىّ الريح . مجنون ؟ فى هذا الظرف ، فى هذه العاصفة ، فى هذا المطر ، فوق هذا البحر الهادر ، وكل شيء يوحى بأن كارثة قد تكون على وشك الوقوع ، تأتى أنت وتغرى بنا الأقدار .

الراكب : الظاهر انك لا تريد مواصلة الكلام . ربما تغير رأيك فى الوقت المناسب .

(يحنى له رأسه فى ود) .

سنلتقى حين تغرق المركب ، ان لم يكن قبل هذا ! اذ ذاك قد تكون أهدأ نفسا .

(يدخل كابينـــــه) .

بيـــر : أولوشر ، هؤلاء العلماء ! وملحدون ، أيضا . كلمة واحدة ، أيها الصديق ! هذا الراكب ؟ من هو بين المجانين ؟

ضابط الشراع : أنت الراكب الوحيد على المركب .

أنا فقط ؟ الأمر يسوء ويسوء .

(محدثا بحارا يخرج من الكابينه) .

من هذا الذى دخل الكابينة الآن ؟

البحـــار : كلب السفينة ، يا سيدى .

(يمضى) .

البحـار المراقب : (يهتف) الأرض قريبة !

بيـــر : احضروا حقيبتى وصندوقى ! اخــرجوا متاعى كله الى ظهر السفينة .

ضابط الشراع : هناك ما هو أهم .

بيـــر : كنت أمزح ، يا قبطان . هى روح الدعابة فى ! سأعين الطباخ ! بكل تأكيد !

القبطـــان : شراع مقدم السفينة سقط فى البحر !

الضابط الأول : بل الشراع الأمامى .

ضابط الشراع : (يهتف فيما أمامه) .
الموج العالى فى الطريق .

القبطـان : السفينة تتحطم !

(تنهار السفينة . ضوضاء واضطراب) .

الفصل الخامس : المشهد الثانى

المنظر : قرب البر ، بين الصخور والموج العالى . السفينة تغرق . من خلال الشابورة يرى زورق به رجلان . موجة عالية تحيط به فينقلب . تسمع صرخة . ثم يسود الصمت بعد قليل تظهر قاعدة الزورق . يظهر أيضا بير جينت قريبا من الزورق المقلوب .

بير : النجدة ! اغرق ! ارسلوا لى زورق نجاة ! انقذنى ، يا الهى — هذا فى الانجيل .

الطباخ : يا الهى العزيز ، رحمة بأولادى . ارحم ! ساعدنى على بلوغ الشط .

(يستمسك بالزورق المقلوب) .

بير : دع الزورق !

الطباخ : انزل !

بير : سأضربك —

الطباخ : سأحطم —

بير : سأخلعك خلعا ! سأقتلك ! اترك الزورق — الا تسمع ؟ انه لا يتحمل اثنين .

م - ١٦

الطبـاخ : اعرف ! اتركه انت !

پيـير : انزل !

الطبـاخ : لن أفعل !

پيـير : ارفع هذه اليد !

الطبـاخ : ابق على ارجـوك . ارحم صغارا ينتظـرون عودتى .

پيـير : حاجتى الى الحياة أكبر من حاجتك . فأنا لم أنجب حتى لآن .

الطبـاخ : اترك الزورق ! قد عشت حياتك . أنا ما زلت صغيرا !

پيـير : انزل ! بسرعة ! والا هبط كل منا الى القاع !

الطبـاخ : ارحمنى ! فى سبيل الله ، انزل ! ليس لك من يحزن لفقدك .
أنا أغرق .

پيـير : (ممسكا به) لا ، انا امسك بك من شعرك . الآن ، ردد صلواتك .

الطبـاخ : لا أذكر شيئا . كل شىء ظلام —

پيـير : قل العبارات المهمة .

الطبـاخ : « اعطنا هذااليوم — »

پـــير : انس هذا . سرعان ما تحصل على ما تريد .

الطبـاخ : « اعطنا هذا اليوم — » .

رجـل : نفس الأغنية القديمة ! واضح أنك طباخ .

البحـار : (وهو يغرق) « اعطنا هذا اليوم خبزنا — » .

پـــير : آمين ، يا فتى ! كنت نفسك حتى النهاية .

(يركب الزورق) .

ما وجدت الحياة ، وجد دائما الأمل .

(الراكب الغريب يرى ممسكا بالزورق) .

الراكب : صباح الخير !

پـــير : أنت ؟

الراكب : سمعتك تصرخ . طريف أن أصادفك ثانية !

هيه . هل كانت نبوءتى صحيحة ؟

پـــير : انزل ! لا يوجد مكان لاثنين .

الراكب : آه ، ولكنى أستطيع السباحة برجلى اليسرى .

سأمسك بهذه الشظية بطرف اصبعى لأبقى طافيا .

ولكن ، فيما يخص الجثة —

پـــير : اخرس !

الراكب : الباقون قضى عليهم —

پـــير : اخرس !

الراكب : ليكن .

(صـــمت)

پــير : وبعــد ؟

الراكب : خرست .

پــير : آه ، أيها الشيطان ! ماذا تريد ؟

الراكب : أنا منتظر .

پــير : (يمزق شعره) سأجن . من تكون ؟

الراكب : (يحنى رأسه) صديق .

پــير : وماذا أيضا ؟

الراكب : ماذا تظن ؟ ألا تذكر أحدا يشبهنى ؟

پــير : الشيطان فقط !

الراكب : (فى رقة) وهل الشيطان ينير الطريق حين يستبد بنا الخوف ويسود وجه الحياة ؟

پــير آه ! اذن أنت فى الواقع ملاكى الحارس — هيه؟

الراكب : يا صديق . هل شعرت ، خلال ستة أشهر مثلا ، بالخوف يشق قلبك فى الصميم ؟

پــير : حين يلوح الخطر ، ترانى أخاف . غير أن كلامك هذا غير مجد .

الراكب : يا صديق . هل تأتى لك ، طول حياتك ، أن انتصرت على الخوف ؟

پــير : (ناظرا اليه) اذا كنت قد جئت لتنير لى الطريق، فقد كان أجدر بك أن تأتى قبل هذا بكثير . لا معنى لأن تأتى الآن والبحر موشك أن يبلعنى.

الراكب : ولكن أيكون نصرك أكثر تأكدا فى ركن هادىء الى جوار المدفأة ؟

پــير : من يدرى ؟ لم يأت حديثك بنتيجة . أكنت تريد أن تمنحنى الايمان ؟

الراكب : فى البلد الذى أتيت منه البسمة أكبر قدرا من حزن متصنع .

پــير : لكل مقام مقال . والمثل يقول : ما يفعله ساقى الحان لا يليق بالأسقف .

الراكب : السواد الأعظم لا يتمخطرون فى الأحذية العالية.

پــير : أيها الغول ! انزل ! اذهب ! لن أموت . سأصل الى البر رغم أنفك .

الراكب : طبعا ، أطمئن . المرء لا يموت فى منتصف الفصل الأخير (يذهب) .

پــير : قد كشف نفسه أخيرا . واعظ أخلاقى سخيف.

المنظر : فنـاء كنيسـة فى أعالى الجبال . جنازة ، وقس ، وجمع من المصلين . تسمع الأبيات الأخيرة من أحد الأناشيد يظهر بيرجينت فى الطريق خارج الكنيسة . يقف بالبوابة .

بيـر : انسان آخر هلك كالسابقين . شكرا للسماء ان الميت ليس أنا !

(يدخــل) .

القس : (عند القبر) .

والآن وقد صعدت روحه الى بارئها ، وظـل جسده هنا ، آنية فارغـة ، الآن ، يا صـحابى الأعزاء ، فلنقل كلمات عن رحلة هذا الميت على هذى الأرض . لم يكن غنيا ، ولا كان ذا عقل كبير ، لم يكن شجاعا ، ولا كان رجولى المظهر . كان خجولا مترددا فى أحواله . فى بيته لم يكن سيدا قط . كان يزحف الى هذه الكنيسة فى صمت كأنما يستأذننا أن يدخل ويشاركنا الصلاة. هو من ناحية « جود براند سدالين » ، وكلكم

يعلم كيف كان يروح ويجيء هنا وهو بعد صبى.
أنا واثق انكم تذكرون جميعا كيف كان يضع يده اليمنى فى جيبه دائما . بل ان هذه العادة ، الى جوار خجله واضطرابه ، وتحفظه الصامت المنكر للذات ، هى التى جعلت لصورته أثرا لا يمحى فى عقولنا . ومع أنه كان منعزلا عنا ، ورغم أنه ظل الى النهاية غريبا بيننا ، فقد كنا نعرف تماما أن اليد التى يخفيها ذات أربع أصابع فقط — لم تنجح محاولاته اليائسة فى حجب هذه الحقيقة عنا . وأذكر تماما ذات صباح، من سنوات خلت، كانت الحرب قد بلغت الذروة ، وكان التجنيد فى « لوند » قائما على قدم وساق . كنا نعلم تماما الأخطار التى تواجهنا . جلس الكابتن الى منضدة بين العمدة والجاويشية . وكنت أتفرج . كان المقترعون يتقدمون ، واحدا وراء الآخر حيث تؤخذ مقاييسهم ، ويفحصون طبيا ، ثم يلحقون بالخدمة ، ويؤدون اليمين ، وينضمون الى الجيش . كانت الغرفة مليئة بالرجال ، ومن الخارج سمعنا المقترعين ينفجرون ضاحكين .

ونودى على اسم ، وجاء فتى آخر وجهه أبيض كثلوج الثلاجات . كانت يده ملفوفة فى خرقة . أمروه أن يتقدم الى النضد حيث أخذ الكابتن يستجوبه ، هنالك وقف الشاب فأغرا فاه وتلعثم وبلع ريقه ، وتكلم فلم يخرج له صوت وأخيرا تحدث . كان خداه ملتهبين وبين الحين والحين كان صوته يخونه أو تتساقط الكلمات من فمه فتدغم احداها الأخرى . وبهذه الطريقة تمتم رواية ما عن منجلة انزلقت واخترقت العظم فقطعت أحد أصابعه . وخيم الصمت . وتبودلت نظرات سريعة عبر الغرفة . والتوت الشفاه احتقارا ، وبدا كأن الصمت يرجم الفتى بحجارة. لم يكن يرى محتقريه ، ولكنه كان يحس ازدراءهم يخزه وخزا . ومن ثم وقف القبطان ، وهو عجوز أشيب الشعر ، فبصق ثم أشار الى الباب وقال : « اخرج ! » وخرج الفتى وتفرق الجميع ، وقد هيئوا بينهم ممرا خاضه الفتى وسهام النقد والزراية مصوبة نحوه حتى وصل الى الباب ، فأطلق ساقيه للريح متجها صوب

التلال . ثم صعد مخترقا الغابات ، واعتلى الصخور الناتئة وتلك التى برتها المياه ، وهو يتعثر مبهور الأنفاس . كان بيته موغلا فى البعد ، مندسا بين الجبال . ومرت شهور ستة قبل أن يعود الينا ، جاء ومعه أمه ، وطفل ، وخطيبة . استأجر أرضا فوق التلال ، حيث العشب ممتد منبسط يصل الى ناحية « لومب » . وحينما لاحت الفرصة تزوج الفتى ، وابتنى لنفسه بيتا ، وجعل يحطم الأرض الصخرية ويعمل فيها حتى أخذت تلوح فيها مساحات من القمح الذهبى تروى قصة كفاحه . ومع ذلك ، ففى الكنيسة ، ظل يضع يده المبتورة الأصبع فى أعماق جيبه ، وان كنت واثقا أنه فى بيته كان يفعل بأصابعه التسعة ما يفعله غيره بعشرة . وذات ربيع ، داهم بيته الفيضان فانهار . واستطاع سكان البيت أن ينجوا بجلودهم . ولكنهم أصبحوا من بعد مشردين فقراء . ومن ثم ، عاد الرجل ينظف الأرض ويبنى فوقها . وجاء الخريف ، فاذا بالدخان يتصاعد من مداخن بيت جديد فى مزرعة

أكثر أمنا ، على الجبال . هل قلت أكثر أمنا ؟ أجل ، أمنا من الفيضان وليس من الهيـارات الثلجية . فلم يمر عامان الا وقد اجتاحت الثلوج هـذه المزرعة . ومع ذلك ، فحتى الهيارات لم تستطع أن تكسر شوكة الرجل . فقد عاد يضرب الأرض ويزيح الثلج ، ويزيل عنها النفاية ، ويخزن كتل الأشجار وقودا ، وقبل أن يحل الشتاء كان قد صنع لنفسه بيتا للمرة الثالثة . وكان قد أنجب ثلاثة أولاد ، أولادا ثلاثة ممتـازين . وكانت مدرستهم جد نائية . وحيث كانت الطريق تنقطع بهم ، كان عليهم أن يشقوا لأنفسهم طريقا عبر الممرات الضيقة ، وحقول الثلج حادة الارتفاع. فماذا فعل الرجل ؟ ترك الولد الأكبر يشق طريقه بنفسه ، ولكنه حيث تتعقد الأمور كان يشد الولد اليه بحبل ، ويحمل الولدين الآخرين ، واحدا على ذراعه والآخر على ظهره . وهكذا ظل يجاهد، العام بعد العام ، حتى أضحى الصبيان رجالا . وظن ومعه الحق أن قد آن الأوان كي يرد اليه أولاده الجميل ، الآن وقد أصبحوا سادة أغنياء

فى العالم الجديد . غير أنهم نسوا أباهم الذى يعيش فى النورويج ، وما أتاح لهم من تعليم راق جهد فى سبيله كما يجهد العبيـــد . كان كليل النظر . لم يستطع قط أن يرى أبعد من دائرة الأسرة الضيقة . والكلمات التى ترن عميقا فى قلوب الرجال جميعا كانت فى أذنيه كالأجراس البعيدة ، لم يكن لها صدى فى نفسه . الوطن ، العنصر — وهما مثالان يتألقان بالنور — كانا يضيعان فى الضباب أمام عينيه الحسيرتين . ولكنه كان متواضعا ، أجل كان هذا الرجل متواضعا . ومن يوم تلك الحادثة الخطيرة فى « لوند » ظل يحمل شارة العار فى قلبه تماما كما تحمل وجنتاه حمرة الخجل ، وكما تحمل يده الأصابع الأربعة وهى خبيئة فى جيبه . هل خرج الرجل على قانون بلده ؟ بلا شك . ولكن ، كما تسمو السحب ، كالقمم الضاربة فى الارتفـــاع ، فوق خيمـــة « جيليترتيند » التى تعمى الأبصار ، كذلك هناك من الأشياء ما يسمو فوق القانون . لم يـــكن وطنيا صالحا . كان للدولة والـــكنيسة عمودا

أجوف ، ولكنه فى الأرض الخراب ، وبين أفراد أسرته ، حيث يقوم عمله الحق — عمل حياته كلهـا ، كان عظيمـا ، لأنه حقق ذاته . كان جوهره يرن كالعملة الطيبة . وكانت حيـاته موسيقى تعزفهـا الأيام على أوتار خرسـاء . لكل هذا أقول : نم فى أمان ، أيهـا المحارب الصامت الذى خاض معركة الفلاح الصغيرة ثم سقط . لن نفتش فى قلبه ولا فى دوافعه ، فليس هذا عملنا وانما هو عمل الاله . ولكنى من كل قلبى ، وبكل اخلاص ، أرجو ، اذ يتخذ مكانه الى جوار الله أن تذهب عن الرجل عاهته .

پـير : هذه هى المسيحية حقا . ليس فى العظمة ما يضايق المرء . أجل . أن موضوع خطبة القس ، فكرة تحقيق الذات دائما ، هى ، فى حد ذاتها ، فكرة بالغة الفـائدة .

(يحـدق فى القبر) .

ليت شعرى : أهذا هو الصبى الذى رأيته يجتز اصبعه ذلك اليوم الذى كنت أقطع فيه الأشجار

بالغابة ؟ من يدرى ؟ لعلى ، لو لم أكن واقفا الآن معتمدا على عصاى على حافة قبر هذا الروح القريب الى روحى ، كنت خليقا أن أكون أنا نفسى الميت ، أنام هنالك وأسمع فى أحلامى من يتغنى بفضائلى . انها عادة مسيحية تستأهل أقصى المديح ، تلك التى تقضى باستعراض حياة الموتى الأعزاء بعين حانية . أنا نفسى أقبل راضيا حكم قس واسع العقل كهذا الرجل . هيه ، احسب أنه ما زالت بالعمر بقية قبل أن ينادينى اللحاد . وكما يقول الانجيل . « الأفضل هو الأفضل » وكما يقول أيضا : « يكفى اليوم شره » وكما يقول كذلك : « لا تقترض من أجل جنازتك » .

أجل أن الكنيسة هى العزاء الحق الوحيد ، الآن فقط أتبين هذا . الآن أرى كم هو طيب أن يؤكد ذلك العارفون « أن الذى يزرعه الانسان اياه يحصد أيضا » . عليك أن تكون ذاتك . فى صغير الأمور وكبيرها ، واجبك أن تحرص على نفسك . ابذل الجهد الكبير كى ترعى كل ما ينتمى الى

ذاتك . فاذا ما عاندك الحظ أكبر عناد كنت فى القليل قد سويت بنفسك قدسيتك. والآن، الى البيت ! مهما يكن الطريق عسير الصعود أو ضيقا، أو كان القدر قاسيا حتى النهاية ذاتها ، فسيظل بيرجينت العنيد سائرا فى طريقه المرسوم ، وسيحقق ذاته دائما ويكون أبدا فاضلا وان ألم الفقر بساحته .

الفصل الخامس : المشهد الرابع

المنظر : تل : بأسفاله مجرى نهر جف ماؤه . على شط النهر طاحونة متهدمة . الأرض متشققة ، متكسرة ، والخراب منتشر فى كل مكان . فى مكان أكثر ارتفاعا ترى مزرعة كبيرة ، يجرى خارجها بيع بالمزاد . قد تحلق جمع كبير كثير الصخب ، يشربون الخمر على نطاق واسع . بير جينت جالس على كوم من النفايا قرب الطاحونة .

بير : الى الوراء أو الأمام نفس المسافة . فى الداخل وفى الخارج الممر ضيق . لا الزمن ولا المد ينتظر أحدا . قال البويج : « خذ طريقا دائريا » وهذا ما هو حتم أن أفعل هنا .

رجل فى ملابس الحداد : الآن لم يعد الا النفاية .

(يرى بير جينت) .

وفينا أغراب أيضا ! بارك الله فيك يا صاحبى !

بير : طاب يومك ! هذه مناسبة بهيجة . أهو حفل تعميد أو زواج ؟

رجل فى ملابس الحداد : بل قل أنه احتفاء بعودة الغريب الى بيته . العروس نائمة فى فراش من دود .

بيير : والدود يتصارع من أجل قطعة أو أخرى .

رجل فى ملابس الحداد : انها النهاية . نهاية قصة حياة .

بيير : كل قصة قديمة . كل قصة تنتهى نفس النهاية . عرفت القصص جميعا وأنا صبى .

شاب : (ومعه مغرفة صهر) انظر الى هذه ! اشتريتها توا ! أليست رائعة ؟ كان بيرجينت يصهر الأزرار الفضية فيها .

شاب ثان : وأنا ماذا اشتريت ؟ كيس بملليمات !

شاب ثالث : وأنا ؟ جعبة بائع جوال بقرشين .

بيير : بيرجينت ؟ من هو ؟

رجل فى ملابس الحداد : كل ما أعرفه أنه كان زوج أخت الموت ، « وأسلاك » الحداد .

رجل فى ثوب رمادى : قد نسيتمونى . مجانين أنتم أم سكارى ؟

رجل فى ملابس الحداد : نسيتم الغرفة العليا فى هجستداد .

رجل فى ثوب رمادى : هذا حق ! ولكن متى كنت ذا ضمير حى ؟

رجل فى ملابس الحداد : لنفرض أنها عصفت بالموت !

رجل فى ثوب رمادى : هيا . اشرب مع زوج أختك .

رجل فى ملابس الحداد : زوج أخت ! اذهب الى الجحيم ! أنت تهرف !

رجل فى ثوب رمادى : آه ، كلام فارغ . الدم لا يكون ماء هكذا ! كل منا قريب لبيرجينت بوسيلة أو أخرى .

(ينصرفان معـــا) .

پــير : (فى صوت خفيض) الظاهر اننى بالفعل قد لقيت صحابا قدامى .

الصبى : أمى المسكينة ستسكن روحك ، يا أســلاك ، لو عدت للشراب ثانية .

پــير : (ناهضا) يقول المثل الفلاحى : « كلما حفرت أعمق ، كانت الرائحة أعبق » . ولكنه هنـا لا ينطبق .

شــاب : (يلبس فراء دب) انظر هنا ! هذا قط دوفر ! أو ، على الأقل ، جلده . انه القط الذى ذهب يطارد جنية عشية عيد الميلاد .

شــاب ثان : (معه قرون غزال الرنة) هذا قرن غزال الرنة الذى ركبه بيرجينت حينما انزلق من فوق قمة جبال جيندين .

شاب ثالث : (يحمل مطرقة ويهتف مخاطبا الرجل فى ملابس الحداد) هيه ، أنت ، يا اسلاك ، انظر الى هذه

المطرقة ! أهى التى استخدمتها حين نفذ الشيطان خلال الحائط ؟

شاب رابع : (فارغ اليدين) هذه « مادزموين » ! العباءة الخفية التى طار بها بيرجينت وانجريد ، وغابا عن الأنظار !

پير : براندى ها ، يا أولادى ! أحس وطأة السن ! سأعرض نفايتى هذه فى المزاد .

شاب : وماذا عندك ؟

پير : لى قصر بأسوار كبيرة سميكة . انه فى الروند .

شاب : أعرض فيه زرا واحدا .

پير : اجعله قدرا من الشراب . انها لخطيئة وعار أن تعرض أقل .

شاب آخر : عجوز لطيف !

(الناس يتحلقون حول پير) .

پير : وحصانى ، جرين ! هل من يتقدم ؟

واحد من الجمع : وأين هو ؟

پير : هو فى الغرب ! قرب الشمس الغاربة ، يا أولاد ! جرين يجرى بسرعة ، بسرعة بيرجينت فى اطلاق الأكاذيب .

أصوات : وماذا عندك أيضا ؟

پير : ذهب ورغوة معدن . بضاعة اشتريتها على عيبها. سأبيع بخسارة .

شاب : أعرضها للبيع !

پير : وعندى حلم بكتاب صلاة ! أطلب فيه مجرد زر .

شاب : اللعنة على الأحلام !

پير : وهناك أيضا امبراطوريتى ! سأرميها اليكم . تدافعوا للحصول عليها .

شاب : بما فيها من تاج ؟

پير : تاج من الشوك ! على مقاس أول من يلبسه . آه . وهناك المزيد ! بيضة فاسدة وشعر أبيض لعجوز ! ولحية النبىء ! سأعطى الجميع لمن يدلنى على لافتة فى الأرض الخلاء ، لافتة تقول : « هذا هو الطريق » .

(يصل ممثل القانون) .

ممثل القانون : لا يروقنى هذا السلوك ، يا صاح . لا فتتك هذه ستقودك رأسا الى السجن .

پير : (وقبعته فى يده) جائز . ولكن قل لى : من هو بيرجينت ؟

ممثل القانون : ايه — !

پــير : بعد اذنك ، أريد أن أعرف .

ممثل القانون : يقولون أنه كان مؤلف قصص سخيف .

پــير : مؤلف قصص ؟

ممثل القانون : نعم ، ألف بين أشتات ما قرأ من قصص المغامرات الكبرى ، وادعى أنها من ابداعه خاصة . ولكن، اسمح لى ، يا صديقى ، فلا وقت عندى .

(يذهب) .

پــير : وأين هو الآن ، هذا الانسان العجيب ؟

رجل عجوز : هاجر — الى بلد أجنبى — تحول من السيىء الى الأسوأ .. أمر طبيعى . ثم انتهى الى المشنقة . حدث هذا من سنوات .

پــير : المشنقة ؟ تخيل ! فى الواقع هــذا لا يدهشنى . المرحوم بير جينت حقق ذاته حتى النهاية .

(ينحنى) .

وداعا : وشكرا لما أظهرتموه من عطف .

(يأخذ فى الانصراف ، ثم يتوقف) .

أيها الرجال السعداء جميعا . أيتها المليحات من البنات طرا . هل أسمعكن نسجا من بعض خيالى؟

أصـوات : من أى نوع ؟

بـيـر : أوه ، مجرد قصص بسيطة .

(يقترب . فى عينيه نظرة غريبة) .

من سـنتين ، كنت أسـتخرج الذهب فى سان فرانسيسكو والبلدة كلها مزدحمة بالسحرة . أحدهم كان يعزف الكمان بأصابع قدميه ، وآخر كان يرقص على ركبتيه ، وثالث ، قيل لى ، كان ينظم الشعر بينما رأسه تدق فيها المسامير وذات مرة ظهر الشيطان فى السوق ، أحب هو الآخر أن يجرب حظه . وكان يحسن تقليد صـوت الخنزير ، كان تقليده يحاكى الطبيعة تماما . ولم يتعرف عليه أحـد ولكن شخصيته اجتـذبت الجماهير . ازدحم المكان حتى امتلأ عن آخره ، وارتفعت حرارة الشوق فانقلبت حمى . وأخيرا ظهر مرتديا عباءة طويلة فضفاضة — ما يسميه الألمان [1] Man muss sich drapieren ولكنه خلف العبـاءة أخفى خنزيرا . وبدأ العرض . قرص الشيطان الخنزير فصاح . وتبين أن العـرض

(١) على المرء أن يكون مستعدا بالثوب اللائق .

يهدف الى تقديم صورة فانتازية لحياة الخنزير من فترة الرضاعة حتى الصرخة الاخيرة اثر طعنة من سكين الجزار . وفى نهـاية العرض انحنى الفنان انحناءة كبرى وانصرف . وأخذ النقاد يناقشون فن الممثل . اختلفت الآراء ، بعضهم امتدح العرض ، والآخر طعن فيه . فريق رأى أن نغمة الصرخات كان أرفع من اللازم ، وآخر ذهب الى أن صرخات الموت كانت « مدبرة » أكثر منها تلقائية . غير أن الجميع اتفقـوا على أن العرض بوصفه تقليدا لصوت الخنزير كان مبالغا فيه الى درجة السخافة . وهذا هو الجزاء الذى ناله الشيطان لغبائه الصرف الذى منعه أن يعرف حقيقة رغبات الجمهور .

(ينحنى وينصرف . ويسود الجمع صمت غير مريح) .

الفصل الخامس : المشهد الخامس

المنظر : العيشة الســابقة على أحد العنصرة . وفى أعماق الغابة . على مبعدة فى مكان قطعت أشجاره يقوم كوخ على بابه قرون غزال الرنة . بير جينت جاث على يديه وركبتيه ، يجمع البصل البرى .

پـــير : هذه احدى وجهات النظر . أين وجهة النظـــر التالية ؟ حتم أن تجرب كل شيء ، ثم تختار ، الأحسن . وهــذا ما فعلت . مرة كنت قيصر . والآن أنا ملك بابل آخر . أنا أمر عبر التاريخ الذى يحكيه الانجيل جميعا . هذا العجوز قد عاد الى أمه ثانية . بالطبع يقول الانجيل : «تراب أنت !» أهم ما فى الحياة أن تملأ بطنك . تملأها بصلا ؟ لا ، هــذا لا يجــدى . سأظهر المكر . سأنصب الفخاخ . هناك جدول قريب ، فلن أظمأ أبدا . سأظل كما كنت سيد الخليقة هنا أيضا . وحين أمــوت — ولا ريب اننى سأموت — سأزحف وأقبع تحت شجرة قد أسقطتها الريح ،

سأغطى نفسى بأوراق الشجر ، كما يفعل الدب ، وعلى اللحاء سأنقش بأحرف كبيرة : « هنا يرقد بيرجينت ، انسان طيب تماما ، وامبراطور كل الوحوش » . امبراطور (يضحك لنفسه) أيها القرد السخيف العقل! أنت لست امبراطورا، انما أنت بصلة . وأنا الآن سأقشرك ، يا عزيزى بير ! لا الدموع ولا الصلوات تنفعك الآن .

(يأخذ بصلة ويقشرها ورقة ورقة) .

هذه الطبقة الخارجية ، مشققة ومنكسرة ، انها الغريق المتعلق بالحطام . وهذه صرة المسافر ، فى طعمها ما يشبه بيرجينت . وبالداخل ، الأنا الباحثة عن الذهب . قد ذهبت عنها العصارة ، ان صح ان كان لها عصارة ما . هذه الطبقة صلبة خشنة ، تمثل صياد الفرو فى خليج هدسون . الطبقة التالية تشبه التاج . شكرا ! سنرميه فورا وبلا احتفال . هذه تمثل عالم الآثار ، قصيرة ولكنها قوية ، وهذه تمثل النبىء ، مليئة بالعصارة ، وطازجة ، ولكنها تفوح ، كما يقول المثل ، بنتانة الأكاذيب ، انها لتسيل الدموع من

عين الرجل الشريف . هذه الطبقة ، طرية نقية ، تمثل الرجل الذى عاش للمرح . الطبقة التى تليها فى حالة سيئة ، تتخللها الخيوط السوداء . انها تذكر بالزنوج والمبشرين .

(يقطع عدة طبقات دفعة واحدة) .

طبقات كثيرة فوق طبقات . فمتى أصل الى اللب؟

(يقطع البصلة كلها اربا) .

يا الهى ، انه لا لب لها ! حتى القلب ، تمضى الطبقات فوق الطبقات ، وهى تتناقص فى الحجم . الطبيعة ذكية !

(يرمى البقيـــة) .

ومع ذلك فلا خطر علىّ البتة من وقوع ، فأنا ليسقط الفكر ! ما أن تفكر ، حتى تبدأ العثرات. ثابت على الأرض بأطرافى الأربعة . (يحك قفاه) الحياة نفسها مسألة مضحكة . الناس يقولون انها تخدعنا ، نمد اليها يدا لنغتصبها ، ولكنها تمرق منا ، واذ بنا نحصل على غير ما نريد ، أو على لا شىء .

(يصل الى قرب الكوخ . يراه فيندهش) .

هذا الكوخ ؟ فى الغابة ! ولكن —

(يفرك عينيه) .

أقسم أن — ! أنا واثق انى رأيت هذا البنـــاء
من قبــل . وقرون الغزال هذه فوق البـــاب !
وحورية البحر بذيلها الطويل الذى يضرب الماء .
أوهام ! ليس ما أرى حورية وانما مســـامير
والواح ، ورتاج يمنع دخول أفكار العفاريت !

(يسمع صوت سولفيج من الداخل) .

سولفيج : الآن تهيأ كل شيء لعيد العنصرة . يا حبيبى العزيز
المفرط فى النأى ، متى تعود ؟ احملك ثقيل ؟ اذن
استرح ، استرح قليلا ، سأنتظر ، كما وعدتك ،
من وقت بعيد ، بعيد ...

(ينهض بير جينت ووجهه أبيض كالموتى)

پــير : واحدة ذكرت وآخر قد نسى ،
واحدة آمنت ، وآخر قد كفر .
انتهت اللعبة ، وحانت نهاية الشوط
يا للقدر من مخادع مــكار ! قــد كانت هنا
امبراطوريتى .

الفصل الخامس : المشهد السادس

المنظر : بالليل . أرض خلاء ، بها بعض أشجار الصنوبر . كان هنا حريق دمر الغابة . أميال وراء أميال من جذوع الأشجار المتفحمة . مساحات من الشابورة على الأرض هنا وهناك . بير جينت يخترق المنظر وهو يجرى .

پير : رماد وضباب رذاذ وعواصف رملية سيارة —
هى كلها ما ابتنى منه البيوت ! رائحة كريهة
وعفن بداخلها ؛ جميعها تصنع القبر المدهون .
أحلام وخيالات.وحكمة ولدت ميته تخذتها قواعد
للبيت ، وفوقها سوف يعلو الهرم كاملا بمصاطبه
ودرجاته المصنوعة من أكاذيب . فلترفع فوقه
اذن عبارة تقول : « الهرب من الحقيقة ومن
الندم » ، ولندعها تخفق فى الهواء كالراية .
فلينفخ فى الصور من يقول [1] Pretus Gyntus
Caesar Fecit.
(يتسمع) .
أسمع صوت أطفال يبكون ، بكاء هو نصف

---

(١) لقد انقضى القيصر پير جينت .

اغنية . وكرات من الخيط تتدحرج عند قدمىّ !

(يرفسها) .

خل عن الطريق ! فأنت تسدينه !

كرات الخيط : نحن أفكار ، كان عليك أن تشغل بها ! وأرجلا نمشى عليها كان واجبك أن تمنحنا !

پــير : ذات مرة نفخت الحياة فى فكرة ، كانت شوهاء برجلين معوجتين .

كرات الخيط : كنا جديرات أن نحلق صوب السماء ، فى نشيد يتردد . غير أننا مجرد كرات من الخيط شهباء ، تدور فى الوحل .

پــير : (متعثرا) ياكرات الخيط ، يا شيطانات ملعونة ! هل تدفعين أباك للسقوط ؟

(يهــــرب) .

اوراق شجرمية : (تطير فى الريح) .

نحن كلمات السر ! انظر ماذا فعل بنا كسلك ، مزقنا وذرانا فى الريح . عضــنا الدود من كل شريان . لم ندفىء قط ثمرة فى شجر .

پــير : لم تضع حياتك هباء . ارقدى على الأرض تصبحى سباخا طيبا .

زهرة فى الهواء : نحن أغنيات لم تنشدها ! وفى أعماق قلبك تعلقنا بالأمل . آلاف من المرات خنقتنا وقتلتنا ، لم تدعنا قط للحياة . ألا خرس منك الصوت !

پــير : بل أخرسى أنت ، بقوافيك ولعناتك ! فما شأنى أنا بالنظم الركيك ؟

(يوليها ظهره) .

قطرات ندى : نحن دموع لا تستطيع السقوط ! كنا جديرات أن نذيب بللورات الألم المرير . الآن يبقى رأس الشص فى الصدر العنيد . وينغلق الجرح ولا يعود لنا سلطان .

پــير : شكرا — بكيت مرة فى روند يسفالين ، فنالتنى ضربة على المؤخرة .. !

قشات مكسورة : نحن أفعال لم تفعلها ! الشك ، ذلك المحطم ، هاجمنا وانتصر . يوم القيامة سنكون شهودا ونروى قصتنا ، وهنالك ، حذار !

پــير : يا مجرمات ! تلمننى على ما لم أفعل ؟

(يهــرب) .

آس : (من بعيد) .

اخص ! يا لك سائق عبيط ! قد رميت بى فى

مستنقع مثلج ، نالنى الماء حتى اللحم ! قد ضللت الطريق ، يا بير ، أين القصر ؟ غرر بك الشيطان بفضل السوط الذى تمسك .

پــير : الأفضل أن أهرب مسرعا . فلو قد حملت خطايا الشيطان أيضا لحططت على جانب التل . خطاياى أنا تكفينى وتثقل على .

الفصل الخامس : المشهد السابع

المنظر : جزء من الأرض الخــــلاء .

بـــير : (مغنيا) . لحاد ، يا لحاد ! أين أنتم أيها الكلاب؟ تثغون الألحان من أفواه معلميكم . وحــول قبعاتكم أشرطة الحداد السود ! فلأتبع نعوش أصدقائى الأعزاء !

(يدخل صانع الأزرار من الممر الجانبى ، ومعه صـــندوق به أدواته ، ومغرفة صهر ضخمة) .

صــانع الأزرار : طاب مساؤك ، أيها العجوز !

بـــير : طاب مساؤك ، يا صاحبى !

صــانع الأزرار : أراك فى عجلة كبيرة . الى أين ؟

بـــير : جنـــازة .

صــانع الأزرار : صحيح ؟ نظرى ليس قويا — اعذرنى — أليس اسمك بير ؟

بـــير : نعم . هو ذاك . بيرجينت .

صــانع الأزرار : هذا حظى الحسن ، اذن . كنت أبحث عن بيرجينت

في كل مكان .

پيـــر : صحيح ؟ وماذا تريد ؟

صـانع الأزرار : أنت ترى من أكون . صــانع أزرار . أريدك لمغرفتي .

پيـــر : ولم ؟

صـانع الأزرار : سأصهرك .

پيـــر : تصهرني ؟

صـانع الأزرار : نعم . انظر ! المغرفة قد نظفت وهي الآن خالية . الدود سينال أكلة شهية في جثتك . لدى تعليمات من رئيسي بأن أحضر له روحك دون أدنى تأخير.

پيـــر : لا حق لك في هذا . لم أتلق تحذيرا بعد .

صـانع الأزرار : تقضي العادة في حوادث الوفاة والميلاد بأن يفاجأ الضيف بالحادثة مفاجأة كبرى . لا أحد ينبئه باليوم الموعود .

پيـــر : نعم . أعلم . عقلي في دوامة . أنت اذن — ؟

صـانع الأزرار : قلت لك ! صانع أزرار .

پيـــر : هيم ! ولكن الطفل المــدلل له كنيات كثيرة . واذن فقد انتهى بك الأمر هذه النهاية ، ياپيرــ تصهر في مغرفة ! ولكنني ، ايها الرجل الطيب ،

استحق لا شك مصيرا خيرا من هذا . انا لست شريرا الى الحد الذى تظننى . قد أديت قدرا من الاعمال الخيرة على الارض . وعلى اسوأ الفروض ، انا مجرد حمـــار خباص ، انا قطعا لست مجرما معتادا .

صانع الأزرار : أنت تخرج على الموضوع ، يا عزيزى . النقطة هى : بما ان خطاياك قد كانت قميئة ،فقد اعفيت من العذاب الأزلى، وحكم عليك ، كمعظم الناس، بالصهر فى المغرفة .

بـير : سمها ما شئت — المغرفة ، أو بركة الكبريت المذاب . خمر خفيفة أو شديدة المفعول — كلها خمر . أغرب عنى ، يا شيطان .

صانع الأزرار : أبلغت بك القحة أن تظن قدمى حافر حصان ؟

بـير : حافر حصان ، أومخلب ثعلب ! امش!ولاتتدخل فيما لا يعنيك !

صانع الأزرار : يا صاحبى ، أنت تخطىء خطأ كبير . بما أن كلينا فى عجلة ، فسأشرح لك القضية بأوجز ما أستطيع. هذا أوفر للوقت . أنت ، باعترافك ، لست مخطئا بطريقة رائعة . أنت مجرد مذنب عادى .

پــير : الآن أخذت تنطق بالحق .

صانع الأزرار : انتظر لحظة ! أكون مغاليا اذا قلت انك برىء .

پــير : هذا أمر لا انتظره قط .

صانع الأزرار : لقد سرت فى الطريق الوسط ، المألوف للغالبية.
المذنب العظيم نادر الوجود فى هـذه الأيام .
الذنب الكبير ليس مجرد التمرغ فى الوحـل.
القوة والهدف يلزمان لتحقيق الذنب الملحمى .

پــير : ما قلته الآن حق صريح . يجب أن تندفع الى الذنب اندفاعة المحارب النوردى المجنون . .

صانع الأزرار : لم تفعل هذا : بل استخففت بالذنب .

پــير : أذنبت بسطحية . نظرت الى الذنب كما ننظر الى رشة وحل .

صانع الأزرار : الآن أخذنا نصل الى اتفاق . ان بركة الكبريت ليست لمن مشوا على سطح الوحل .

پــير : ولهذا ، يا صديقى ، تستطيع أن تخلى سبيلى ؟

صانع الأزرار : ولهذا ، يا صديقى ، سوف تصهر فى المغرفة .

پــير : أية ألاعيب هذه التى تعلمتموها فى غيابى ؟

صانع الأزرار : طريقتنا قديمة قدم العالم . وهدفنا المحافظة على المادة من الفناء . أنت على دراية بفن الصهر ،

ولهذا تعلم أن بعض المصبوبات يلحق بها عيوب. الزر — مثلا — قد يخــرج بلا ثقوب . فماذا تفعل به ؟

پـــير : ألقيه جانبا .

صــانع الأزرار : آه ! أبوك جون جينت كان متلافا ، بذر فى ماله حتى النهاية . ولكن سيدى جد حريص . ولهذا السبب أضحى واسع الثراء . انه لا يلقى شيئا جانبا . انه يجد لما لا ينفع منفعة : فيستخدمه . مادة خام . كان مفروضا أن تصبح زرا لامعا على صديرية العالم . ولكن ثقوبك فسدت . لهذا وجب أن تذوب فى الكتلة الكبرى .

پـــير : أنت ، قطعا ، لا تعنى انك ستصهرنى مع كل من هب ودب ، لتخرج منا شيئا جديدا ؟

صــانع الأزرار : بل هذا بالضبط ما أعنية . قد عملنا هذا مع غيرك ، المرة بعد المرة . وفى المسبك يفعلون نفس الشيء بالعملة التى تفقد نقشها من طول الاستعمال .

پـــير : ليس هذا الا الشح الصريح ! يا صديقى العزيز ، هل لك أن تخلى سبيلى ؟ زر بلا ثقوب ! عملة

اصبحت ملساء ! ماذا يساوى هذا فى حساب رجل له مثل ثروة سيدك .

صانع الأزرار : ان لك روحا تجعل لك بعض القيمة كنوع من الخردة .

پير : لا ، أقول لا ، سأحارب حتى النهاية . أنا أحتج! كل مصير أرضى به الا هذا .

صانع الأزرار : وأى مصير آخر هنــاك ؟ هيا : كن عاقــلا . ليس لك مكان يرضيك فى الجنة .

پير : من السهل ارضائى . لست كثير الاطمــاع . ولكنى لن اسلم لك ذرة واحدة من نفسى . حاسبنى بالطريقة القديمة المألوفة . ارسلنى الى سيدك وفى قدمى الحافر بعضا من الوقت ، مائة سنة من العذاب ، اذا وجدت انى استحق هذه المدة ، اظن اننى مستطيع أن احتملها . انه على كل حال لن يكون الا عذابا خلقيا ، غير صعب الاحتمال . سيكون فترة انتقال ، كما يقول المثل : أو كما قال الثعلب : « تنتظر ثم تحين ساعة الخلاص ، فتعود بسرعة مضاعفة ، وتأمل أن تتحسن الأحوال » . ولكن هذا المصير

الآخر — أن أندمج فى جسم آخر ، أن أصبح ذرة — هذه المسألة المغرفية ، هـذه النهاية لجينت — ان أعمق أعماقى يثور عليها .

صانع الأزرار : يا عزيزى بير ، لماذا تجعل لهذه المسألة الصغيرة كل هذه الأهمية ؟ أنت لم تكن ذاتك قط : فلماذا تأبه الآن اذا انتهيت الى الأبد ؟

بير : لم أكن ذاتى قط ! هل أضحك ! بيرجينت ليس ذاته ! طيب ، طيب ، سوف نرى ! ، لا ، يا صانع الأزرار ، ان حكمك أعمى ، لو استطعت أن تنفذ الى داخل نفسى : لرأيت اذ ذاك فقط ، حقيقة ذاتى ، بير ، ولا شىء غير بير ، ولا شىء سواه .

صانع الأزرار : هذا مستحيل . هذه هى التعليمات الملقاة الى . انها صريحة واضحة . « ايت الى بيرجينت . قد تحدى مصيره . الق به الى المغرفة بوصفه بضاعة تالفة » ! .

بير : يا له من كلام فارغ ! لابد أن المقصود شخص آخر . أتقول تعليماتك حقا : « بير » ، وليس راسماس أو جون ؟

صانع الأزرار : صهرت هذين من مدة طويلة . هيا ، طائعا مختارا ، ولا تضيع الوقت .

پير : عليّ اللعنة ان فعلت ! ماذا يكون حالى اذا تبينت فيما بعد انك ارتكبت خطأ ! الأفضل أن تكون حريصا : يا رجل . اذكر العبأ الفادح الذى سوف تحمل .

صانع الأزرار : تعليماتى مكتوبة .

پير : اعطنى فرصة .

صانع الأزرار : ولم ؟

پير : سأذهب فأجمع الأدلة على اننى كنت ذاتى طوال حياتى . هذا هو جوهر القضية ، أليس كذلك ؟

صانع الأزرار : الأدلة ؟ كيف ؟

پير : شهود ؟ شهادات !

صانع الأزرار : لا أظن أن سيدى سيرضى بأدلتك .

پير : بل أنا واثق أنه سيفعل . ومع ذلك : « يكفى اليوم شره » يا صديقى ، كل ما أطلبه أن تعيرنى نفسى بضمان . سأعود سريعا . اننا نولد مرة

واحدة فقط ، ولهذا نبذل قصارى الجهد لكى نحتفظ بالنفس التى ولدت معنا ، هيه ؟ أتوافق؟

صانع الأزرار : ليكن اذن ، قبلت الاتفاق . ولكن اذكر اننا سوف نلتقى عند مفترق الطرق القادم .

(يهرب بـــير) .

المنظر : جزء آخر من الأرض الخلاء . يدخل بير جينت وهو يعدو .

بـــير : الوقت من ذهب ، هكذا يقول الكتاب الطيب . لو قد عرفت فقط أين يقع مفترق الطرق ! قد يكون قريبا ، وقد يكون بعيدا . الأرض تحترق كالحديد الأحمر . شاهد ! شاهد ! أين أجد شاهدا ؟ لن أجد شاهدا هنا فى أعماق الغابة . ان عالما يضطر المرء فيه الى اثبات حقوقه وهى واضحة كالشمس ، لهو عالم خرب : سيىء الادارة!

(يدخل رجل عجوز يمسك عصا فى يده ويحمل حقيبة على ظهره ، ويمشى وئيد الخطوات أمام بير . انه ملك جبال دوفر) .

الملــك : (متوقفا) من فضلك يا سيدى ، بعض النقود لسائل شريد .

بـــير : ليس معى فكة .

الملك : الأمير بير ! تصور أننا التقينا ثانية !

پير . من أنت ؟

الملك : تذكر ملك دوفر ؟

پير : غير معقو ...

الملك : ملك جبال روند !

پير : ملك دوفر ؟ صحيح ؟ ملك الجن ؟ قل لى !

الملك : نعم ، ولكن حالى تغير .

پير : أفلست ؟

الملك : وسرقت ، أخذوا منى كل شىء ، أنا الآن شريد ، جائع كذئب !

پير : مرحى ! أنت الشاهد الذى أطلب !

الملك : أيها الأمير بير — قد هرمت شيئا ما ، منذ أن رأيتك آخر مرة .

پير : يا حماى العزيز : السنون تبتلعنا ابتلاعا . هيه— دعنا من مسائلنا الخاصة ، وبالأخص المشاكل العائلية . حينما عرفتكم أول مرة كنت شابا مندفعا .

الملك : أيها الأمير بير ، كنت صغيرا ما تزال ، وللشباب حكمة . وقد فعلت عين الصواب حين هجرت

عروسك . قد وفرت على نفسك كثيرا من العار والحزن . بعد أن تركتها ساءت أخلاقها تماما .

پــير : حقــا ؟

الملــك : هى الآن امرأة سيئة السيرة . تصور انها تعيش الآن مع هذا التروند القذر .

پــير : أى تروند ؟

الملــك : تروند فالفيلد .

پــير : هو ؟ آه ! قد سلبته راعيات أبقاره الثلاث .

الملــك : ولكن حفيدى قد كبر وسمن وأصبح غنيا ، له أطفال عفاريت فى كل مكان .

پــير : أيها الرجل العزيز ، ارحمنى من هذه التفاصيل الدقيقة ، شىء آخر ينهش عقلى . أنا واقع فى مشكلة خطيرة . أريد شهادة حسن سير وسلوك . وأنت تستطيع مساعدتى يا حماى العزيز ، وفى مقابل هذا : سأبتاع لك شرابا .

الملــك : هل أستطيع حقا أن أعينك بشىء ، أيها الأمير ؟ وهل تعطينى أنت شهادة مماثلة فى مقابل هذا ؟

پــير : طبعا . حاليا أنا قليل المال . على أن أقتر وأوفر كل ما أستطيع . الآن أسـمع ، سأحكى لك

الحكاية . تذكر اليوم الذى وصلت فيه الروند وخطبت منك ابنتك ؟

الملك : طبعا اذكر ، يا أمير !

بير : دعك من كلة « أمير » هذه . أردت اذ ذاك أن تعاملنى بخشونة ، فتشق حبة عينى لتجعلنى أبصر بطريقة ملتوية وتحول بيرجينت الى جنى . فماذا فعلت ؟ نهضت لك وحاربتك ، أقسمت على أن أقف على قدمى معتمدا على نفسى ، أعرضت عن الحب والسلطان والملك ، نزلت عن كل شىء فى مقابل أن أحقق ذاتى . هذا هو الذى أريدك أن تقسم عليه حين —

الملك : لا : لا أستطيع .

بير : ماذا تقول ؟

الملك : لا أظنك تريدنى على أن أكذب — هيه ؟ ألا تذكر انك لبست ذيلا وشربت خمر العسل ؟

بير : بلى ، لأنكم أغريتمونى على هذا . ولكنى صمدت لكم وانتصرت فى النهاية . انما يقوّم الرجال بأعمال كهذه . والبيت الأخير فى القصيدة هو بيت القصيد .

الملك : غير أن النتيجة ، يا بير ، كانت عكس هذا تماما .

پير : ماذا تعنى ؟

الملك : حينما غادرت قصرى . كنت قد نقشت شعارى على درعك .

پير : أى شعار ؟

الملك : هذه العبارة الشاملة —

پير : أية عبارة ؟

الملك : العبارة التى تميز البشر من الجان ، « أيها الجنى ، اجعل فى ذاتك الكفاية » .

پير : (يخطو الى الوراء) . الكفاية !

الملك : أجل ، وتحت هذا الشعار عشت بكل ذرة فى جسدك .

پير : ماذا ؟ بيرجينت ؟

الملك : (وهو يبكى) أنت كثير النكران للجميل . عشت كما يعيش الجنى وأبقيت الأمر سرا . العبارة التى لقنتك صنعت مستقبلك كرجل بارز فى الدنيا : وأسبغت عليك الشهرة . والآن تأتى لتسخر منى ومن العبارة التى كانت مصدر خيرك .

پـيـر : الكفاية ! جنى ! مجرد أنانى ! كلام فارغ ! أنا واثق من ذلك .

(يخـــرج العجوز حزمـــة من الصحف فى صرته) .

الملـك : نظن أننا لا نملك صحفا . انظـر . بعبـارات واضحة ! لكل من له عين ترى ! كيف أثنت عليك صـحيفة « بلوكسبيرج بوست » وصـحيفة « هيكيلفيلد اكسبريس » كذلك ، بعد ذلك الشتاء الذى تركتنا فيه . تريد أن تقرأهما ؟ هاك، الق نظرة ! هذه افتتاحية وقعها «حافر الحصان». وأخرى عنوانها : « الوطنية الجنية » . الكاتب يقول انه ليس من الضرورى أن يكون لك قرن أو ذيل كى تكون جنياً . المهم هو الشـعور ! النظرة ! هذا هو المهم ! وينهى الكاتب مقاله قائلا : « عبارتنا : الكفاية تسبغ الصفة الجنية على الانسان . ثم يورد حالة بيرجينت بوصفها أحسن مثال .

پـيـر : جنى ؟ أنا !

الملـك : نعم ، هذا واضح تماما .

بـــير : كان أولى بى أن أبقى حيث كنت ، وأعيش فى نعيم الروند وأمنه ، اذا لوفرت على نفسى عناء المشى وكثيرا من النصب والمتاعب ! بيرجينت جنى ! كلام فارغ ! أكاذيب ! وداعا ! وهالك البقشيش !

الملـك : يا عزيزى الأمير بير —

بـــير : اخرس . أما أنك مجنون أو مهرف . اذهب الى المستشفى .

الملـك : هذا بالضبط ما أريد . ولكن ، كما قلت لك : أصبح أولاد حفيدى أقوياء فى البلد ، وهم ينشرون عنى الأقاويل ، زاعمين انى مجرد أسطورة . يقول الناس : لا تأمن للأقارب ، وقد أثبتت تجربتى المرة أن هذا صحيح . من الصعب ان اصدق اننى أسطورة .

بـــير : أيها الرجل العزيز ، قد حدث هذا لغيرك .

الملـك : ونحن الجان لا معاش لنا : ولا مدخرات فى البريد ، ولا صناديق احسان . هذا أمر لا يليق فى الروند .

بـــير : لا . أهم شىء هناك هو العبارة الملعونة : « اجعل فى ذاتك كفاية » .

الملـك : أيها الأمير بير ، أنت آخر من يحق له الشكوى . واذا استطعت ، بوسيلة أو أخرى —

پيـر : يا عزيزى ، جئت تسأل من لا يملك . أنا الآخر تعضنى الحاجة . وأنت تعرف معنى هذا .

الملـك : لا يا شيخ ! أنت ؟ متسول أيضا ؟

پيـر : على الحديدة ! ونفس أميرك مرهونة ، ومن المسئول عن كل هذا ؟ أنتم يا جان ! الآن تدرك ما تفعله بالمرء صحبة السوء !

الملـك : واذن فقد خاب ظنى ! وداعا ! علىَّ أن أشق طريقى الى المدينة بأية وسيلة .

پيـر : وماذا تفعل هناك ؟

الملـك : سأحترف التمثيل . انهم فى المسرح يبحثون عن مواهب محلية .

پيـر : حظا سعيدا ! وبلغهم تحياتى . اذا استطعت النجاة ، فعلت مثلك . سأكتب كوميديا عميقة وذكية الفكاهة على التوالى . سأسميها Sic Franist gloria mundi (1).

(يسير فى المر ، تاركا العجوز وراءه ينادى عليه) .

---

(1) هكذا ينقضى مجد الدنيا .

الفصل الخامس : المشهد التاسع

المنظر : مفترق الطرق .

پـير : أنت مقبل على متاعب : يا صديقى بير ، «كفاية»، الجان قد خذلتك . غرقت مركبك ، وعليك أن تتعلق بحطام ، بأى شىء ، ولا تدعهم يلقونك على كومة الخردة .

صانع الأزرار : (عند مفترق الطرق) هيه ، يا بيرجينت ، أين شهادتك ؟

پـير : ماذا ؟ عند مفترق الطرق مرة أخرى ؟ بهذه السرعة !

صانع الأزرار : اقرأ أخبارك فى وجهك كما فى كتاب مفتوح . لست محتاجا لصحيفة تدلنى .

پـير : أنهكنى البحث . المرء سرعان ما يضل .

صانع الأزرار : وبعد هذا : أين يمضى بك الطريق ؟

پـير : أجل ، الى أين ؟ وأنا فى قلب الغابة والوقت ليل —

صانع الأزرار : هناك متشرد عجوز غير بعيد ، هل تدعوه

پـير : لا ، دعه فى حاله ! هو سكران على كل حال !

صانع الأزرار : ولكنه قد يستطيع —

پير : لا ، دعه يذهب !

صانع الأزرار : اذن ، فلنبدأ .

پير : لى سؤال : أولا : ماذا تعنى بقولك « أن تكون ذاتك » .

قشات مكسورة : عجيب أن يصدر السؤال منك أنت . منذ لحظات كنت —

پير : هيا ، هيا ، أجبنى .

قشات مكسورة : أن تكون ذاتك معناه أن تقتل أسوأ مافى نفسك وتبرز أحسن ما فيها . ولكنى واثق انك لن تفهم هذا . سأبسط لك المسألة : المعنى هو أن تمضى مشيئة المولى بكل تفاصيلها .

پير : فما شأن من لم يعرف قط ماذا يريد به المولى ؟

قشات مكسورة : ينبغى أن تدله فطرته .

پير : كثيرا ما تخطىء الفطرة أكبر الأخطاء . كثيرا ما تدفع بك ad undas [1] وتحطم مستقبلك .

صانع الأزرار : هذا صحيح . ولكنك اذا أعوزتك الفطرة ، فتحت الطريق للشيطان .

---

(١) الى الموج .

م-١٩

پـيـر : هذه مسألة معقدة جدا . اذن أتنازل عن هـذا الجزء من القضية — كونى حققت ذاتى . هو أمر يصعب اثباته على أية حال . سأقول أننى خسرت هذا الجزء . ولكنى وأنا أجوب هـذه الأرض الخلاء منذ قليل أحسست بحذاء ضميرى يقرصنى، وقلت لنفسى: «نعم : أنت خاطىء—».

صانع الأزرار : الآن تعود من جديد —

پـيـر : لا ، أبدا ، أنا أعنى خطيئة على المستوى الكبير. ليس بالفعل فقط بل وبالهدف والكلمة كذلك . حين كنت فى الخارج هبطت الى الدرك الأسفل—

صانع الأزرار : هذا ما تقول ، فلم لا تقدم لى الدليل ؟

پـيـر : أصبر على ، سأذهب وأبحث عن قس ، وأعترف له بأقصى سرعة ثم أعطيك ما يسجله عنى من أقوال .

صانع الأزرار : ليكن اذن ! اذا استطعت أن تثبت دعواك نجوت من مغرفة الصهر . ولكن الأوامر التى تلقيتها —

پـيـر : كان هذا من سنوات مضت ، حينما كنت صغيرا طائشا : كنت اذ ذاك أومن بالقدر ، وادعيت اننى نبى . هيه ، هل ... ؟

صانع الأزرار : ولكن —

بيير : يا صديقى العزيز ، ليس هناك ما يشغلك ، على كل حال ، الهواء هنا منعش ولطيف بحيث يطيل فى الأعمار سنوات . قس ناحية جوسيتدال كان يقول دائما : « نادرا ما يموت أحد هنا » .

صانع الأزرار : الى المفترق التالى اذن ، ولكن لآخر مرة .

بيير : قس ! يجب أن أحصل على قس ، ولو قبضت عليه .

الفصل الخامس ـ المشهد العاشر

المنظر : منحـــدر ذو أعشاب . طريق يتلوى صاعدا فى الجبـــال .

بـير : قال «أسبين» عندما عثر على جناح قنبرة :« هذا قد يفيد من سبل عدة » . من كان يدرى أن خطاياى هذه قادرة على تخليصى من هذه الورطة الأخيرة ؟ على كل حال ، فموقفى شنيع : قد أقفز من المقلاة الى النار . ولكن : ثم مثل آخر أثبتت الأيام صحته : « ما بقيت الحياة دام الأمل » .

(يدخل رجل رفيع ، يلبس قفطان القسس ، وقد رفعه كثيرا عن الأرض ، وحمل شبكة ذات يد على كتفه . الرجل يعدو) .

من هناك ؟ قسيس بشبكة يد ؟ ها ، ها ! يبدو أننى محظوظ ! طاب مساؤك يا سيدى ! الطريق أمامنا صعب .

الرجل الرفيع : صحيح ، ولكنى على استعداد لما هو أصعب ، ما دمت أطلب الأرواح .

بيير : اذن فشخص ما فى طريقه الى الجنة » .

الرجل الرفيع : آمل أن يذهب الى المكان الآخر .

بيير : أيضايقك أن أزاملك بعض الطريق ؟

الرجل الرفيع : لا ، أبدا ! انى أسعى الى صحبة .

بيير : أنا شديد القلق —

الرجل الرفيع : ! [1] Heraus ، فضفض عن نفسك !

بيير : ستجدنى شخصا محترما تماما ، قد اتبعت القانون بكل دقة ، لم يقبض على يوما ولم أدخل وراء القضبان : ومع ذلك فخير الناس يضل الطريق أحيانا ويتعثر —

الرجل الرفيع : قد يحدث هذا لأى انسان .

بيير : لهذا — ترى أن هذه الأشياء الصغيرة —

الرجل الرفيع : أهى صغيرة ، فعلا ؟

بيير : أجل ، فقد استطعت تجنب كبائر الاثم .

الرجل الرفيع : فى هذه الحالة ، يا صديقى ، امض عنى بسلام . انا لست الرجل الذى تظن . تبدو لى شديد الاهتمام بيدى ؟

بيير : اظافرك مقلمة بشكل بديع .

---

(١) أغرب عن وجهى .

الرجـل الرفيع : وقدمى ؟ انك تدقق فيهما النظر .

پـيـر : (مشيرا) أهذا الحافر طبيعى ؟

الرجـل الرفيع : لى الفخر انه كذلك .

پـيـر : (رافعا قبعته) وأنا ظننتك قسيسا . اذن فلى الشرف ان احدث — لا بديل من الاحسن . حين يكون الباب الأمامى مفتوحا ، لا يدخل المرء من الباب الخلفى ، وحين تصادف ملكا ، لا تنصرف عنه الى تابعيه .

الرجـل الرفيع : دعنى أصافحك . لا تبدو لى متحيزا ضدى فى شىء . عال : عال ! وماذا تطلب منى ؟ لا ، لا تطلب مالا ولا جاها ، فلن استطيع اجابتك . أعمالى جميعا فى ازمة وتجارتى بارت تماما ، الارواح الجديدة نادرة ، بين الحين والحين تقع لى روح —

پـيـر : وهل ارتقى الانسان الى هذا الحد ؟

الرجـل الرفيع : على العكس ، فهو يمضى من سىء الى اسوء ، ومعظم الناس ينتهون الى مغرفة الصهر .

پـيـر : قد سمعت عن هذه المغرفة فـوق ما أطيق ، وبسببها جئت الى هنا .

الرجل الرفيع : وما الذى يشغلك ؟

بيير : أيضايقك كثيرا ان اطلت منك —

الرجل الرفيع : مسكنا محترما ، هه ؟

بيير : قد حدست مطلبى قبل أن اصرح به . تجارتك : كما تقول ، قد بارت تماما ، ولهذا ، وجب الا تكون بالغ التدقيق —

الرجل الرفيع : يا عزيزى —

بيير : مطالبى جد متواضعة . بل اننى لا أطلب أجرا أتعيش منه . كل ما اريد أن اكون مستأجرا ودودا .

الرجل الرفيع : غرفة دافئة ؟

بيير : ليس من ضرورى أن تكون كاملة الدفء ، واذا امكن ، فزد من عندك الاذن لى بالحضور والانصراف كما يحلو لى . والحق — اذا سمحت لى بتسميته حقا — فى ترك المكان متى تحسنت الاحوال .

الرجل الرفيع : يا صديقى العزيز ، حالك تؤلمنى . لن تصدقنى اذا حكيت لك عن حشود المطالب المشابهة التى

اتلقاها من أصدقاء اعزاء مثلك ، حالما يوشكون أن يتركوا مساكنهم فى هذه الدنيا .

پيـر : ولكنى حين استعرض اعمالى الماضية : اشعر ان لى اكثر من حق فى الدخول .

الرجل الرفيع : ولكن ذنوبك تافهة .

پيـر : أجل ، من بعض الوجوه ، با ستثناء الاتجار فى الزنوج .

الرجل الرفيع : بعض الناس تاجر فى العقول والارواح ، ومع هذا فقد اساءوا التصرف الى الحد الذى لم يسمح لهم فية بالدخول .

پيـر : وما رأيك فى الأصنام التى أرسلتها الى الصين ؟

الرجل الرفيع : سخيفة . تجعلنا نضحك . غيرك من الناس أخرج ما هو اسخف منها فى العظات الدينية وفى الفن والأدب ، ومع ذلك لم ندخلهم . .

پيـر : أتعلم اننى مرة ادعيت النبوة ؟

الرجل الرفيع : بالخارج ؟ كلام فارغ ! معظم Sahen Ins blaue التى يشـغل بها الناس ينتهى بهم الى مغرفة الصهر . اذا كان هذا كل ما تؤيد به حقك ، فانا

(١) أحلام اليقظة .

غير مستطيع أن أسمح لك بالدخول ، مهما كانت رغبتى فى ذلك .

پـــير : اذن اصغ الى . حينما غرقت بى الباخــرة : استمسكت بزورق مقلوب . يقول المثل « الغريق يتعلق بقشة » . وآخر يقول : « كل يقــول : نفسى » . وما حدث هو اننى تقريبا ســلبت الطباخ حياته .

الرجـل الرفيع : لست آبه لو كنت ، تقريبــا ، سلبت خادمتك شيئا آخر . ما هذه الـ « تقريبــا » التى تكثر من استعمالها ؟ مع احترامى الشديد لك أسألك : من الذى يرضى تبديد الوقود الثمين فى حرق أرواح ضعيفة مثل روحك ؟ الآن ، لا تغضب انما اسخر من ذنوبك ، وليس منك . اغفر لى اننى صريح هكذا . هيا ، هيا ، يااعز الاصدقاء ، انس طلبك هذا : وهيىء نفسك لمغرفة الصهر . تأمل ، أنت رجل عاقل . ماذا كنت تكسب اذا أعطيتك مسكنا ومأكلا ؟ ستبقى لك ذاكرتك ، هذا صحيح ! ولكن ماذا يغنيك هذا ؟ لا قلبك ولا عقلك واجدان لذة فى حيــاة كهذه . لا !

كل ما تحصل عليه مجرد عيشة نكدة . لن تجد فيها ما يضحك أو يبكيك . لا شيء فيها سوف يبهجك أو يؤسيك . لا شيء يرفع حرارتك أو يخفضها . وانما قلق دائم يواجهك .

پير : يقولون انك لا تعرف أين يؤلم الحذاء حتى تلبسه .

الرجل الرفيع : هذا صحيح تماما . بفضل فلان أنا بفردة حذاء فقط . على كل حال ، من حسن الحظ اننا تحدثنا عن الأحذية ، فان هذا يذكرنى بضرورة الانصراف فورا . أنا وراء صيد ثمين . أرجو أن يتحقق فيه ظنى . أنا ذاهب . لا وقت عندى للثرثرة .

پير : هل لى أن أسأل أى ذنب جعل صيدك هذا ثمينا ؟

الرجل الرفيع : أظن أن ذنبه أنه حقق ذاته ليل نهار . أعتقد أن هذا ، فى الحقيقة هو جوهر المسألة .

پير : ذاته ؟ أهذا النوع يدخل فى اختصاصك ؟

الرجل الرفيع : يدخل أو لا يدخل ، حسب الأحوال . الباب دائما مفتوح قليلا . اذكر انك تستطيع تحقيق ذاتك بطريقتين — احداهما خطأ والأخرى صواب .

لعلك تعرف أن شخصا ما فى باريس قد اكتشف مؤخرا طريقة للتصوير باستخدام الشمس. تستطيع بهذه الطريقة أن تحصل على صور مباشرة، أو على صورة سالبة أولا. فى النسخة السالبة يكون الظل والنور عكس ما هو فى الطبيعة : ولهذا تبدو الصورة للعين غير المدربة قبيحة المنظر، غير أن التماثل مع الطبيعة موجود. وكل ما هو مطلوب شيء من الجهد لابراز التماثل. فاذا حدث لاحدى الأرواح أن صورت نفسها بطريقة سالبة، أحضرت الى صورتها. هنالك أعمل فيها عملى، فيتم التحويل. ترانى أغمسها فى المحلول، وأعالجها بالبخار، وأحرقها وأنظفها بالكبريت وغيره من الكيماويات، حتى تظهر بالصورة التى كان واجبا أن تظهر بها من الأول. ونحن نسمى هذه « البوزيتيف » ولكن اذا راح أحدهم، مثلما فعلت : فأفنى نفسه افناء بالشطب والبقع، وما اليه، فلن تستطيع أية كمية من الكبريت أن تنقذه.

بيــر : إذن فهم يأتونك سودا كالغربان، ويتركونك

وقد أصبحوا فى بياض الطيور الناصعة ؟ هل لى أن أسألك من ذا الذى تريد أن تحيل صورته السالبة الى أخرى موجبة ؟

الرجل الرفيع : اسمه بيرجينت .

پير : بيرجينت حقا ؟ وهل حقق ذاته ؟

الرجل الرفيع : يؤكد أنه فعل .

پير : انه جدير بالثقة — هذا البيرجينت .

الرجل الرفيع : تعرفه ؟

پير : أحنى له رأسى كلما رأيته ، مجرد معرفة عابرة .

الرجل الرفيع : قد تأخرت . أين رأيته آخر مرة ؟

پير : جنوبا عن الرأس .

الرجل الرفيع : دى بونا سبيرانتزا ؟

پير : نعم : ولكن لا أظن أنه سيبقى هناك أكثر مما فعل .

الرجل الرفيع : اذن فلأسرع . آمل أن أجده . الى الرأس ، وان كان مكانا غير طيبا ، مليئا بالمبشرين من ستافانجر .

(يندفع الى الجنوب) .

پير : الكلب القذر ! انظر اليه كيف يندفع ولسانه

يقطر . سيخيب ظنه ، كان جميلا أن أخدع مثل هذا الحمار . شد ما أتعبنى بادعاءاته ! وتظاهره بأن سيد كبير ! كأن لديه ما يمكن التظاهر به حقا ! لن يثرى قط من وراء عمله الحالى ، سيسقط يوما من غصنه العالى ، وتسقط معه حقيبته المليئة بالحيل . على أننى أنا نفسى لست آمنا ! أن نبلاء الذات قد طردونى .

(يرى شهاب فى السماء . يتبعه بير) .

تحيات بيرجينت لك ، يا أخى الشهاب !
المع ، وانطفىء ، وتوار الى الأبد .

(يبدو كمن ينكمش خوفا ، يزداد اختفاؤه فى ضباب الرذاذ . يهدأ فترة ، ثم يصيح :)

ألا يوجد أحد ، أحد فى هذا العالم الفسيح ، فى أعماق الأرض أو فى أعالى السماء ؟

(يعود ، ويرمى قبعته على الأرض ، ويمزق شعره . ثم يهبط عليه تدريجيا سكون كبير) .

اذن فالروح قد تعود . فقيرة كل الفقر ، الى الضباب الأشهب الذى يلف العدم . أيتها الأرض الجميلة ، لا تغضبى ، لأنى وطئتك دون أن أترك

أثرا . أيتها الشمس الجميلة ، قد أضعت ضوءك، ضوءك المجيد ، فى بيت خال . لم يكن فيه أحد يهش للضوء وينتعش ، فصاحب البيت قد ذهب. أيتها الشمس الجميلة ، أيتها الأرض الجميلة ، قد بددتما الضوء والقوت ، اذ أسبغتماهما على أمى ! يا لضعة الروح ، ويا لكرم الطبيعة ! ما أفدح الثمن اذ يدفع المرء حياته لقاء الميلاد ! سأصعد الى أعلى قمم الجبال ، وأرى مرة أخرى مشرق الشمس ، وأحدق فى الأرض الموعودة حتى تكل عيناى . وبعدها فليتراكم الثلج على جسدى وليكتب الناس على قبرى : « ها هنا لم يدفن أحد » . ثم ليكن ما يكون .

روادُ الكنيسة : (يغنون فى الممر) .

يا صباحا أزهى من كل صباح ،
فيه خرجت سهام مملكة الله
لتضرب الأرض بسيوف مشتعلة !
الآن يصعد من الأرض .
نشيد عباد الله ، متجها صوب
سمائه على السنه أهل مملكته .

(ينكمش بير جينت رعبا) .

بـــير : لا ، لا تنظر هناك ، انها أرض خلاء من أسف !
فقد مت قبل موتى بوقت طويل .

(يحاول أن يزحف الى الشجيرات ، ولكنه ينتهى الى مفترق الطرق) .

صانع الأزرار : طاب صباحك ، يا بيرجينت ! أين قائمة خطاياك !

بـــير : بحثت فى كل مكان .

صانع الأزرار : ولم تجد احدا . ؟

بـــير : مجرد مصور شمسى جوال .

صانع الأزرار : اذا فقد جاء اجلك.

بـــير : قد انتهى كل شيء . اتسمع هذه البومه تصوت ؟
لا ريب انها احست بقرب طلوع الفجر .

صانع الأزرار : انه جرس الكنيسة يدق لصلاة الصبح .

بـــير : (مشيرا) ما هذا الضوء هناك ؟

صانع الأزرار : كوخ .

بـــير : اسمع صوتا يشبهه صوت الريح تضرب الاشجار .

صانع الأزرار : امرأة تغنى .

بـــير : هناك . هناك اجد قائمة خطاياى .

(يمسك به صانع الأزرار) .

صانع الأزرار : آن الاوان كى ترتب بيتك .

(قد خرجا الآن من الأجمـــة ووقفا قرب الكوخ . طلع الفجر) .

پـــير : ارتب بيتى ؟ انه هناك ! خـل عنى ! لو ان مغرفتك كانت فى حجم التابوت ، لظلت مع هذا أصغر من أن تحتوينى وخطاياى .

صانع الأزرار : اذن فالى المفترق الثالث ، يا بيرجنيت ، ولكن هنالك — !

(يستدير ويذهب) .

پـــير : (مقتربا من الكوخ .)

الى الامام او الى الوراء ، نفس المسافة . بالداخل او بالخارج المرضيق . (يتوقف) لا ! انا اسمعها — صرخة فطرية لا تنتهى ، تدعونى الى الدخول ، الى العودة من حيث أتيت ، العودة الى البيت .

(يتقدم خطوات ثم يتوقف ثانية) .

« فى طريق دائرى » ، قال لى البويج .

(يسمع الغناء فى الكوخ) .

لا ! لا ! هذه المرة الطريق الى الأمام مهما كان الممر ضيقا !

يجرى الى الكوخ . فى هذه اللحظة تخرج سولفيج فى ملابس تليق بالكنيسة ، وكتاب صلاتها ملفوف فى منديل ، تمسك فى يديها عصا . تقف برهة ، منصبة ، رقيقة . يلقى پير جينت بنفسه فوق العتبة .

أصدرى الآن حكمك على هذا الخاطىء الماثل أمامك .

سولفيج : هو ! هو ! الحمد لله !

(تتلمس طريقها اليه) .

پير : اهتفى معلنة ذنوبى وآثامى !

سولفيج : لم تذنب فى شىء ، يا حبى الوحيد .

(تتلمسه مرة أخرى فتجده) .

صانع الأزرار : (خلف الكوخ) . القائمة ، يا پيرجينت !

پير : اعلنى ذنوبى بصوت عال !

سولفيج : (تجلس الى جواره) .

لقد جعلت حياتى أغنية جميلة . عليك بركة الله اذ عدت الىّ فى النهاية ! ومبارك ، مبارك صبح هذا العيد !

پير : ضعت !

سولفيج : هناك اله يرحم .

پــير : (يضحك) ضعت ! الا اذا حللت اللغز !

سولفيج : اسألنى !

پــير : أسألك ! أجل ، عليـك أن تجيبى . أين كان بيرجينت مذ رأيته آخر مرة .

سولفيج : أين كان ؟

پــير : وخاتم المصير على جبينه ، أين كان منذ انبثق أول مرة كأنه فكرة جديدة تولد فى رأس الاله ؟ أتستطيعين أن تجيبى ؟ ان لم تفعلى وجب أن أعود الى وادى الظلال .

سولفيج : (باسمة) لغزك هين .

پــير : اذن قولى ، أين كنت ، أين كانت ذاتى الحقة ، كل ذاتى ، ذاتى الصحيحة ؟ أين كنت ، وخاتم الله على جبينى ؟

سولفيج : كنت فى ايمانى ، فى أملى ، فى حبى .

پــير : (متراجعا فى دهشة) . ماذا تقولين ؟ تتحدثين بالألغاز . تتحـدثين كما تتحدث الأم عن طفلها .

سولفيج : هذا حق ، ولكن من والد الطفل ؟ انه من يعنو حين الأم تدعوه .

پــير : يا أمى ! يا زوجى ! أيتها المرأة المقدسة ! خبئينى خبئينى فى ثنايا حبك !

(يتعلق بهـا ويخفي وجهـه فى حجرها .
صمت طويل . تشرق الشمس) .

سولفيج : (تغنى فى رقة) .

نم ، يا حبيبى ، يا أعز حبيب !
سأهزك لتنام وأسهر عليك .
جلس الولد على حجر أمه .
قد لعبا سويا اليوم بطوله .
ليرقد الولد فى حضن أمه .
اليوم بطوله . باركك الله يا حبيبى !
لينم الولد عند قلب أمه ،
اليوم بطوله . هو الآن تعبان .
نم ، يا حبيبى ، يا كنزى ، ثم . نم .

صانع الأزرار : (خلف الكوخ) .

سنتقابل عند آخر مفترق ، يا بير ، اذ ذاك ترى ما اذا — لن أزيد .

سولفيج : (لا يزال صوتها يرتفع بالغناء كلما زاد اشراق الشمس) .

سأهزك ، وأسهر الى جوارك .
نم ، واحلم فى سعادة ، يا حبيبى العزيز الأثير !

النهـــــاية

من الاعمال المختارة

هنريك ابسن-٣

أعمدة المجتمع

ترجمة وتقديم : د. احمد النادي

مراجعة : د. طه محمود طه

مقدمة بقلم المترجم

تظهر واقعية ابسن بوضوح في هذه المسرحية • وهي أول مسرحية تعرض لابسن على مسرح « الجيتى » بانجلترا ، وكان ذلك في الخامس من ديسمبر سنة ١٨٨٠ ومن ترجمة يونا اليس فيرمور • في هذه المسرحية يكشف عما يسميه « الجثة في حمولة السفينة » أو « العفونة من خلف قناع الاحترامية » وهذا يبدو موضوعا قديما قدم تمجيده للمرأة المتحررة غير التقليدية المتمثلة في شخصية لونا في « **اعمدة المجتمع** » ، ولكن يعوض عن هذا كله تلك التركيبة المسرحية المحبوكة وذلك الحوار الرائع الى جانب مهارته الفائقة في القاء الضوء على الوسط الاجتماعي في مدينة صغيرة بالنرويج • انه يستغل ذلك الشعور بالذنب الذى يحلق فوق ماضي الشخصيات ولا سيما شخصية القنصل المحلي و « عمود المجتمع » بيرنك • لقد غدر بيرنك في شبابه بحب لونا وتزوج من أختها غير الشقيقة بتى بدلا منها لكى ينقذ العائلة من الافلاس بل وغدر بأعز أصدقائه جوهان تونسن (شقيق زوجته الأصغر) عندما حرضه على الهجرة مع لونا الى أمريكا ، والذى أصبح في غيبته كبش الفداء لفضيحة بيرنك مع ممثلة المسرح • ولقد ماتت الممثلة ولكن ابنتها غير الشرعية دينا نشأت في عائلة بيرنك في ذلك المجتمع الذى لا علاقة بمظاهره وأناقته بالعالم أجمع • وان رورلاند ــ المتحدث باسم هذا المجتمع ــ على حق عندما يشير الى الشك والقلق في هذا العالم الصغير :

ان النفس في حرب مع ذاتها • ويشيع شعور بعدم الطمأنينة في شتى أنحاء الحياة •

انظروا كيف تقوض الأسرة وكيف تهاجم روح التدمير الوقحة أكثر الحقائق حيوية • ينبغي أن نحمد الله اذ أن قدرنا على ما هو عليه • قد يظهر عشب من آن لآخر في حقل القمح ولكنا نبذل جهدنا مخلصين لاستئصاله • ان أهم نقطة ــ أيتها السيدات ــ هى أن نبقى مجتمعنا طاهرا نقيا وأن نستبعد منه كل العناصر المشبوهة التى يفرضها علينا عصر القلق » •

ان عصر القلق هذا يصل فعلا الى عتبة بابهم • اذ تعود لونا وجوهان فجأة من أمريكا بطريقة غير تقليدية ليصدما أقرباءهما وكل الناس « المحترمين » الذين كانوا يعرفونهما • وتنتشر الشائعات فى المدينة بينما « العمود » الرئيسى للجتمع ـ القنصل بيرنك ـ فى فزع خشية أن يتكشف سر ماضيه الشخصى • انه يغوص الى قاع الرذيلة لدرجة أنه يعرض على جوهان أن يعود الى أمريكا على السفينة الفضة « الفتاة الهندية » وهو يعرف جيدا أن هذه السفينة لا محالة غارقة • ان اعترافه ـ بعد أزمته الأخلاقية ـ كان اختياريا دون مذلة أو احتقار • وهكذا هزم بيرنك ذاته • ولكنه فعل ذلك بمساعدة لونا التى ـ لسبب ما ـ أعلنت ذلك الشعار الأجوف بأن الحقيقة والحرية هما دعامتا المجتمع الوحيدان اللذان يمكن الاعتماد عليهما • وهكذا نجد أن نظرية ايجابية عن الحياة هى التى تنتصر • ولا شك أن ابسن رأى أنه فى حاجة الى شيء أكثر اثارة لكى يلبس الدراما الاجتماعية الدور الذى يريده • ولقد وضع هذا الهدف نصب عينيه عندما كتب مسرحيتى **بيت الدمية** و **الأشباح** ـ تلك المسرحيتين اللتين جلبتا اليه الشهرة والعداوة فى كل أنحاء أوروبا •

وفى هذه المسرحية نجد سمة لم تتكرر فى مسرحياته الأخرى ، وهى ذلك التغير الذى طرأ على قلب الشخصية الرئيسية بيرنك ، وندمه وتخليه عن ماضيه فى حديث طويل ملىء بالوعظ •

ونلاحظ أنه فى هذه المسرحية يناقش اخلاقيات تجارية معينة وقد يبدو ذلك غريبا على ابسن اذ أنه لم يظهر اهتماما كبيرا بقضايا الاقتصاد والاجتماع التى كانت بارزة لعامة الناس فى ذلك الوقت • ومن المحتمل أنه لم يكن قد سمع بما كتبه جون ستيوارت مل عن هذه الموضوعات ، ولم يكن يهتم بكارل ماركس ، بل ان كراهيته للفلاحين جعلته لا يكترث بما يعانيه الفقراء ولم يبال بأولئك المستغلين من الملاك • ومع ذلك كان لدى ابسن مبرراته فى اختيار موضوع يمس الاقتصاد فان السبعينات كانت فترة نشاط تجارى ، واستطاع ابسن أن يرقب هذا النشاط ولا سيما فى ألمانيا حيث المشروعات الضخمة والفشل الذريع ميّز ما يسمى « بأعوام المؤسسين » • وكما أظهرت زيارة أبسن القصيرة للنرويج عام ١٨٧٤ أن نفس الشيء كان يحدث هناك ولكن على نطاق ضيق ، وكان من النوع الذى يألفه عامة الناس الذين كانوا يترددون على المسارح وقد تعودوا أن يروا على المسرح مشاهير يغلب عليها الطابع الاقتصادى •

ولقد اختار ابسن مجالا ضيقا فى أعمدة المجتمع بمهارة فائقة • فان السبعينات من القرن التاسع عشر قد شهدت مجهودا نشطا لمد خطوط السكة الحديدية النرويجية الهزلية ، وان مهارة بيرنك فى تدمير مشروع السكة الحديد الساحلى الذى كان سينافس سفنه التى تجوب الساحل ، ثم شراؤ آرضا يجرى عليها خط داخلى كانت صفقة كبيرة وخطرة •

ان الشك والقلق يعملان فى كل مكان فلا هدوء فى أدمغة الناس ولا طمأنينة فى أى نوع من العلاقات ، وهذا بدوره يؤدى الى تقويض الحياة العائلية •

وتريد السيدة رامل أن يبقى كل شيء على ما هو عليه وتضيف بأن المهمة السيدات أن تبقى على المجتمع نظيفا نقيا وأن يبتعدن عن الأفكار التجريبية الذى يريد عصر القلق أن يفرضه عليهن ، فمد خط سكة حديد يعتبر كارثة كبرى • والعجيب ان السيد بيرنك هو الذى منع مد خط السكة الحديد ، ويعتقد الكثيرون أنه فعل ذلك بدافع اجتماعى صرف لا لمصلحة ذاتية ومع ذلك هاجمته الصحف • ويتحدث هلمار تونسن عن « راية المثالية » التى يجب آن ترفع خفاقة ، مشيرا الى بيرنك ، وكيف أن كل شيء يقوم على اعتبارات مادية حقيرة • وتتحدث السيدة رامل عن المجتمع النرويجى منذ خمس عشرة سنة مضت وكيف كان مليئا بحب المتعة والرقص والموسيقى ونعرف بعد قليل أن السيدة رامل لعبت دور البطولة فى مسرحية كتبها هلمار تونسن •

وتتحدث السيدات عن فضيحة السيد جوهان تونسن مع الممثلة دورف ــ أم دينا ــ وفراره الى أمريكا • فقد آتى دورف زوج الممثلة الى منزله متأخرا فوجد رجلا اضطر الى القفز من النافذة وتعرف بعد ذلك أن هذا الرجل الآثم كان بيرنك نفسه لا جوهان الذى ضحى بسمعته وشرفه وماله من أجل بيرنك ومن أجل العائلة باسرها • ثم اتهمه بيرنك بالعبث بأموال الشركة • وانتهى الأمر بموت زوجته دورف من مرض خبيث • وظن الناس ذلك عملية قاسية على آل بيرنك وأنها النقطة السوداء فى شمس سعادتهم • ثم ينتقل الحديث عن لونا هنسل الأخت غير الشقيقة لجوهان وكيف أنها لم تكن فوق الشبهات ولحقت بأخيها فى أمريكا ، ويعتبرون لونا هى الاخرى احدى البقع السوداء فى سعادة آل بيرنك ، وفى الواقع كان بيرنك قد وعدها بالزواج ثم غدر بها وتزوج من بتى •

عاشت دينا دورف فى منزل آل بيرنك وقاموا على تربيتها والأنفاق عليها ولكنها تعتبر من « الأخوات الساقطات » اذ أنها ثمرة فعل آثم بين أمها وبيرنك نفسه لا جوهان تونسن · ان دينا تعسة فى حياتها ولكنها ترتاح الى رورلاند بالذات لأنه يعاملها برفق ويحبها ويود الزواج منها ــ وتوافق هى على ذلك ·

يدخل بيرنك ورفاقه فى منتهى البهجة لأنهم نجحوا فى اسقاط مشروع انشاء خط سكة حديد ساحلي لأن ذلك كان سيؤثر على تجارتهم وسفنهم ويدعى بيرنك أنه فعل ذلك من أجل المجتمع وأنه تبنى مد خط حديد داخلى وهو فى الواقع يسعى لأن يضع يده على منطقة الغابات والمعادن الخام التى يمكن استغلالها وكذلك مساقط المياه من الأنهار اذ الهدف مادى صرف وذاتي بدرجة مقيتة · وفى نفس الوقت يتحول بيرنك الى واعظ يرفع راية الأخلاقيات عاليا وينصح الجميع بأن يحذوا حذوه ويتخذوا مواقعهم فى خدمة المجتمع :

« أنت يا سيد رورلاند : واصل نشاطك الخير فى مدارسنا وبيوتنا ، ونحن رجال الأعمال ندعم المجتمع بنشر الرخاء فى أوسع دائرة ممكنة ··· ويأتيها النسوة ــ أقول زوجاتنا وبناتنا : يجب أن تواصلن العمل فى مجالاتكن الخيرة دون ازعاج من أحد وكن فى نفس الوقت عونا وراحة لأقرب الناس » ·

يأتى سرك للمدينة وبينهما رجل وامرأة يتصرفان بطريقة متحررة لا يوافقهما عليها هذا الجمع من الناس الذين يمثلون المجتمع النرويجى ويعتبرون تصرفاتهما « أمريكية » · ونكتشف أن تلك السيدة ما هى الا لونا هسل وأما الرجل فهو جوهان تونسن بعينه وقد أتيا كأناس محترمين · وتعلق الآنسة لونا على ما تراه قائلة : « يا الهي : ان أردية الاحسان هنا تفوح منها رائحة الأخلاقيات ــ كما لو كانت أكفانا · أما أنا فقد اعتدت على رائحة البرارى » وهنا يجفف بيرنك عرقه اذ أصبح فى مأزق لا يدرى كيف يخرج منه · وتختتم لونا هسل الفصل الأول بقولها لرورلاند : « سأدخل هنا بعضا من الهواء النقى أيها القسيس » ·

ويرفع ستار الفصل الثانى عن السيدة بتى بيرنك فى حجرة الحديقة تقوم ببعض الحياكة ثم يدخل بيرنك متوقعا أحد رجاله ويستفسر عن ولده أولاف ثم يظهر استياءه من تصرف جوهان واهتمامه بصفة خاصة بدينا ، وتخشى بتى أن يقوم جوهان بكشف أسرار

العائلة التي كانت على شفا الافلاس فيطمئنها بيرنك وفي نفس الوقت يفزع مما قد تسببه له الشائعات من حرج ومن الصحافة التى يمكن أن تنبش التاريخ القديم ٠

يدخل أون نجار السفن ويطلب منه بيرنك أن يعمل على تعويم السفينة الأمريكية « الفتاة الهندية » بأسرع ما يمكن ، ولكن بدنها معطن تماما وكلما رقعوها كلما ازدادت سوءا ، ثم يؤنب بيرنك أون على اثاراته السياسية والقائه الخطب بين العمال وتهييجه للناس ويجيب أون بأن الآلات الحديثة ستسلب الناس أرزاقهم ويضيف « كيف يجرؤ العلم ورأس المال أن يدفع بهذه المخترعات الى العمل قبل أن يعلّم المجتمع جيلا يستطيع استخدام هذه الآلات ؟ » ويصر بيرنك على تعويم السفينة بأقصى سرعة ممكنة حتى يرحل عليها الأمريكيون الذين يعيشون فى المدينة فسادا اذ لا تمر ليلة واحدة دون عراك فى الحانات والشوارع فى حين تقع اللائمة على بيرنك « عمود المجتمع » اذ تلومه الصحافة على استخدام كل موارده من أجل سفينته الخاصة « شجرة النخيل » ٠ ويصر أون على أن السفينة عفنة ولا تصلح للابحار ويهدده بيرنك بالطرد وبأنه مستعد لأن يضحى بالفرد فى سبيل الغالبية ٠ انه يخشى الصحافة وما يقوله الناس ــ انه يخشى الرأى العام ٠

وفى النهاية يستسلم أون ويعد بأن تبحر السفينة بعد يوم واحد ٠ يدخل هلمار تونسن ويخبر بيرنك بأن الأمريكيين (لونا وجوهان) يتجولان فى الشوارع ويستعرضان نفسيهما مع دينا دورف ٠ وأصبح مجيئهما على كل لسان ٠ ويطلب بيرنك من زوجته أن تعاملهما بمنتهى الود لأنه يضمر فى نفسه شيئا ٠ وتدخل الآنسة لونا هسل وجوهان تونسن بعد أن تجولا فى المدينة وشاهدا الحدائق العامة التى تحمل لافتة كتب عليها :

« هدية من كارستن بيرنك » ذلك بالاضافة الى المدرسة التى شيدها وأنابيب الغاز والمياه التى قام بمدها ٠

تنفرد دينا بجوهان وتفصح لها عن رغبتها بالذهاب الى أمريكا ــ ذلك العالم الجديد الغريب الذى يختلف تماما عن المجتمع النرويجى ــ ٠

يختلى بيرنك بجوهان ويشكره على ما قدم له من خدمات أدت الى اقامة حياة عائلية سعيدة ٠ والى اتخاذه موقعا مرموقا فى

المجتمع ، فى الوقت الذى ثار الناس على جوهان الذى ضحى بنفسه من أجل بيرنك ورحل الى أمريكا ، والآن قد عاد فقط ليرضى لونا التى صممت على المجيء لأمر فى نفسها سيظهر فى نهاية المسرحية اذ أخبرها بالقصة الحقيقية ووعدت بألا تبوح بشيء لأحد خاصة وأن دورف وزوجته قد ماتا كلاهما ، واحتضن بيرنك دينا دون أن يثير الانتباه وترك أمر تربيتها لشقيقته الآنسة مارتا بيرنك ولكن مارتا لا تعرف الحقيقة ولذلك تؤنب جوهان بشدة على هربه الى أمريكا وتخليه عن أم دينا دورف وعن دينا نفسها ٠

وتصر لونا على أن تفاتح السيد بيرنك فى الموضوع وتحث جوهان على الزواج من دينا دورف ثم تعلق على بيرنك وتقول بأنه ليس أكثر تمسكا بالأخلاقيات من أى رجل آخر ٠ وتنفرد لونا ببيرنك وتحفر عن الماضى وتواجهه بأعماله السيئة ومغامراته الفاضحة ، ويحاول أن يجد سبيلا الى تبرئة نفسه ولكنه يفشل أمام الاتهامات الدامغة اذ أنقذ سمعة بيت آل بيرنك على حساب امرأة فقد ضحى بحبه للونا وتزوج من بتى وينكر أنه فعل ذلك بدافع الأنانية بل لانقاذ مجتمع بأسره ٠ وهنا يأتى ابسن الى جوهر الموضوع ويقول على لسان الآنسة لونا هسل : وهل كذلك من أجل المجتمع أنك تعيش على أكذوبة خمس عشرة سنة ٠

بيرنك : على أكذوبة ٠

الآنسة هسل : ماذا تعرف بتى عن كل ما وراء زواجها منك والذى حدث قبل الزواج ؟

بيرنك : وهل تتصورين أن بامكانى المساس بشعورها دون داع بأن أكشف عن هذه الأشياء كلها ؟

ويؤكد أنه سعيد فى حياته الزوجية نتيجة للتضحية التى قامت بها الآنسة لونا هسل ٠ ولكن أبناء المجتمع لا يعرفون شيئا عن الأكذوبة الثلاثية : أكذوبة على لونا ـ أكذوبة على بتى وأكذوبة على جوهان ويمكن أن نضيف أكذوبة رابعة وهى الأكذوبة على المجتمع نفسه ٠ وتسأله لونا هسل : ولكن أنت نفسك يا كارستن : أليس هناك شيء بداخلك يريد أن يتحرر من الأكذوبة ؟

ولكن بيرنك لا يستطيع بعد أن كون لنفسه اسما ومركزا اجتماعيا رغم أن الأبهة التى يعيش فيها تقوم على مستنقع مهتز وقد

تأتي لحظة وقد تصدر كلمة ويغوص هو وأبهته الى القاع اذا لم ينقذ نفسه في الوقت المناسب . وقد حضرت لونا لمساعدته على أن يقف على أرض صلبة .

ويدخل رامل وفايجلاند ليصحبا بيرنك الى الغرفة التجارية حيث يجتمعون لمناقشة موضوع السكة الحديد اذ هناك أناس كثيرون يعملون ضدهم وينتهي الفصل الثاني من المسرحية بموافقة دينا على الزواج من جوهان تونسن والسفر معه الى العالم الجديد مما يثير حنق روولاند .

وفي أول الفصل الثالث يدخل بيرنك في منتهى الغضب لأن ابنه أولاف قد هرب الى البحر في قارب صغير وحاول الاختفاء على ظهر الباخرة « الفتاة الهندية » لتذهب به الى أمريكا . ويدخل كراب ليخبره بأن أون مصمم على أن يدع « الفتاة الهندية » تغوص الى القاع بكل من عليها وقد قام كراب بنفسه بفحص السفينة ووجد أن أون يدبر أمرا ضد بيرنك فكل ما قام به هو عملية سد وترقيع فوق الطلاء المعدني والقماش والمشمع وما شابه ذلك . وهدف أون من وراء ذلك هو التشكيل في الآلات الحديثة ويريد أن ينتقم لنفسه ـ يريد أن يعيد العمال القدامى ثانية ولذا فهو مستعد لأن يضحي بأرواح كثيرة . ويهدد بيرنك بابلاغ الشرطة لا لشيء الا لتمتدحه الصحافة ولكي يترك أثرا طيبا عند عامة الناس عندما يرون أنه يضع كل الاعتبارات الشخصية جانبا . ويخشى بيرنك فضيحة ثانية اذ تسرب الى الصحفي هامر أن هناك صفقة تعقد في الخفاء لشراء كل الغابات وكل المعادن الخام وكل مولدات المياه .

ويلتقي بيرنك ولونا هسل ويسألها عن رأيها فيه فتقول : « أكذوبة » ويعترف بيرنك بأنه أسهم في نشر الشائعات عن جوهان ويبرر بيرنك موقفه بأن كان مضطرا لذلك وأنه تشبث بالشائعة كما يتشبث الغريق بلوح خشبي ، ولم يكذبها ، وأنقذت تلك الشائعة البيت وجعلت منه الرجل الذي هو الآن ويقول بأن لدى كل رجل بقعة سوداء عليه أن يخفيها .

ويبدي بيرنك استعداده لاصلاح ما أصاب جوهان من ضرر ولكنه ليس مستعدا لأن يدفع له مبلغا من المال . ويصر جوهان على الكلام ويصر على أن يتزوج من دينا ويقيم في المدينة ليتحدي كل الكذابين والمغتابين . ويتوسل اليه بيرنك ألا يفعل لأن ذلك سيدمر

مستقبله وسمعته في المدينة التي احتل فيها مكانا مرموقا وأن حياته متوقفه على مد خط سكة حديد داخلى وبه سيصبح مليونيرا باسم مصلحة المجتمع وهو المخادع الكاذب ، ولقد أشرك معه آخرين يحصلون على خمس الأرباح وهم رامل وساندستاد وفايجلاند – أعمدة المجتمع المرموقين · ويخطو بيرنك خطوة أخرى ويقول ان المجتمع هو الذى يجبرهم على تلك الطرق الملتوية ويراود بيرنك جوهان على أن يقتسم معه الارباح ويرفض جوهان ذلك بالطبع · ويهدده كارستن بيرنك بأنه سيتهمه بالتآمر ضده اذا تكلم وأنه الثار وأنه أتى لابتزاز أمواله وسينكر كل شيء · ويقرر جوهان الرحيل على « الفتاة الهندية » على أن يعود ثانية ليتزوج من دينا · وهنا يدخل أون ويبدى لبيرنك شكه فى امكان ابحار « الفتاة الهندية » فى موعدها · وكذلك يحذر كراب بيرنك من مغبة التعجيل بابحار « الفتاة الهندية » ولكن بيرنك لا يستمع اليه ، وهو مستعد لأن يضحى بفرد أو أفراد فى سبيل انقاذ سمعته وشرفه · ويدور حوار بين رورلاند وبيرنك عن التضحية من أجل الجماعة ثم حديث عن امكانية زواج جوهان من دينا ·

ويقرر جوهان الابحار على « الفتاة الهندية » رغم الجو العاصف الذى يواجهها · وفي بداية الفصل الرابع يستعد رامل لتكريم بيرنك على أنه المواطن الأول وقد دعا الى الحفل المدينة عن بكرة أبيها ويعترض بيرنك على ذلك ولكن بعد فوات الأوان – والهدف من هذا الحفل هو تحطيم المعارضين تحت أكبر ضغط من الرأى العام · ولقد كتب هلمار اغنية بهذه المناسبة « ارفعوا راية المثالية عاليا » · ولكن بيرنك مشغول بالعاصفة وبابحار « الفتاة الهندية » والخطر الذى يواجه ركابها وخاصة جوهان الذى يدخل بعد قليل وتطلب منه دينا أن يأخذها معه الى أمريكا لتتحدى العادات والتقاليد فى المجتمع النرويجى وتزيل قناع الزيف الذى يخيم عليه وتبدأ حياة حرة مستقلة فى عالم جديد ·

وتقول لونا هسل لبيرنك : اسيلمع اسمك بحروف من نار والليلة ستطير البرقيات الى شتى أنحاء الوطن « محاطا بأسرته السعيدة تلقى السيد بيرنك ولاء وتقدير بنى وطنه كواحد من أعمدة المجتمع » ويجيب بيرنك بأنه ليس سوى آله هذا المجتمع ·

لقد رحل جوهان ودينا على السفينة « شجرة النخيل » وتهدد لونا بيرنك بافتضاح أمره اذ أن كل الاوراق فى يدها الآن وتصر على أن يتكلم بيرنك فى الاجتماع وبمحض ارادته ويقول كل شيء ·

ويأتي خبر بأن أولاف قد فر على ظهر « الفتاة الهندية » ويتألم بيرنك كل الألم ويجد ألا هدف له في الحياة بعد الآن ويصر على ازالة الأضواء واللوحات التى « تكاد تخرج ألسنتها له » ويسميها « بأضواء شموع الجنازة » . ويعود أولاف وتتوقف « الفتاة الهندية » عن الابحار .

ويأتي الموكب من باب الحديقة ويلقى رورلاند خطبة عصماء ممتدحا المواطن الأول ذا الضمير الحي والمبادىء الأخلاقية القويمة والشخص المضحي بنفسه في سبيل رخاء المجتمع ورفاهيته وأنه النموذج اللامع للمدينة لسنوات طويلة ، ذو الحياة العائلية التى تعتبر مثلا يحتذى والسلوك الفاضل الذى لم يدنس ، ويتحدث عن خدماته العامة التى يقوم بها أمام الجميع والسفن تمخر عباب المياه ، والتطورات الصناعية العديدة التى وضعت الأساس لرخاء مئات العائلات . وباختصار فهو الدعامة الرئيسية لهذا المجتمع . وينهى حديثه بذكر السكة الحديد كخطوة جليلة للمجتمع ويقدم له ولزملائه باسم المجتمع الهدايا التذكارية . ويتكلم بيرنك ويعترف بكل مساوئه وأغراضه الشخصية من وراء كل عمل وأنه كان فى معظم أعماله ضعيفا لدرجة أنه هبط الى طرق ملتوية ، ويعترف بأنه عقد صفقات كبيرة باسمه هو وحده . ويعلن أنه قرر أن يطرح كل هذه الممتلكات للمساهمة العامة ومن يشأ يستطيع أن يأخذ أسما فيها ويدعوهم أن يبدءوا عهدا جديدا وأن ينظر كل انسان داخل نفسه ويتخلى عن الزيف والنفاق والخداع . ويخبرهم بأن جوهان قد رحل وأخذ معه دينا دورف لتصبح زوجته ويحكي قصته كاملة مع جوهان وكيف أن جوهان ضحى بنفسه من أجله . ثم ينفرد بأسرته ولونا ويشكرها على انقاذه من الهاوية التى تردى فيها لخمسة عشر عاما . وتقول له انها أتت من باب الصداقة القديمة لتنقذه : « عندما أخبرنى بكل هذا ــ عن الأكذوبة ــ اقسمت الى نفسى : ان فتى أحلامى لا بد أن يكون حرا بريئا واضحا » .

ويحتضن بيرنك ابنه أولاف ويبدأ معه صفحة جديدة ويطلب أولاف شيئا واحدا : هو ألا يكون دعامة للمجتمع لأن ذلك أمر كئيب .

وتختتم لونا المسرحية « ان روح الصدق وروح الحرية هما أعمدة المجتمع » .

أعمدة المجتمع

تأليف : هنريك ابسن
ترجمة : د. أحمد النادي
مراجعة : د. طه محمود طه

Henrik Ibsen

THE PILLARS OF THE COMMUNITY

TRANSLATED BY

UNA ELLIS-FERMOR

PENGUIN BOOKS

شخصيات المسرحية

كارستن بيرنك	:	رئيس شركة بناء سفن وقنصل	Karsten Bernick
بتي بيرنك	:	زوجته	Betty Bernick
أولاف	:	ابنهما : عمره ١٣ سنة	Olaf
مارتا بيرنك	:	أخت كارستن	Marta Bernick
جوهان تونسن	:	الأخ الاصغر لبتي	Johan Tonnesen
لونا هسل	:	أخت بتي الكبرى والغير شقيقة	Lona Hessel
هلمار تونسن	:	ابن عم بتي	Hilman Tonnessen
رورلاند	:	مساعد مدرس فى مدرسة حكومية : متدين	Rorlund
رامل	:	تاجر بالجملة	Rummel
فايجلاند	:	تاجر	Vigeland
ساندستاد	:	تاجر	Sandstad
دينا دورف	:	فتاة تعيش مع آل بيرنك	Dina Dorf
كراب	:	كبير كتبة كارستن بيرنك	Krap
أون	:	نجار سفن	Oune
المسز رامل	:		Mrs. Rummel
المسز هولت	:	زوجة مدير مكتب البريد	Mrs. Holt
المسز لنج	:	زوجة الطبيب	Mrs. Lynge
هيلدا رامل	:	ابنة المسز رامل	Hilda Rummel
نيتا هولت	:	ابنة المسز هولت	Netta Holt

أهل المدينة ومقيمون آخرون ، بحارة أجانب ومسافرون على البواخر وما الى ذلك •

تجرى الأحداث فى منزل بيرنك فى احدى المدن الساحلية النرويجية الصغيرة •

الفصل الاول

حجرة كبيرة تطل على حديقة منزل بيرنك . في المقدمة إلى اليسار باب يؤدى إلى حجرة بيرنك ، وإلى أقصى الخلف وفي نفس الحائط باب أكبر يوصل إلى صالة المدخل . والحائط الذى بالخلفية يكاد يكون كله من الزجاج المعتم . وهناك باب مفتوح يؤدى إلى درج عريض يصب في الحديقة وتغطى الدرج ظله . ويرى جزء من الحديقة أسفل الدرج يحيط به سياج به بوابة صغيرة . وفي الخارج وعلى طول السياج يرى شارع يتكون الجانب الآخر منه من منازل خشبية صغيرة ناصعة الطلاء . الوقت صيف والشمس دافئة . ومن وقت لآخر يمر شخص بالشارع . يتوقف الناس ويتحدثون ويشترون شيئا ما من حانوت صغير على ناصية الشارع . . . وما إلى ذلك . في الحجرة المطلة على الحديقة تجلس مجموعة من النساء حول مائدة .

وفي الوسط وفي مواجهة المتفرجين تجلس المسز بيرنك ، وعن يسارها تجلس المسز هولت وابنتها ثم المسز رامل والآنسة رامل . وعن يمين المسز بيرنك تجلس المسز لنج والآنسة بيرنك ودينا

دورف . وكل النساء منهمكات في شغل الابرة . وعلى المائدة أكوام كبيرة من الكتان مقسمة وشبه مصنعة ، كما توجـــد أدوات أخرى لصنع المفروشات . وإلى أقصى الخلف توجد مائدة صغيرة عليها اناءان بهما نبات وكوب به ماء محلى بالسكر . يجلس رورلاند المدرس إلى هذه المائدة الصغيرة ويقرأ بصوت عال من كتاب ذى حافة مذهبة ولكن المتفرجين لا يسمعون سوى كلمات متناثرة . وفي الحديقة يجرى أولاف هنا وهناك ويصوب بندقية اللعب نحو أشياء متفرقة . يدخل أون — نجار السفن — لتوه في هدوء من الباب على اليمين . فتقاطع القراءة للحظة . تومىء إليــه المسز بيرنلك وتشير إلى الباب على اليسار . فيخترق أون الحجرة في هدوء ويطرق برفق على باب بيرنلك مرة أو مرتين ويتوقف بين الطرقات . يخرج كراب — رئيس الكتبة — من الحجرة وقبعته في يده وبعض الأوراق تحت ذراعــه .

كـــراب : هل أنت الذى يطرق ؟

أون : لقد أرسل السيد في طلبي .

كـــراب : فعلا . لكنه لا يستطيع أن يراك . لقـــد أصدر تعليماته إلىّ أن . . . .

أون : أنت ؟ حقيقة أني . . . .

كـــراب : أصدر تعليماته إلى أن أخبرك بالآتي : يجب أن توقف أحاديثك إلى العمال في أيام السبت .

أون : هل يجب أن أفعل ؟ ظننت في استطاعتي أن أستغل وقت فراغي . .

كـنـراب : لا يمكنك أن تستغل فراغك لتجعل العمال لا فائدة منهم في وقت العمل . يوم السبت الماضى كنت تتحدث عن مدى الضرز الذى يمكن أن يصيب العمال لو أدخلنا الآلا ت الحديثة في حوض بناء السفن . لم تفعل ذلك ؟

أون : أفعل ذلك لصالح المجتمــــع .

كـــراب : هذا غريب ! يقول الرئيس ان هذا يمزق المجتمع

أون : ان مجتمعي ليس بمجتمع الرئيس يا مستر كراب . بصفتي رئيسا لرابطة العمال يجب أن . . .

كـــراب : اناك وقبل كل شيء رئيس حوض بناء السفن الذى يمتلكه المستر بيرنك . وأولا وقبل كل شيء يأتي واجبك نحو المجتمع المعروف باسم بيرنك وشركاه . لإنه المكان الذى نتعيش منه جميعا . والآن تعرف ما يريد أن يقوله الرئيس لك .

أون : ما كان الرئيس ليقولها هكذا يا سيد كراب . ولكنى أعرف من أشكر على ذلك . انهم أولئك الامريكان الملاعين . انهم يصرون على أن يتم العمل بالطريقة التى اعتادوها هناك ، وذلك . . .

كـــراب : كفى ! لا أستطيع أن أدخل في التفاصيل . تعرف الآن ما يريد الرئيس وهذا يكفى . ولذا عليك أن تذهب إلى حوض بناء السفن ثانية ، فربما

في الطبقات الأفضل – كيف تجرى الأمور ؟ الشك والقلق يعملان في كل مكان . لا هدوء في أدمغـة الناس ولا طمأنينـة في أى نوع من العلاقـات . تقويض الحياة العائليـة ! التهور الثورى – تحدى أكثر الحقائق وقارا !

دينـا : (دون أن ترفع رأسها) ولكن هناك بعض الأعمال العظيمة التى تَمّت كذلك – أليس كذلك ؟

رورلانـد : أشياء عظيمـة ؟ لا أفهـم . . . .

السيدة هولت : (في دهشة) ولكن – يا إلهـى يا دينا !

السيدة رومل : (في نفس الوقت) أعتقد أنه لن يكون في صالحنا إذا استقرت مثل هذه الأشياء هنا . لا . نحن في وطننا يجب أن نحمد الله أن الأشياء كما هى عليه . بالطبع هنا كذلك أحيانا ما تنمو الأعشاب في حقول القمح من سوء الحظ . ولكنا نبذل جهدنا لاستئصالها . مهمتنا أن نبقى المجتمع نقيا أيتهـا السيدات وأن نبتعد عن هذه الأفكار التجريبية التى يريد عصر القلق أن يفرضه علينا .

السيدة هولت : وهناك منها أكثر من اللازم من سوء الحظ .

السيدة رومل : فعلا . في العام الماضى أنقذت المدينة بمعجـزة من مـدّ خط حديدى بها .

السيدة بيرنك : لقد نجح السيد كارستن في منع ذلك .

رورلانـد : العناية الالهية يا سيدة بيرنك . يجب أن توقنى أن

زوجك كان أداة في يد الخالق عندما رفض أن يستجيب لهذا المشروع .

السيدة بيرنك : ومع ذلك هاجمته الصحف . ولكنا نسينا أن نشكرك يا سيد رولاند . انه لكرم منك أن تمنحنا كل هذا الوقت .

رورلانـــد : لا داعى . في أثناء العطلة المدرسية . . .

السيدة بيرنك : نعم . ولكنها تضحية على أى حـــال يا سيـــد رورلانـــــد .

رورلانـــد : (يحرك مقعده نحوها) العفو يا سيدتي العزيزة . ألستن تقدمن التضحية من أجل هدف نبيل ؟ ألا تقمن بها عن طيب خاطر وبكل سرور ؟ تلك الأخوات الساقطات اللائى نعمل من أجل اصلاحهن — يجب أن ننظر إليهن كجنود جريحه في أرض المعركة . أنتن أيتها السيدات كتيبـــة الاسعاف — وحدة الصليب الأحمر — التى تعد الضماد لتلك الضحايا التعيسة وتضع الأربطـــــة برفق على جراحهن وتعالج تلك الجروح حـــتى تلتئم .

رورلانـــد : معظمها يأتي طبيعيا ولكن الكثير منها يمكن أن يكتسب . أعظم شيء أن ننظر إلى الأمور في ضوء هدف جاد . والآن ما رأيك يا آنسة بيرنك ؟ ألا تجدين أن لديك أساسا أقوى تقفين عليه منذ أن بدأت عملك المدرسى ؟

الآنسة بيرنك : لا أدرى ماذا أقول . فغالبا وأنا في حجرة الدراسة أتمنى لو كنت بعيدة هناك على بحر عاصف .

رورلانـد : نعم . لنا كلنا مغرياتنا يا عزيزتى الآنسة بـيرنك ولكن يجب أن نوصد الباب في وجه مثل هؤلاء الضيوف المزعجين . « البحر العاصف » : بالطبع لا تعنين ذلك حرفيا . تقصدين عالم البشرية الصاخب حيث يتحطم الكثيرون . وهل أنت حقا تعولين كثيرا على تلك الحياة التى تسمعينها تهتاج وتتدافـع هناك ؟

أنظرى في الشارع : الناس هناك يسيرون في الشمس المحرقة يتصببون عرقا يكافحون مـن أجل همومهم الدنيئة . نحن لا شك أفضل بكثير نحن الذين نجلس هنا في الظل ونديز ظهورنا على مصادر التشتت .

الآنسة بيرنك : نعم . بالطبع . أنت على حق تماما .

رورلانـد : وفي منزل كهذا — في بيت طيب نقى حيث ترى الحيـاة العائليـة في أبهى حللها — حيث السلام والوفاق يسودان — (إلى السيدة بيرنك) إلى ماذا تنصتين يا سيدة بيرنك ؟

السيدة بيرنك : (التى التفتت نحو الباب الذى على اليسار) لقد زاد صخبهم هناك !

رورلانـد : هل هناك شىء معين ؟

السيدة بيرنك : لا أدرى . أسمع شخصا ما هناك مع زوجـى .

(هلمار تونسن وفي فمه سيجار يدخل من الباب على اليمين ولكنه يتوقف عند رؤيته لمثل هـــذه الكثرة مـــن النساء)

هلمار تونسن : معذرة . (يتراجع)

السيدة بيرنك : لا بأس يا هلمار – أدخل – انك لا تزعجنا . هل تريد شيئا ؟

هلمار تونسن : لا . مجرد رغبة في القاء نظرة . صباح الخير يا سيداتي .

(إلى السيدة بيرنك) ماذا سيحدث ؟

السيدة بيرنك : يحدث ؟ عم ؟

هلمار تونسن : لقد دعا كارستن إلى عقد اجتماع .

السيدة بيرنك : حقا ؟ من أجل ماذا بصفة خاصة ؟

هلمار تونسن : ذلك الموضوع السخيف المتعلق بالسكة الحديد ثانيـــة .

السيدة رامل : لا . لا يمكن أن يكون ذلك بالتأكيد .

السيدة بيرنك : كارستن المسكين ! أعليه أن يواجه المزيد مـــن القلـــق ؟

رورلانـــد : ولكن هذا لا معنى له يا سيد تونسن . فمنذ عام أفهمنا السيد بيرنك ببساطة أنه لن يسمح بأيـــة سكة حديد .

هلمار تونسن : ظننت ذلك أنا الآخر ولكني التقيت بكراب رئيس الكتبة وأخبرني بأن موضوع السكة الحديد

طفا إلى السطح ثانية وأن بيرنك عقد اجتماعا مع ثلاثة من الرأسماليين المحليين .

السيدة رامل : هذا ما ظننت تماما — سمعت صوت زوجي !

هلمار تونسن : نعم السيد رامل هنـــاك بالطبع وكذلك السيد ساندستاد يعطي تأييده وميكل فايجلاند — « مايك المقدس » كما يسمونه .

رورلانـــد : احم !

هلمار تونسن : معذرة يا سيد رورلاند .

السيدة بيرنك : وكل شيء لطيف وهادىء هنا . . . .

هلمار تونسن : من جانبي : لا مانع عندي أن يبدءوا الشجار ثانية . سيكون ذلك التهاء على أي حال .

رورلانـــد : أعتقد أننا يمكننا الاستغناء عن مثل هذا النوع من الالتهـــاء .

هلمار تونسن : يتوقف ذلك على نوعية الناس . بعض الناس يحتاجون إلى معركة طاحنة من وقت لآخر . ولكن حياة المدينة الصغيرة لا تقدم الكثير من هذا ، وليس في مقدرة كل فرد أن : (يقلب صفحات كتاب رورلاند) « المرأة كخادمة للمجتمع » . ما هذا الهراء ؟

السيدة بيرنك : يا هلمار : يجب ألا تقول ذلك . أؤكد لك أنك لم تقرأ الكتاب .

هلمار تونسن : لا . ولا أنوي أن أفعل ذلك .

السيدة بيرنك : لا يمكن أن تكون في صحة جيدة اليوم .

هلمار تونسن : لا . لا أشعر ذلك .

السيدة بيرنك : ألم تنم جيدا الليلة البارحة؟

هلمار تونسن : لا . كان نوما رديئا للغاية . خرجت أتمشى ليلة أمس لأني لم أشعر بالارتياح . ذهبت إلى النادى وقرأت تقريرا عن رحلة قطبية . هناك شيء مثير في تتبع الناس في معركتهم مع الطبيعة .

السيدة رامل : ولكن يبدو أن ذلك لم يكن مناسبا لك .

هلمار تونسن : لا . كان أمرا سيئا للغاية . ظللت أتقلب في سريرى طوال الليل بين اليقظة والنوم أحلم أن فقمة بشعة تطاردني .

أولاف : (الذى يأتي إلى الشرفة) هل كانت تطاردك فقمة يا خالى ؟

هلمار تونسن : كان مجرد حلم يا أحمق . أما تزال تلعب بتلك اللعبة المضحكة ؟

لماذا لا تمسك ببندقية حقيقية ؟

أولاف : أتمنى لو استطعت ذلك ولكن

هلمار تونسن : هناك معنى في امتلاك بندقية حقيقية. هناك دائما شيء مثير في اطلاق البندقية .

أولاف : عندئذ أستطيع أن أصطاد دببا ياخالى : ولكننى لا أستطيع اقناع أبي.

السيدة بيرنك : يجب ألاتضع مثل هذه الأفكار في رأسه ياهلمار

هلمار تونسن : ياالجيل هذه الأيام : كل هذا الكلام عن العمل ويعلم الله أنه ليس هناك سوى اللعب ! لا رغبة حقيقية في النظام الناتج من مواجهة المخاطر برجولة لاتقف هكذا موجها بندقيتك نحوى أيها الأحمق الصغير ! فقد تنطلق .

أولاف : لا ياخالى : انها فارغة .

هلمار تونسن : لاتعرف ذلك . فقد تكون محشوة . اقول لك ابعدها : لماذا لم تذهب الى أمريكا في احدى سفن أبيك ؟ فقد تشاهد صيد الجاموس هناك أو معركة مع الهنود الحمر .

السيدة بيرنك : هلمــــار !

أولاف : وددت لو أستطعت ياخالى وعندئذ ربما استطعت أن أقابل خالى جوهان وخالتى لونا .

هلمار تونسن : هراء وكلام فارغ !

السيدة بيرنك : تستطيع أن تعود الى الحديقة الآن ياأولاف

أولاف : هل أستطيع أن أخرج الى الشارع أيضا ياأمى ؟

السيدة بيرنك : نعم . ولكن عليك ألا تبتعد كثيرا .

(يجرى أولاف الى الخارج من البوابة)

رولانــــد : يجب ألا تضع مثل هذه الأفكار في رأس الطفل ياسيد تونسن .

هلمار تونسن : لا . بالطبع لا . يجب أن يكون قعيد البيت مثل الباقي .

رولانـــد : ولكن لماذا لاتسافر أنت ؟

هلمار تونسن : أنا ؟ بصحتي هذه ؟ طبعا لاأحد يلاحظ ذلك هنا . . . لابد أن يكون هنا شخص ماعلى أى حال ليرفع علم المثالية خفاقا .
أوه : انه يصرخ ثانية !

النســــاء : من الذى يصرخ ؟

هلمار تونسن : لاأدرى : انهم يتحدثون بصوت عال هناك وهذا يثير أعصابى .

السيدة رامل : غالبا مايكون هذا زوجى ياسيد تونسن . انه معتاد على الحديث في الاجتماعات الكبيرة .

رولانـــد : لايكاد الآخرون يهمسون

هلمار تونسن : لا . باركنا الله . انها مسألة خلاف على مال ! كل شيء هنا يقوم على اعتبارات مادية حقيرة .

السيدة بيرنك : على أى حال ــ هذا أفضل من ذى قبل حيث كان كل شيء يدور حول حب المتعة .

السيدة لنج : هل كانت الأمور هنا بهذا السوء من قبل .

السيدة رامل : بالتأكيد ياسيدة لنج . تستطيعين أن تعتبرى نفسك محظوظة لأنك لم تعيشى هنا في تلك الأيام .

السيدة لنج : هل كانت الأمور هنا بهذا السوء من قبل .

السيدة رامل : بالتأكيد ياسيدة لنج. تستطيعين أن تعتبرى نفسك محظوظة لأنك لم تعيشى هنا في تلك الأيام .

السيدة هولت : نعم . لاشك أن ثمة تغيرات طرأت هنا . عندما أنظر الى الوراء الى أيام طفولتى.

السيدة رامل : بل عليك أن تنظرى الى الوراء أربعة عشر أو خمسة عشرعاما فقط . باركنى الله . يالمجريات الأمور هنا ! في تلك الأيام كان هنا ناد للرقص وناد للموسيقى . .

السيدة بيرنك : والنادى المسرحى . أذكر ذلك جيدا .

السيدة رامل : لقد أخرجت مسرحيتك هناك ياسيد تونسن .

هلمار تونسن : (في الخلفية) تك ! تك !

رولانـــــد : المسرحية التى كتبها السيد تونسن عندما كان طالبا؟

السيدة رامل : نعم . كان ذلك قبل أن تأتي هنا بوقت طويل ياسيد رولاند . على أى حال ، كان هناك عرض واحد فقط .

السيدة لنج : ألم تكن تلك المسرحية التى قلت انك لعبت دور البطلة بها ياسيدة رامل؟

السيدة رامل : (بنظرة سريعة الى رولاند) أنا ؟ لاأتذكر حقا ياسيدة لنج ، ولكنى أتذكر تلك الحياة الاجتماعية المرحة التى كانت هنا .

السيدة هولت : نعم أعرف فعلا بيوتا كانت تقام بها حفلتا عشاء اسبوعيا .

السيدة لنج : بل وكان هنا فرقة مسرحية جوّالة . . هذاماسعت

السيدة رومــل : نعم . هذا أسوأ ما في الموضوع . والآن . . .

السيدة هولت : (بقلق) احم . . احم . . .

السيدة رامــل : فرقة مسرحية ؟ لا . لا أتذكر ذلك مطلقا .

السيدة لنــج : بل سمعت أنهم قاموا بكل ما هو بشع . كم من الحقيقة تكمن في كل تلك القصص ؟

السيدة رامــل : ليس هناك شيء فيها حقا يا سيدة لنج .

السيدة هولت : يا عزيزتي دينا . ناوليني قطعة القماش هذه .

السيدة بيرنك : (في نفس الوقت) يا حبيبتى دينــا واخرجى واطلبي من كاترين أن تحضر القهوة ــ لو سمحت

الآنسة بيرنك : سآتي معك يا دينـــا .

(تخرج) دينا والآنسة بيرنك من الباب العلوى على اليسار)

السيدة بيرنك : (تنهض) لو سمحتم لى لحظة أيها الأصدقاء ــ أقترح أن نتناول قهوتنا في الخارج .

(تخرج إلى الشرفة وتعد المائدة ، ويقف رورلاند في المدخل ويتحدث إليها . يجلس هلمار تونسن في الخارج يدخن)

السيدة رامــل : (بصوت منخفض) يا إلهى يا سيدة لنج . لقـــد أفزعتنى !

السيدة لنــج : أنا ؟

السيدة هولت : أنت بدأته بنفسك يا سيدة رامل .

السيدة رامـــل : كيف تقولين ذلك يا سيدة هولت ؟ لم أنبس بكلمة و حدة .

السيدة لنـــج : ولكن لم كل هذه الضجة ؟

السيدة رامـــل : كيف لك أن تبدئي هكذا ! تصورى ! ألم ترى أن دينا كانت هناك ؟

السيدة لنـــج : دينا ؟ يا إلهى ! وهل هناك شيء يتعلق بـ . . . ؟

السيدة هولت : وفي هذا البيت أيضا ؟ ألا تدرين أن أخا السيدة بيرنك هو . . . ؟

السيدة لنـــج : ماذا به ؟ لا أعرف شيئا ما مطلقا أنا جديدة تماما

السيدة رامـــل : ألم تسمعى إذن أن . . . ؟ حم (تخاطب ابنتها) تستطيعين أن تخرجى إلى الحديقة لبعض الوقت يا عزيزتي هيلدا .

السيدة هولت : اذهبي أنت كذلك يا نيتا . وكوني لطيفة تماما مع دينا الصغيرة عندما تعــود .

(تخرج الآنسة رامل والآنسة هولت إلى الحديقة)

السيدة لنـــج : ماذا عن أخى السيدة بيرنك ؟

السيدة رامـــل : ألا تعرفين أنـــه هو الذى سبب تلك الفضيحة المخيفة ؟

السيدة لنـــج : ماذا ؟ تونسن يسبب فضيحة بشعة ؟

السيدة رامـــل : يا إلهى ! لا ! السيد تونسن هو ابن خالها يا سيدة لنج . أنا أتحدث عن الأخ . . .

السيدة هولت : ذلك التونسن الذى لا طائل من ورائه . . .

السيدة رامل : كان يسمى جوهان . لقد فر إلى أمريكا .

السيدة هولت : اضطر إلى الهرب .

السيدة لنج : إذن هو الذى تسبب في الفضيحة ؟

السيدة رامل : نعم . . كانت نوعا من . . . . . . ماذا أقول ؟ كانت تتعلق بأم دينا . إني أتذكر تلك الحادثة كما لو كانت حدثت اليوم . كان جوهان تونسن يعمل آنذاك عند السيدة بيرنك . وكان كارستن بيرنك قد عاد لتوه من باريس . لم يكن قد خطب بعد .

السيدة لنج : نعم . ولكن ماذا عن الفضيحة ؟

السيدة رامل : في ذلك الشتاء كانت فرقة مولر المسرحية هنا في المدينة . . .

السيدة هولت : وفي الفرقة كان ممثل شاب يدعى دورف وزوجته وكان الشبان مغرمين بها .

السيدة رامل : يعلم الله لماذا اعتبروها جذابة . المهم : أتى ذلك الممثل دورف إلى منزله متأخرا ذات مساء . . .

السيدة بولت : لم يكن متوقعا . . .

السيدة رامل : ووجد . . . لا . لا أستطيع أن أخبرك حقا . . . .

السيدة هولت : لم يجد أى شيء فعلا يا سيدة رامل لأن الطبيب كان محبوسا في الداخل . ثم تصورى . . الرجل الذى كان بالداخل اضطر إلى القفز من النافذة .

السيدة هولت : من أعلى حجرة في المنزل !

السيدة لنـــج : وكان ذلك أخا السيدة بيرنك ؟

السيدة رامـــل : نعم كان هو .

السيدة لنـــج : وهذا هو سبب فراره إلى أمريكا ؟

السيدة هولت : ترين بوضوح أنه كان لا بد أن يفعل ذلك .

السيدة رامـــل : لأنه بعـــد ذلك أتضح شيء ما لا يقـــل سوءا . تصورى ! لقد عبث بمال الشركـــة . . .

السيدة هولت : ولكنا لسنا واثقين من ذلك يا سيدة رامل . فقد تكون مجرد اشاعة .

السيدة رامـــل : يا للعجب ! ألم يكن ذلك معروفا في أنحاء المدينة ؟ ألم تكد السيدة بيرنك تفلس تماما بسبب ذلك ؟ لقد سمعت ذلك من زوجى نفسه . ولكن لست أنا التى . . . .

السيدة هولت : على أية حال ــ المال لم يذهب إلى السيدة دورف لأنهـــا . . .

السيدة لنـــج : نعم كيف سارت الأمور بين والدَىْ دينا بعد ذلك ؟

السيدة رامـــل : رحل دورف وترك زوجته والطفلة ولكن السيدة كانت من الصفاقة لدرجة أنها أقامت هنا لسنة كاملة . ولم تجرؤ على أن تظهر نفسها في المسرح بعد ذلك ولكنها عالت نفسها بالغسيل والحياكـــة . . .

السيدة هولت : ثم حاولت أن تدير مدرسة للرقص .

السيدة رامل : وبالطبع لم ينجح ذلك المشروع . أية أباء يعهدون بأطفالهم إلى شخص كهذه ؟ ولكنها لم تصمد طويلا . ان سيدتنا الرقيقة لم تعتد العمل . فقد أصابها مرض صدرى وماتت .

السيدة لنج : انها لقصة مخيفة .

السيدة رامل : صدقيني انها كانت عملية قاسية على آل بيرتك . انها النقطة السوداء في شمس سعادتهم ، كما عبر عنها زوجى ذات مرة . لذا لا تتحدثي عن تلك الأشياء في بيتنا يا سيدة لنج .

السيدة هولت : وبحق السماء لا تذكرى شيئا عن الأخت غير الشقيقة أيضا !

السيدة لنج : نعم . أليس للسيدة بيرنك أخت غير شقيقة كذلك ؟

السيدة رامل : كان لها من حسن الحظ ، ولكن العلاقات بينها منقطعة الآن . نعم . كانت غريبة الأطوار تماما تصورى : لقد قصت شعرها وتجولت في الجو الممطر وهى تلبس حذاء الرجال الطويل .

السيدة هولت : وعندما هرب الأخ الفاشل غير الشقيق واغتاظت منه المدينة بأكملها بالطبع ماذا تظنين أنها فعلت ؟ ذهبت ولحقت به .

السيدة رامل : ولكن يا للفضيحة التى سببتها قبل أن ترحل يا سيدة هولت !

السيدة هولت : اسكتى ! لا تتحدثي عنها .

السيدة لنج : يا إلهي : هل أحدثت فضيحة هي الأخرى ؟

السيدة رامل : نعم . فعلا . سأخبرك يا سيدة لنج . كان كارستن بيرنك قد خطب بتي تونسن وعندما دخل متأبطا ذراعها ليرى عمتها ويعلن خطبته . . .

السيدة بولت : لأن آل تونسن كانوا أيتاما .

السيدة رامل : نهضت لوناهسل من مقعدها وأعطت كارستن بيرنك – كارستن بيرنك الساحر الجذاب – لكمة مدوية على أذنه .

السيدة لنج : لا أصدق !

السيدة هولت : هذا صحيح تماما .

السيدة رامل : ثم حزمت متاعها ورحلت إلى أمريكا .

السيدة لنج : لا بد أنها كانت تريده لنفسها .

السيدة رامل : تماما هذا ما أرادته . تصورت أنها ستعقد عليه عندما يعود من باريس .

السيدة هولت : تصوري أنها تعتقد شيئا كهذا ! بيرنك – ذلك الرجل المجرب الشاب الجذاب المهذب – كل النساء تتعلق به . . .

السيدة رامل : ومع ذلك سليم جدا في نفس الوقت يا سيدة هولت – متزن في أخلاقياته .

السيدة لنج : ولكن ما مصير الآنسة هسل هذه في أمريكا ؟

السيدة رامل : على هذا – كما يقول زوجي – أسدل ستار يحسن ألا يرفع .

السيدة لنــج : ماذا يعنى ذلك ؟

السيدة رامــل : لا علاقة لها بالأسرة بعد ذلك – كما تتصورين ، ولكن المدينة بأكملهــا تعرف ذلك تماما – أنها غنت في المقاهى مقابل المال هناك .

السيدة هولت : وأنها ألقت محاضرات عامــة . . .

السيدة رامــل : وأنها نشرت كتابا غير عــادى .

السيدة لنــج : تصورى .

السيدة رامــل : نعم . لونا هسل هى الأخرى احدى البقع السوداء دون شك في سعادة آل بيرنك . والآن تعرفين الموضوع برمته يا سيدة لنج . الله يعلم أني ذكرت ذلك لتكوني على حذر .

السيدة لنــج : تستطيعين أن تثقى بي تماما . ولكن دينا دورف تلك المسكينة ! أنا جد آسفة من أجلها .

السيدة رامــل : بالنسبة لها كان مجرد حظ سعيد . فلنفرض أنها ظلت في أيدى والديها ؟ لقد تولينا أمرها بطبيعة الحال ، وقدمنا لها النصيحة قدر المستطاع . وبعد ذلك مهدت الآنسة بيرنك لها لتأتي وتعيش في المنزل هنــا .

السيدة بولت : ولكنها دائما طفلة صعبة القيــاد . تستطيعين أن تتصورى أثر كل تلك الأمثلة السيئة . بنت كهذه ليست مثل بناتنا : يمكن أن تقاد ولكن لا يمكن أن تدفع يا سيدة لنــــج .

السيدة رامــل : صمتا ! ها هى ذى قادمة (بصوت مرتفع)

نعم . دينا بنت كفء تماما . هـــل أنت هنا يا دينا ؟ ها نحن نجلس ونهمل حياكتنا !

السيدة هولت : ما أحلى رائحة قهوتك يا دينا العزيزة . فنجان من القهوة مثل هذا عند الضحى . . .

السيدة بيرنك : (من على الدرج) القهوة جاهزة .

(الآنسة بيرنك ودينا يساعدان الخادمة في احضار أدوات القهوة . تخرج النساء ويجلسن في الخارج ويتحـــدثـــن إلى دينـــا بمنتهى الـــرقة . وبعد قليل تدخل الحجرة وتبحث عن شغل الأبرة الخاص بهـــا) .

السيدة بيرنك : (في الخارج عند مائدة القهوة) يا دينا . ألا تريدين بعض القهوة كذلك ؟

دينـــا : لا . شكرا . لا أريد شيئا .

(تجلس إلى الحياكة . تتبادل السيدة بيرنك ورورلاند بعض الكلمات ، وبعد لحظة يدخل الحجـــرة) .

رورلانـــد : (يختلق عذرا ليتوجه إلى المائدة ويتحدث في صوت خفيض) دينا .

دينـــا : نعـــــم ؟

رورلانـــد : لماذا ترفضين الخروج ؟

دينـــا : عندما أتيت بالقهوة استطعت أن أرى من نظرة السيدة الغريبة أنها كانت تتحدث عني .

روزلانــد : وألم تلمحى كذلك كيف كانت حنونة عليك عندما قدمت ؟

دينــا : وهذا ما لا أطيقــه !

روزلانــد : انك عنيدة يا دينــا .

دينــا : نعــم .

روزلانــد : ولكن لماذا ؟

دينــا : هكذا خلقت .

روزلانــد : ألا تحاولين التغيير ؟

دينــا : لا .

روزلانــد : ولم لا ؟

دينــا : (دون أن تنظر إليه) لأني مثل « الأخوات الساقطات »

روزلانــد : دينــا !

دينــا : كانت أمي واحدة منهن هي الأخــرى .

روزلانــد : من كان يتحدث إليك عن مثل هذه الأشياء ؟

دينــا : لا أحد . انهم لا ينطقون . لماذا لا يتكلمون ؟ كلهم يعاملوننى برفق كما لو كنت سأتهشم إذا . . كم أكره كل هذا الحنان !

روزلانــد : يا عزيزتي دينا : أفهم تماما أنك مقيدة الحركة هنا تماما ولكن . . .

دينــا : نعم . لو استطعت أن أفلت من هنا ، لشققت

طريقى إذا ما أقمت بين أناس ليسوا بهذه الدرجة من . . . من . . . .

روولانـــد : من ماذا ؟

دينـــا : من الاحترام والأخلاق .

روولانـــد : أنت لا تقصدين هذا يا دينا .

دينـــا : أنت تعرف جيدا ماذا أعنى . تأتي هيلدا ونيتا هنا كل يوم لأحذو حذوهما . ولكنى لا أستطيع أن أكون في مثل كمالهما . ولا أنوى أن أكون كذلك . آه لو أستطعت أن أرحل لكنت طيبة كذلك !

روولانـــد : ولكن يا عزيزتي دينا : أنت طيبة .

دينـــا : ما فائدة ذلك لى هنا ؟

روولانـــد : ترحلين . . . هل تفكرين في ذلك جديا ؟

دينـــا : لولاك لما أقمت هنا يوما آخر .

روولانـــد : خبرينى يا دينا لماذا تحبين البقاء معى بصفة خاصة ؟

دينـــا : لأنك تعلمنى كل ما هو جميل .

روولانـــد : جميل ؟ وهل تسمين ما أستطيع أن أعلمك اياه جميـــلا ؟

دينـــا : نعم . أو على الأصح . . . أنت لا تعلمنى شيئا ولكن عندما أسمعك تتحدث فاني أرى كثيرا من الأشياء الجميلة .

روولانـــد : ماذا تفهمين فعلا بالشيء الجميـــل ؟

دينـــا : لم أفكر في ذلك مطلقا .

رورلانـــد : اذن فكرى في ذلك الآن . ماذا تفهمين بالشيء الجميـــــل .

دينـــا : الشيء الجميل هو شيء عظيم — وبعيد جدا .

رورلانـــد : يا عزيزتي دينا . أنا قلق عليك تماما .

دينـــا : مجرد ذلك ؟

رورلانـــد : تعرفين جيدا كم أنت عزيزة عليّ .

دينـــا : لو كنت هيلدا أو نيتا لما خشيت أن يرى الناس ذلك .

رورلانـــد : ليست لديك أدنى فكرة عن آلاف الاعتبارات . . عندما تكون وظيفة المرء أن يكون الدعامة الخلقية للمجتمع الذى يعيش فيه . لا بد أن يكون في منتهى الحرص . لو كنت على يقين من أن الناس سيفسرون دوافعى التفسير الصحيح . . . ولكن فلندع ذلك وشأنه . يجب وسوف تساعدين على أن تنهضى . يا دينا هل اتفقنا على أنه عندمـــا آتى — عندما تسمح الظروف لى أن آتى وأقول « هاك يدى » — هل ستأخذينها وتصبحين زوجة لى ؟ هل تعدينى بذلك يا دينا ؟

دينـــا : نعـــــم .

رورلانـــد : شكرا لك ! شكرا لك . لأنه من جانبى أيضا — آه يا دينا — أنا مغرم بك . هس ! هنـــاك

شخص قادم . دينا — من أجلي — اذهبي إلى الآخـــــرين .

(تخرج إلى مائدة القهوة وفي نفس اللحظة يخرج من الحجرة البعيدة إلى الشمال كل من رامـــل وساندستاد وفايجلاند ويتبعهم بيرنك وفي يـــده ربطة من الأوراق)

بيرنـــك : اذن اتفقنـــا .

فايجلانـــد : نعم . حمداً لله . اتفقنـــا .

رامـــل : انتهى الموضوع يا بيرنك ! ان كلمة الرجـــل النرويجي ثابتة ثبوت صخور دوفريلد . أنت تعرف ذلك .

بيرنـــك : ولا رجوع ولا ضعف مهما واجهنا من معارضة .

رامـــل : اننا نقوم أو نسقط سويا يا بيرنك .

هلمار تونسن : (وقد أتى إلى الباب الحديقة) نسقط ؟ بكـــل الاحترام الواجب أليست خطة السكة الحديد هي التي ستسقط ؟

بيرنـــك : لا : على العكس : انها ستتقدم . . .

رامـــل : ستعمل بالبخار الكامل يا سيد تونسن .

هلمار تونسن : (يتقدم) حقا ؟

رورلانـــد : مـــاذا ؟

السيدة بيرنك : (عند باب الحديقة) ولكن يا عزيزى كارستن : ما كل هـــذا ؟

بيرنـــك : يا عزيزتي بتى : لماذا يثير هذا انتباهك ؟ (إلى الرجال الثلاثة) ولكن يجب أن نكتب القوائم الآن . كلما عجلنا بذلك كان أفضل . وبالطبع سنكتب نحن الأربعة أسماءنا اولا . ان مكانتنا في المجتمـــع تجعل من واجبنا أن نفعل كل مـــا نستطيـــع .

ساندستاد : هذا بديهى يا سيد بيرنك .

رامــــل : ستنجح في ذلك يا بيرنك . لقد أخذنا على أنفسنا عهدا بذلك .

بيرنـــك : نعم . أنا لا أخشى النتيجة ــ يجب أن نبدأ العمل ــ كل في دائرته ، واذا ما استطعنا أن نشير مرة إلى تعاطفنا الصادق الايجابي مع كل قطاع في المجتمع فسيتبع ذلك آليا أن تسهم البلدية بنصيبها .

السيدة بيرنك : ولكن يا كارستن ــ عليك أن تأتي حقا وتخبرنا . .

بيرنـــك : يا عزيزتي بتى : النساء لا تستطعن تفهم مثـــل هذه الأشياء .

هلمار تونسن : اذن أنت فعلا ستساند السكة الحديد رغم هذا ؟

بيرنـــك : نعم . بالطبــــع .

رورلانـــد : ولكن في السنة الماضية يا سيدى . . . ؟

بيرنـــك : في السنة الماضية كان الوضع مختلفا . عندئذ كانوا يتحدثون عن خط ساحلى . . . .

فايجلانـــد : والذى لا لزوم له يا سيد رورلاند لأن عندنـــا الباخــــرة . . .

ساندستاد : وكان سيكلفنـــا اكثير . . .

رامـــل : نعم وكان سيقضى على الأموال المستثمرة هنـــا في المدينـــة .

بيرنـــك : النقطة المهمة أنه كان لا فائدة من ورائه للمجتمع ككل . ولذا اعترضت عليه وتبنينا الطريــــق الداخلى .

هلمار تونسن : نعم . ولكن هذا يصل إلى المدن التى حولنا .

بيرنـــك : انه سيصل إلى مدينتنا يا عزيزى هلمار ، لأننـــا سنمد خطا هنا .

هلمار تونسن : آه ! فكره جديدة إذن ؟

رامـــل : نعم : فكرة من الدرجة الأولى _ أليست كذلك ؟

رورلانـــد : احم !

فايجلانـــد : لا يمكن أن ننكر أن المشيئة الالهية تبدو أنهـــــا قد هيأت المنطقة خصيصا لمد خط حديدى .

رورلانـــد : هل تعنى ذلك جقا يا سيد فايجلاند ؟

بيرنـــك : نعم : يجب أن أعترف بأني اعتبر نفسى أنا الآخر موجها بالمشيئة الالهية . لقد قمت برحلة عمل هناك هذا الربيع وبالصدفة نزلت واديا لم أره من قبل . ولقد لاحت لى فكرة كوميض البرق

أن ذلك المكان المناسب لمد خط حديدي إلى المدينة . واستدعيت مهندســا ليمسح المنطقة . وعندى هنا الحسابات الأوليـــة والتقييم : ليس هناك ما يمنع هذا المشروع .

السيدة بيرنك : (ما زالت عند باب الحديقة مع النساء الأخريات) ولكن يا عزيزى كارستن : تصور أنك تحتفظ بكل هذا سرا !

بيرنــك : يا عزيزتي بتى : ماكان في استطاعتك أن تستوعبي طبيعة هذا العمل . علاوة على ذلك . لم أتحدث عنه لأى مخلوق حتى اليوم . ولكن وقد حلت اللحظة الحاسمة ، يجب أن نعمل على المكشوف وبكل ما أوتينا من قوة . نعم . حتى ولو كان على أن أغامر بكل ما عندى فاني سأنفذ هذا المشروع .

رامــل : ونحن كذلك يا بيرنك . تستطيع أن تعتمد علينا .

رورلانــد : هل أنتم فعلا تتوقعون الكثير من هذا المشروع .

بيرنــك : أعتقد ذلك . يا للرّفعة التى سيعطيها لمجتمعنا بأسره ! تصور تلك المساحات الضخمة مــن الغابات التى سيفتحها أمامنا ! فكر في مستودعات المعادن الخام التى يمكن أن تستغل ! فكر في النهر وما به من مساقط ميــاه الواحد تلو الآخــر ! امكانيات التنمية الصناعية !

رورلانــد : ولا تخشى ازدياد التفاعل مع حاكم فاسد في الخارج . . .

بيرنـــك : طب نفسا يا سيد رورلانـــد . ان مدينتنا الصغيرة المثابرة تقوم الآن — ولله الحمد — على أساس خلقي سليم . لقد أسهمنا كلنا في تصفيتها — ان صح التعبير — وسنظل نفعل ذلك — كل على طريقته الخاصة . أنت يا سيد رورلاند : واصل نشاطك الخير في مدارسنا وبيوتنا . ونحن رجال الأعمال ندعم المجتمع بنشر الرخاء في أوسع دائرة ممكنة . ونساؤنا — نعم — أقدمن هنا يا سيداتي . يسرنا أن تسمعن ما يلي : أيتهـــا النسوة — أقول — زوجاتنا وبناتنا — يجب أن تواصلن العمل في مجالاتكن الخيرة دون ازعاج من أحد ، وكن في نفس الوقت عونا وراحة لأقرب الناس لكنّ كعزيزتي بتى ومارتا بالنسبة لى ولأولاف — (ينظر حوله) أين ذهب أولاف اليـــــوم ؟

السيدة بيرنك : انهـــا العطلة الآن ويستحيل علينا أن نحبسه في البيت .

بيرنـــك : اذن هو الآن قطعا بجانب الماء ثانية . سترين : سيصيبه السوء عما قريب .

هلمار تونسن : قليل من الرياضة مع قوى الطبيعة . .

السيدة رامـــل : لطيف منك أن تكون رب أسرة حقيقيا يا سيد بيرنك .

بيرنـــك : تعرفين أن الأسرة نواة المجتمع . ان بيتا طيبا محترما وأصدقاء مخلصين ودائرة صغيرة متحابة

حيث لا تلقى العناصر المزعجة بظلالها . . .
(يدخل كراب – رئيس الكتبة – من الأمام – يحمل خطابات وصحفا)

كراب : البريد الأجنبي يا سيد بيرنك . برقية من نيويورك .

بيرنك : (يتناولها) من أصحاب سفينة « الفتاة الهندية »

رامل : وصل البريد : اذن يجب أن أستأذن منك .

ساندستاد : وداعا يا سيد بيرنك .

بيرنك : وداعا يا سادة – وداعا . وتذكروا أن هناك اجتماعا بعد ظهر اليوم في الخامسة . (يخرجون إلى اليمين)

بيرنك : (الذى قرأ البرقية) هذا سلوك أمريكى قح . هذا فظيع تماما !

السيدة بيرنك : يا الهى يا بيرنك : ماذا هناك ؟

بيرنك : اسمع يا كراب : اقرأ هنا !

كراب : (يقرأ) « أقل اصلاحات ممكنة . ارسل السفينة « الفتاة الهندية » بمجرد أن تطفو . الطقس جيد . على أسوأ الأحوال « حملها بما يسمح بطفوها » . ما هـذا !

بيرنك : « حملها بما يسمح بطفوها » ! هؤلاء السادة يعرفون تماما أنها بهذه الحمولة ستغوص إلى القاع كالصخرة إذا حدث شيء .

روورلانـــد : هذا يبين لنا ما عليه الحال في هذه المجتمعات الكبيرة التي تمتدح كثيرا .

بيرنـــك : أنت على حق . لا اعتبار حتى بالحياة الانسانية إذا ما تدخل الربح في الأمر . (إلى كراب) هل يمكن أن تبحر « الفتاة الهنـــدية » في أربعــــة أيام أو خمسة ؟

كـــــراب : نعم : اذ سمح لنا السيد فايجلاند في أن نتوقف عن العمل على السفينة « شجرة النخيل » أثناء ذلك .

بيرنـــك : لن يفعل ذلك . هلا فحصت البريد ؟ على فكرة : هل رأيت أولاف على رصيف الميـنـــاء ؟

كـــــرا ب : لا يا سيد بيرنك (يتجه إلى أبعد حجرة عـــــلى اليسار)

بيرنـــك : (ينظر إلى البرقية ثانية) هؤلاء السادة لا يبالون بالمخاطرة بأرواح ثمانية عشر رحلا . . .

هلمار تونسن : من واجب البحار أن يتحدى الطبيعة . لا بد أن هناك شيئا مثيرا في وجود الشخص هناك وليس بينه وبين الأعماق سوى لوح ضعيف مـــــن الخشب . . . .

بيرنـــك : وددت لو رأيت صاحب السفينة هنا الذى يستطيع أن يرغم نفسه على أن يفعل شيئا كهذا ! لا أحد . ليس هناك فرد واحد . آه ـ ا لحمد لله ها هو ذا بخــــير .

(يقبل أولاف وفي يده سنارة جريا في الشارع وعبر بوابـــة الحديقـــة) .

أولاف : (ما زال في الحديقة) خالى هلمار ! لقد كنت هناك أتفرج على الباخرة .

بيرنـــك : هل كنت على رصيف الميناء ثانيـــة ؟

أولاف : لا . بل كنت في قارب . تصور يا خالى هلمار . هناك فرقة كاملة لسرك نزلت الميناء بالخيـــول والحيوانات المفترسة ، وكان هناك عدد كبير من الركاب كذلك .

السيدة رامــــل : هل صحيح سنرى لاعبى السرك ؟

رورلانـــــد : نحن ؟ لا أظن ذلك .

السيدة رامــــل : لا . لا أعنى « نحن » بالطبع ولكن . . .

دينـــا : أتمنى أن أرى سركا .

أولاف : وأنا كذلك .

هلما رتونسن : أنت أحمق صغير ! هل هدا يستحق أن يرى ؟ إنه مجرد تدريب . إن لأمر تختلف تماما إذا ماشاهدت «الجاوشو » وهم يتسابقون فوقالسهول الشعبية المترامية الأطراف على ظهور خيول « المستنج » . ولكن ياإلهى ! هنا في هذه الأماكن الصغيرة — !

أولاف : (يتشبث بالآنسة بيرنك) عمتى مارتا : انظرى ! انظرى ! هاهم قادمون !

السيدة هولت : نعم – ياإلهى ! إنهم قادمون هناك .

السيدة لنج : أناس بشعون !

(يسير في الشارع عدة مسافرين وجمهرة من سكان المدينة) .

السيدة رامل : نعم : انهم مجموعة من البهلوانات . انظرى الى تلك المرأة ذات الثياب الرمادية ياسيدة هولت . انها تحمل خرجا على ظهرها .

السيدة هولت : أظنها زوجة المدير .

السيدة رامل : وهناك نرى المدير نفسه لاشك : الرجل ذا اللحية انه يشبه قاطع الطريق تماما . لاتنظرى اليه ياهيلدا .

السيدة هولت : ولاأنت يانيتا .

أولاف : أماه : المدير يلّوح لنا .

بيرنـــك : ماذا ؟

السيدة بيرنك : ماذا تقول يابنى ؟

السيدة رامل : ياالهى ! نعم ! المرأة تلوّح هى الأخرى .

بيرنـــك : هذه هى الوقاحة بعينها .

الآنسة بيرنك : (تنفلت منها صرخة) آه !

السيدة بيرنك : ماذا بك يامارتا ؟

الآنسة بيرنك : لا . لاشيء . . . ظننت . . . . .

أولاف (يصيح في بهجة) انظروا ! انظروا ! هاهـــم الآخرون قادمون بخيولهم وحيواناتهم المفترسة ! وهاهم الأمريكيون كذلك ! كل بحارة السفينة

« الفتاة الهندية » .

(يمكن سماع أغنية « يانكى دورل » بصحبة المزمار والطبلة)

هلمار تونسن : (يسد أذنيه) أوه ! أوه !

رولانـــد : أعتقد أنه يجب أن ننسحب قليلا ياسيداتي . مثل هذه الأشياء ليست لنا . فلنعد الى عملنا ثانية .

السيدة بيرنك : هل نسدل الستائر ؟

رولانـــد : نعم . ذلك ماكنت أفكر فيه .

(تأخذ النساء مقاعدهن حول المائدة . يغلق رولاند باب الحديقة ويسدل عليه الستار وكذلك على النوافذ . تصبح الحجرة شبه مظلمة .

أولاف : (وهو ينظر الى الخارج) أماه : زوجة المدير تقف بجانب المضخة تغسل وجهها .

السيدة بيرنك : ماذا ! وسط السوق ؟

السيدة رامل : وفي وضح النهار ؟

هلمار تونسن : لو كنت في رحلة صحراوية وأقف بجانب ينبوع لما اهتممت بذلك . آه ! ذلك المزمار المخيف !

رولانـــد : حقا . سيكون للشرطة عذرها لو تدخلت .

بيرنـــك : اسمعوا ! يجب ألا يهتم الانسان كثيرا بالأجانب . أولئك الناس ليس لديهم ذلك الاحساس العميق بالرقة التى تجعلنا داخل حدود معقولة . دعوهم وشأنهم . ماذا يعنينا من أمرهم ؟

كل هذه الفوضى . . ومعارضة التقاليد والأخـــلاق الفاضلة .. من حسن الحظ أن كل هذا غريب على مجتمعنا . . لو حق لى أن أقول ذلك . ماهذا ؟
(تدخل المرأة الغريبة بسرعة من الباب على اليمين)

النســـاء : (في أصوات منخفضة فزعة) امرأة السرك ! زوجة المدير !

السيدة بيرنك : ياللسماء ! ماذا يعنى هذا ؟

الآنسة بيرنك : (تقفز) آه . . .

النســـاء : صباح الخير يا عزيزتي بتى . صباح الخير يا مارتا ! صباح الخير يا صهرى العزيز !

السيدة بيرنك : (تصرخ) لونا !

بيرنـــك : (يتراجع خطوة) مثلما أحيا . . . !

السيدة هولت : ولكن بحق الله . . . !

السيدة رامـــل : مستحيل !

هلمار تونسن : حسن ! أوه !

السيدة بيرنك : لونا ! صحيح . . . ؟

الآنسة هسل : حقا أنا ؟ طبعا أنـــا ! تستطيعون تحسس رقبتى إذا شئتم أن تتأكدوا .

هلمار تونسن : أوه ! أوه !

السيدة بيرنك : وهل أتيت هنا كـ . . . ؟

بيرنـــك : وصحيح ستؤدين . . . ؟

الآنسة هسل : أؤدى ؟ أؤدى كيف ؟

بيرنـــك : أعنى . . . دورا في السرك .

الآنسة هسل : ها ها ها ! أيها الرجل هل جننت ؟ صحيح أني عملت في حرف كثيرة جدا وكنت حمقـــاء في أمور كثيرة . . .

السيدة رامـــل : احم !

الآنسة هسل : ولكنى لم أعمل بهلوانة .

بيرنـــك : اذن أنت لست . . .

السيدة بيرنك : آه ! حمدا لله !

الآنسة هسل : أتينا كأناس محترمين . صحيح درجـــة ولكنا تعودنا ذلك .

السيدة بيرنك : تقولين تعودنا ؟

بيرنـــك : (يقترب خطوة) من « نا » ؟

الآنسة هسل : فتاى وأنا بالطبع .

النسوة : (يصرخن) فتاك !

هلمار تونسن : مـــاذا !

رورلانـــد : أقول !

السيدة بيرنك : ولكن ماذا تعنين يا لونا ؟

الآنسة هسل : أعنى جون بالطبع . ليس لى غلام سوى جون قدر علمى أو « جوهان » كما أعتدتم أن تسموه

السيدة بيرنك : جوهان !

السيدة رامـــل : (جانبا إلى السيدة لنج) الأخ الفاشل !

بيرنـــك : (يتردد) وهل جوهان معك ؟

الآنسة هسل : طبعا . طبعا . لا أسافر بدونه . ولكن يبدو الحزن عليكم جميعـــا . وتجلسون في هذا الضوء ــ الخفيض تحيكون شيئا أبيض . هل هناك موت في العائلـــة ؟

رورلانـــد : سيدتي العزيزة : تجدين نفسك في مجتمع الأخوات الساقطات .

الآنسة هسل : (تخفض من صوتها) ماذا تقول هل تعنى أن هؤلاء النساء اللطيفات الهادئات هن . . . .

السيدة رامـــل : ما هذا ؟

الآنسة هسل : أفهم ! أفهم ! أؤكد أن هذاهالسيدة رامـــل وتلك السيدة هولت كذلك ! نحن الثلاثة لم نصغر منذ التقينا . ولكن اسمعوا يا أصدقائي : دعوا الأخوات الساقطات ينتظرن ليوم ما . . .
فلن يزداد حالهن سوءا . مناسبة سعيدة كهذه . .

رورلانـــد : العودة للوطن ليست دائما مناسبة سعيدة .

الآنسة هسل : حقا ؟ كيف تقرأ انجيلك أيها القسيس ؟

رورلانـــد : لست قسيسا .

الآنسة هسل : ستكون في يوم ما . ولكن يا إلهى ! يا إلهى ! ان أردية الاحسان هنا تفوح منها رائحة الأخلاقيات كما لو كانت أكفانا . أما أنا فقد اعتدت عـــلى رائحـــة البرارى .

بيرنــــك : (يجفف جبينه) بالتأكيد الجو هنا مقبض بعض الشيء.

الآنسة هسل : انتظرى . سرعان ما سننهض من القبو (تجذب الستائر جانبا) يجب أن تكون في ضوء النهـــار الساطع عندما يصل فتاى إلى هنا . عندئذ سترون فتى يستحق أن تنظروا إليه . . .

هلمار تونسن : أوه ! أوه !

الآنسة هسل : (تفتح الباب والنوافذ) أعنى عندما يوفق في أخذ حمام هناك في الفندق . لقد أصبح في قذارة الخنزير في الباخرة .

هلمار تونسن : أوه ! أوه !

الآنسة هسل : أوه بالتأكيد . . (تشير إلى هلمار وتسأل الآخرين أما زال يتسكع هنا ويقول « أوه » طول الوقت ؟

هلمار تونسن : أنا لا أتسكع . أنا أقيم هنا من أجل صحتى .

الآنسة هسل : (التى لمحت أولاف) هل هو ابنك يا بتى ؟ سلم علىّ يا فتى . أو أنت خائف من خالتك العجوز القبيحـــــة ؟

رورلانــــد . (وهو يضع كتابه تحت ذراعه) سيداتي : أعتقد ألا مزاج لنا لموا صلة العمل اليوم . ولكـــــن سنلتقى غدا – أليس كذلك

الآنسة هسل : (عندما ينهض الزوار ليودعوا) نعم . فلنفعل ذلك . سأكون هنا .

رورلانــــد : أنت ؟ هل لى أن أسألك ماذا ستفعلين في مجتمعنا ؟

الآنسة هسل : سأُدخِل هنا بعضا من الهواء النقى يا أيها القسيس.

الفصل الثاني

(حجرة الحديقة في منزل آل بيرنك . تجلس السيدة بيرنك وحدها إلى مائدة العمل وتقوم بالحياكة . بعد قليل يدخل بيرنك من اليمين مرتديا قبعته ويحمل قفازه وعصاه) .

السيدة بيرنك : هل عدت يا بيرنك ؟

بيرنك : نعم . سيأتي رجل للقاني .

السيدة بيرنك : (تتنهد) نعم . أتوقع أن يأتي جوهان هنا ثانية .

بيرنك : أقول لك أني سأقابل أحد رجالى (يضع قبعته) أين ذهبت كل السيدات اليوم ؟

السيدة بيرنك : السيدة رامل وهيلدا لم يكن لديهما متسع من الوقت ليأتيا .

بيرنك : نعم . اعتذرا ؟

السيدة بيرنك : نعم . عندهما ما يشغلهما في البيت .

بيرنك : شيء متوقع . والآخرون لن يأتوا أيضا ؟

السيدة بيرنك : هناك ما منعهم اليوم أيضا .

بيرنك : كنت أستطيع أن أخبرك بذلك مقدما . أين ذهب أولاف ؟

السيدة بيرنك : سمحت له بالخروج بعض الوقت مع دينا .

بيرنـــك : دينا ! تلك الفتاة الطائشة ! تلك التى أحدثت كل هذه الضجة عن جوهان بمجرد أن رأته بالأمـــس .

السيدة بيرنك : ولكن يا عزيزى كارستن . دينا ليست لديهـــا أدنى فكرة . . .

بيرنـــك : على أى حال . كان يجب على جوهان أن تكون لديه من الكياسة ما يمنعه من ابداء أى اهتمام خاص بها . رأيت التعبير على وجه فايجلاند .

السيدة بيرنك : (تسقط حياكتها في حجرها) يا كارستن : هل تستطيع أن تتصور لماذا عادا إلى هنا ؟

بيرنـــك : له مزرعة هناك يبدو أنها لا تدر كثيرا . ولقد ذكرت بالأمس أنهمـــا اضطرا للسفر بالدرجة الثانيـــة . . . .

السيدة بيرنك : نعم . أظن أنه شيء من هذا القبيل. ولكن أن تأتي معه! هي ! بعد الطريقة التى لاتغتفر التى أهانتك بها !

بيرنـــك : لاتفكرى في تلك الأحداث القديمة.

السيدة بيرنك : كيف أفكر في غير ذلك الآن؟ هو أخى قبل كل شيء . أنا لاأفكر فيه شخصيا. . . . ولكن في كل تلك المنغصات التى سيسببها لك يا كارستن . . اني أخشى تماما أن. . . .

بيرنـــك : مم تخافين؟

السيدة بيرنك : ألا يمكن أن يحاولوا حبسه بسبب نقود أمك المفقودة ؟

بيرنــك : هراء ! كيف لهم أن يبرهنوا على أن هناك نقودا مفقودة ؟

السيدة بيرنك : ياالهى ! كل المدينة تعرف ذلك من سوء الحظ ! وأنت نفسك قلت. . . . .

بيرنــك : لم أقل شيئا . المدينة لاتعرف شيئا عن هذا العمل. تلك كانت كلها شائعات لاأساس لها.

السيدة بيرنك : يالك من رائع ياكارستن !

بيرنــك : لاداعى لاثارة تلك الذكريات. لاتدرين كم تعذبيننى بنبش كل هذا. (يذرع الحجرة ثم يلقي بعصاه) يعودون الى هنا في هذا الوقت بالذات وأنا في مسيس الحاجة الى دعم معنوى من المدينة والصحافة ! سترسل الخطابات الى الصحافة من كل أنحاء الحى. وسواء كنت صديقا لهم أم لاستكون هناك الشائعات والغمزات . . . .سينبشون كل هذا التاريخ القديم . . كما تفعلين أنت. في مجتمع كمجتمعنا . . (يرمـى بقفازه على المائدة). . وليس هنا شخص واحد أستطيع أن أتحدث اليه أو ألقى تأييدا منه .

السيدة بيرنك : ولا واحد مطلقا ياكارستن؟

بيرنــك : من يمكن أن يكون ؟ أن ينهالا علىّ في هذه اللحظة بالذات ! لاشك في أنهما سيحدثان فضيحة

بطريقة أو بأخرى.. هى بالذات انها مصيبة طامة أن يكون بين أفراد الأسرة أناس كهؤلاء.

السيدة بيرنك : لاأستطيع أن ....

بيرنـك : لاتستطيعين ماذا؟ أنهم أقرباء؟ لا. هذا صحيح تماما.

السيدة بيرنك : وكذلك لم أطلب منهما المجىء الى هنا.

بيرنـك : هذا مانسمع: «لم أطلب منهما أن يعودا. لم أكتب اليهما. لم أجرّهما الى هنا من شعر رأسيهما». لقد حفظت ذلك عن ظهر قلب!

السيدة بيرنك : (تنفجر باكية) ولكنك قاس....

بيرنـك : نعم. هذا صحيح. ابدءى بالصراخ حتى تتحدث المدينة عن ذلك أيضا. كفى عن هذا الهراء يابنتى. اخرجى واجلسى بالخارج. قد يدخل شخص ما هل تريدينهم يرون السيدة بيرنك بعيون حمراء؟ نعم. سيكون شيئا لطيفا اذا انتشر في كل مكان أن.... هس! اسمع صوتا في الصالة (هناك طرقة) ادخل!

(تخرج السيدة بيرنك الى درج الحديقة بحياكتها. يدخل أون من اليمين)

أون : صباح الخير ياسيدى.

بيرنـك : صباح الخير. تستطيع أن تخمن لماذا أريد أن أراك؟

أون : رئيس الكتبة قال بالأمس شيئا عن عدم رضاك عن . . . . .

بيرنـــك : أنا لست راض عن مجريات الأمور في الحوض ياأون. لم تحدث أى تقدم في حطام السفينة . « شجرة النخيل» كان من المفروض أن تبحر منذ وقت طويل. يأتي السيد فايجلاند ليزعجني كل يوم. انه رجل يصعب التعامل معه كشريك

أون : « شجرة النخيل » تستطيع أن تنزل البحر بعد غد.

بيرنـــك : أخيرا ! ولكن السفينة الأمريكية «الفتاةالهندية » .. انها راقدة هنا لخمسة أسابيع و . . . . .

أون : الأمريكية؟ فهمت أننا يجب أن نبذل أقصى الجهود للانتهاء من سفينتك أولا.

بيرنـــك : لم أعطك أى سبب لتظن ذلك . كان يجب أن تعمل بالسفينة الأمريكية كذلك بأسرع ما يمكن . ولكنك لم تفعـــــل .

أون : ان بـــدن السفينة عطن تماما يا سيـــدى . كلما رقعناها كلما ازدادت سوءا .

بيرنـــك : ليس هذا أساس المشكلة . لقد أخبرني كراب بالحقيقة بأكملها . أنتم لا تستطيعون تشغيل الآلات الجديدة التى ركبتها ــ أو على الأصح ترفضون العمـــــل بها .

أون : يا سيدى بيرنك : لقد قاربت الستين ومنذ أن كنت صبيا وأنا معتاد على طرق التشغيل القديمة ..

بيرنـــك : لا يمكننا استخدامها هذه الأيام . لا تظن يا أون أن هذا من أجل الربح . لا أحتاج إلى ذلك من حسن الحظ . ولكن لا بد أن آخذ بعين الاعتبار المجتمع الذى أعيش فيه والعمل الذى أديره . يجب أن ينبع التقدم منى والا فلن يكون هنـــاك تقدم بتاتا .

أون : أنا كذلك أبغى التقدم يا سيدى .

بيرنـــك : نعم لدائرتك المحدودة — للطبقة العاملة . أعرف كل شيء عن اثاراتك السياسية . أنت تلقى الخطب وتهيج الناس ولكن إذا ما ظهر تقدم ملموس كما يحدث الآن من خلال آلاتنا فانك لا تتعاون . أنت خائف .

أون : نعم . أنا خائف بكل تأكيد يا سيد بيرنك . اني خائف على كـــل الناس التى تسلبهم الآلات أرزاقهم . غالبا ما تتحدث يا سيدى عن التفكير في المجتمع . ولكنى أعتقد أن للمجتمع واجباته كذلك . كيف يجرؤ العلم ورأس المال أن يدفع بهذه المخترعات إلى العمل قبل أن يُعَلِّمَ المجتمع جيلا يستطيع استخدام هذه الآلات ؟

بيرنـــك : عندما اكتشفت الطباعة فقد كثير من الكتبـــة أعمالهم .

أون : هل كان يعجبك هذا الاختراع يا سيدى لو كنت كاتبا في تلك الأيام ؟

بيرنـــك : لم أستدعك هنـــا لتجـــادل . أرسلت في طلبك

لأخبرك بأن السفينة التالفة « الفتاة الهندية » يجب أن تكون معدة للابحـــار بعد غد .

أون : ولكـــــن يا سيدى . . .

بيرنــك : اسمعنى : بعد غد . في نفس الوقت مـــع سفينتنا . ولا ساعة تأخير . لدى مبرراتي فـــى استعجال الموضوع . هل قرأت صحيفة الصباح ؟ أنت تعرف أن الأمريكيين يثيرون المتاعب من جديد . هذه العصابة المشاغبة تزعج المدينـــــة بأسرها . لا تمر ليلـــة واحـــدة دون عراك في الحانات وفي الشوارع . أما سلوكهم الشائن في نواح أخرى فلن أتكلم فيه .

أون : نعم . هذا صحيح . انهم حفنة سيئة .

بيرنــك : ومن يقع عليه اللوم لهذه المضايقات ؟ أنا . نعم اللائمـــة كلها تقع علىّ . رجال الصحافة هؤلاء يلوموننا بطريق غير مباشرة لاستخدام كـــــل مواردنا من أجل « شجرة النخيل » وأنا الذى هدفه في الحياة التأثير في بنى وطنى بأن يحذوا حذوى ـ أجد لزاما علىّ أن أدع مثل هذه الأشياء تقذف في وجهى . لا أتحمل هذا . لايمكن أن أسمح لاسمى أن يلطخ هكـــذا .

أون : اسمك من الجودة لدرجة أنه يتحمل ذلك بل أكثر يا سيدى .

بيرنــك : ليس في الوقت الحاضر . الآن أنا في حاجة إلى

كل احترام بنى وطنى وحسن ظنهم بي . أمامى مشروع ضخم كما سمعت . ولكن إذا نجح ذوو النوايا السيئة في زعزعة ما لدى من ثقة فقد يورطنى ذلك في مشاكل كثيرة . ولذا فاني اعتزم أن أوقف رجال الصحافة هؤلاء ونقدهم الخبيث بأى ثمن . ولذا فاني حددت أقصى موعد ببعد غد

أون : ويمكنك أن تحدد الموعد ببعد ظهر اليوم يا سيدى

بيرنك : تعنى أني أطلب المستحيل ؟

أون : نعم . بما لدينا من عمال الآن .

بيرنك : حسن . اذن يجب أن نبحث في أماكن أخرى .

أون : هل حقا ستستغنى عن المزيد من العمال القدامى ؟

بيرنك : لا . لا أفكر في ذلك .

أون : لأني أعتقد أن ذلك سيثير الضغائن في المدينة ، وفي الصحافة إذا أنت فعلت ذلك .

بيرنك : محتمل تماما . ولذا فلن نفعل ذلك . ولكن إذا لم تنزل « الفتاة الهندية » إلى البحر بعد غد فسأسرحك أنت .

أون : (في فزع) أنا ؟ (يضحك) أنت تمزح يا سيدى.

بيرنك : يحسن بك ألا تظن ذلك .

أون : لا يمكن أن تفكر في الخلاص منى أنا ؟ أنا الذى عمل أبوه وجده في حوض السفن طيلة حياتهما ، وأنا نفسى أيضا . . .

بيرنـــك : ومن الذى يدفعنى إلى ذلك ؟

أون : أنت تطلب المستحيل يا سيدى .

بيرنـــك : « حيث توجد الارادة توجد الوسيلة » . نعم أَوْ لاَ ؟ أجبنى بالتحديد والا سأطردك فورا .

أون : (يقترب خطوة) هل فكرت يا سيدى في معنى طرد عامل قديم ؟ وهل تتوقع منه أن يبحث عن عمل آخر ؟ بالطبع يستطيع أن يفعل ذلك ، ولكن هل هذا كل ما في الأمر ؟ يجب أن تكون في بيت عامل سرح هكذا مساء أن يعود ويضع صندوق العـــدة .

بيرنـــك : أتظن أني أسرحك دون أسى ؟ لم أكن دائما صاحب عمل حصيفا ؟

أون : هذا نفسه عيب يا سيدى . لأنه لهذا السبب لن يلوموك هنا . ولن يقولوا لى شيئا لأنهم لا يجرؤن ولكنهم سينظرون إلىّ دون أن ألاحظ ذلك وقد يقولون لأنفسهم « لا بد أنه هو طلب ذلك » . ان ذلك ما لا يمكننى أن أتحمل . قد أكون فقيرا ولكن ينظر إلىّ على أني كبير العائلة . فمنزلى الصغير عبارة عن مجتمع صغير كذلك يا سيدى . واستطعت أن أعوله وأنفق عليه لأن زوجتى آمنت بي وأطفالى آمنوا بي . والآن سيتلاشى كل شيء .

بيرنـــك : إذا لم يكن هناك بديل فليسلم الصغير للكبير . فرغم كل شيء يجب أن نضحى بالفرد في سبيل

الغالبية . هذا هو الجواب الوحيد الذى أستطيع أن أعطيك إياه ، وهكذا تجرى الأمور في هذا العالم . ولكنك رجل عنيد يا أون ! أنت تعارضنى لا لأنك لا تستطيع أن تقوم بأى عمل آخر ولكن لأنك لا تريد أن تبرهن بأفضلية الآلات على العملى اليدوى .

أون : وأنت تصر على ذلك يا سيدى لأنك تعرف أنك إذا ما طردتنى فستظهر للصحافة على الأقل نواياك الطيبة .

بيرنك : وماذا في ذلك ؟ أنت تسمع ما يصيبنى — من ناحية أن أجعل الصحافة بأجمعها تقوم بالانقضاض علىّ ، ومن ناحية أخرى أن أجعلها تقف منى موقفا طيبا وأنا أعمل من أجل قضية عظيمة ولصالح الشعب . ماذا أفعل ؟ هل أتصرف ازاءها بطريقة غير ما أفعل ؟ أؤكد لك أن المسألة هنا هى عما إذا كان ينبغى علىّ أن أرفع من بيتك كما قلت وبالتالى قد أقضى على المئات من البيوت الجديدة — مئات من البيوت التى قد لا تقام بالمرة ولن تضاء فيها نار إذا لم أوفق في تنفيذ ما أعمل من أجله الآن . ذلك سر اعطائى إياك الخيار .

أون : إذا كان الأمر هكذا فليس لدى ما أضيفه .

بيرنك : يا عزيزى أون : يؤسفنى جدا أن نفترق .

أون : لن نفترق يا سيدى .

بيرنـــك : مـــــاذا ؟

أون : حتى العامل لديه ما يدفع عنه في هذا العالم !

بيرنـــك : صحيح جدا . صحيح جدا . وتعتقد إذن أنك تستطيع أن تعد . . . ؟

أون : « الفتاة الهندية » يمكن أن تبحر بعد غد . (ينحنى ويتجه نحو اليمين)

بيرنـــك : أها ! استطعت أخيرا أن أجعل هذا العنيـــــد يستسلم .

(يدخل هلمار تونسن من بوابة الحديقة وفي فمـــه سيجار) .

هلمار تونسن : (على الدرج) صباح الخير يا بتى . صباح الخير يا بيرنـــك .

السيدة بيرنك : صباح الخـــــير .

هلمار تونسن : أرى أنك كنت تبكين . أنت عرفت الموضوع إذن ؟

السيدة بيرنك : أى موضوع ؟

هلمار تونسن : أن الفضيحة انتشرت تماما ؟

بيرنـــك : ماذا تعنى ؟

هلمار تونسن : (يدخـــل) يتجـــول الأمريكيان في الشوارع يستعرضان نفسيهما مع دينـــا دورف .

السيدة بيرنك : (تتبعه) ولكن ــ هل يمكن يا هلمار أن . . .

هلمار تونسن : نعم . من سوء الحظ . ان الأمر صحيح تماما ؟

وكانت لونا من الحماقـــة لدرجة أنها نادت عليّ ولكني بالطبع تظاهرت بأني لم أسمع .

بيرنـــك : وبالطبع لم يمر الحادث دون أن يلفت النظر . .

هلمار تونسن : لا . تأكد أن ذلك لن يمر . لقد توقف المارة وحملقوا فيهم . ويبدو أن الخبر انتشر في المدينة انتشار النار الهشيم — مثل نار في البراري الغريبة . وأطل الناس من نوافذ البيوت كلها ينتظرون مقدم الموكب — يلصقون خدودهم وراء الستائر المعدنية . أوه ! معذرة يا بتى . أقول « أوه » لأن كل هذا يشد أعصابي . إذا ما استمر ذلك فاني سأفكر في الرحيل .

السيدة بيرنك : ولكن كان ينبغى عليك أن تتحدث إليه وتبين له أن . . .

هلمار تونسن : في عرض الشارع ؟ لا . شكرا لك — حقا ! هذا الشخص — رغم كل شيء — يجرؤ على أن يظهر هنا في المدينة ! سنرى إذا ما كانت الصحافـــة ستراقبه . نعم . أنا آسف يا بتى ، لكن . . . .

بيرنـــك : تقول الصحافة ؟ هل سمعت أى تلميح لذلك ؟

هلمار تونسن : نعم . . . عندما تركتكم بالأمس مشيت إلى النادى لأني لم أشعر بارتياح . وفهمت من السكوت المفاجىء أنهم كانوا يناقشون موضوع الأمريكيين ثم أتى هذا الوقح هامر — المحرر الصحفى — وهنأني على عودة ابن عمى الغنى .

بيرنـــك : الغـــنى . . . ؟

هلمار تونسن : نعم . هذا ما قاله . فنظرت إليه من أعلى إلى أسفل بنظرة يستحقها فعلا وأفهمته بأني لا أعرف شيئا عن ثروة جوهان تونسن فقال « هذا غريب حقا . في أمريكا عادة ما يثرى الرجال إذا كان لديهم ما يبدءون به ومع ذلك لم يذهب ابن عمك إلى هناك خالى الوفاض » .

بيرنـــك : أرجوك لا . . .

السيدة بيرنك : (في ضيق) هكذا ترى يا كارستن . . .

هلمار تونسن : على أى حال : لم أنم ليلـــة أمس بسبب ذلك الشخص . وهو هناك يتجول في الشوارع كما لو كان بريئا تماما . لماذا لم يختف إلى الأبد ؟ هذا أمـــر لا يحتمـــل — كيف يتشبث بعض الناس بالحيـــاة !

السيدة بيرنك : بحق السماء يا هلمار ! ماذا تقول ؟

هلمار تونسن : أنا لا أقول شيئا . ولكنه يفلت سليما معـــافى من حوادث السكة الحديد وهجمات الدببـــة في كليفورنيا وكذلك من الهنود الحمر . . حتى أنه لم يخدش ! أوه ! ها هم قد أتوا .

بيرنـــك : (ينظر إلى الشارع) وأولاف معهم كذلك .

هلمار تونسن : بالطبع : يريد أن يذكرا الناس بأنهما ينتميان إلى أرقى أسرة في المدينة . انظرا ! انظرا ! هناك يخرج كل المتسكعين من الحوانيت يحملقون فيهم

ويلقون بتعليقاتهم . هذا حقا كثير على أعصابي .
كيف يمكن للمرء أن يبقى علم المثالية مرفرفا
تحت هذه الظروف . . . !

بيرنـــك : انهم قادمون إلى هنا مباشرة . اسمعى يا بنى .
لى رغبة خاصة في أن تعامليهما بمنتهى الود .

السيدة بيرنك : وهل ستسمح لى فعلا يا كارستن ؟

بيرنـــك : بالتأكيد — بالتأكيد . وأنت كذلك يا هلمار .
لن يستمرا هنا طويلا وعندما نكون بمفردنـــا
معهما لا داعى لأى تلميح . يجب ألا نقوم بأى
شيء يجرح شعورهما .

السيدة بيرنك : يا لك من رائع يا كارستن !

بيرنـــك : لاتبالى بذلك .

السيدة بيرنك : لا . بل دعنى أشكرك . وأغفر لى غضبى السابق .
كان لك كل الحق في أن . . . .

بيرنـــك : أقول لك هذا يكفى !

هلمار تونسن : أوه !

(يدخل من باب الحديقة جوهان تونسن ودينا
ومن ورائهما الآنسة هسل ثم أولاف)

الآنسة هسل : صباخ الخير . صباح الخير ياأحبائي .

جوهان تونسن : كنا في المدينة نتفرج على الأماكن القديمة يا كارستن

بيرنـــك : نعم . بلغنى ذلك . تغيرات كثيرة . . أليس كذلك

بيرنـــك : نعم .بلغنى ذلك .تغيرات كثيرة . .أليس كذلك؟

الآنسة هسل : أعمال السيد كارستن العظيمةالطيبة في كل مكان. كنا هناك في الحدائق العامة التى أهديتها الى المدينة . . . .

بيرنـــك : هناك ؟

الآنسة هسل : « هدية كارستن بيرنك » كما تقول على المدخل . نعم . أنت الرجل الذى يفعل كل شيء هنا .

جوهان تونسن : وعندك بعض السفن الجميلة كذلك . لقد التقيت بزميل المدرسة القديم : قائـــد السفينة « شجرة النخيل » .

الآنسة هسل : نعم . وشيدت مدرسة كذلك وسمعت أنك الذى مد أنابيب الغاز والماء .

بيرنـــك : يجب أن يعمل المرء من أجل المجتمع الذى يعيش فيه .

الآنسة هسل : هذا لطف كبير منك . ولكنها متعة كذلك أن نرى كيف يقدرك الناس . لا أعتقد أني مغرورة ولكنى لم أقاوم لفت نظر واحد أو اثنين من الناس أعتقد أني مغرورة ولكنى لم أقاوم لفت نظر واحد أو اثنين من الناس تحدثنا اليهم أننا ننتمى الى العائلة .

هلمار تونسن : أوه !

الآنسة هسل : هل تقول « أوه ! » بسبب ذلك ؟

هلمار تونسن : لا . لقد قلت « احم » .

الآنسة هسل : افعل . . اذا شئت . . أيها المسكين . ولكنكم بمفردكم اليوم ؟

السيدة بيرنك : نعم . نحن وحدنا اليوم .

الآنسة هسل : على فكرة . لقد قابلنا واحدة أو اثنتين من الأخوات الفاضلات » في السوق . وكان يبدو عليهما الانشغال . ولكن لم نوفق في التحدث اليهن برقة . بالأمس كان هنا أولئك الرواد الثلاثة في مد السكة الحديد ثم أتي الواعظ . . .

هلمار تونسن : المدرس . . .

لآنسة هسل : أنا أسميه الواعظ . ولكن مارأيك في عملى أنا الآن .. هذه الخمس عشرة سنة؟ ألم يصبح شخصا لطيفا ؟ من يستطيع التعرف على ذلك الشخص الطائش الذى هرب من وطنه ؟

هلمار تونسن : احم . . . .

جوهان تونسن : لاتباهى كثيرا يالونا .

الآنسة هسل : لا . بل أنا فخور حقا بذلك . يعلم الله أن هذا هو الشيء الوحيد الذى فعلته في هذا العالم ولكن هذا يعطيني الحق في أن أكون هنا . نعم ياجوهان : عندما أفكر كيف بدأنا سويا هناك . . بأربعة مخالب فقط . . . .

هلمار تونسن : أيد .

الآنسة هسل : أقول مخالب . كانت وضيعة تماما . . . .

هلمار تونسن : أوه !

الآنسة هسل : وخاوية كذلك .

هلمار تونسن : خاوية ! عجبا . . . . !

الآنسة هسل : ماالعجب في ذلك ؟

هلمار تونسن : عجبا ! أوه !

(يخرج الى درج الحديقة)

الآنسه هسل : ماذا أصاب هذا الرجل ؟

بيرنـــك : لاتلق بالا . انه عصبي بعض الشيء هذه الأيام ولكن ألا تحبين أن تتجولى قليلا في الحديقة

الآنسة هســـل : بلى . أحب ذلك . صدقنى أني كنت دائما معك في هذه الحديقة كثيرا بأفكارى .

السيدة بيرنك : ستجدين أن تغيرات كثيرة طرأت هناك كذلك . (يخرج بيرنك وزوجته والآنسة هسل إلى الحديقة حيث يمكن أن يروا من وقت إلى آخر أثنـــاء الحديث التالى) .

أولاف : (على باب الحديقة) يا خالى هلمار : أتدرى ما طلب مى حالى جوهان ؟ سألنى إذا كنت أحب أن أذهب معه إلى أمريكا .

هلمار تونسن : أنت : أنت أيها الأحمق الصغير ـ الذى تتحرك وأنت ملتصق تماما بأمك !

أولاف : نعم . ولكنى لن أفعل ذلك ثـــانية . ســـترى عندما أكبر . . .

هلمار تونسن : هراء ! ليس لديك أى رغبة ملحة للمؤثرات الدافعـــة لـ . . . .

(يخرجان معا إلى الحديقـــة)

جوهان تونسن : (يخاطب دينا التى خلعت قبعتها وتقف في المدخل إلى اليمين تزيل التراب عن ثيابها) لقد ملأتك المشية حرارة .

دينـــا : نعم . لقد كانت فسحة ممتعة . لم استمتع بمثل هذه المشية من قبل .

جوهان تونسن : ربما لا تخرجين كثيرا للتنزه في الصباح ؟

دينـــا : بل أفعل ولكن مع أولاف فقط .

جوهان تونسن : أفهم . ربمـــا تفضلين أن تنزلى إلى الحديقة عـــلى أن تظلى هنـــا .

دينـــا : لا . بل أفضل البقاء هنـــا .

جوهان تونسن : وأنا كذلك . وهكذا اتفقنا على أن نخرج للنزهة هكذا كل صباح .

دينـــا : لا ياسيد تونسن . يجب ألا تفعل ذلك .

جوهان تونسن : ما الذى يجب ألا أفعله ؟ لقد وعدتنى .

دينـــا : نعم . ولكنى أعتقد أن الأمر انتهى الآن . أنا ــ أنت لا تستطيع أن تخرج معـــــى .

جوهان تونسن : ولم لا ؟

دينـــا : بالطبع . أنت غريب ــ لا تستطيع أن تفهم . ولكنى سأخبرك . . .

جوهان تونسن : مــــــاذا ؟

دينـــا : لا . أفضل ألا أتحدث في الموضوع .

جوهان تونسن : بل أفعلى . تستطيعين أن تتحدثي معى في أى شيء .

دينـــا : يجب أن أوضح . . . أنا لست مثل غيرى من البنات . هناك شيء — شيء يتعلق بي . ذلك سر أنك لا تسطيع .

جوهان تونسن : ولكنى لا أستطيع أن أفهم شيئا مـــن هذا . هل قمت بشيء خطأ ! ؟

دينـــــا : لا . لم أفعل شيئا بنفسى ولكن — لا . لن أتحدث عن ذلك مرة أخرى . ولكن عليك أن تعرف ذلك من الآخـــرين .

جوهان تونسن : احم .

دينـــــا : ولكن هناك شيئا آخر أردت أن أسألك عنه .

جوهان تونسن : وما هـــو ؟

دينـــا : هل من السهل أن يستطيع المرء أن يكون ذا أهمية هناك في أمريكا ؟

جوهان تونسن : ليس الأمر دائما سهلا تماما . على المرء غالبا أن يعاني كثيرا ويكد في بادىء الأمـــر .

دينـــا : نعم . أنا مستعدة أن أفعل ذلك عن طيب خاطر .

جوهان تونسن : أنت ؟

دينـــا : أستطيع أن أعمل . أنا قوية وصحيحة البـــــدن ولقد علمتنى العمة مارتا الكثير .

جوهان تونسن : ولماذا اذن لا تأتين معنا ؟

دينـــا : أنت تمزح . لقد قلت ذلك إلى اولاف كذلك .

ولكن هذا ما أردت أن أعرف ــ إذا كان الناس هناك فضلاء فعلا ؟

جوهان تونسن : فضلاء ؟

دينــا : نعم . أعنى ــ هل هم مستقيمون ومحترمون كما هم هنــا ؟

جوهان تونسن : على أى حال انهم ليسوا من السوء كما يظنهم الناس هنا . لا داعى لأن تخشى ذلك .

دينــا : أنت لا تفهمنى . ما أريده أنهم لا ينبغى أن يكونوا فضلاء ومستقيمين كثيرا .

جوهان تونسن : لا ؟ ماذا تريدينهم أن يكونوا اذن ؟

دينــا : أريدهم أن يكونوا طبيعيين .

جوهان تونسن : نعم . ربما هم كذلك تماما .

دينــا : اذن سيكون أمرا رائعا لى إذا استطعت أن أذهب إلى هناك .

جوهان تونسن : بالتأكيد . لذا يجب أن تأتي معنــا .

دينــا : لا أريد أن أذهب معك . أريد أن أذهب وحدى . سأفيد من ذلك . سرعان ما سأكون على ما يرام .

بيرنــك : (يقف عند أسفل درج الحديقة مع السيدتين) ابقى كما أنت . ابقى كما أنت . سأحضره يــا عزيزتي بتى ، فقد تصابين بالبرد . (يدخل الحجرة ويبحث عن شال زوجته) .

السيده بيرنك : (في الحديقة) يجب أن تأتي كذلك يا جوهان اننا ذاهبون إلى الغار .

بيرنــك : لا . جوهــان يجب أن يبقى هنــا للحظــة . دينــا : شال زوجتي – واذهبي معهم . جوهان سيبقى معي يا عزيزتي بنتي . أريد أن أعرف كيف تجرى الأمور هناك .

السيدة بيرنك : حسن . تعال والحق بنا إذن . أنت تعرف أين تجدنــا .

(تخرج السيدة بيرنك والآنسة هسل ودينا من الحديقة إلى اليسار . يراقبهن بيرنك للحظة ويخرج ويغلق الباب الأبعد إلى اليسار ثم يذهب إلــى جوهان ويمسك بكلتا يديه متشابكا ويهزهما) .

بيرنــك : يا جوهان نحــن الآن بمفــردنا – اسمح لى أن أشكرك .

جوهان تونسن : هــراء !

بيرنــك : منزلى وبيتى – سعادة حياتي العائلية . وضعى بأكمله كمواطن في هذا المجتمع – اني أدين بذلك كله لك .

جوهان تونسن : هذا يسرني يا عزيزى كارستن . . اذن نتــج بعض الخير عن هذا العمل السخيف رغم كل شيء .

بيرنــك : (يقبض على يديه ثانية) شكرا لك ! شكرا لك على أى حال ! لم يكن واحد في الألف مــن الرجال ليفعل من أجلى ما فعلت في ذلك الوقت .

جوهان تونسن : هذا الموضوع لا يستحق الذكر ! ألم نكن كلانا

شابين لا يقدران المسئولية ؟ على أى حال كان لزاما على أحدنا أن يلقى عليه اللوم .

بيرنـــك : ولكن هذا العمل كان يخص منْ إنْ لم يخص المذنب ؟

جوهان تونسن : لا ! في تلك المناسبة كانت مهمة البرىء منا . كنت آنذاك حرا ومستقلا ولم يكن لى أقارب . كانت نعمة كبيرة علىّ أن أفلت من طاحونة العمل في المكتب . وأنت من جانبك كانت أمك العجوز ما زالت على قيد الحياة ، وبجانب ذلك ارتبطت سرا ببتى وكانت متعلقة بك . ماذا كان يمكن أن يحدث لها لو عرفت . . . ؟

بيرنـــك : حقا . حقا . لكـــن . . .

جوهان تونسن : وألم يكن ذلك من أجـــل بتى نفسها أنك قطعت تلك العلاقة بالسيدة دورف ؟ ومع ذلك من أجل أن تقطع علاقتك بها بطريقة مهذبة كنت في بيتها ذلك المساء . . .

بيرنـــك : نعم . تلك الليلة اللعينة عندما عاد ذلك الشخص المخمور إلى بيته ! نعم يا جوهان . كان ذلك من أجل بتى ، ولكن رغم ذلك . . . . كم كنت رائعـــا عنـــدما اشترت كل الناس عليك ورحلت . . .

جوهان تونسن : لا تكن بهذه الحساسية يا عزيزى كارستن ! لقد اتفقنا على أن تسير الأمور بتلك الطريقة . كان

لا بد من انقاذك وكنت صديقي . لقد كنت فخورا جدا بتلك الصداقة ! كنت أكدح وحدى كالعقيد البائس — وكنت أنت عائدا من جولتك الكبرى بالخارج سيدا فاضلا مرموقا . كنتَ في لندن وباريس . ثم اخترتني صديقا رغم أني كنت أصغرك بأربع سنوات . نعم . لأنك كنت تغازل بتى . أدرك ذلك الآن . ولكن كم كنت فحورا بتلك الصداقة ! ومن كان بوسعه الا يفعل ؟ من كان بوسعه ألا يضحى بنفسه من أجلك ؟ ولا سيما أنها كانت معناها شائعات لمدة شهر وتنطوى على فرصة للهرب إلى العالم الواسع .

بيرنـــك : عزيزى جوهان : أقولها لك صراحـــة أن تلك الحادثة لم تنس تماما حتى الآن .

جوهان تونسن : حقا ؟ وماذا يهمنى بعد أن يستقر بي المقام هناك في مزرعة . . . .

بيرنـــك : ستعود اذن ؟

جوهان تونسن : بالطبع .

بيرنـــك : ولكن آمل أن يكون بهذه السرعة .

جوهان تونسن : بأسرع مايمكن . لم أحضر الى هنا الا لأرضى لوناه

بيرنـــك : وكيف كان ذلك ؟

جوهان تونسن : لونا لم تعد صغيرة وانتابها مؤخرا نوع من الحنين للوطن وان كانت لم تعترف بذلك مطلقا . (يبتسم) كيف كانت لتجرؤ على أن تترك مخلوقا طائشا

مثلى وراءه وبمفرده ؟ أنا الذى في سن التاسعة عشرة اختلط بـ . . . .

بيرنــك : وبعد وذلك ؟

جوهان تونسن : ياكارستن : سأعترف لك بشى أخجل منه .

بيرنــك : هل أخبرتها بالقصة الحقيقية ؟

جوهان تونسن : نعم فعلت . كان ذلك خطأ منى ولكن لم أستطع أن أتفادى ذلك . لم تستطع أنت أن تتحملها مطلقا ولكنها هى أم بالنسبة لى . في تلك الأيام الأولى عندما عانينا كثيرا كان تعمل بكل جد . وعندما مرضت لفترة طويلة ولم أستطع أن أكسب شيئا ولم أستطع أن أمنعها احترفت الغناء في المقاهى . وألقت بعض المحاضرات التى أثارت سخرية الناس ، وألفت كتابا ضحكت منه وبكت عليه بعد ذلك . . كل ذلك من أجلى أن تقيم أودى . هل كنت أستطيع أن أراها في الشتاء الماضى تغنى حنينا للوطن بعد أن ناضلت هكذا من أجلى ؟ لا . لم أستطع أن أفعل ذلك ياكارستن ولذا قلت « اذهبى أنت يالونا . لاداعى لأن تقلقى علىّ . لست طائشا كما تتصورين » وهكذا عرفت الحقيقة

بيرنــك : وكيف تلقها ؟

جوهان تونسن : كانت وجهة نظرها (وهى على حق) . ولكن اطمئن : لونا لن تبوح بشىء وأنا سأصون لساني أكثر في المرة القادمة .

بيرنـــك : نعم . نعم . أنا أعتقد على ذلك .

جوهان تونسن : هاك يدى . والآن دعنا لانتكلم عن ذلك الموضوع القديم ثانية . من حسن الحظ أعتقد أنها الحماقة الوحيدة التي تورطنا فيها وسأستمتع بما تبقى لى من أيام قليلة هنا . من كان يتصور تلك القردة الصغيرة التي جرت هنا وهناك ولعبت دور الملائكة في المسرح ! ولكن خبرني يارجل : ماذا جرى لأبوتها بعد ذلك ؟

بيرنـــك : ياعزيزى جوهان ليس لدى ماأخبرك به بخلاف ماكتبت لك مباشرة بعد رحيلك . هل تسلمت الخطابين ؟

جوهان تونسن : نعم . تسلمتهما كليهما . هذا الخنزير السكير هرب منها أليس كذلك

بيرنـــك : ثم دق عنقه بعد ذلك وهو مخمور .

جوهان تونسن : وهى الأخرى ماتت بعد ذلك ؟ ولكن بالطبع أنت فعلت كل شيء من أجلها دون أن تثير الانتباه ؟

بيرنـــك : كان بها كبرياء . لم تبح بشيء وماكانت لتقبل شيئا .

جوهان تونسن : على أى حال . فعلت خيرا بأن أويت دينا في بيتك

بيرنــك : نعم . هذا صحيح . ولكن في الوقع ان مارتا هى التى كانت مسئولة عن ذلك .

جوهان تونسن : اذن هى مارتا ؟ نعم . هذا يذكرني . . أين مارتا اليوم ؟

بيرنــك : آه . . . هى ؟ عندما لاتذهب الى مدرستها فانها تزور مرضاها .

جوهان تونسن : اذن مارتا هى التى رعتها ؟

بيرنــك : كانت مارتا دائما ضعيفة أمام التعليم . هذا سر تقبلها وظيفة فيمدرسةالمجلس . كانت حماقة منها

جوهان تونسن : نعم . كانت تبدو منهوكة بالأمس . أعتقدأن صحتها لاتتحمل ذلك العمل .

بيرنــك : بالنسبة لصحتها أعتقد أنها تستطيع القيام به . ولكن الأمر يسبب لى الحرج . يبدو كما لو أني . . لأرغب في الانفاق عليها .

جوهان تونسن : تنفق عليها ؟ ظننتأن لديها مايكفيها . . . .

بيرنــك : ولابنس . تعرف كم كان عصيبا بالنسبة لأمى عندما رحلت . لقد دبرت أمورها لفترة بمساعدتي ولكن بالطبع ماكان في استطاعتى أن استمر هكذا الى الأبد ولذا دخلت الشركة . ولكن هذا العمل هو الآخر لم يكن موفقا فاضطررت للسيطرة على العمل كله . وعندما عملنا الميزانية تبين أنه لم يتبق شيء من نصيب أمى . وبما أن

أمى توفيت بعد ذلك مباشرة فبالطبع لم يبق شيء لمارتا .

جوهان تونسن : مارتا المسكينة !

بيرنـــك : المسكينة ! لماذا ؟ أخشى أن تظن أني تركتها في حاجة الى شيء . لا . أستطيع أن أؤكد لك أني أخ طيب . فهى تقيم معنا بالطبع وتأكل على مائدتنا . وتستطيع بسهولة أن تكسو نفسها من مرتبها كمدرسة . . وكأمرأة بمفردها . . فماذا تحتاج أكثر من ذلك ؟

جوهان تونسن : نحن لانفكر بهذه الطريقة في أمريكا .

بيرنـــك : لا . أستطيع أن أصدق ذلك في مجتمع ثورى مثل أمريكا . ولكن هنا في عالمنا الصغير حيث . . . ولله الحمد . . لم يغزنا الفساد . . حتى الآن . . على أى حال . . هنا نجد أن النساء يقنعن بوضع ملائم محتشم . وبالاضافة الى ذلك فانها غلطة مارتا . كان يمكنها أن تكون في رغد من العيش من مدة طويلة لو هى أرادت ذلك .

جوهان تونسن : تعنى لو أنها كانت تزوجت ؟

بيرنـــك : نعم . كان يمكنهاأن تستقر في راحة تامة . ومن العجيب أنها تلقت عروضا طيبة عديدة . . . رغم أنها امرأة لادخل خاصا بها ولم تعد شابة بل وليست متميزة .

جوهان تونسن : ليست متميزة ؟

بيرنـــك : أنا لاأتخذ ذلك نقطة ضدها . ولاأريدها بتاتا أن تكون غير ذلك أنت تعرف أنه في منزل كبير مثل منزلنا من الملائم دائما أن يكون هناك شيء عادي يمكن أن يتولى أمر أى شيء قد يحدث .

جوهان تونسن : نعم . ولكن هى نفسها ؟

بيرنـــك : هى ؟ ماذا تعنى ؟ بالطبع هناك الكثير الذى قد يشغلها . فعندها دينا وبتى وأولاف و . . . . أنا . يجب على الناس ألا يفكروا أولا في أنفسهم ولا سيما النساء . كلنا أمامنا مجتمع كبير أو صغير علينا أن ندعمه ونعمل من أجله . أنا بالتأكيد عندى مجتمعى على أى حال . (يشير الى كراب الذى دخل لتوه من اليمين) أمامك مثال حى . هل تظن أن أعمالى الخاصة هى التى تلتهم كل وقتى ؟ مطلقا . (بسرعة الى كراب) حسن ؟

كـــراب : (يريه كومه من الأوراق – برفق) كل عقود المشتروات مرتبة .

بيرنـــك : ممتاز ! رائع ! والآن ياصديقى العزيز استميحك عذرا للحظة (بهدوء ويصافحه) شكرا لك . شكرا لك ياجوهان . وتأكد أني مستعد لأعمل مافي وسعى لخدمتك . . أنت فاهم . هيا ياسيد كراب (يدخلان حجرة بيرنك) .

جوهان تونسن : (يتابع بيرناك بنظرة للحظة) احم .

(على وشك أن يدخل الحديقة . وفي هذه اللحظة

تدخل الآنسة بيرنك من اليمين تحمل على ذراعها سلة صغيرة)

جوهان تونسن : مرحبا يامارتا .

الآنسة بيرنك : جوهان ! أهو أنت ؟

جوهان تونسن : وأنت خرجت مبكرة أيضا ؟

الآنسة بيرنك : نعم . لو انتظرت لحظة سيأتي الآخرون حالا .

(على وشك أن تخرج الى اليسار)

جوهان تونسن : اسمعي يامارتا : هل أنت دائما على عجل ؟

الآنسة بيرنك : أنا ؟

جوهان تونسن : بالأمس ابتعدت عني فلم أستطع أن أتحدث إليك واليوم . . .

الآنسة بيرنك : نعم ولكن . . .

جوهان تونسن : كنا دائما معا في الماضي . كنا نلعب سويا .

الآنسة بيرنك : كان هذا منذ زمن بعيد .

جوهان تونسن : منذ خمسة عشر عاما لا أكثر ولا أقل . هل تظنين أني تغيرت كثيرا اذن ؟

الآنسة بيرنك : أنت ؟ نعم . وأنت كذلك رغم أن . . .

جوهان تونسن : ماذا تعنين ؟

الآنسة بيرنك : لا شيء . . . .

جوهان تونسن : يبدو أنك لم تغتبطي كثيرا لرؤيتي ثانية !

الآنسة بيرنك : لقد انتظرت طويلا يا جوهان ــ طويلا جدا .

جوهان تونسن : انتظرت ؟ انتظرتني لكي أعود ؟

الآنسة بيرنك : نعـــــم .

جوهان تونسن : ولماذا ظننت أني سأعود ؟

الآنسة بيرنك : لتصحيح الاهانة التي سببتها ؟

جوهان تونسن : أنا ؟

الآنسة بيرنك : هل نسيت أن امرأة ماتت في عوز وعار بسببك ؟ هل نسيت أن أحسن السنوات لطفلة ناميـــة امتلأت مرارة بسببك ؟

جوهان تونسن : وهل اسمع هذا الكلام منك بالذات ؟ مارتا : ألم يخبرك أخوك . . .

الآنسة بيرنك : ألم يفعـــــل ماذا ؟

جوهان تونسن : ألم ؟ أقصد : ألم ينطق بكلمة واحدة تبرئني ؟

الآنسة بيرنك : أنت تعرف مبادىء كارستن الصارمة .

جوهان تونسن : احم . تماما . اعرف مبادىء صديقي القديم الصارمة . ولكن هذا حقا ــ حسن ! كنت أتحدث إليه لتوى . أعتقد أنه تغير .

الآنسة بيرنك : كيف تقول ذلك ؟ كارستن دائما رجل نادر .

جوهان تونسن : لم أقصد ذلك تماما . ولكن لا تبالى . والآن أدرك خلفية رأيك فيّ . انه الغريب الفاشل العائد الذى كنت تنتظرينه .

الآنسة بيرنك : اسمع يا جوهان : سأخبرك كيف انظر إليك (تشير إلى الحديقة) هل ترى تلك الفتاة التي

تلعب هناك مع أولاف على الحشيش ؟ تلك هى دينا . هل تتذكر ذلك الخطاب المضطرب الذى كتبته إلىّ عندما ذهبت ؟ كتبت أنه يجب علىّ أن أثق بك . لقد وثقت بك يا جوهان . كل تلك الأشياء الخبيثة التى سمعنا عنها بعد أن ذهبت — لا بد أنها من طيش الشباب — ارتكبت دون تفكير وبطريقة جذافية .

جوهان تونسن : ماذا تعنين ؟

الآنسة بيرنك : أنت تفهم جيدا . لا تفتح هذا الموضوع ثانية . ولكن بالطبع كان عليك أن ترحل وتبدأ ثانية حياة جديدة . هل ترى يا جوهان — لقد كنت وكيلتك هنا — أنا — رفيقة صباك . الواجبات التى نسيت أن تؤديها أو عجزت عن تأديتها — لقد أديتها نيابة عنك . اني أقول لك ذلك حتى لا يكون لديك ما تؤنب نفسك عليه . ان الطفلة التى أسيء إليها — لقد أصبحتُ أمّا لها وربيتها كأحسن ما أستطيع .

جوهان تونسن : وأضعتِ حياتك كلها في ذلك . . .

الآنسة بيرنك : لم تضع حياتي . ولكنك تأخرت في المجيء يا جوهان .

جوهان تونسن : مارتا — لو كنت أستطيع أن أخبرك . . . دعيني على أى حال أشكرك على صداقتك المخلصة .

الآنسة بيرنك : (تبتسم بحزن) احم . وهكذا ناقشنا الموضوع

بصراحة يا جوهان : اسكت : شخص ما قادم إلى هنا . وداعا . لا أستطيع . . . والآن . . .

(تخرج من الباب الأبعد إلى الشمال من الخلف تدخل الآنسة هسل من الحديقة ومن ورائها السيدة بيرنــك) .

السيدة بيرنك : (ما زالت في الحديقة) ولكــن بحق السماء يا لونا : فيم تفكــرين ؟

الآنسة هسل : أقول لك دعيني وشأني . يجب أن أتحدث إليه ، وسأفعــل .

السيدة بيرنك : ولكن ستكون هناك فضيحة بشعة . جوهان : هل مازلت هنا

الآنسة هسل : أخرج يافتى . لاتتسكع في الداخل في الجو الفاسد. أخرج الى الحديقة وتحدث الى دينا .

جوهان تونسن : نعم . هذا ماكنت سأفعله .

السيدة بيرنك : لكن . . . .

الآنسة هسل : اسمع ياجون : هل نظرت الى دينا بدقة ؟

جوهان تونسن : نعم . أظن ذلك .

الآنسة هسل : يجب أن تنظر اليها بغرض مايافتى . انها ضالتك .

السيدة بيرنك : ولكن يالونا !

جوهان تونسن : ضالتي ؟

الآنسة هسل : نعم . انظر اليها . . أعني . اذهب !

جوهان تونسن : لابأس . يسرني ذلك كثيرا .

(ينزل الى الحديقة)

السيدة بيرنك : أنت تذهلينني يالونا . هل تعنين ذلك فعلا ؟

الآنسة هسل : نعم . أقسم بروحي . أليست عاقلة صحيحة البدن وأمينة ؟ انها الزوجة التي تناسب جون . انه في حاجة الى واحدة مثلها هناك . انها ستختلف عن أخت عجوز غير شقيقة .

السيدة بيرنك : دينا ! دينا دورف ! تصورى . . . .

الآنسة هسل : اني أفكر أولا وأخيرا في سعادة الفتى . يجب أن أساعده . . هذا أمر مؤكد . انه لايتقن مثل هذا العمل وحده . انه لم يهتم كثيرا بالنساء .

السيدة بيرنك : هو ؟ جوهان ؟ يبدو لى أنه تجمعت لدينا بعض الدلائل السيئة بأن . . . .

الآنسة هسل : لعنة الله على هذه القصة الحمقاء ! أين ذهب كارستن ؟ أريد أن أتحدث اليه .

السيدة بيرنك : لن تفعلى يالونا . . أحذرك !

الآنسة بيرنك : بل سأفعل. اذا أحبها الفتى وهى أحبته . . اذن فليتزوجا . كارستن رجل داهية . لابد أنه سيجد مخرجا . . . .

السيدة بيرنك : وهل تتصورين أن هذا السلوك الأمريكى غير اللائق يمكن أن يتحملوه هنا ؟

الآنسة هسل : هراء يابتى !

السيدة بيرنك : ان رجلا كبيرنك بأرائه الأخلاقية الصارمة . . .

الآنسة هسل : اسمعى : ان آراءه ليست صارمة تماما . . أليس كذلك ؟

السيدة بيرنك : ماذا تجرؤين على القول ؟

الآنسة هسل : اني اتجرأ على القول بأني لاأعتقد أن كارستن أكثر تمسكا بالأخلاقيات من أى رجل آخر .

السيدة بيرنك : اذن بغضك له مازال بمثل هذا العمق ! ولكن ماذا تفعلين هنا اذا لم تكوني لتستطيعين أن تنسى ؟ لاأفهم كيف تجرؤين على مواجهته بعد أن ضايقته مثلما فعلت .

الآنسة هسل : نعم يابتى . لقد فقدت أعصابي في تلك المرة .

السيدة بيرنك : وبالروعة صفحه عنك . . هو الذى لم يخطىء قط ! لأنه لم يطق أن يراك تعقدين الآمال . ولكن منذ ذلك الوقت وأنت تكرهينني أيضا . (تنفجر باكية) كنت دائما تضنين عليّ بالسعادة والآن أتيت هنا لتهدمى كل شيء على رأسى ولتظهرى للمدينة أية عائلة ضممتُ اليها كارستن . نعم . اني أنا المجنى عليها وهذا ماتريدين . هذا خبث منك (تخرج باكية من الباب الأبعد على اليسار)

الآنسة هسل : (تلاحقها بنظرة) بتى المسكينة !

(يأتي بيرنك من حجرته)

بيرنـــك : (وهو مازال عند الباب) نعم . نعم . هذاصحيح ياكراب . هذا مدهش . أرسل عشرين جنيها

لمعونة القحط . (يلتفت) لونا ! (يقترب) هل أنت وحدك ؟ ألن تأتي بتى ؟

الآنسة هسل : لا . هل أنادى عليها ؟

بيرنك : لا . لا . دعيها . يا لونا : لا تدرين كم كنت أتوق لأن أتحدث إليك بصراحة وأن أتوسل إليك لأن تصفحى عنى .

الآنسة هسل : اسمع يا كارستن . لا داعى لأن نكون عاطفيين . هذا لا يناسبنا .

بيرنك : يجب أن تصغى إلىّ يا لونا . أعرف كيف أن كل الظواهر ضدى بعد أن سمعت كل شيء عن أم دينا . ولكنى أقسم لك أنها كانت مجرد نزوة عابرة . لقد أحببتك فعلا ذات مرة – بصدق وبأمانة .

الآنسة هسل : ماذا تظن سبب مجيىء إلى هنا ؟

بيرنك : مهما كان في ذهنك من أفكار أتوسل إليك ألا تفعلى شيئا قبل أن أبرىء نفسى . أستطيع أن أفعل ذلك يا لونا على أى حال . أستطيع أن أدافع عن نفسى .

الآنسة هسل : الآن أنت ترتعد . تقول انك أحببتنى ذات مرة . نعم . لقد أكدت لى ذلك وكثيرا في خطاباتك . وربما كان ذلك صحيحا كذلك بطريقة ما طالما كنت تعيش هناك في عالم حر أعطاك الشجاعة لأن تفكر بحرية وبطريقة عظيمة . ربما

وجدت فيّ الشخصية والارادة والاستقلال الذى لا تجده في معظم الناس هنا . ثم بالطبع كان هذا سرا بيننا الاثنين . لم يكن هناك من يستطيع أن يسخر من ذوقك الردىء .

بيرنـــك : ولكن يا لونا : كيف تظنين . . .

الآنسة هسل : ولكن عندما عدت وعندما سمعت بالاحتقار الذى انهـــال عليّ وتلقيت السخرية مما أسموه بشذوذى . . .

بيرنـــك : لقد كنت حمقاء في تلك الأيام .

الآنسة هســـل : لأضايق أولئك المتحذلقين من الجنسين الذين ابتليت بهم المدينة. وعندما قابلت تلك الممثلة الجذابة.

بيرنـــك : كان هذا من قبيل لفت الأنظار لا أكثر . أقسم لك لم يكن عشر تلك الشائعـــات والفضائـــح صحيحا .

الآنسة هسل : ربما . ولكن عندئذ عندما عادت بتى مشرقة جميلة يعبدها الجميع وعندما أصبح معروفا أنها حصلت على أموال العمة ولم أحصل أنا على أى شىء . . .

بيرنـــك : هنا النقطة الهامة يا لونا . والآن ستسمعين الحقيقة الواضحة . لم أكن أحب بتى في ذلك الوقت . لم أنفصل عنك بسبب علاقة جديدة . كان ذلك من أجل المال . كنت مضطرا لذلك . كان عليّ أن أضمن المال .

الآنسة هسل : وتقول ذلك في وجهي ؟

بيرنك : نعم . أفعل ذلك . أنصتي إلى يا لونا . .

الآنسة هسل : ومع ذلك كتبت إلىّ لتقول بأن حبا لبتى لا يقاوم قد تملكك وتوسلت إلى كرمى ورجوتنى من بتى ألا أقول شيئا عما كان بيننا . . .

بيرنك : كنت مضطرا لذلك — أؤكد لك .

الآنسة هسل : اذن بحق الله أنا لست نادمة على أني فقدت أعصابي ذلك اليوم .

بيرنك : دعيني أشرح — ببرود وهدوء — الوضع في تلك اللحظة . كانت أمى — كما تذكرين — رئيسة المزرعة ولكنها لم تكن تعرف شيئا عن ادارة العمل فاستدعيت من باريس على عجل . وكانت فترة حرجة . كان ينتظر منى أن أسوى الأمور ولكن ماذا وجدت ؟ وجدت ما يجب أن يظل سرا دفينا : وجدت العمل مدمرا تماما . نعم : مدمر تماما — ذلك المنزل القديم المحترم الذى دام لثلاثة أجيال . ماذا كان في وسعى أن أفعل — وأنا الولد الوحيد — الا أن أتلفت حولى علىّ أجد وسيلة لانقاذه ؟

الآنسة هسل : اذن أنت أنقذت بيت آل بيرنك على حساب امرأة .

بيرنك : تعرفين جيدا أن بتى كانت تحبنى .

الآنسة هسل : وأنا ؟

بيرنــك : صدقيني يا لونا : ما كنت ستسعدين معي .

الآنسة هســل : أكان حرصا منك على سعادتي أن لفظتني ؟

بيرنــك : هل تعتقدين أني فعلت ما فعلت بدافع الأنانية ؟ لو كنت بمفردي في ذلك الوقت لبدأت من جديد بمرح ودون خوف . ولكن ليس لديك فكرة كيف أن رئيس عمل كبير يصبح – تحت ضغط مسئولياته الهائلة – جزءا من التركة . هل تدرين أن سعادة أو بؤس المئات – بل الآلاف – تتوقف عليه ؟ ألا تدركين أن كل هذا المجتمع – الذي نعتبره – أنت وأنا – كبيتنا – كان سيقع في ورطة كبيرة لو سقط بيت آل بيرنك ؟

الآنسة هسل : وهل كذلك من أجل المجتمع أنك تعيش عــلى أكذوبة لخمس عشرة سنة ؟

بيرنــك : على أكذوبــة ؟

الآنسة هسل : ماذا تعرف بتي عن كل ما وراء زواجها منك والذى حدث قبل هذا الزواج ؟

بيرنــك : وهل تتصورين أن بامكاني المساس بشعورها دون داع بأن أكشف عن هذه الأشياء لها ؟

الآنسه هسل : تقول دون داع ؟ حسن . أنت رجل أعمــال . طبعــا يجــب أن تفهم ما يحقق هدفك . ولكن أنصت إليّ يا كارستن . أنا الآخرى سأتكلم ببرود وهدوء . خبّرني : هل أنت سعيد رغم هذا ؟

بيرنـــك : تقصدين في حياتي العائلية ؟

الآنسة هسل : نعم بالطبـــع .

بيرنـــك : نعم . أنا سعيد يا لونا . لم تكن دون جدوى ـ تلك التضحية التي قمت بها من أجلى . أستطيع أن أقول بصدق أن سعادتي تزداد عاما بعد عام . ان بتى طيبة وطيعة . والطريقة التي تعلمت بها بمرور السنين أن تؤقلم شخصيتها على ما أتصف به . . .

الآنسة هسل : احـــم .

بيرنـــك : في البداية كانت لديها أفكار خيالية عن الحب ، لم تسع أن تستسيغ فكرة تحول الحب شيئا فشيئا إلى دفء الصداقة .

الآنسة هسل : ولكنها تتقبـــــل ذلك الآن ؟

بيرنـــك : تماما . يمكنك أن تدركى أن الاحتكاك اليومى بي لم يكن دون تأثير ملطف عليها . يجب على الناس أن يتعلموا كيف يخففون من مطالبهم المتبادلة إذا ما أرادوا أن يتركوا أثرا طيبا لأنفسهم في المجتمع الـــذى وضعـــوا به . تعلمت بتى ذلك بالتدريج حتى أصبح بيتنا الآن قدوة لبنى وطننا .

الآنسة هسل : ولكن بنى الوطن هؤلاء لا يعرفون شيئا عـــــن الأكذوبـــة ؟

بيرنـــك : عن الأكذوبـــــة ؟

الآنسه هسل : نعم . تلك الأكذوبة التى تعيش عليها طوال هذه الخمسة عشر عاما .

بيرنــــك : وتسمين تلك . . . ؟

الآنسة هسل : أسميها أكذوبة . أكذوبة ثلاثية . أولا : أكذوبة عليّ ثم أكذوبة على بتى ثم أكذوبة على جوهان .

بيرنــــك : بتى لم تطلب منى مطلقا أن أتكلم .

الآنسة هسل : لأنها لا تعلم شيئا .

بيرنــــك : وأنت لن تطلبى منى ذلك . من باب الاحـــترام لها — لن تطلبى منى ذلك ؟

الآنسة هسل : لا . أعتقـــد أني أعرف كيف أتحمـــل ضحك الآخرين . عندى قوة تحمل .

بيرنــــك : وان يطلب منى جوهان هو الآخر . لقد وعدني بذلك .

الآنسة هســـل : ولكن أنت نفسك يا كارستن ؟ أليس هناك شيء بداخلك يريد أن يتحرر من الأكذوبـــة ؟

بيرنــــك : هل تريديننى أن أضحى من تلقاء نفسى — بسعادة عائلتى وبوضعى في المجتمـــــع ؟

الآنسة هســـل : وأى حق لك أن تكون حيث أنت ؟

بيرنــــك : على مدى خمسة عشرعاما — اليوم تلو اليوم — اكتسبت حقا صغيرا بسلوكى في الحياة وبما عملت من أجله وحققتـــه .

الآنسة هســـل : نعـــم . لقـــد عملت وحققت الكثير لنفسك وللآخرين . انك أغنى وأقوى رجل في المدينة ولا يجرءون على عمل شيء سوى الانحنـــاء

لرغبتك لأنهم يعتبرونك رجلا دون هفوة واحدة. واحدة . ويعتبرون بيتك بيتاً نموذجيا وحياتك حياة نموذجية . ولكن كل هذه الفخامة – وأنت معها – تقوم على مستنقع مهتز . وقد تأتي لحظة وقد تصدر كلمة وتغوص أنت وأبهتك إلى القاع إذا لم تنقذ نفسك في الوقت المناسب .

بيرنـــك : لماذا أتيت إلى هنا يا لـــــونا ؟

الآنسة هسل : لأساعدك على أن تقف على أرض صلبة يا كارستن

بيرنـــك : الانتقام ! تريدين أن تنتقمى لنفسك ؟ لقدتوقعت ذلك ولكنك لن تنجحى . هناك شخص واحد يستطيع أن يتكلم عن ثقة . وهو صامت .

الآنسة هسل : جوهان ؟

بيرنـــك : نعم جوهان . اذا اتهمنى شخص آخر فسأنكر كل شيء . ولو أرادوا تحطيمى سأحارب من أجل حياتي . ولكنى أؤكد لك أنك لن تنجحى . ان الذى يستطيع تحطيمى ساكت وسيرحل ثانية . (يدخل رامل وفايجلاند من اليمين)

رامــــل : صباح الخير . صباح الخير ياعزيزى بيرنك . يجب أن تأتي معنا الى الغرفة التجارية هناك اجتماع لموضوع السكة الحديد .

بيرنـــك : لاأستطيع . هذا مستحيل الآن .

فايجـــلاند : بل لابد أن تأتي ياسيد بيرنك .

رامــــل : يجب أن تأتي يابيرنك . هناك أناس يعملون ضدنا.

هامر . . ذلك الصحفى . . والآخرون الذين أيدوا مشروع الخط الساحلى يصرون على أن هناك مصالح شخصية وراء هذا الاقتراح الجديد .

بيرنــك : اشرح لهم اذن .

فايجلاند : لاجدوى من الشرح لهم ياسيد بيرنك .

رامــل : لا . لا . لابد أن تأتي بنفسك. بالطبع لن يجرؤ أحد على أن يشك في أمرك بهذا الموضوع .

الآنسة هسل : لا. لاأعتقد ذلك .

بيرنك : أؤكد لكما أني لاأستطيع ذلك . أو . . . على أى حال . انتظروا . . . دعوني أفكر .

(يدخل رولاند من اليمين)

رولانــد : لاتوأخذني لاسيد بيرنك . أنا جد منزعج . . .

بيرنــك : ماذا بك ؟

رولانــد : اسمح لى أن أسألك سوألا ياسيد بيرنك . هل بمـوافقتك تخـرج تلك البنت التى آويتها في بيتك علنا في الشارع مع رجل . . . .

الآنسة هسل : أى رجل أيها الواعظ ؟

رولانــد : مع رجل يجب أن تبتعد عنه هو بالذات دون رجال الدنيا .

الآنسة هسل : حقا ؟

رولانــد : هل بموافقتك ياسيد بيرنك ؟

بيرنك : (الذى يبحث عن قبعته وقفازه) لاأعرف عن

ذلك شيئا . عن اذنكم . أنا على عجل . أنا ذاهب الى غرفة التجارة .

هلمار تونسن : (يأتي من الحديقة ويتجه الى الباب في أقصى اليسار) بتى ! بتى ! اسمعى ! هنا !

السيدة بيرنك : (عند الباب) ماذا هناك ؟

هلمار تونسن : يجب أن تذهبى الى الحديقة وتضعى حدا لتلك المغازلة التى يقوم بها صديق لنا معين مع الآنسة دينا دورف . لقد هد أعصابي سماع ذلك .

الآنسه هسل : حقا ! ماذا قال صديقنا هذا ؟

هلمار تونسن : فقط يريدها أن تذهب معه الى أمريكا . أوه !

رولانــد : هل مثل هذه الأشياء ممكنة ؟

السيد بيرنك : ماذا تقول ؟

الآنسة هسل : ولكنها فكرة رائعة !

بيرنــك : مستحيل : لايمكن أن تكون قد أحسنت السمع .

هلمار تونسن : اسأله بنفسك اذن . هاهما ذا قادمان . فقط اخرجنى منها .

بيرنــك : (الى رامل وفايجلاند) سألحق بكما . . . بعد لحظـــة . . . (يخرج رامــل وفايجلاند الى اليمين يدخل جوهان تونسن ودينا من الحديقة)

جوهان تونسن : أبشرى يالونا . انها قادمة معنا !

السيدة بيرنك : ولكن ياجوهان . . ياله من تصرف غـــير مسئول . . . . !

رولانـــد : هل هذا صحيح ؟ يااللفضيحة البشعة ! أى فنون الاغراء . . . . ؟

جوهان تونسن : اسمع يارجل ! عم تتحدث ؟

رولانـــد : أجيبيني يادينا . هل تنوين ذلك ؟ هل هو قرارك الحر وحدك ؟

دينـــا : لابد أن أرحل عن هنا .

رولانـــد : ولكن معه . . . معه بالذات !

دينـــا : أرني أى رجل آخر لديه الشجاعة ليأخذني .

رولانـــد : حسن اذن . . . ستعرفين من هو .

جوهان تونسن : اسكت .

بيرنـــك : ولاكلمة أخرى !

رولانـــد : سيكون ذلك خدمة سيئة لمجتمع أنا فيه الراعى المسئول عن أخلاقياته وسيكون موقفى من هذه الفتاة لايغتفر اذ أن لى نصيبا كبيرا في تربيتها وهى بالنسبة لى . . . .

جوهان تونسن : احذر مما تفعل !

رولانـــد : بل سوف تعرف ! يادينا : هذا هو الرجل الذى كان السبب في شقاء أملك وعارها .

بيرنك : ياسيد رولاند !

دينـــا : هو ! (تخاطب جوهان) هل هذا صحيح ؟

جوهان تونسن	:	أجب أنت ياكارستن .
بيرنـــك	:	ولاكلمة أخرى . هذا يكفى اليوم .
دينـــا	:	اذن هو صحيح .
رولانـــد	:	صحيح . صحيح . بل وأكثر من ذلك . هذا الرجل الذى وضعت به كل ثقتك لمن يهرب من البيت خالى اليدين . ان نقود الأرملة بيرنك .. يستطيع بيرنك أن يشهد على ذلك . . . .
الآنسة هسل	:	كذاب !
بيرنـــك	:	آه !
السيدة بيرنك	:	ياالهى !
جوهان تونسن	:	(يتجه نحو رولاند وهو يرفع ذراعه) أنت تجرؤ على . . . . . !
الآنسة هسل	:	(تمنعه) لاتضربه ياجوهان .
رولانـــد	:	نعم : تستطيع أن تتهجم علىّ لو شئت . ولكن الحقيقة ستظهر وتلك هى الحقيقة . لقد قال السيد بيرنك هذا بنفسه وكل المدينة تعرف ذلك . والآن يادينا أنت تعرفينه .
		(فترة صمت قصيرة)
جوهان تونسن	:	(بصوت خفيض . . . تمسك بذراع بيرنك) ياكارستن . . كارستن : ماذا فعلت ؟
السيدة بيرنك	:	(برقة وهى تبكى) آه ياكارستن . تصور أني جلبت عليك كل هذا العار !

ساندستاد : (يأتي بسرعة من اليمين وينادى وهو يمسك بمقبض الباب) يجب أن تأتي الآن ياسيد بيرنك . السكة الحديد كلها معلقة بخيط .

بيرنك : (لايسيطر على نفسه) ماذا ؟ ماذا يجب أن أفعل . . . . ؟

الآنسة هسل : (بجدية مؤكدة) يجب أن تأتي لانقاذ المجتمع ياكارستن .

ساندستاد : نعم . تعال . تعال . نريد كل ثقل ثقتك المعنوية .

جوهان تونسن : (ملاصقا له) بيرنك : سنتحدث معا غدا .

(يخرج من الحديقة . يخرج بيرنك الى اليمين مع ساندستاد كما لو كان شخصا آليا)

* * *

الفصل الثالث

(الحجرة المطلة على الحديقة في منزل آل بيرنك . يدخل بيرنك وفي يده عصا — وهو في منتهى الغضب — من أقصى حجرة على اليسار إلى الخلف ويترك الباب مواربا وراءه) .

بيرنك : هذا صحيح . أخيرا اتخذنا الأمر بجدية . ولا أعتقد أنه سينسى هذا الدرس . (يخاطب شخصا ما بالحجرة) ماذا تقولين ؟ وأنا نفسى أقول إنك أم حمقاء . تتلمسين له الأعذار وتشجعينه على حماقاته . ليست حماقات ؟ ماذا تسمينها اذن ؟ يتسلل من البيت ليلا ويذهب إلى البحر في قارب صيد . ويبقى بالخارج حتى يعلو النهار ويسبب كل هذا القلق — عندى ما يكفيني دون ذلك . ثم يجرؤ هذا الشيطان الصغير على أن يهدد بالهرب . دعيه يحاول ذلك . أنت ؟ لا . اني أصدق ذلك تماما . أنت لا تبالين كثيرا إذا أصابه سوء أم لا . أعتقد أنه لو قتل . . . ! حقاً ؟ نعم . لا أتحمل أن أفقد ولدى . لا تجادلى يا بتى . لا بد أن تنفذى ما أقول . لا بد أن يقيم بالمنزل (ينصت) اسمعى ! لا تدعى أحدا يلاحظ شيئا .

(يدخل كراب من اليمين)

كـــــراب : هلا أعطيتنى لحظة من وقتك يا سيد بيرنك ؟

بيرنـــك : (يلقى بالعصا) بالتأكيد . بالتأكيد . هل عدت من حوض بناء السفن ؟

كـــــراب : لتوّى . احم . . . .

بيرنـــك : هل أصاب السفينة « شجرة النخيل » سوء ؟

كـــــراب : « شجرة النخيل » يمكنها أن تبحر غدا — لكن —

بيرنـــك : « الفتاة الهندية » اذن ألم أتوقع أن ذلك الرجـــل العنيـــد . . .

كـــــراب : « الفتاة الهندية » تستطيع أن تبحر غدا أيضا . ولكنى لا أعتقد أنها ستبحر بعيـــدا .

بيرنـــك : مـــــاذا تعنى ؟

كـــــراب : معذرة يا سيد بيرنك ولكن الباب موارب وأعتقد أن هناك شخصا ما بالداخــــــل .

بيرنـــك : (يغلق الباب) ها نحن وحدنا . ولكن ما هذا العمل الذى يجب ألا يسمعه أحد ؟

كـــــراب : الموضوع هو أن رئيس العمل عندك — أون — مصمم على أن يدع « الفتاة الهندية » تغوص إلى القاع بكل من عليها .

بيرنـــك : ولكن يا إلهى — ماذا تظن . . . ؟

كـــــراب : لا أجد تفسيرا غير هذا يا سيد بيرنك .

بيرنـــك : اذن قل لى في كلمات قليلة — إذ — . . .

كـــــراب : سأفعل . تعرف كيف أن الأشياء تسير ببطء

في الحوض منذ أن استقدمنا الآلات الحديثة وهؤلاء الرجال عديمي الخبرة .

بيرنك : نعم . نعم .

كراب : ولكن عندما ذهبت إلى هناك هذا الصباح لاحظت أن الاصلاحات على السفينة الأمريكية قد تقدمت بسرعة هائلة . وان الرقعة في جسم السفينة — ذلك الجزء العفن . . .

بيرنك : نعم . نعم . ماذا به ؟

كراب : قد أصلح تماما على ما يبدو . غلّف تماما ويبدو كالجديد . وسمعت أن أون بنفسه كان يعمل هنا طوال الليل في ضوء مصباح .

بيرنك : نعم . نعم . وبعد ؟

كراب : ذهبت وفحصتها . كان الرجال قد ذهبوا لتوهم لتناول الفطور . لذا انتهزت الفرصة وألقيت نظرة خارجها وعلى سطحها دون أن يلاحظ ذلك أحد . ومن الصعب بعض الشيء الدخول في هذه السفينة وهى محمله بالبضائع ولكنى حصلت على ما أردت . هناك مكائد تدبر يا سيد بيرنك .

بيرنك : لا يمكن أن أصدقك يا كراب . لا أستطيع . لا يمكن أن أصدق أن شيئا كهذا يصدر عن أون .

كراب : أنا آسف ولكنها الحقيقة الواضحة . أؤكد لك أن هناك مكائد . لم يستخدم آى خشب جديد جديد بقدر علمى . هناك فقط عملية سد وجلفطة

وترقيع فوق الطلاء المعدني والقماش المشمع وما شابه ذلك . نذالة بينة ! لن تصل « « الفتاة الهندية» إلى نيويورك . ستغوص إلى القاع كاناء مشقوق .

بيرنـــك : هذا فظيع ؟! ولكن ما تظن أن يكون هدفـــه من وراء ذلك ؟

كـــراب : من الواضح أنـــه يريد أن يشكك في الآلات . يريد أن ينتقم لنفسه . يريد أن يعيد العمال القدامى ثانيـــة .

بيرنـــك : ولذا هو يضحى بكل هذه الأرواح . . . .

كـــراب : لقد قال ذات يوم أنه ليس هناك رجال عـــلى « الفتاة الهندية » بل مجرد حيوانات .

بيرنـــك : نعم . نعم . ولكن ألا يفكر في رأس المال الضخم الذى سيضيع ؟

كـــراب : أون لا ينظر إلى رأس المال الضخم بعين راضية يا سيد بيرنك .

بيرنـــك : هذا صحيح . انه مؤذ ـ يثير المتاعب دائما . يا له من سلوك دون مبادىء ! اسمع يا كراب : لابد أن تفكر جيدا في هذا الموضوع . لا تنطق بكلمة عنه لأى انسان . سيأخذ الناس فكرة سيئة عن حوضنا إذا ما عرفوا شيئا كهذا .

كـــراب : بالطبع . لكـــن . . .

بيرنـــك : لا بد أن تحاول الوصول إلى هناك في ساعة الغذاء لا بد أن أتأكد تماما .

كـــــراب : سوف تتأكد يا سيد بيرنلك . ولكن اسمح لى أن أسألك : ماذا ستفعل عندئذ ؟

بيرنـــك : سأبلغ الشرطة بالطبع . لايمكن أن نكون شركاء في جريمة . لا أستطيع أن أخالف ضميرى . بالاضافة إلى ذلك سيترك ذلك أثرا طيبا عـــلى الصحافة وعلى عامة الناس كذلك عندما يرون أني أضع كل الاعتبارات الشخصية جانبا وأترك العدالة تأخذ مجـــراها .

كـــراب : هذا صحيح جدا يا سيد بيرنـــك .

بيرنـــك : ولكن أولا وقبل كل شيء أريد تأكيدا كاملا . وحتى ذلك الوقت فان الصمت . . .

كـــــراب : ولا كلمة واحدة يا سيد بيرنلك . وستتأكد تماما .

(يخرج من الحديقة إلى الشارع)

بيرنـــك : (بصوت مسموع) فظيع ! ولكن لا . مستحيل . لا يمكن تصوره !

(بينما يهم بدخول الحجرة يأتي هلمار تونسن من اليمـــين)

هلمار تونسن : صباح الخير يا سيد بيرنلك . أهنئك على فوزك في غرفة التجارة بالأمس .

بيرنـــك : شكرا .

هلمار تونسن : كان فوزا ساحقا على ما أسمع . انتصار الروح العامة الذكية على المصلحة الذاتية والتحيز . تكاد

تكون غارة انتقامية . رائع منك أن تقوم بها بعد ذلك المشهد الشائن هنا . . .

بيرنــك : لا تلق بالا بذلك .

هلمار تونسن : ولكن المعركة الرئيسية لم تبدأ بعد .

بيرنــك : تقصد في موضوع السكة الحديد ؟

هلمار تونسن : نعم . تعرف بالطبع ما يدبره هامر — المحرر ؟

بيرنــك : (يقلق) لا ! ماذا ! ؟

هلمار تونسن : لقد التقط شائعة يتناقلها الناس وسيكتب مقالا عنهـــا .

بيرنــك : أية شائعـــة ؟

هلمار تونسن : عن صفقة الممتلكات الكبرى التي تمت عن طريق الفرع بالطبـــع .

بيرنــك : ماذا تعني ؟ هل هناك شائعة عن ذلك ؟

هلمار تونسن : نعم . أنها تغمر المدينة . يقولون ان أحد محامينا قد كلف سرا بسراء كل الغابات وكل المعـــادن الخام وكل مولدات المياه . . . .

بيرنــك : أليس معروفا لمـــن ؟

هلمار تونسن : يظنون في النـــادي أنه لا بـــد أن تكون لشركة خارجية وصلتها الأخبار عن خططك وتدخلت قبل ارتفاع الأسعار . أليست تلك خدعة حقيرة ؟ أوه !

بيرنــك : حقـــيرة ؟

هلمار توفسن : نعم . دخلاء ينتهكون حرمة مناطقنا المحظورة هكذا ! وأحد محامينا يقوم بهذا العمل الخسيس ! والآن سيحصل الدخلاء على كل الأرباح .

بيرنـــك : لا شك أن هذه شائعة جوفاء ؟

هلمار توفسن : لقد صدقوها على أى حال . وغدا أو بعد غد سينشرها هامر بالطبع على أنها حقيقة . ومـــن قبل كان هناك شعور عام بالاستياء . وسمعت الكثيرين يقولون انه لو تحققت هذه الشائعـة سيشطبون اسماءهم من القائمـــة .

بيرنـــك : مستحيـــل !

هلمار توفسن : هكذا !؟ لماذا تعتقد أن هذه المخلوقات ذات النفوس المتدنية مستعدة لأن تنضم إلى مشروعك ؟ ألا تظن أنهم أنفسهم قد اشتموا شيئا ؟

بيرنـــك : أؤكد لك أن هذا مستحيل . هناك تلك الروح العامة في مجتمعنا عـــلى أى حال . . .

هلمار توفسن : هنا ؟ انك متفائل وتحكم على الآخرين بمقياسك أنت . ولكن – ذلك المراقب الخبيث إلى حـــد ما – ليس هنا فرد واحد – باستثنائنا بالطبع – ليس هنا شخص واحد – أؤكـــد لك – الذى يرفع راية المثالية عالية (يتجه إلى الخلفية) أوه ! لقد أتيا !

بيرنـــك : مـــن ؟

هلمار تونسن : الأمريكيان . (يتطلع نحو اليمين) ومع من ؟ يا الهي : أليس هو كابتن « الفتاة الهندية » ؟

بيرنــك : ماذا يمكن أن يريدوا مني ؟

هلمار تونسن : انها صحبة مناسبة . يقولون انه كان يتاجر في العبيد أو كان قرصانا ومن يدرى ماذا كان يفعل هذان الاثنان طوال تلك السنين .

بيرنــك : أؤكد لك أنه لا يليق بك أن تنظر إليهما هكذا .

هلمار تونسن : نعم . انك متفائل . ها هم قد وصلوا ، ولذا سأخرج طالما وسعنى ذلك . (يتجه إلى الباب على اليسار)

(تدخل الآنسة هسل من اليمين)

الآنسة هسل : مرحبا يا هلمار ! هل أنا السبب في خروجك ؟

هلمار تونسن : مطلقا . لقد كنت على عجل . كنت سأتحدث إلى بتى .

(يتجه إلى أقصى حجرة على اليسار)

بيرنــك : (بعد فترة صمت قصيرة) حسن يا لونا ؟

الآنسة هسل : حسن ؟

بيرنــك : ما رأيك فيّ اليوم ؟

الآنسة هسل : هو رأيى بالأمس . أكذوبة واحدة على أى حال . . .

بيرنــك : لا بد أن أوضح هذا . أين ذهب جوهان ؟

الآنسه هسل : سيأتي . سيتكلم إلى شخص ما عن شيء ما .

بيرنـــك : بعدما سمعت بالأمس ستدركين أن وضعى كله سيدمر إذا ظهرت الحقيقة .

الآنسة هسل : أدرك ذلك .

بيرنـــك : من الواضح بالطبع أنه لا علاقة لى بالجريمة التى يدور حولها كل هذا الكلام .

الآنسة هسل : هذا بديهـــى . ولكن من اللص ؟

بيرنـــك : لم يكن هناك لص . لم تسرق نقود . لم يضـــع شلن واحد .

الآنسة هسل : مـــاذا ؟

بيرنـــك : قلت ولا شلن .

الآنسة هسل : ولكن ماذا عن الشائعة ؟ كيف انتشرت تلك الشائعة المخجلة عن ذلك الجوهان . . . ؟

بيرنـــك : يا لونا : يبدو لى أني أستطيع أن أتحدث إليك بطريقة لا أستطيعها مع أى شخص آخر . لـــن أخفى عليك شيئا . لقد أسهمتُ في نشر هذه الشائعة .

الآنسة هسل : أنت ؟ وفعلت ذلك به وهو الذى من أجلك . . .

بيرنـــك : يجب ألا تتهميني دون أن تتذكرى كيف كانت الأمور في ذلك الوقت . لقد شرحت لك ذلك بالأمس . عدت إلى هنا ووجدت أمى متورطة في مشروعات كثيرة طائشة ، وشتى أنواع الفشل زاد من المتاعب وبدا وكأنه سوء الحظ قد

هطل علينا وكان بيتنا على وشك الدمار . كنت لا أبالى إلى حد ما وكنت شبه يائس . أعتقد يا لونا أني لكى أبعد هذه الكارثة عن أفكارى هويت في هذا الشرك الذى أدى إلى رحيل جوهان .

الآنسة هسل : أفهـــــم .

بيرنـــك : يمكنك أن تتصـــورى كيف أن كل أنـــواع الشائعات انتشرت عندما رحلت أنت وهو . وقالوا انها ليست أول حالة طيش منه . والبعض قال بأن دورف حصل على مبلغ كبير منه ليمسك لسانه ويرحل . وأصر الآخرون على أنها هى قد فعلتها . وفي نفس الوقت لم يعد سرا أن بيتنا كان يجد مشقة في الوفاء بالتزاماته . وهل كان هناك أسهل من أن يجد الواشون علاقة بين تلك الشائعتين ؟ عندما أقامت هنا وهى تعيش في فقر قالوا عندئذ إنه صحب الأموال معه إلى أمريكا وزادت الشائعات من قيمة المبلغ يوما بعد يوم .

الآنسة هسل : وأنت يا كارستن ؟

بيرنـــك : تشبثت بتلك الشائعة كما يتشبث الغريق بلوح خشبي .

الآنسة هسل : وساعدت على انتشارها !؟

بيرنـــك : لم أكذبها . وبدأ دائنونا يهددوننا . وكان على أن أهدئهم . وكان من الضرورى ألا يشك أحد في تماسك عملنا . ان كارثة مؤقتة قد أصابتنا . . .

وكل ما هو مطلوب ألا يضغطوا علينا بل يمنحوننا بعض الوقت وسينال كل واحد مستحقاته .

الآنسة هسل : وهل نال كل منهم مستحقاته ؟

بيرنسك : نعم يا لونا . تلك الشائعة أنقذت بيتنا وجعلت مني الرجل الذى ترين الآن .

الآنسة هسل : اذن أكذوبة جعلت منك ما أنت عليه الآن .

بيرنسك : ومن أصابت اذن ؟ كان جوهان ينوى على ألا يعود مطلقا .

الآنسة هسل : تسألني من أصابت . انظر داخل نفسك وقل لى إذا لم تكن قد أصابتك أنت .

بيرنسك : انظرى داخل أى رجل تختارين وستجدين في كل رجل على الأقل بقعة سوداء عليه أن يخفيها .

الآنسة هسل : وتطلقون على أنفسكم أعمدة المجتمع .

بيرنسك : ليس لدى المجتمع أفضل منا ليسانده .

الآنسة هسل : إذن ماذا يهم إذا وجد مثل هذا المجتمع من يسانده أولا ؟

ماذا يهم هنا ؟ الرياء والكذب ولا غير ذلك : ها أنت ذا الرجل الأول في المدينة تعيش في أبهة وسعادة ، في قوة وشرف – أنت الذى دمغ رجلا بريئا بالاجرام .

بيرنسك : ألا تظنين أني أحس بعمق بما سببته له من ألم ؟ وألا تعتقدين أني مستعد لأن أصلح ذلك ؟

الآنسة هسل : كيف ؟ بالاعتراف ؟

بيرنـــك : وهل يمكنك أن تطلبي ذلك ؟

الآنسة هسل : وماذا غير ذلك يمكن أن يشفى جرحا كهذا ؟

بيرنـــك : أنا غبى يا لونا . يمكن لجوهان أن يطلب مـــا يحب . . .

الآنسة هسل : نعم ! عليك أن تعرض عليه نقودا وتسمع اجابته !

بيرنـــك : وهل تعرفين خططـــه ؟

الآنسة هسل : لا . لقد أصبح صامتا منذ الآمس . يبدو وكأن هذا العمل قد جعل منه رجلا ناضجا تماما .

بيرنـــك : يجب أن أتحدث إليـــه .

الآنسة هسل : ها هو ذا .

(يدخل جوهان تونسن من اليمين)

بيرنـــك : (يتجه نحوه) جوهـــــان !

جوهان تونسن : (متجنبا اياه) لا . دعنى . . . ! صباح الأمس وعدتك ألا أتكلم .

بيرنـــك : نعم فعلت .

جوهان تونسن : ولكنى لم أكن أعلم آنذاك . .

بيرنـــك : جوهان : اسمح لى بكلمتين لأشرح الموقف . .

جوهان تونسن : لا داعى : أستطيع أن أتفهم الموقف تماما . كان العمل في ورطة وهكذا وأنا غائب وسمعتى واسمى بيديك دون حماية . . . أنا لا ألومك كثيرا .

كنا صغارا لا نقدر المسئولية في تلك الأيام . ولكني الآن أريد الحقيقة والآن يجب أن تتكلم .

بيرنــك : والآن أنا في حاجة إلى كل سمعتي الأخلاقية ولذا فلا أستطيع الكلام .

جوهان تونسن :لايهمني كثيرا تلك القصص التي أطلقتها عني . ولكن هناك ذلك الشيء الآخر الذي يجب أن تتحمل مغبته . دينا ستكون زوجتي وهنا في هذه المدينــة أعتــزم أن أعيش وأكــون حياة معها

الآنسة هسل : تعتزم أن تفعـــل ذلك ؟

بيرنــك : مع دينا ؟ كزوجة لك ؟ هنا — في هذه المدينة !

جوهان تونسن : نعم . هنا . سأقيم هنا لأتحدى كل أولئك الكذابين والمغتابين . وبالنسبة لى لكى أكسبها لا بد أن تطلــق سراحى .

بيرنــك : ألم تأخذ بعين الاعتبار أني إذا ما اعترفت بشيء فسأعترف بالآخر كذلك ؟ ستقول إني أستطيع أن أثبت من دفاترنا أنه ليس هناك أية خيانة ؟ ولكني لا أستطيع . لم تكن دفاترنا تسجل بدقة كبيرة في ذلك الوقت . وحتى لو استطعت فماذا سنجني من وراء ذلك ؟ ألن أكشف — في أية حال — على أني الرجل الذي أنقذ نفسه مرة عن طريق أكذوبة والذي على مدى خمسة عشر عاما ترك الأكذوبة وما تبعها تثبت من جذورها دون أن يرفع اصبعا ليوقفها ؟ أنت لم تعد تعرف

مجتمعنا والا أدركت أن ذلك يمكن أن ـ يحطمني تمـــاما .

جوهان تونسن : يمكنني أن أقول إني سأتخذ ابنة السيدة دورف زوجة لى وسأعيش معها هنا في هذه المدينة .

بيرنـــك : (يمسح العرق من جبهته) أنصت إلى يا جوهان وأنت أيضا يا لونا . ليس وضعى بالوضع العادى الآن . أنا في وضع إذا ضربت ضربتك ستحطمني ـ ليس وحدى ـ ولكن ستحطم كذلك مستقبلا عظيما وسعيدا للمجتمع الذى هو على أية حـــال مهد طفولتك .

جوهان تونسن : وإذا لم أضرب فاني سأحطم سعادتي القادمة .

الآنسة هسل : استمر يا كارستن .

بيرنـــك : ولآن اسمع : كل هذا مرتبط بمشروع السكة الحديد وهذا المشروع ليس بسيطا كما تتصور . لقد سمعت بالطبع أنه في العام الماضى كان هناك موضوع الخط الساحلى . ولقد حظى بتأييد قوى هنا في المدينـــة وفي المناطق المجاورة ولا سيما في الصحف . ولقد منعت ذلك لأنه كان سيقضى على مهنة البواخر على طول الساحل .

الآنسة هسل : وهل لديك مصالح شخصية في مهنة البواخر ؟

بيرنـــك : نعم . ولكن لم يجرؤ أحد على أن يشك فيّ لهذا السبب . كان لى سمعتى الطيبة تحميني . وعلى أى حال كان يمكنني أن أتحمل الخسارة . ولكن

المدينة ما كانت تتحملها . ثم أتفق على الخط الداخلى . وعندما تم ذلك قمت ودون تطفـــل بالتأكيد من أن خطا فرعيا يمكن أن يمتد هنا في المدينـــــة .

الآنسة هسل : ولماذا دون تطفـــــل يا كارستن ؟

بيرنـــك : هل سمعت عن الصفقات الكبرى لشراء الغابات والمناجم والقوى المائية ؟

جوهان تونسن : نعم . يبدو أنها شركات أجنبيـــــة .

بيرنـــك : ان هذه الممتلكات على ما هى عليه الآن لا قيمة لها بالنسبة لمن يشغلونها كأفراد ، ولذا بيعت بأثمان رخيصة نسبيا . ولو كانوا انتظروا حتى نوقش الخط الفرعى لطالب أصحابها بأثمان باهظـــــة .

الآنسة هسل : تماما . ولكن ماذا في ذلك ؟

بيرنـــك : هنا يأتي شيء يمكن أن يفسر بطرق مختلفة . شيء في مجتمعنا هذا يمكن أن يجربه المرء إذا اعتمـــد على اسم نظيف شريف .

الآنسة هسل : وبعـــد ؟

بيرنـــك : أنا الذى اشترى كل هذا .

الآنسة هسل : أنت ؟

جوهان تونسن : لحسابك أنت ؟

بيرنـــك : لحسابي . إذا ما تم مد الخط الفرعى فأنا مليونير وإذا لم يتم فأنتهى .

الآنسة هسل : هذه مخاطرة يا كارستن .

بيرنــك : لقد راهنت بكل ما أملك من أجل ذلك .

الآنسة هسل : أنا لا أفكر في مالك ولكن إذا ما تبين أن . . .

بيرنــك : نعم تلك هى المشكلة . باسمى النظيف الذى أحمله حتى الآن يمكننى أن أقوم بالعملية وحدى وأنفذها وأقول لبنى وطنى « انظروا لقد جازفت بذلك لصالح المجتمـــع »

الآنسة هسل : المجتمـــع ؟

بيرنــك : نعم . ولن يشك أحد في نواياى .

الآنسة هسل : ورغم هذا فهنا رجال عملوا بوضوح أكثر منك دون دوافع خفية ودون تحفظ .

بيرنــك : من ؟

الآنسة هسل : رامل وساندستاد وفايجلاند بالطبع .

بيرنــك : ولكى أكسبهم إلى جانبى أطلعتهم على المشروع .

الآنسة هسل : ثم ؟

بيرنــك : لقد اشترطوا الحصول على خمس الأرباح فيما بينهـــم .

الآنسة هسل : آه ! أعمدة المجتمـــع هؤلاء !

بيرنــك : أليس المجتمع نفسه هو الذى يجبرنا على تلك الطرق الملتوية ؟ ماذا يمكن أن يحدث هنا لو لم أتصرف بطريقة سرية ؟ كانوا سيلقون بأنفسهم جميعا في المشروع ويقسمونه ويبعثرونه ويسيئون

ادارته ويفسدون كل شيء . ليس هناك شخص ما في هذه المدينة ــ سواى ــ يفهم كيف يدير مشروعا على هذا النطاق الواسع . في هذا البلد نحن معشر الرجال من أصل أجنبي الوحيدون القادرون على إدارة أعمال كبرى . ذلك السر في أن ضميرى يغفر لى هذه الحالة بالذات . عن طريقى فقط يمكن لهذه الممتلكات أن تصبح مصدر ربح دائم لأولئك الناس الكثيرين الذين سيتعيشون منهـــا .

جوهان تونسن : ولكنى لا أعرف هؤلاء الناس « الكثيرين » وسعادة حياتي في خطر .

بيرنـــك : ان مصلحة المكان الذى ولدت فيه كانت هـــى الأخرى في خطر . إذا ظهر شيء يلقى ظلا على سلوكى السابق فسيتحد كل معارضيّ وينقضون عليّ . ان حماقة الشباب لا تنمحى مطلقا في مجتمعنـــا . سيستعيد الناس كل حياتي السابقة ويظهرون ألف حادثة بسيطة ويقرءونها ويفسرونها في ضوء ما اكتشفوا وسيصحنوننى تحت حمـــل من الشائعات والفضائح . وعندئذ سأضطر للانسحاب من عملية السكة الحديـــد . وإذا ما نفضت يدى منها فستنتهى . وهنا أخسر بضربة واحدة ثروتي ومكانتى كمواطن .

الآنسة هسل : بعدما سمعت يا جوهان يجب أن ترحل دون أن تقول شيئا .

بيرنــك : نعم . نعم يا جوهان – يجب أن نفعل ذلك !

جوهان تونسن : لا بأس . سأرحـــل ولن أقول شيئــا . ولكنى سأعود وسأتكلم .

بيرنــك : ابق هناك يا جوهان . لا تقل شيئا وسأقتسم معك .

جوهان تونسن : احتفظ بنقودك وأعد إلىّ اسمى وسمعتى . . !

بيرنــك : وأضحى أنا بسمعتى واسمى !

جوهان تونسن : هذا يرجع إليك وإلى مجتمعك . يجب على ولا بد من أن أكسب دينا لنفسى . ولذا سأرحل غدا على « الفتاة الهندية » .

بيرنــك : على الفتاة الهندية ؟

جوهان تونسن : نعم . وعدني الكابتن أن يأخذني معه . سأبحــر لأبيــع مزرعتى وأرتب أمــورى . وفي ظرف شهرين سأعود ثانية .

بيرنــك : وعندئذ ستتكلم ؟

جوهان تونسن : وعندئذ من يستحق اللوم سيناله .

بيرنــك : ألا تدرى أنه عندئذ سألام على شيء لا دخل لى به

جوهان تونسن : من الذى أفاد من تلك الشائعة المخجلة منذ خمسة عشر عاما ؟

بيرنــك : أنت تملؤني يأسا ! ولكنك إذا تكلمت سأقول انها مؤامرة ضدى . انه الثأر – إنك أتيت هنا لتبتز مــالى !

الآنسة هسل : يا للعــار يا كارستن !

بيرنـــك : أنا في حالة يأس . واني أحارب من أجل حياتي . سأنكر كل شيء — كل شيء !

جوهان تونسن : لدى خطاباك . وجدتهما في صندوقي بين أوراق أخرى . لقد قرأتهما بدقة هذا الصباح . انهما واضحان تماما .

بيرنـــك : وستعلنهمـــا ؟

جوهان تونسن : إذا لزم الأمـــــر .

بيرنـــك : وفي خلال شهرين ستكون هنا ثانية ؟

جوهان تونسن : آمل ذلك . الرياح طيبة . في ظرف ثلاثـــه أسابيع سأكون في نيويورك إذا لم تغص « الفتاة الهندية »

بيرنـــك : (يفزع) تغوص ؟ ولماذا تغوص « الفتاة الهندية »

جوهان تونسن : أنا الآخر لا أجد ما يدعو لذلك .

بيرنـــك : (بصوت لا يكاد يسمع) تغوص ؟

جوهان تونسن : والآن يا بيرنك — الآن تعرف ما تتوقع ويجب أن تعيد التفكير في تلك الأثناء . وداعا ! ودّع بتي نيابة عنى ولو أنها لم تعاملنى كأخت . ولكنى سأرى مارتا بنفسي . يجب أن تخبر دينا — يجب أن تعدني — (يخرج من الباب الأقصى عـــلى الشمال) .

بيرنـــك : (ينظر أمامه) « الفتاة الهندية » — ؟ (بسرعة) يجب أن تمنعى هذا يا لونا .

الآنسة هسل : بل افعل ذلك بنفسك يا كارستن . لم يعد لى سلطان عليه .

(تخرج وراء جوهان إلى الحجرة على اليسار)

بيرنـــك : (منزعجا) تغوص . . . ؟

(يأتي أون من اليمين)

أون : معذرة يا سيدى ــ هل لديك دقيقة واحدة ؟

بيرنـــك : (يلتفت في غضب) ما ذا تريد ؟

أون : هل تسمح لى يا سيدى أن أسألك سؤالا ؟

بيرنـــك : لا بأس . أسرع . عم تـــريد أن تسألنى ؟

أون : أريد أن أسألك إذا كان قد تقرر بصفة نهائية أن أطرد من حوض بناء السفن إذا لم تستطع « الفتاة الهندية » أن تبحر غدا .

بيرنـــك : ماذا حدث ؟ السفينة سوف تكون معـــدة للابحار

أون : نعم . ولكن افترض أنها غير جاهزة هل سأطرد من عملى ؟

بيرنـــك : ما مغزى هذا السؤال الذى لا معنى له ؟

أون : أصر على أن أعرف يا سيدى . أرجوك أن تجيبنى . هل سأعفـــى ؟

بيرنـــك : هل أنا في العادة أفى بوعدى أم لا ؟

أون : اذن غدا سأكون قد فقدت مكاني في البيت ومع الناس الذين ينتمون إلىّ . سأفقد تأثيرى بين العمال وسأفقد كل فرصة لعمـــل الخير بـــين الفقراء ــ والمساكين في هذا المجتمـــع .

بيرنـــك : لقد انتهينـــا من هذه النقطة يا أون .

أون : إذن « الفتاه الهندية » يجب أن تبحر (فترة صمت قصيرة)

بيرنــك : اسمع : أنا أستطيع أن أرقب كل شيء ولا يمكن أن أكون مسئولا عن كل شيء . هل أنت مستعد أن تؤكد لى بأن الاصلاحات تنفذ بطريقة مرضية؟

أون : لقد منحتنى وقتا قصيرا يا سيدى .

بيرنــك : ولكنك تقول بأن الاصلاحات تجرى على ما يرام؟

أون : الطقس جيد ونحن في الصيف . (فترة صمت قصيرة أخرى) .

بيرنــك : هل لديك ما تقوله لى ؟

أون : لا أعرف شيئا آخر يا سيدى .

بيرنــك : إذن تبحر « الفتاة الهندية » . . .

أون : غــدا ؟

بيرنــك : نعـــم .

أون : حسن جدا (ينحنى ويخرج)

(يقف بيرنك لحظة في ارتياب ثم يسرع نحو الباب كما لو كان يستدعى أون ثانية ولكنـــه يتوقف في حيرة وهو يمسك بمقبض الباب . في تلك اللحظة يفتح الباب من الخـــارج ويدخـــل كـــراب) .

كـــراب : (برقة) كان هنا . هل أعترف ؟

بيرنــك : احم . هل اكتشفت شيئا ؟

كـــــراب : وهل هناك حاجة لأن أفعل ؟ ألم تر ضميره القلق يطل من عينيه يا سيد بيرنك ؟

بيرنـــك : كلام فارغ . هذه الأشياء لا تبين . اني أسألك إذا كنت قد اكتشفت شيئا .

كـــــراب : لم أستطع أن أصل إلى هناك . كان الوقت متأخرا كانوا قد بدءوا سحب السفينة من الحوض . ولكن هذا التعجيل في حد ذاته يدل على أن . . . .

بيرنـــك : انه لا يدل على شيء . هل كان الفحص قد بدأ عندئذ ؟

كـــــراب : بالطبـــــع ولكن . . .

بيرنـــك : فهمت إذن . وبالطبع لم يجدوا مجالا للشكوى .

كـــــراب : أنت تعرف جيدا يا سيد بيرنك كيف يتم مثل هذا الفحص وخاصة في حوض حسن السمعة كحوضنا .

بيرنـــك : على أى حال نحـــــن مؤمنون .

كـــــراب : يا سيد بيرنك ألم تستطـــع أن تتبين من نظـــــرة أون . . . ؟

بيرنـــك : أون طمأنني تماما .

كـــــراب : وأنا أؤكد لك أني متأكد اخلاقيا أن . . .

بيرنـــك : ما كل هذا يا كراب ؟ أعرف أنك تحمل ضغينة لهذا الرجل ولكنك إذا أردت أن تتعارك معــه فعليك أن تبحث عن فرصة أخرى .

أنت تعرف أنه من الأهمية بالنسبة لى ـ بـل وللشركة ـ أن تبحر « الفتاة الهندية » غدا .

كـراب : حسن إذن . فلينته الأمر عند هذا الحد ولكن عندما أسمع عن تلك السفينة بعد ـ احم !

(يدخل فايجلاند من اليمين)

فايجلاند : صباح الخير أيها القنصل , هل لديك لحظة واحدة ؟

بيرنك : في خدمتك يا سيد فايجلاند .

فايجلاند : أردت فقط أن أعرف إذا كنت لا توافق على ابحار « شجرة النخيل » غدا .

بيرنك : نعم . انه موضوع منتهـه .

فايجلاند : ولكن الكابتن أتى لتوه وأخبرني بأن اشارات العاصفة مرفوعة .

كـراب : لقد هبط البارومتر كثيرا منذ هذا الصباح .

بيرنك : هل فعل ؟ هل العاصفة آتيـة ؟

فايجلاند : نسمة شديدة على أى حال ولكنها ليست ريحا معاكسة . بالعكس .

بيرنك : احم . ماذا تقـول ؟

فايجلاند : أقول ـ كما قلت للكابتن ان « شجرة النخيل » في أيدى القدر . وبالاضافة إلى ذلك فانهـا ستعبر بحر الشمال كرحلة أولى وان عمليات

الشحن في انجلترا مرتفعة نسبيا هذه الأيام حتى أن . . .

بيرنك : نعم . قد يعني ذلك خسارة لنا لو انتظرنا .

فايجلاند : السفينة سليمة تماما وعلاوة على ذلك مؤمن عليها تأمينا شاملا . ولكن الأمر فيه مجازفة أكثر بالنسبة « للفتاة الهندية » .

بيرنك : ماذا تعني ؟

فايجلاند : انها ستبحر غدا هي الأخرى .

بيرنك : ان أصحابها تعجلوا الأمور ـ بالاضافة إلى ذلك ـ

فايجلاند : اذا تحمل هذا الهيكل القديم ـ وبمثل هؤلاء البحارة ـ فستكون فضيحة لنا إذا لم . . .

بيرنك : حسن إذن . أعتقد أنك أحضرت أوراق السفينة معك .

فايجلاند : نعم . ها هي ذي .

بيرنك : حسن. إذن ادخل مع السيد كراب من فضلك .

كراب : تفضل من هنا . وسننهي الموضوع حالا .

فايجلاند : شكرا . وسنترك الموضوع في يد الخالق الأعظم يا سيد بيرنك .

(يذهب مع كراب إلى أقرب حجرة على الشمال . ويدخل رورلاند من الحديقة) .

رورلاند : هل حقا أجدك في البيت في مثل هذا الوقت من اليوم يا سيد بيرنك ؟

بيرنــك : (شارد الذهــن) كما ترى .

رورلانــد : في الحقيقة أتيت لرؤية زوجتك . ظننت أنهــا في حاجة إلى كلمة مواساة .

بيرنــك : أعتقد ذلك . ولكني أريد أن أتحدث إليك لحظة كذلك .

رورلانــد : بكل سرور يا سيد بيرنك . ولكن ماذا هناك ، تبدو شاحبا ومنزعجا .

بيرنــك : حقا ؟ هل يبدو على ذلك ؟ ماذا يمكن أن يتوقــع المرء غير ذلك ؟ أشياء كثيرة تتراكم حــــوالى الآن ! كل مهام العمل ومشروع السكة الحديد هذا . اسمع يا سيد رورلاند . خبرني . دعني أسألك سؤالا .

رورلانــد : بكل ترحاب يا سيد بيرنك .

بيرنــك : هناك فكرة لاحت لى . عندما يكون المرء على عتبة مشروع ضخم ينبىء بالخير للآلاف . . . إذا تطلب ذلك تضحية فرد . . . ؟

رورلانــد : ماذا تعني ؟

بيرنــك : خذ مثلا رجل يفكر في اقامة مصنع كبير . انه يعرف بالتأكيد ـ لأن خبرته الكبيرة علمتــه ذلك ـ إنه ان عاجلا أو آجلا ـ في ادارة ذلك المصنع ـ هناك خسارة في الأرواح .

رورلانــد : نعم . هذا محتمل جدا .

بيرنـــك : أو رجل يقوم بعمليات التعدين . انه يستخدم رؤوس العائلات ورجالا في زهرة شبابهم . ألا يمكن أن يقال بالتأكيد أن بعضا من هؤلاء لن يعودوا أحيــاء ؟

رورلانــد : نعم . من سوء الحظ هذا محتمل كذلك .

بيرنـــك : حسن اذن . رجل كهذا يعرف مقدما أن المشروع الذى سيبدؤه لا شك أنه سيكلف بعض الخسارة البشرية عند نقطة ما . ولكن هذا المشروع للصالح العام . وفي مقابل كل حياة تتكلفها ستسهم في رفاهية مئات كثيرة بالتأكيد .

رورلانــد : أنت تفكر في السكة الحديد وتلك الحفريات الخطيرة والتفجيرات وما شابهها .

بيرنـــك : نعم . أنت على حق . أفكر في السكة الحـــديد . بالاضافة إلى ذلك . . فالسكة الحديد ستؤدى إلى المصانع والمناجم . ولكن ألا تظن — على أى حال . . . ؟

رورلانــد : يا عزيزى القنصل . تكاد تكون قلق الضمير . أعتقد أنك لو تركت الأمور في يد القدر . . .

بيرنـــك : نعم . نعم . بالطبع . القدر . . . . . .

رورلانــد : عندئذ — لن تعاني من وخز الضمير . تستطيع أن تشيد السكة الحديد وأنت مرتاح الضمير .

بيرنـــك : نعم ولكنى الآن سأعرض عليك حالة خاصة . نفترض أن هناك شحنة يجب أن تنفجر في مكان

خطر وإذا لم تنفجر فلن تقام السكة الحديد . نفترض أن المهندس يعرف أن ذلك سيتكلف حياة أى عامل سيشعل الفتيل ومع ذلك يجب أن تنفجر ومن واجب المهندس أن يرسل عاملا ليشعلها .

رورلانـــد : احم .

بيرنـــك : أعرف ما ستقول . سيكون عملا بطوليا مـــن المهندس أن يأخذ الكبريت ويذهب ويشعل الشحنة بنفسه . ولكن الناس لا يفعلون مثل هذه الأشياء . ولذا فانه يجب أن يضحى بعامـــل .

رورلانـــد : هذا شيء لن يفعله أحد من مهندسينا .

بيرنـــك : لن يتردد أى مهندس في الدول الكبرى أن يفعل ذلك .

رورلانـــد : في الدول الكبرى ؟ لا . أصدق ذلك . في تلك المجتمعات المنحلة الخالية من المبادىء . . .

بيرنـــك : هناك أشياء يمكن أن تقال في صـــف هـــذه المجتمعات .

رورلانـــد : أيمكنك أن تقول ذلك ؟ أنت الذى بنفسك . . .؟

بيرنـــك : في المجتمعات الكبرى مجال واسع للحركة . يستطيعون أن يزيفوا أى مشروع مفيد . ان لديهم الشجاعة لأن يضحوا بشيء من أجل هـــدف عظيم . ولكنهم هنا مقيدون بشتى أنواع الوساوس والاعتبارات الدنيئـــة .

رورلانـــد : وهل الحياة البشرية اعتبار دنىء ؟

بيرنــك : عندما تشكل تلك الحياة تهديدا لصالح الآلاف . .

رورلانــد : ولكنك تستعرض حالات مستحيلة تماما يا عزيزى السيد بيرنك ، اني لا أفهمك البتة اليوم . ثم تشير إلى المجتمعات الكبرى . نعم . هناك — ما قيمة الانسان هناك ؟ انهم لا يحسبون بالحياة بل برأس المال .

ولكنى أعتقد أننا ننظر إلى الأشياء من وجهة نظر أخلاقية مختلفة . انظر إلى ملاك السفن هنا . اذكر لى واحدا منهم يمكن أن يضحى بروح الانسان من أجل مكسب مادى . ثم فكر في أولئك الأوغاد في الدول الكبرى الذين من أجل كسب المال يبحرون سفينة بالية تلو الأخرى .

بيرنــك : أنا لا أتحدث عن السفن البالية .

رورلانــد : لا : ولكنى أفعل يا سيد بيرنك .

بيرنــك : نعم . ولكن ما الهدف من ذلك ؟ هذا لا يمس القضية . يا لهذه الاعتبارات الدنيئة المرتعدة ! إذا قام أحد قادتنا بقيادة الرجال تحت النيران وتسبب في موتهم فلن ينام الليالى بعد ذلك . ليس الأمر كذلك في الأماكن الأخرى . يجب أن تسمع ما سيقوله ذلك الشخص هناك . . .

رورلانــد : ذلك الشخص ؟ من ؟ الأمريكى ؟

بيرنــك : نعم بالطبع . لو سمعت كيف الناس فى أمريكا . . .

رورلانـــد : هل هو بالداخل ؟ ولِمْ تخبرني ؟ سأذهب حالا . . .

بيرنـــك : لن يجدى ذلك . لن تصل معه إلى أى شىء .

رورلانـــد : سنرى . ها هو ذا .

(يدخل جوهان تونسن من الحجرة على اليمين)

جوهان تونسن : (يتكلم لشخص خلفه من الباب المفتوح) حسن يا دينا . سنترك الأمور على ما هى عليه ولكن لن أدعك تذهبين على أى حال . سأعود وعندئذ ستنصلح الأمور بيننا .

رورلانـــد : بعد اذنك يا سيدى إلى أى شىء تشير ؟ ماذا تريد ؟

جوهان تونسن : أريد هذه الفتاة أن تكون زوجة لى . الفتاة التى سَوَّأتَ شخصى لها بالأمس .

رورلانـــد : أنت . . . ؟ تستطيع أن تتصور أن . . . . . ؟

جوهان تونسن : أعنى أني أريدها زوجة .

رورلانـــد : في هذه الحالة ستسمع — (يتجه إلى الباب شبه المفتوح) يا سيدة بيرنلك . هلا تفضلت أن تكوني شاهدة . . . وأنت يا آنسة مارتا . دعى دينا تدخل (يرى الآنسة هسل) وهل أنت هنا كذلك ؟

الآنسة هسل : (عند الباب) هل آتي أنا الأخرى ؟

رورلانـــد : أكبر عدد منكم إذا شئتم . كلما كثر العدد كان أفضل .

بيرنـــك : مـــــاذا أنت فاعل ؟

(يخرج من الحجرة كل من الآنسة هسل ــ السيدة بيرنك ــ الآنسة بيرنك ــ دينا وهلمار تونسن)

السيدة بيرنك : يا سيد رورلانـــد : بأحسن النوايا في هذا العالم لا أستطيع أن أمنعه ــ . . .

رورلانـــد : أنا سأمنعه يا سيدة بيرنك . يا دينا : أنت فتـــاة حمقاء . ولكنى لا ألومك كثيرا . لقد أقمت هنا كثيرا دون ذلك العون الأخلاقي الـــذى تحتاجين إليه ليقـّومك . اني ألوم نفسي أن لم أمتحك هذا العون حالا .

دينـــا : يجب ألا تقول شيئا الآن !

السيدة بيرنك : ولكن ماذا في الأمـــر ؟

رورلانـــد : يتحتّم علىّ أن أتكلم الآن يا دينا رغم أن سلوكك اليوم والأمس جعل الأمر أشق بالنسبة لى عشر مرات . ولكن لكى أنقذك يجب أن أسقط كل الاعتبارات الأخرى . تتذكرين ما وعدتك به . وتتذكرين وعدك بالاجابة عندما أجد الوقت قد حان . والآن يجب ألا أتردد أكثر من ذلك ذلك ولذا ــ (يخاطب جوهان تونسن) هذه الفتاة الشابة التى تتابعها هى زوجتى الموعودة .

السيدة بيرنك : مـــــاذا تقول ؟

بيرنـــك : دينـــا !

جوهان تونسن : هى ؟ زوجـــ . . . . ؟

الآنسة بيرنك : لا . لا يا دينـــا !

الآنسة هسل : انها أكذوبة !

جوهان تونسن : هل هذا الرجل يقول الحقيقة يا دينـــا ؟

دينـــا : (بعد فترة صمت قصيرة) نعم.

رولانـــد : نأمل أن يكون هذا قد قضى على كل فنون الاغواء عندك. وان الخطوة التى قررتها لصالح دينا يمكن أن يكشف عنها الغطاء للمجتمع بأسره. أطمع في ألا يساء تفسيرها. والآن ياسيدة بيرنك أعتقد أنه من الأفضل أن نبعدها عن هذا المكان ونحاول أن نعيد اليها السكينة والاتزان.

السيدة بيرنك : نعم . هيا بنا. آه يادينا . ياله من أمر رائع بالنسبه لك . (تخرج دينا الى اليسار ويخرج رولاند في أثرهما)

الآنسة بيرنك : وداعا ياجوهان (تخرج)

هلمار تونسن : (عند باب الحديقة) احم . حقا يجب أن أقول . .

الآنسة هسل : (التى تابعت دينا بعينيها) لاتفقد الأمل ياولدى. سأظل هنا أراقب الواعظ . (تخرج الى اليمين)

بيرنـــك : والآن ياجوهان لن تبحر على « الفتاة الهندية»

جوهان تونسن : بل سأفعل.

بيرنـــك : ولكنك لن تعود اذن؟

جوهان تونسن : سأعود ثانية.

بيرنـــك : بعد هذا؟ ماذا تنوى أن تفعل بعد هذا ؟

جوهان تونسن : أثأر لنفسي من شرذمتكم برمتها. أسحق أكبر عدد منكم.

(يخرج الى اليمين. ويدخل فايجلاند وكراب من حجرة بيرنك)

فايجلاند : أنت هنا. الأوراق مرتبة الآن ياسيد بيرنك.

بيرنـــك : حسن. حسن.

كـــراب : (بصوت منخفض) هل استقر الرأى اذن أن تبحر «الفتاة الهندية» غدا؟

بيرنـــك : يجب أن تبحر.

(يدخل حجرته. يخرج فايجلاند وكراب الى اليمين. هلمار تونسن على وشك أن يلحق بهما ولكن في تلك اللحظة يطل أولاف بحرص برأسه من الباب على اليسار)

أولاف : خالى! خالى هلمار!

هلمار تونسن : أوه! أهو أنت؟ لماذا لاتبقى بالدور العلوى؟ مفروض أن تكون في حجرتك.

أولاف : (يقترب بضع خطوات) اسمع ياخالى هلمار: هل تعرف الأخبار؟

هلمار تونسن : أعرف أنك ستضرب اليوم.

أولاف : (ينظر نحو حجرة والده مهددا) لن يضربنى ثانية. ولكن هل تدرى أن خالى جوهان سيبحر مع الأمريكان غدا؟

هلمار تونسن : ماعلاقة ذلك بلك ؟ عد الى الدور العلوى ثانية.

أولاف : هناك أمل في أن أخرج لصيد الجاموس ياخالى.

هلمار تونسن : هراء ! جبان مثلك . . . .

أولاف : بل انتظر . سنكتشف شيئا في الصباح.

هلمار تونسن : أيها الأحمق الصغير .

(يخرج عن طريق الحديقة. يندفع أولاف ثانية الى الحجرة ويغلق الباب عندما يرى كراب الذى يدخل من اليمين)

كـــراب : (يعبر الى باب حجرة بيرنلك ويفتحه قليلا) آسف لعودتي ثانية ياسيد بيرنلك. ولكن الرياح ستتحول الى عاصفة منتظمة. (ينتظر لحظـــة ولايتلقى اجابة) هل ستبحر « الفتاة الهندية » رغم ذلك ؟

(بعد فترة صمت يجيب بيرنلك من داخل حجرته)

بيرنـــلك : « الفتاة الهندية » يجب أن تبحر رغم ذلك.

(يغلق كراب الباب ويخرج ثانية الى اليمين)

* * *

الفصـــل الرابــع

(حجرة الحديقة في منزل آل بيرنك . مائدة العمل قد أزيلت . بعد ظهر يوم عاصف والظلام مخيم . يزداد الظلام أثناء المشهد التالى . يضيء خادم الشمعدان . تحضر خادمتان أوعية أزهار ومصابيح وأضـــواء وتضعانها على المائدة وعلى القواعد بجانب الحوائط . يقف رامل في الحجرة بملابس السهرة وقفاز ورباط عنق أبيض – يعطى التعليمـــات) .

رامـــــل : (يخاطب الخادم) أضيء شعلة بعـــد شعـــلة يا جاكوب . يجب ألا تبدو وليمة كبرى . انها ستكون على هيئة مفاجأة . وكل هذه الأزهار ؟ حسن . القها . ستبدو وكأنها هنا كل يوم .

(يخرج بيرنك من حجرته)

بيرنـــك : ما معنى كل هذا ؟

رامـــــل : يا إلهى . هل أنت هنا ؟ (إلى الخدم) نعم . تستطيعون أن تذهبوا الآن .

(يخرج الخادم والخادمتان من الباب الأقصى على اليســـار)

بيرنـــك : (يقترب أكثر) ولكن ما معنى كل هذا يا رامل؟

رامـــــل : يعنى أن أروع لحظة بالنسبة لك قد حانت . هذا المساء ستأتي المدينة عن بكـــــرة أبيها لتكرم مواطنها الأول .

بيرنـــك : مـــــاذا تقول ؟

رامـــــل : موكب ورايات وموسيقى . كان يجب أن نحمل المشاعل كذلك ولكننا لم نحب أن نجازف بهـــا في هذا الجو العاصف . طبعا ستكون هنـــــاك أنوار وسيبدو ذلك جيدا كذلك عندما ينشر في الصحف .

بيرنـــك : اسمع يا رامل . لن أسمع بشيء من هذا !

رامـــل : فات الأوان الآن . سيصلون إلى هنا في خلال نصف ساعة .

بيرنـــك : ولماذا لم تخبرني عن ذلك من قبـــــل .

رامـــــل : لأني كنت أخشى أن تعترض . ولكنى استشرت زوجتى . وسمحت لى أن أقوم ببعض الترتيبات وستتولى شأن المرطبـــات .

بيرنـــك : (ينصت) ما هذا ؟ هل وصلوا فعلا ؟ أعتقد أني اسمع غناء .

رامـــــل : (عند باب الحديقة) غناء ؟ انهم الأمريكان . ان « الفتاة الهندية » تسحب إلى العوامة .

بيرنـــك : تسحب ! نعم . . . لا . لا أستطيع هذا المساء يا رامـــل . لست بخير .

رامـــــل : نعم . تبدو متهالكا تماما . يجب أن تتماسك . يا

إلهي ! يجب أن تتماسك . انساندستاد وفايجلاند وأنا نعلق أهمية بالغة على تنفيذ هذه الخطة . يجب أن يتحطم معارضونا تحت أكبر ضغط من الرأى العام . هناك شائعات تنتشر في المدينة . ان بيانا عن شراء تلك الممتلكات لا يمكن تأجيله أكثر من ذلك . لا بد أن تخبرهم هذا المساء بالذات بين الأغاني والخطب اوضيكلك الكئوس — عندما يكونون في نشوة الوليمة — بتلك المغامرة التى التى قمت بها لصالح المجتمع . في هذه النشوة — كما قلت — يستطيع المرء أن يفعل بالناس الكثير .

بيرنك : نعم . نعم . نعم . . .

رامل : ولا سيما إذا ما أثير مثل هذا الموضوع الحساس . نحمد الله أن لك اسما يستطيع أن ينفذ ذلك يا بيرنك . ولكن استمع إلىّ : يجب أن نرتب الأمور بعض الشيء . لقد كتب هلمار تونسن أغنية لك . انها تبدأ بالكلمات الحماسية التالية : « أرفعوا راية المثالية عاليا » وأنيب رورلاند ليلقى خطبة الحفل . وبالطبع عليك أن ترد على ذلك .

بيرنك : لا أستطيع أن أفعل ذلك هذا المساء . ألا تستطيع أنت . . . ؟

رامل : مستحيل — مهما كانت لدىّ الرغبة في ذلك . انك تدرك أن الخطبة ستوجه إليك بصفة رئيسية

وبالطبع قد تكون هناك بعض الكلمات موجهة إلينا . ولقد تحدثت إلى ساندستاد وفايجلاند عن ذلك . وفكرنا أنك تستطيع أن تجيب بأن تشرب نخب رخاء المجتمع ، ويتحدث ساندستاد ببضع كلمات عن الوئام بين طبقات المجتمع المختلفة ، ويعبر فايجلاند عن الأمل في ألا يزعج المشروع الجديد ذلك الأساس الخلقى الذى نقف عليه الآن ، بينما أفكر أنا في أن أقول بضع كلمات منتقاة عن تقدير المرأة التى لايمكن تجاهل أنشطتها المتواضعة . ولكنك لاتنصت . . . .

بيرنـــك : نعم . نعم . أنصت . ولكن خبرنى . هل تعتقد أن البحر مضطرب تماما هناك ؟

رامـــل : آه : انك قلق على « شجرة النخيل » ؟ ولكنها مؤمن عليها تماما .

بيرنـــك : نعم . مؤمن عليها . . . ولكن . . . .

رامـــل : وأصلحت جيدا . وهذا هو الشيء الرئيسى .

بيرنـــك : احم . ولكن اذا حدث شيء فعلا للسفينة فلا يعنى ذلك بالضرورة خسارة في الأرواح . فقد تضيع السفينة والبضائع وقد يفقد المسافرون حقائبهم . وأوراقهم . . .

رامـــل : أى شيطان . . . . ؟ الحقائب والأوراق لاتهم .

بيرنـــك : ألا تهم ؟ لا . لا . قصدت فقط . . . اسمع ! انهم يغنون ثانية .

رامـــل : ذلك على ظهر « شجرة النخيل »

(يدخل فايجلاند من اليمين)

فايجلانـــد : « شجرة النخيل » تسحب مساء الخير أيها القنصل

بيرنـــك : وأنت . . كرجل يعرف البحر . . هل مازلت تتمسك بِ . . . . . ؟

فايجلانـــد : اني من جانبي أتمسك بالقدرة الالهية ياسيد بيرنك. لقد كنت على ظهر السفينة ووزعت بعض المنشورات التي آمل ان تأتي بنتائج طيبة .

(يدخلساندستاد وكراب من اليمين)

ساندستاد : (مازال في المدخل) اذا نجحوا في ذلك فسينجحون في أى شيء آخر . هاأنتم هنا ! مساء الخير . مساء الخير .

بيرنـــك : هل هناك شيء ياكراب ؟

كـــراب : ليس عندى ماأبلغه ياسيد بيرنك .

ساندستاد : كل بحارة « الفتاة الهندية » سكارى . اذا صعد السفينة هؤلاء الأوغاد أحياء . . . !

(تدخل الآنسة هسل من اليمين)

الآنسة هسل : (تخاطب بيرنك) طلب منى أن أودعك .

بيرنـــك : هل هو على ظهر السفينة ؟

الآنسة هسل : حالا على أى حال . لقد افترقنا خارج الفندق .

بيرنـــك : ومازال متمسكا بغرضه ؟

الآنسة هسل : ثابت كالصخرة .

رامــل : (بجانب النافذة) لعنة الشيطان على هذه الحبائل المعقدة . لا أستطيع أن أسدل الستائر .

الآنسة هسل : وهل يجب أن تسدل ؟ اعتقدت . . . .

رامــل : تنزل الستائر أولا ياآنسة هسل : طبعا تعرفين مايجرى ؟

الآنسة هسل : نعم . دعنى أساعدك . (تمسك بالحبل) سأسدل الستار على زوج أختى رغم أني أود أن أرفعه .

رامــل : تستطيعين أن تفعلى ذلك فيما بعد . عندما تمتلىء الحديقة بهذا الحشد الذى يشدو ، عندئذ تستطيعين رفع الستائر وسينظر الناس الى هنا على أسرة سعيدة أخذتها الدهشة . يجب أن يكون منزل المواطن في شفافية الزجاج .

(يبدو أن بيرنلك على وشك أن يقول شيئا ولكنه يستدير بسرعة ويدخل حجرته)

رامــل : فلنعقد آخر مجلس لنا . هل ستأتي أنت كذلك ياسيد كراب ؟ نريد أن تساعدنا في استيضاح حقيقة أو اثنتين .

(يدخل الرجال جميعهم حجرة بيرنلك . أسدلت الآنسة هسل ستائر النافذة وعلى وشك أن تفعل نفس الشيء بتلك الستائر التى أمام الباب الزجاجي عندما يقفز أولاف من عل على درجة الحديقة . يحمل دثار سفر على كتفه وحزمة في يده)

الآنسة هسل : ليغفر الله لك يافتى . كم أزعجتنى !

أولاف : (يخفي الحزمة) اسكتي ياخالتي لونا !

الآنسة هسل : لماذا تقفز من النافذة؟ أين أنت ذاهب ؟

أولاف : اسكتي . لاتقولي شيئا . أنا ذاهب الى خالي جوهان هناك على رصيف الميناء . لأودعه فقط . تصبحين على خير ياخالتي لونا ! (يجرى الى الخارج عبر الحديقة)

الآنسة هسل : بل ابق هنا . أولاف ! أولاف !

(يدخل جوهان تونسن بحرص من الباب الى اليمين وهو يلبس ملابس الرحلات ويحمل جرابا على كتفيه)

جوهان تونسن : لونا !

الآنسة هسل : (تلتفت) ماذا ! هل عدت ؟

جوهان تونسن : مازالت هناك بضع دقائق . يجب أن أراها مرة أخرى . لايمكن أن نفترق هكذا .

(تدخل الآنسة بيرنك ودينا من الباب الأقصى على الشمال وكلاهما في ملابس الخروج وتحمل دينا خرج سفر في يدها)

دينـــا : يجب أن أذهب اليه ! يجب !

الآنسة بيرنك : نعم . ستذهبين اليه يادينا .

دينـــا : هاهو ذا !

جوهان تونسن : دينا !

دينـــا : خذني معك .

جوهان تونسن : ماذا !

الآنسة هسل : تريدين ذلك ؟

دينـــا : نعم . خذني معك . لقد كتبَ الىّ اليوم وقال إنه سيعلنها على الملأ هذا المساء .

جوهان تونسن : يادينا : أنت لاتحبينه ؟

دينـــا : لم أحب ذلك الرجل مطلقا . سأألم بنفسي في « الفيورد » (الخليج) اذا تمت خطبتى اليه ! ألم يجبرني على أن أجثو على ركبتى الليلة الماضية بكلماته المعسولة ؟ ألم يجعلني أشعر بأنه كان يرفع شيئا أقل منه الى مستواه ! لن أحتقر بعد اليوم . سأرحل . هل لى أن آتي معك ؟

جوهان تونسن : نعم . نعم . وألف مرة نعم !

دينـــا : لن أكون عبئا عليك لفترة طويلة . ساعدني فقط على الرحيل . ساعدني لأقف على قدمىّ أولا . .

جوهان تونسن : وافرحتاه ! لابأس يادينا !

الآنسة هسل : (تشير نحو باب بيرنك) اسمع ! بهدوء ! بهدوء !

جوهان تونسن : سأتولى أمرك يادينا .

دينـــا : لن أدعك تفعل ذلك . أريد أن أشق بنفسى وأستطيع أن أفعل ذلك بنجاح هناك . اذا ماأفلت من هنا . آه ! تلك النسوة . . . أنت لاتعرف الحقيقة . لقد كتبن الىّ اليوم . لقد نصحننى أن أفكر في مصلحتى وكيف أنه اتخذ موقفا كريما

مني . غدا وكل يوم سيراقبني ليرين اذا ماكنت جديرة بكل هذا . اني أفزع من كل مظاهر الاحترام هذه !

جوهان تونسن : خبريني يادينا . هل هذا هو السبب الوحيد في ذهابك ؟ ألست شيئا بالنسبة لك ؟

دينا : طبعا ياجوهان . أنت بالنسبة لى أهم من أى شخص آخر .

جوهان تونسن : دينا . . . !

دينا : كلهم هنا يقولون انه يجب علىّ أن أكرهك وأمقتك . وان هذا هو واجبي . ولكنى لاأفهم كل مايقولونه عن الواجب . لاأستطيع أن أفهم ذلك مطلقا .

الآنسة هسل : ولن تفعلى ياطفلتى !

الآنسة بيرنك : لا . لن تفهمى . وهذا هو السبب في أنك ستذهبين معه كزوجته .

جوهان تونسن : نعم . نعم .

الآنسة هسل : ماذا ؟ والآن يجب أن أقبلك يا مارتا ! لم أتوقع ذلك منك مطلقا .

الآنسة بيرنك : لا . أصدقك ذلك . لم أتوقعها من نفسى . ولكن كان لابد أن تصل إلى نقطة الانكسار في وقت ما . كم نعاني هنا تحت وطأة العادات — والتقاليد تمردى عليها يا دينا . كوني زوجة له . فليكن هناك شيء ما يتحدى كل هذه التقاليد والعادات !

جوهان تونسن : ما جوابك يا دينا ؟

دينـــا : نعم . سأكون زوجة لك .

جوهان تونسن : دينـــا !

دينـــا : ولكنى سأعمل أولا وسأكون شيئا مثلك. لن أكون مجرد شيء يؤخذ .

الآنسة هسل : هذا صحيح تماما . هذه هى الروح !

جوهان تونسن : حسن . سأنتظر وآمل . . .

الآنسة هسل : وستكسب يا فتاى ! ولكن الآن إلى ظهر السفينة !

جوهان تونسن : نعم . إلى ظهر السفينة ! آه يا لونا – يا أختى العزيزه كلمة واحدة اسمعـــى . . .
(يقودها إلى خلفية المسرح ويتحدث إليهـــا بسرعة)

الآنسة بيرنك : يا دينا يا سعيدة الحظ . دعينى أنظر إليك وأقبلك مرة أخرى – للمرة الأخيرة .

دينـــا : ليست المرة الأخيرة . لا يا خالتى العزيزة مارتا . سنرى بعضنا مرة أخـــرى .

الآنسة بيرنك : مطلقا ! عدينى بذلك يا دينا . لا تعودى مطلقا . (تمسك بكلتا يديها وتنظر إليها) والآن اذهبى إلى سعادتك يا ابنتى الغالية على أمواج البحر . كم من المرات جلست في حجرة الدراسة وتمنيت أن أكون هناك . لا بد أن الحياة هناك جميلة : السموات أكثر اتساعا والسحب أكثر ارتفاعا من هنا والرياح تهب فوق الرءوس بحرية .

دينـــا : يا خالتى مارتا : ستلحقين بنا يوما ما .

الآنسة بيرنك : أنا ؟ مطلقا . هنا عملى الصغير في الحياة . والآن أعتقد أني أستطيع أن أحقق رغباتي تماما .

دينـــا : لا أدرى كيف سأفترق عنك .

الآنسة بيرنك : آه ! يمكن للمرء أن يتخلى عن الكثير يا دينا. (تقبلها) ولكنك لن تمرى بهذه التجربة يا ابنتى الغالية . عدى بأن تجعليه سعيدا .

دينـــا : لن أعد بشيء . إني أكره هذا الوعد . لا بد للأمور أن تأخذ مجراها .

الآنسة بيرنك : نعم . نعم. يجب ذلك . يجب أن تظلى على ما أنت عليه : أمينة وصادقة مع نفسك .

دينـــا : سأكون كذلك يا خالتى مارتا .

الآنسة بيرنك : (تضع في جيبها أوراقا أعطاها اياها جوهان تونسن) حسن . حسن يا ولدى العزيز . ولكن اذهب الآن !

جوهان تونسن : نعم. ليس هناك مضيعة للوقت الآن . وداعا يا لونا. شكرا على كل حبك . وداعا يا مـــارتـــا وشكرا لك كذلك على صداقتك المخلصة .

الآنسة بيرنك : وداعا يا جوهان : وداعا يا دينا ! وأرجو لكم جميعا السعادة على مدى الأيـــام !

(هى والآنسة هسل تودعهما على الباب الخلفى . يخرج جوهان تونسن ودينا بسرعة عن طريق

الحديقة . تغلق الآنسة هسل الباب وتسدل الستائر)

الآنسة هسل : والآن أصبحنا وحيدتين يا مارتا. لقد فقدتها وأنا فقدته .

الآنسة بيرنك : أنت — فقدته ؟

الآنسة هسل : سبق لى أن فقدته تقريبا هناك . كان الفتى يتوق إلى أن يقف على قدميه . لذلك جعلته يعتقد أني أردت العودة إلى هنا .

الآنسة بيرنك : أكان الأمر كذلك ؟ والآن فهمت لماذا أتيت ولكنه سيستدعيك ثانية يا لونا .

الآنسة هسل : أخت عجوز غير شقيقة — ماذا يريد بها الآن ؟ الرجال يمزقون روابط كثيرة وعظيمة ليصلوا إلى سعادتهم .

الآنسة بيرنك : نعم . هذا يحدث أحيانا. . . .

الآنسة هسل : ولكنا سنتكاتف يامارتا.

الآنسة بيرنك : وهل يمكننى أن أكون شيئا بالنسبة لك؟

الآنسة هسل : ومن يستطيع أكثر منك؟ نحن كلانا أمّان بالتربية . . ألم نفقد أبناءنا ؟ والآن أصبحنا وحيدتين.

الآنسة بيرنك : نعم . وحيدتان . ولذلك سأبوح لك . لقد أحببته أكثر من أى شيء في العالم .

الآنسة هسل : مارتا ! (تمسك بذراعها) هل هذه هى الحقيقة ؟

الآنسة بيرنك : حياتي كلها تكمن في تلك الكلمات . لقد أحببته وانتظرته. وكل صيف توقعت مجيئه . ثم أتي . . . ولكنه لم يرني.

الآنسة هسل : أحببته! ثم انه أنت التى وضعت سعادته في يديه. . . .

الآنسة بيرنك : ألا ينبغى أن أمنحه السعادة اذ أحببته؟ نعم لقد أحببته لقد عشت حياتي من أجله منذ أن رحل. قد تتساءلين : أى أساس عندى للأمل؟ أعتقد أن عندى بعض الأسباب. ولكنه عندما عاد ثانية. . بدا لى كما لو كان كل شيء قد انمحى من ذاكرته . انه لم يرني.

الآنسة هسل : انها دينا تلك التى غطت عليك يامارتا.

الآنسة بيرنك : حسنا فعلت. عندما رحل كنا في نفس السن، وعندما رأيته ثانية. . آه لتلك اللحظة الفظيعة! . . . أحسست أني أكبره بعشر سنوات . لقد عاش هناك تحت أشعة الشمس المشرقة وتنشق الشباب والصحة مع كل شهيق بينما جلست أنا بالمنزل أغزل وأغزل. . . .

الآنسة هسل : خيوط السعادة يامارتا.

الآنسة بيرنك : نعم . كنت أغزل ذهبا. لامرارة ! هذا صحيح يالونا. أليس كذلك . . أن كنا أختين له صالحتين ؟

الآنسة هسل : (تلف ذراعيها حولها) مارتا !

(يخرج بيرنك من حجرته)

بيرنـــك : (الى الرجال بالداخل)نعم . نعم . دبروا الأمر كله كما تشاءون . عندما يحين الوقت سأفعل .. (يغلق الباب) هل هناك أحد اسمعى يامارتا : يجب أن تبدلى ثيابك. وأخبرى بتى أن تفعل نفس الشيء. لاأريد شيئا مبالغا فيه بالطبع . مجرد ثوب هادىء للبيت. ولكن يجب أن تسرعى

الآنسة هسل : ونظرة سعيدة راضية يامارتا. البسى تعبيرا ابهيجا .

بيرنـــك : يجب أن ينزل أولاف هو الآخر. أريده بجوارى .

الآنسة هسل : احم . أولاف . . . .

الآنسة بيرنك : سأخبر بتى. (تخرج من الباب الأقصى الى الشمال

الآنسة هسل : اذن حلّت الساعة العظيمة المهيبة.

بيرنـــك : (يمشى بقلق جيئة وذهابا) وذهابا) نعم حلّت.

الآنسة هسل : اعتقد أن المرء يجب أن يشعر بالزهو والسعادة في لحظة كهذه .

بيرنـــك : (ينظر اليها) احم !

الآنسة هسل : سمعت أن المدينة كلها ستتلألأ بالأنوار .

بيرنـــك : نعم . وضعوا خطة لذلك.

الآنسة هسل : كل المنظمات والجمعيات ستأتي براياتها. سيلمع اسمك بحروف من نار. والليلة ستطير البرقيات الى شتى أنحاء الوطن: « محاطا بأسرته السعيدة تلقى السيد بيرنك ولاء وتقدير بنى وطنه كواحد من أعمدة المجتمع »

بيرنسك : سيفعلون وسيصيحون «مرحى !» بالخارج وستنادى عليّ الجماهير أن أخرج اليهم من هذا الباب وسيكون عليّ أن أنحنى وأن أشكرهم.

الآنسة هسل : ولماذا «عليّ» ؟

بيرنسك : هل تظنين أني أشعر بالسعادة في هذه اللحظة؟

الآنسة هسل : لا. لا أعتقد أنك تستطيع أن تشعر بالسعادة التامة

بيرنسك : أنت تحتقرينني يالونا.

الآنسة هسل : ليس بعد.

بيرنسك : وليس لك الحق في ذلك . ليس لك أن تحتقريني . يا لونا : أنت لا تتصورين كم أنا وحيد هنا في هذا المجتمع الضيق المعوق ، وكيف أني كل عام أجد نفسي مضطرا لأن أتخلى عن حقي في حياة كاملة مرضية . ماذا أنجزت مهما بدا ذلك كبيرا ؟ فتات وخليط لا طائل من ورائه . ولكن لا شيء أعظم من هذا أو غير هذا يطاق هنا . إذا ما حاولت أن أخطو خطوة واحدة تفوق مزاج ونظرة اللحظة التي تعيشها ستكون على حساب سلطتي ونفوذي . أتدرين من نحن — أولئك الذين يعتبرون أعمدة المجتمع ؟ نحن آلات هذا المجتمع لا أكثر ولا أقل .

الآنسة هسل : ولماذا اكتشفت هذا لأول مرة الآن ؟

بيرنسك : لأني كنت أفكر كثيرا مؤخرا ومنذ أن عدت — ولا سيما هذا المساء . آه يا لونا — لماذا لم

أعرفك — ذاتك الحقيقية في تلك الأيام الخوالى ؟

الآنسة هسل : وماذا لو كنت فعلت .

بيرنــك : ما كنت لأتخلى عنك . واذا كنت حظيت بك لما وقفت حيث أقف الآن .

الآنسة هسل : ألا تفكر مطلقا ماذا يمكن أن تكون بالنسبة لك . . هى التى اخترتها بدلا منى ؟

بيرنــك : أعرف على أى حال أنها لا شيء بالنسبة لى — لا شيء أحتاجه .

الآنسة هسل : لأنك لم تشركها في حياتك العملية . لأنك لم تسمح لها أن تكون على قدم المساواة معك بحرية وبأمانة . لأنك تركتها تثقل بالفضيحة والعار الذى ألصقته بأقرب الناس إليها .

بيرنــك : نعم . نعم . نعم . كل هذا ينبع من الأكاذيب والادعاءات .

الآنسة هسل : اذن لماذا لا تتخلى عن هذه الادعاءات والاكاذيب

بيرنــك : الآن ؟ فات الأوان يا لونا .

الآنسة هسل : قل لى يا كارستن — أى متعة يعطيك اياه هــذا الادعــاء والخداع ؟

بيرنــك : لا تعطينى شيئا . لا بد أن أهلك مثل باقي هذا النظام الاجتماعى — ذلك النظام العفن الخرب . ولكن هناك جيلا ينمو من بعدنا . انى أعمل من أجل ابنى ومن أجله أقيم عملا دائما . سيأتي اليوم

الذى تصبح فيه الحقيقة عادة مستقرة في حياة الناس وعلى هذا سيقيم حياة أسعد من حياة أبيه .

الآنسة هسل : ويتخذ من الأكذوبة أساسا وقاعدة ؟ فكر فيما ستترك لولدك من تراث .

بيرنسك : (يكبت) يأسه (اني أعطيه تركة أسوأ ألف مرة مما تعرفين . ولكن في يوم ما سترفع اللعنة — ومع ذلك — ومع ذلك (ينفجر) كيف استطعت أن تنزلى بي كل هذا ! ولكن انتهى الأمر الآن . يجب أن أذهب . لن تستمتعى بتحطيمى .

(يدخل هلمار تونسن من اليمين وبيده خطاب مفتوح — متعجلا مضطربا)

هلمار تونسن : ولكن حقا — بتى ، بتى !

بيرنسك : ماذا هناك ؟ هل وصلوا فعلا ؟

هلمار تونسن : لا . لا . ولكن لا بد أن أتحدث إلى شخص ما — (يخرج من الباب الأقصى إلى الشمال) .

الآنسة هسل : يا كارستن : تقول بأننا أتينا هنا لنحطمك . إذن دعني أخبرك بطبيعة ذلك الابن المسرف الذى يتجنبه مجتمعك الأخلاقي كما لو كان مصابا بالطاعون . انه يستطيع أن يستغنى عنك لأنه رحل الآن .

بيرنسك : ولكنه سوف يعو . . .

الآنسة هسل : جوهان لن يعود . لقد رحل إلى الأبد ورحلت دينا معه .

بيرنــك : لن يعود ؟ ودينا ذهبت معه ؟

الآنسة هسل : نعم . لتكون زوجة له . هذا كيف صفع هذان الاثنان وجه مجتمعك الفاضل كما فعلت أنا ذات مرة . . . . . . حسن !

بيرنــك : ذهبت . هى الأخرى . على « الفتاة الهندية » . . .

الآنسة هسل : لا . لم يجرؤ على أن يعهد بهذا الكنز الثمين إلى هذه المجموعة المتهتكة . جوهان ودينا أبحرا على « شجرة النخيـــل »

بيرنــك : آه ! هكذا . . . . لا جدوى . . . (يعبر بسرعة وينزع باب حجرته وينادى بالداخل) يـــا كراب : أوقف « الفتاة الهندية » . يجب ألا تبحـــر الليلة .

كــراب : (من الداخل) « الفتاة الهندية » خرجت إلى عرض البحر يا سيد بيرنك .

بيرنــك : (يغلق الباب ويقول بكآبة) فات الأوان . . . ولا جدوى .

الآنسة هسل : ماذا تعنى ؟

بيرنــك : لا شيء . لا شيء . اذهبي !

الآنسة هسل : استمع إلىّ يا كارستن . لقد طلب منى جوهان أن أبلغك بأنه يترك في يدى الاسم والسمعة التى أعارك اياها في يوم ما وكذلك تلك التى سرقتها منه عندما رحـــل . ولن يقول جوهان شيئا و وأستطيع أن أتصرف أولا أتصرف في هـــذا

الموضوع كما أشاء . انظر : ان خطابيك تحت يدى .

بيرنـــك : هما عندك ! وستقومين — هذا المساء بالذات — ربما عندما يأتي الموكب . . . .

الآنسة هسل : لم آتى إلى هنا لأفضح أمرك ولكن لأحدثك على أن تتكلم بمحض ارادتك . ولم أنجح . ولـــــذا ابق مغروسا في الأكذوبة . اسمع : سأمزق الخطابين الاثنين . خذ القصاصات . ها هى ذى . والآن ليس هناك دليل ضدك يا كارستن . أنت في مأمن الآن . كن سعيدا كذلك — لو استطعت.

بيرنـــك : (بالغ التأثر) لماذا لم تفعلى ذلك من قبل يا لونا ؟ الآن قد فات الأوان . الحياة انتهت بالنسبة لى . لا أستطيع أن أواصل حياتي بعد اليوم .

الآنسة هسل : مـــــاذا حدث؟

بيرنـــك : لا تسأليني . ومع ذلك يجب أن أعيش . سوف أعيش من أجل أولاف . سيصحح كل شيء ويعوض كل شيء .

الآنسة هسل : كارستن !

(يدخل هلمار تونسن على عجل ثانية)

هلمار تونسن : لا يوجد أحد . الكل بالخارج . ولاحتى بتى .

بيرنـــك : ماذا دهـــاك ؟

هلمار تونسن : لا أجرؤ عـــلى أن أخبرك .

بيرنـــك : ماذا هناك ؟ يجب أن تخبرني . سوف تفعل !

هلمار تونسن : حسن اذن . لقد هرب أولاف على ظهر « الفتاة الهندية » .

بيرنـــك : (يترنح) أولاف ــ على ظهر « الفتاة الهندية » ! لا . لا !

الآنسة هسل : هل فعل ذلك حقيقة ؟ والآن أفهم . رأيته يقفز من النافـــذة .

بيرنـــك : (عند باب حجرته ـــ ينادى في يأس). يا كراب أوقف « الفتاة الهندية » بأى ثمـــن !

كـــــراب : (يخرج) مستحيل يا سيد بيرنك . كيف لك أن تظـــن . . . ؟

بيرنـــك : يجب أن نوقفها . أولاف على ظهرها !

كـــــراب : ماذا تقول ؟

رامـــل : (يخرج) : أولاف هرب ؟ مستحيل !

ساندستاد : (يدخل) سيرجعونه مع المرشد بالطبع .

هلمار تونسن : لا . لا . لقد كتب إلى . (يخرج خطابا) يقول انه سيختفى بين البضاعة إلى أن يصلوا إلى عرض البحـــــر .

بيرنـــك : لن أراه ثانيـــة .

رامـــل : هراء . سفينة جيدة قوية رممت حديثا . . .

فايجلانـــد : (الذى خرج هو الآخر) في حوض سفنك يا سيد بيرنـــك .

بيرنـــك : أؤكد لكم أني لن أراه ثانية . لقد فقدته يـــا

لونا — وأدرك الآن أنه لم ينتم إلى حقا في يــوم من الأيام (ينصت) ما هـــذا ؟

رامــــل : الموسيقى . الموكب قادم .

بيرنـــك : لاأستطيع . لن أقابل أحدا .

رامــــل : ماذا يدور بذهنك ؟ لن ينفع ذلك مطلقا .

ساند ستاد : مستحيل . ياسيد بيرنك . فكر فيما تخاطر به .

بيرنـــك : ماذا يهم من ذلك كله الآن ؟ ولمن سأعمل الآن ؟

رامــــل : أيمكن أن تسأل مثل هذا السؤال ؟ أمامك نحن والمجتمع .

فايجلانـــد : نعم . هذه كلمة صادقة .

ساندستاد : وبالتأكيد أنت لاتنسى أيها القنصل أننا . . . .

(تدخل الآنسة بيرنك من الباب الأقصى الى الشمال والخلف . تسمع موسيقى رقيقة بعيدة في الشارع)

الآنسة بيرنك : الموكب يقترب . ولكن بتي ليست هنا . لاأفهم أين هي ؟

بيرنـــك : ليست بالبيت . هكذا ترين يالونا . لامساندة في السراء أو الضراء .

رامــــل : ارفعوا الستائر . تعال وساعدني ياسيد كراب وأنت كذلك ياساندستاد . من المؤسف جدا أن تتبعثر الأسرة هكذا وفي هذه اللحظة بالذات . معارضون للبرنامج .

(ترفع الستائر عن النوافذ والباب . يرى الشارع

كله مضاء . على المنزل المقابل توجد لوحة كبيرة مضاءة وعليها « عاش كارستن بيرنك . . . دعامة مجتمعنا »

بيرنك : (يتراجع) انزعوا كل هذا . لاأريد أن أراها . أطفئوها ! أطفئوها .

رامل : بكل احترام . . هل فقدت عقلك ؟

الآنسة بيرنك : ماذا أصابه يالونا ؟

الآنسة هسل : اسكتي ! (تتحدث اليها بصوت خفيض)

بيرنك : أزيلوا هذه اللوحة . أؤكد لكم أنها سخرية . ألا ترون أن كل هذه الأضواء . . بل الشعلات . تخرج ألسنتها لنا .

رامل : حسن . أقول . . .

بيرنك : ماذا تعرف أنت عنها ؟ أما أنا . . . أنا . . ! إنها أضواء شموع الجنازة .

كراب : احم . . .

رامل : اسمع يارجل . . انك تبالغ في كل هذا . .

ساندستاد : سيقوم الفتى برحلة عبر الأطلنطي ثم سيعود اليك ثانية .

فايجلاند : سلّم أمرك للخالق ياسيد بيرنك .

رامل : وللسفينة يابيرنك . انها لن تغوص . . هذاماأعرفه

كراب : احم .

رامــل : لو كانت أحد التوابيت الطافية التى نسمع عنها في الدول الكبرى . .

بيرنــك : أشعر بشعرى يشيب في هذه الساعة .

(تدخل السيدة بيرنك من باب الحديقة وعلى رأسها شال كبير)

السيدة بيرنك : كارستن . كارستن . . هل تعرف . . ؟

بيرنــك : نعم أعرف . ولكن أنت التى لاترى شيئا . أنت التى يجب أن تراقبه كأم . . .

السيدة بيرنك : ولكن أنصت الى . . . !

بيرنــك : لماذا لم تراقبيه ؟ لقد فقدته الآن . اعيديه الى لو استطعت .

السيدة بيرنك : ولكنى أستطيع . لقد عثرت عليه !

بيرنــك : عثرت عليه !

الرجــال : آه !

هلمار تونسن : ظننت ذلك .

الآنسة بيرنك : لقد استرددته ياكارستن !

الآنسة هسل : نعم . والآن اكسبه كذلك .

بيرنــك : أنت عثرت عليه ! هل هذا صحيح . . ذلك الذى تقولين ؟ أين هو ؟

السيدة بيرنك : لن تعرف ذلك حتى تغفر له.

بيرنــك : اغفر له ! ياالهى ! ولكن كيف اكتشفت . ؟

السيدة بيرنك : أتظن أن الأم لا تلحظ شيئا ؟ كنت في منتهى الخوف أن تكتشف شيئا. كلمة أو كلمتان أو أفلتت منه بالأمس . . . وكانت حجرته خالية وحقيبة ظهره وملابسه مختفية . . .

بيرنـــك : نعم — وبعـــد ؟

السيدة بيرنك : انطلقت وأمسكت بأون وأبحرنا في قاربه . كانت السفينة الأمريكية على وشك أن تبحر . ولكن — حمدا لله — وصلنا هناك في الوقت المناسب . وصعدنا إلى ظهر السفينة وفتشنا العنبر ووجدناه . يجب ألا تعاقبه يا كارستن .

بيرنـــك : بنى !

السيدة بيرنك : ولا تعاقب أون .

بيرنـــك : أون ؟ ماذا تعرفين عنه ؟ هل ستبحر « الفتاة الهندية » ثانيـــة ؟

السيدة بيرنك : لا . هذا هو الموضوع .

بيرنـــك : خبريني . استمرى !

السيدة بيرنك : كان أون متضايقا مثلى تماما . واستغرق البحث بعض الوقت وحل الظلام ووضع المرشد بعض الصعوبات . ولذا غامر أون — باسمك —

بيرنـــك : وبعـــد ؟

السيدة بيرنك : أن يمنع السفينة حتّى الغـــد .

كـــــراب : احم . . . !

بيرنـــك : يا للرحمة الكبرى !

السيدة بيرنك : لست متضايقا ؟

بيرنـــك : يا لها من رحمة كبرى يا بنى !

رامــــل : ضميرك حى جدا .

هلمار تونسن : هناك احتمال معركة صغيرة مع الطبيعة — ثم — أوه !

كـــراب : (عند النافذة) الموكب يدخل من بوابة الحديقة يا سيد بيرنك .

بيرنـــك : نعم . سيستطيعون أن يأتوا الآن .

رامــــل : الحديقة بأسرها تعج بالناس .

ساندستاد : والشارع مكتظ .

رامــــل : لقد خرجت المدينة بأسرها يا بيرنك . انها حقا لحظة ملهمـــة .

فايجلانـــد : فلنتقبل الأمر بروح متواضعة يا سيد رامل .

رامــــل : كل الرايات مرفوعة . يا له من موكب؟ ! هناك لجنتنا وعلى رأسها السيد رورلانـــد .

بيرنـــك : حسن . فليأتوا .

رامــــل : ولكن — اسمع : الحالة الذهنية التى أنت عليها .

بيرنـــك : مـــــاذا بها ؟

رامــــل : كنت أحب كثيرا أن أتكلم باسمك .

بيرنـــك : لا . شكرا . الليلة سوف أتكلم باسمـــى .

رامـــل : ولكن هل تعرف ما عليك أن تقوله ؟

بيرنـــك : اطمئن يا رامل — أعرف ما يجب أن أقول — الآن.
(تتوقف الموسيقى في تلك الأثناء . ويفتح باب الحديقة بشدة . ويدخل رورلاند على رأس اللجنة يصحبه خادمان يحملان سلة مغطاة . ومن ورائهم يأتي أناس من شتى الطبقات بقدر ما تتسع الحجرة . يمكن أن يرى جمهور خفير يحمل الرايات والأعلام خارج الحديقة وعلى طول الطـــريق) .

رورلانـــد : تهانينا لك يا سيدى : أرى من الدهشة التى نلمحها على وجهك أننا نفرض أنفسنا عليك كضيوف على غير موعد — هنا في محيط أسرتك السعيدة وبجوار مدفأتك الهادئة يحيط بك أصدقاء ومواطنون متميزون محبوبون . ولكن استجابة لدافع قلوبنا نقدم لك تحيتنا . وليست هذه أول مرة يحدث فيها مثل هذا الشيء ولكنها أول مرة مرة يحدث فيها ذلك على نطاق واسع . وفي مرات عديدة قدمنا لك الشكر على ذلك الأساس الخلقى العريض الذى أقمت عليه مجتمعنا . وهذه المرة نحيى فيك — فوق كل شيء — المواطن نافذ البصيرة — الذى لا يكاد — المضحى بنفسه الذى أخذ زمام — المبادرة في مشروع — في نظر كل من يعرف — سيعطى دافعا قويا لرخاء المجتمع ورفاهيتـــه .

أصوات بين

الجماهـير : برافـو ! برافـو !

رورلانـد : أنت يا سيدى كنت النموذج اللامـع لمدينتنا لسنوات كثيرة . أنا لا أتحدث الآن عن حياتك العائلية التى تعتبر مثلا يحتذى ولا عن سلوكك الفاضل الذى لم يدنس . فلنترك هذه الأشياء لحديث خاص . اذ أنها ليست للاحتفال العام . لا . اني أتحدث عن خدماتك العامة التى تقوم بها أمام الجميع . ان السفن المتينة البنيان تخرج من من حوض سفنك وترفع علمنا في أقصى البحار . ان عددا كبيرا من العمال السعداء ينظرون إليك كأب . وبايجادك تطورات صناعية جديدة وضعت الأساس لرخاء مئـات العائلات . وبمعنى آخر أنت بصفة خاصة الدعامة الرئيسية لهذا المجتمع .

أصـوات : أعد ! أعد ! برافو !

رورلانـد : وان هذا الايثار بالذات الذى يلقى بشعاعه فوق كل أعمالك والذى يترك أثرا خيرا ولا سيما في هذه الأيام . انك على وشك أن تنجز لنا — نعم — لن أتردد في أن أطلق عليه اسمه اليومى المبتذل سكة حديد .

أصوات كثيرة : برافو ! برافو !

رورلانـد : ولكن قد يبدو أن هذا المشروع يلاقي الصعوبات

ويحيط به كثير من المصالح الشخصية التى تنم عـــن أنانيـــة .

أصوات : تمـــام ! تمام !

رورلانـــد : انه لم يعد سرا أن أفرادا معينين لا ينتمون إلى مجتمعنا قد أحبطوا مواطنى هذا المكان الكادين الأشداء وحصلوا على بعض الامتيازات كان يجب أن تصبح حقا شرعيا لمواطنى هذه المدينة .

أصوات : نعم . نعم . تمام . تمام .

رورلانـــد : هذه الحقيقة المرة لفتت انتباهك بالطبع يا سيد بيرنك . ولكنك رغم هذا تابعت غرضك دون أن تحيد وأنت تعرف جيدا أن المواطن المخلص يجب ألا يجعل نصب عينيه مصلحة حيّه فقط .

أصوات مختلفة : ماذا ؟ لا ! لا ! نعم ! نعم !

رورلانـــد : ان مثل هذا الرجل ـ المخلص إلى مدينته ودولته معا ـ مثل هذا الرجل يجب وينبغى أن يكون ذلك الذى نحيى الليلة في شخصك . أرجو أن يكون مشروعك منبعا لرخاء حقيقي دائم لهذا المجتمـــــع . ان السكة الحديد يمكن أن تكون قطعا وسيلة لانفتاحنا على مؤثرات مفسدة من العالم الخارجى ولكنها يمكن أن تكون كذلك وسيلة لتخليصنا منها بسرعة . وحتى وهى على هذا الحال لا يمكننا أن نتخلص تماما من العناصر الشريرة الخارجية . ولكن الحقيقة هى أننا في

هذه الليلة البهيجة – كما أسمع – قد تخلصنا من عناصر معينة من هذا النوع بالذات . . .

أصـوات : أنصتوا ! أنصتوا !

رورلانـد : هذا ما أعتبره فألا سعيدا للمشروع . وكوني أشير لهذا الموضوع هنا يدل على أننا في منزل حيث نداء الأخلاقيات يعلو على رباط القرابة .

أصوات : تمام ! تمام ! برافو !

بيرنـك : (في نفس الوقت) اسمح لى . . .

رورلانـد : كلمات قليلة أخرى يا سيدى . ما فعلته لهذا المجتمع من المؤكد أنك لم تفعله من فكرة أيـة مكافأة ملموسة لك . ولكن يجب ألا ترفـض رمزا بسيطا لتقدير مواطنيك الأوفياء ولا سيما في هذه اللحظة الحامة التى فيها نقف على عتبة عهد جديد كما يؤكد ذلك ذوو الخبرة العملية من الرجـال .

أصوات كثيرة : برافو ! تمام ! تمام !

(يعطى اشارة للخدم الذين يتقدمون بالسلة . أعضاء اللجنة يخرجون ويقدمون الأشياء التى يشير إليها أثناء الخطبة التاليـة) .

رورلانـد : أيها القنصل بيرنك : انا نقدم لك طاقم قهـوة فضيا . فلتنعم بها هيئتك عندما تجتمع معك مستقبلا كما سعدنا بالاجتماع بك في الماضى . وأنتم أيضا أيهـا السادة الذين صمدتم في مسانـدة زعيم

مجتمعنا — نرجو كلا منكم أن — يتقبل هدية تذكارية صغيرة . هذه الكأس الفضية لك يا سيد رامل . انك كثيرا ما أيدت بكلماتك الفصيحة — وعلى رنين الكئوس — المصالح المدنية لهذا المجتمع .

أرجو أن تجد فرصا كثيرة جديرة بأن ترفع هذه الكأس وتفرغها حتّى الثمالة . وإليك يا سيد ساندستاد أهدى هذا الألبوم وبه صور بنى وطنك . ان تحررك وسعة أفقك قد أتاحت لك وضعا كسبت فيه الأصدقاء من كل قطاعات المجتمع . واليك يا سيد فايجلاند أقدم — كزينة لمكتبك هذا المجلد عن الاخلاص العائلى مطبوعا على ورق الرّق في غلاف رائع . تحت تأثير خبرة السنين وصلت إلى نظرة جادة للحياة . وان دأبك في القيام بواجباتك اليومية ولسنين كثيره قد باركته ورفعت من شأنه أفكار عن أشياء أعلا وأكثر قدسية .

(يلتفت إلى الجمهور) والآن ياأصدقائي : عاش القنصل بيرنك وزملاؤه العمال . مرحى لأعمدة المجتمع !

الجمهور كله : عاش القنصل بيرنك ! عاشت أعمدة المجتمع ! مرحى ! مرحى ! مرحى !

الآنسة هسل : تهانيّ يا كارستن .

(صمت مترقب)

بيرنـــك : (يبدأ يتكلم بجد وبطء) . بني وطني . قـــال المتحدث بـــاسمكم إننا نقف الليلة على عتبة عهد جديد وآمل أن يكون ذلك صحيحا . ولكـــن إذا كان كذلك يجب أن نضم إلى قلوبنا الحقيقة — الحقيقة التي ظلت حتى الليلة تماما وبكل الطرق غريبـــة على مجتمعنـــا .

(دهشة بين المتفرجين)

بيرنـــك : يجب أن أبدأ برفض ذلك المديح الذى غمرتني به يا سيد رورلاند — كما هي العادة في هـــــذه المناسبات . أنا لا أستحقه لأنه حتى اليوم لم أكن رجلا خلوا من المصلحة الشخصية . وحتى إذا لم أسع لجلب المال فاني رغم ذلك أدرك تماما أن السعى وراء الجاه والنفوذ والسمعة هو الدافع وراء معظم أعمـــالى .

رامـــــل : (بصوت شبه مرتفع) أى شيطان . . . ؟

بيرنـــك : وأمام زملائى أنا لا ألوم نفسى على ذلك . لأني ما زلت أعتبر نفسى واحدا من رجال الأعمال المرموقين .

أصـــوات : نعم . نعم . نعم !

بيرنـــك : ولكن ما أتهم نفسى به هو ما يلى : أني كنت في أغلب الأحيان ضعيفا لدرجة أني هبطت إلى طرق ملتوية لأني عرفت وخشيت ميل مجتمعنا إلى الشك في الدوافع غير الشريفة وراء كل شيء يقوم به المرء . والآن أصل إلى موضوع بالذات .

رامـــــل : (بقلق) احم ــ احم !

بيرنـــك : هناك شائعات عن عقد صفقات كبيرة لممتلكات هنا . هذه الممتلكات اشتريتها أنا ــ كلها . أنا وحـــدى .

همسات خفيفة : ماذا يقول ؟ بيرنك ؟ القنصل بيرنك ؟

بيرنـــك : انها الآن تحت يدى . وطبعى أن أخطر بها رفاقي السيد رامل والسيد فايجلاند والسيد ساندستـــاد ــ وكلنـــا متفقون ــ

رامـــل : هذا ليس صحيحاً ! البرهان ! البرهان !

فايجلانـــد : لم نتفق على شيء !

ساندستاد : والآن أقول . . .

بيرنـــك : هذا صحيح تماما . اننا لم نتفق بعد على الموضوع الذى سأذكره . الا أني متأكد تماما أن هؤلاء السادة الثلاثة سيؤيدوننى عندما أقول إني وصلت هذا المساء إلى اتفاق مع نفسي أن هذه الممتلكات سوف تطرح للمساهمة العامة . ومن يشأ يستطيع أن يأخذ أسهما فيهـــا .

أصوات كثيرة : مرحى ؟! عاش القنصل بيرنك !

رامـــــل : (يهمس إلى بيرنك) يا لها من خيانة ماكرة !

ساندستاد : استغفلتنـــا اذن !

فايجلانـــد : والآن فليأخذك الشيطان ! يا إلهى ! ماذا أقول ؟

الجمهـــور : (من الخارج) مرحى ! مرحى ! مرحى !

بيرنسك : الهدوء ياسادة . ليس لى الحق في هذا التهليل لأن ماقررت الآن لم يكن في نيتى قبل . كان هدفي أن أحتفظ بكل شيء لنفسى ومازلت أرى أن هذه الممتلكات يمكن ادارتها على الوجه الأكمل اذا بقيت كلها في يد رجل واحد . ولكن لكم الخيار . اذا كان هذا ماتريدون ، فأنا على استعداد لادارتها كأحسن ماأستطيع .

أصوات : نعم . نعم . نعم !

بيرنسك : ولكن أولا يجب على بنى وطنى أن يعرفوني على حقيقتى . ثم لينظر كل واحد داخل نفسه ، وليكن صحيحا أننا من الليلة نبدأ فعلا عهدا جديدا وان العهد القديم بما فيه من مظهر زائف ونفاق وخداع واحترام متكلف وحسابات تثير الشفقة . هذا العهد سوف يصبح متحفا مفتوحا لنتعلم منه . والى هذا المتحف سنسلم . . أليس كذلك ياسادة؟ . . . سنسلم طاقم القهوة والكأس والألبوم ومجلد الاخلاص العائلى المطبوع على ورق مصقول والمغلف بروعة .

رامل : نعم بالطبع .

فايجلاند : (يغمغم) وبما أنك أخذت كل الباقي . . لماذا . .

ساندستاد : أرحوك . . .

بيرنسك : والآن أنتقل الى البند الرئيسى في وفاقي مع المجتمع قيل لنا ان « عناصر شريرة » معينة تركتنا الليلة .

أستطيع أن أضيف . . وهو مالا تعرفونه . . أن الرجل الذى يشار اليه لم يرحل بمفرده . رحلت معه . . . لتصبح زوجته . . . .

الآنسة هسل : (بصوت مرتفع) . . . دينا دورف !

رورلانـــد : ماذا !

السيدة بيرنك : ماذا تقول ؟

(اضطراب كبير)

رورلانـــد : ذهبت ! هربت معه ! مستحيل !

بيرنـــك : لتصبح زوجته ياسيد رورلاند. وعندى ماأضيف (برقة) استعدى يابنتى لتسمعى الآتي . (بصوت عال) أقول : « كل الشرف لهذا الرجل » لأنه تحمل وزر رجل آخر بكل كرم . بنى وطنى . سأتخلص من الكذب الذى كاد يدمر كل نسيج جسمى . ستعرفون كل شيء . منذ خمسة عشر عاما كنت أنا الرجل المذنب .

السيدة بيرنك : (بصوت منخفض مرتجف) ياكارستن !

الآنسة بيرنك : (بنفس الصوت) آه ياجوهان !

(هناك دهشة صامتة بين المتفرجين)

بيرنـــك : نعم يابنى وطنى . كنت أنا المذنب حيث رحل هو . وان الشائعات الزائفة الخبيثة التى انتشرت بعد ذلك ليس في طاقة البشر دحضها . ولكنى لاأستطيع أن أرحم نفسى رغم ذلك . منذ خمس عشرة سنة رفعت من قدر نفسى عن طريق هذه

الشائعات ، واذا ماكنت سأسقط عن طريق نفس هذه الشائعات فان القرار في يد كل فرد منكم

روورلانـــد : يالها من عاصفة ! الرجل الرئيسى في هذه المدينة ! (بصوت منخفض الى السيدة بيرنك) ياسيدتي العزيزة كم أنا حزين من أجلك !

هلمار تونسن : ياله من اعتراف ! أقول . . . .

بيرنـــك : ولكنا لن نتخذ قرارا اليوم . أطلب من كل واحد منكم أن يعود الى بيته ويسترد قواه وينظر في داخل نفسه . وعندما تهدأ نفوسكم ثانية سوف نرى اذا ماكنت قد خسرت أم كسبت من هذا الكلام . وداعا . مازال عندى الكثير والكثير الجدير بالندم ولكن هذا يخص ضميرى وحده . تصبحون على خير . انزعوا هذه الزينات . كلنا يشعر أنها ليست في موضعها هنا .

روورلانـــد : بالتأكيد لا . (بصوت بمنخفض إلى السيدة بيرنك) هربت ! إذن لم تكن جديرة بي بالمرة . (بصوت شبه مرتفع يخاطب اللجنة) حسن يا سادة . بعد هذا أعتقد من الأفضل أن ننسحب في هـــدوء .

هلمار تونسن : كيف يمكن للمرء أن يرفع علم المثالية خفاقا بعد ذلك ــ أوه !

(أخذ الناس يتهامسون هذه المعلومات . . . يخرج من باب الحديقة كل من شاركوا في الموكب .

ويخرج كل من رامل وساندستاد وفايجلانــد في مشادة عنيفة مكبوتة وبفلت هلمار تونسن إلى اليمين . أما بيرنك والسيدة بيرنك والآنسة هسل وكراب فيبقون في الحجـرة في صمت) .

بيرنـــك : هل يمكنك أن تغفرى لى يا بتى ؟

السيدة بيرنك : أتدرى يا كارستن . لقد كشفت لى عن أسعد مستقبل رأيته منذ سنوات كثيرة .

بيرنـــك : كيـــف ؟

السيدة بيرنك :منذ سنوات كثيرة اعتقدت أني نلتك مـــرة ثم فقدتك مرة أخرى والآن أعرف أني لم انلك مطلقا ولكنى سوف أكسبك .

بيرنك : (يلفها بذراعيه) آه يا بتى – لقد كسبتنى ! لقد تعلمت أن أعرفك على حقيقتك من خلال لونا . ولكن دعى أولاف يأتي الآن .

السيدة بيرنك : نعم سيأتي لك الآن . يا سيد كراب !

(تتكلم إليه بهدوء فى الخلفية . يخرج عن طريق باب الحديقة . في أثنـــاء الحديث التالى تخفت الاضواء والأنوار في المنازل شيئا فشيئا) .

بيرنـــك : (بهدوء) شكرا لك يا لونا ــ لقد أنقذت أحسن ما بي ومن أجلى .

الآنسة هسل : وهل كنت أحاول شيئا آخر ؟

بيرنـــك : هل كان الأمر كذلك ؟ فعلا ؟ لا أستطيع أن أفهمـــك .

الآنسة هسل : احم .

بيرنـــك : لم تكن الكراهية إذن ؟ ولا الثأر ؟ إذن لماذا أتيت؟

الآنسة هسل : الصداقـــة القديمـــة لا تصدأ .

بيرنـــك : لونا !

الآنسة هسل : عندما أخبرني جوهان بكل هذا — عن الأكذوبة— أقسمت إلى نفسى : ان فتى أحلامى لا بد أن يكون حرا بريئا واضحا .

بيرنـــك : أنا لا أستحق ذلك منك . مخلوق تعس مثلى !

الآنسة هسل : لو سألت النسوة عن المثوبة يا كارستن . . .
(يدخل أون من الحديقة ومعه أولاف)

بيرنـــك : (يسير إليه) أولاف !

أولاف : أبي : أعد ألا أفعل ذلك مرة أخرى .

بيرنـــك : تهـــرب ؟

أولاف : نعم . نعم . أعدك يا أبي .

بيرنـــك : وأنا الآخر أعدك أنك لن تجد سببا لذلك مطلقا . في المستقبل سيتاح لك أن تكبر — لا كوريث لمجهودى مدى الحياة ولكن كشخص له عمله الخاص الذى يتطلع إليـــه .

أولاف : وهل ستسمح لى أن أكون ما أريد !؟

بيرنـــك : نعم . سوف تفعل .

أولاف : شكرا لك . إذن لا أريد أن أكون دعامة للمجتمع

بيرنـــك : لا ؟ ولم لا ؟

أولاف : لأني أعتقد أن ذلك شيء كئيب .

بيرنـــك : ستكون نفسك يا أولاف . وعلى الباقي يأخذ مجراه . وأنت يا أون . . .

أون : أعرف يا سيدى . أنا مفصول .

بيرنـــك : لن تفترق يا أون . وسامحنى . . .

أون : ماذا تعنى ؟ لن تبحر السفينة الليلة .

بيرنـــك : ولن تبحر في الغد . منحتك وقتا لا يكفي . لا بد من انجاز العمل باتقــــــان .

أون : سيتم ذلك يا سيدى وبالآلات الحديثة كذلك .

بيرنـــك : وهكذا سيتم ولكن باتقان وبأمانة. هناك الكثير هنا الذى يتطلب الفحص والاصلاح باتقان وبأمانة تصبح على خير ياأون.

أون : تصبح على خير ياسيدى . وشكرا . شكرا لك.
(يخرج الى اليمين)

الآنسة بيرنك : لقد ذهبوا جميعهم.

بيرنـــك : ونحن وحدنا. لن يلمع اسمى في حروف من نار بعد اليوم. لقد أطفئت كل الأنوار في النوافذ .

الآنسة هسل : أتريدها مضاءة ثانية؟

بيرنـــك : لابتاتا . أين كنت ؟ ستصدمين عندما تعرفين. والآن أشعر أني عدت الى رشدى بعد أن تسممت ولكن ماأشعر به الآن أستطيع أن أكون شابا وقويا ثانية . تعالوا : اقتربوا منى. التصقوا بي .

تعالى يابتى ! تعالى ياولدى أولاف ! وأنت يامارتا .... يبدو أني لم أركم كل هذه السنين.

الآنسة هسل : لا . هذا ماأصدق. ان مجتمعك هو مجتمع العزاب المسنين . يبدو أنك لاترى النساء.

بيرنـــك : صحيح . صحيح . ولهذا السبب بالذات. . .نعم .. انتهى الأمر . يالونا. . . لن تتركيني وبتى .

الآنسة بيرنك : لايالونا. يجب ألا تفعلى ذلك .

الآنسة هسل : كيف يسمع لى ضميرى أن أترك شبابا على وشك. على وشك أن يبدءوا بناء بيت ؟ أنا أم بالتربية. أنت وأنا يامارتا عمتان عجوزان. . الى ماذا تنظرين ؟

الآنسة بيرنك : الى كيف تصفو السماء. بدأ ينتشر الضوء على البحر. ان «شجرة النخيل» تجلب الحظ السعيد معها .

الآنسة هسل : والحظ السعيد على ظهرها.

بيرنـــك : أمامنا يوم عمل شاق جدا ولاسيما أنا. وليكن فليأت هذا اليوم طالما تقفن معى أيتها السيدات المخلصات الصادقات. لقد تعلمت كذلك في هذه الأيام الأخيرة أن النسوة هن دعامات المجتمع

الآنسة هسل : اذن تعلمت درسا في الحكمة ضعيفا ياعزيزى. (تضع يديها بحزم على كتفيه) لاياعزيزى : ان روح الصدق وروح الحرية هما أعمدة المجتمع

فهرست

مكتبة الفنون الدرامية

(٣)

مكتبة الفنون الدرامية (٣)

بيت الدمية

مسرحية اجتماعية

فى ثلاثة فصول

للكاتب النرويجى

هنريك ابسن

ترجمها

كامل يوسف

مكتبة الفنون الدرامية

القصد من هذه المكتبة أن تسد ما بالمكتبة العربية من فراغ كبير . فهى تستهدف ترجمة روائع المسرحيات العالمية وكل ما يتصل بالفنون الدرامية والإذاعية من تمثيل وكتابة وإخراج . ولعل هذا هو أول مجهود منظم يبذل فى هذا السبيل .

صدر من هذه المكتبة :

١ ـــ الأحرار

للكاتب الأمريكي : سدنى كنجزلى

٢ ـــ الرجل العجوز

للكاتب الروسى : ماكسيم جوركى

٣ ـــ بيت الدمية

للكاتب النرويجى : هنريك إبسن

٤ ـــ الينبوع

للكاتب الأمريكى : يوجين أونيل

٥ ـــ قطة على سطح من الصفيح الساخن

للكاتب الأمريكى : تنيسى وليامز

٦ ـــ الشائعة

للكاتب الإنجليزى : تشارلز مونرو

٧ ـــ عيوب التأليف المسرحى

للناقد الأمريكى : وولتر كير

٨ ـــ ثلاث تمثيليات للتليفزيون

للكاتب الأمريكى : بادى تشايفسكى

٩ ـــ مسرحية فى القصر

للكاتب المجرى : فيرينك مولنار

١٠ ـــ الأب ومس جوليا

للكاتب السويدى : أوجست سترندبرج

١١ ــ صيف ودخان

للكاتب الأمريكى : تنيسى وليامز

١٢ ــ الزواج

للكاتب الأيرلندى : جورج برنارد شو

١٣ ــ الحارس

للكاتب الإنجليزى : هاروند بنتر

١٤ ــ ميراث الريح

للكاتبين الأمريكيين : جيروم لورنس وروبرت لى

١٥ ــ الاتصال بالجماهير

للكاتب الأمريكى : إريك بارنو

١٦ ــ البطة البرية

للكاتب النرويجى : هنريك إبسن

١٧ ــ الحضيض

للكاتب الروسى : ماكسيم جوركى

١٨ ــ السينما آلة وفن

للكاتب الأمريكى : ألبرت فولتون

١٩ ــ الابن الضال

للكاتب الأمريكى : جاك رتشاردسون

٢٠ ــ راشومون

للكاتب اليابانى : أكوتاجاوا



قامت فرقة المسرح الحر بتقديم هذه المسرحية فى مصر لأول مرة ، على مسرح دار الأوبرا بالقاهرة ، تحت عنوان « لعبة البيت » فى أكتوبر عام ١٩٥٣ ، وأخرجها مترجمها الأستاذ كامل يوسف . وهذه صورة السيدة أمينة نور الدين فى دور « نورا » .

هذه المسرحية

بقلم : عبد الحليم البشلاوى

عندما تنتهى أيها القارىء من قراءة هذه المسرحية ، ستجد أن آخر ما يسمع على خشبة المسرح ، هو صوت الباب الخارجى الذى تصفقه مسز نورا هيملر خلفها وهى تغادر بيت الزوجية ، بعد أن أيقنت أنه لم يكن سوى « بيت الدمية » ، وأنها لم تكن فيه سوى « دمية » يقتنيها ويملكها زوجها تورفالد هيملر .

عندما تتخيل الباب وهو يُصفق على المسرح ، عليك أن تتذكر أن هذا الصفق الذى دوى على المسرح فى عام ١٨٧٩ ، عندما مثلت هذه المسرحية لأول مرة فى كوبنهاجن عاصمة الدنمارك ، إنما هو صفق تردد صداه فى جميع أنحاء أوروبا ، وكان له أثر ورد فعل بالغان .

لم تكن تلك أولى مسرحيات إبسن ، ولكنها كانت المسرحية التى جلبت له الشهرة والصيت البعيد ، والتى جعلت منه كاتبا مسرحيا عالميا . فقد اشتد حولها الجدل ، وتهافتت الفرق التمثيلية على أدائها . وكان معظم الجدل الذى ثار حولها منطويا على هجوم على إبسن . لقد ثار النقاد على ذلك الكاتب المسرحى الذى قدم لهم ، فى شخص نورا ، زوجة تكافح فى سبيل استقلالها وحريتها ومساواتها بالرجل . وقد يبدو ذلك لنا اليوم غريبا ، ولكن ، لكى ندرك مدى ما كان فى شخصية نورا من تمرد على التقاليد وخروج على سيطرة الزوج ، ينبغى أن نفكر بعقلية عام ١٨٧٩ .

ثار النقاد على إبسن : كيف يقدم لهم شخصية كهذه الزوجة ؟ وكيف يجرؤ على أن يجعلها تبيح لنفسها حق المشاركة فى تحمل عبء المتاعب المالية للحياة الزوجية ، فتستدين وتتورط فى الدين ، وتزور إمضاء أبيها ؟ وكيف ، وهو الأدهى والأمر فى نظرهم ، تغادر بيت الزوجية فى نهاية الأمر غاضبة ثائرة وتصفق خلفها الباب ؟

لم تعجبهم المسرحية إذن ، فراح كل واحد يتناولها بالمسخ والتعديل ، كل حسب مزاجه فى مختلف بلاد أوروبا . ومن هنا تراءى لإبسن أن يحاول إرضاء الثائرين ، فعدل خاتمة المسرحية وجعل نورا ، بعد أن صفقت خلفها الباب ، تعود إلى البيت لترعى أولادها ، وكان هدف إبسن من ذلك أن يقنع النقاد والمخرجون بهذا التعديل ويكتفوا به ، فيخرجوا مسرحيته كما هى بدون مزيد من التعديل .

والنص الذى نقدمه للقارىء الآن هو النص الأصلى للمسرحية قبل التعديل ، وهو النص الذى اتفق النقاد اليوم على أنه هو الأفضل ، بل هو الذى فضله إبسن نفسه .

* * *

إن مسرحية إبسن هذه عمل فنى أصيل ، ونقطة تحول خطيرة فى كتابة المسرحية الحديثة ، لسببين :

السبب الأول : أن إبسن خرج بها على القاعدة المأثورة فى بناء « المسرحية المحكمة »(١) ، وهى المسرحية التى تبدأ من البداية وتنتهى عند النهاية . فهو

---

(١) The well-made play.

هنا يبنى وينشئ ذلك النوع من المسرحية الذى يعرف الآن بـ « المسرحية ذات التحليل الرجعى »[١] ، بمعنى أن المسرحية تتعرض لتحليل حادث معين تم حدوثه بالفعل قبل أن يبدأ تسلسل الحوادث على خشبة المسرح . ومن سياق المسرحية واطراد أحداثها ، يأخذ ذلك الحادث السابق فى الظهور شيئا فشيئا ، وينكشف للمشاهد بالتدريج ، الأمر الذى يضاعف قوة المسرحية ويزيد تأثيرها فى نفوس الجمهور . وقد اطرد استخدام هذا الأسلوب فى البناء الدرامى بعد ابسن .

السبب الثانى : أن إبسن خرج كذلك على قاعدة أخرى مأثورة فى كتابة المسرحية ، وهنا ندع الكاتب العبقرى جورج برنارد شو يتكلم فيقول : « من قبل كانت المسرحية المحكمة تتكون من العرض فى الفصل الأول ، والعقدة فى الفصل الثانى ، والحل فى الفصل الثالث . أما الآن ــ أى بعد إبسن ــ فإن المسرحية تتكون من العرض . والعقدة ، والمناقشة . والمناقشة هى محك الكاتب المسرحى » .

هذه هى الوثبة التى وثبها إبسن بالمسرحية ، وهذا هو وجه الخلاف الحقيقى بينه وبين شيكسبير هذا هو الأساس الذى وضعه إبسن ليبنى فوقه من جاء بعده من عباقرة الدراما ، وعلى رأسهم جورج برنارد شو نفسه .

وإذا كان برنارد شو يأخذ على هذه المسرحية أن المناقشة فيها لم تبدأ إلا متأخرة فى الفصل الثالث ، إلا أنه مع ذلك يقول إن هذه المناقشة غزت أوروبا ، وأصبح الكاتب المسرحى الجاد يقر بأن المناقشة ليست المحك الرئيسى لموهبته وقوته فحسب ، بل هى كذلك المحور الحقيقى الذى تدور

---

(١) The drama cf retrospective analysis.

حوله المسرحية .

فى الفصل الثالث من مسرحية « بيت الدمية » تقول نورا لزوجها : اجلس هنا يا تورفالد ، لابد لنا من حديث طويل ..إن هذا أمر يستغرق بعض الوقت . لدى كلام كثير أريد أن أفضى به إليك .

وهكذا تمضى نورا تناقش زوجها فى المشكلة التى جسمت الخلاف بينهما . وبهذه المناقشة تنتهى المسرحية . ومن هنا نرى أن « المناقشة » عند إبسن أخذت مكان « الحل » عند من سبقوه من كتاب المسرح ، ثم جاء من بعد إبسن كتاب جعلوا المناقشة تستغرق المسرحية بأكملها ، كما فعل برنارد شو فى مسرحيتى « الزواج » و « ورطة الطبيب » وغيرهما .

لهذا رأينا أن يكون لمسرحية « بيت الدمية » مكانها فى مكتبة الفنون الدرامية .

عبد الحليم البشلاوى

حول مسرح أبسن

بقلم : كامل يوسف

شاعت من حول مسرح إبسن سحابة من الكآبة والقتامة أبعدت عنه الكثيرين ، رغم المتعة الفريدة التى يجدونها فيه عندما توقعهم الظروف تحت تأثيره . وربما كان للكثافة التى تهيمن على الجو الإبسنى بعض الشأن فى إحجام المتفرج العصرى عن الاغتراف من هذا النبع الخصب .

والفكرة السائدة بأن عظمة إبسن تتبلور فى ثورته على التقاليد البالية ، تعد مسئولة ، إلى حد كبير ، عن إهمال البحث فى النواحى الروحية والمعنوية التى يكتظ بها مسرحه . فإنك لتجد فيه ذلك الإحساس العميق بالفرد من حيث كفاحه فى سبيل الصفاء والتحرر الروحى ، فهو يناهض كل ما من شأنه أن يخنق لذة الحياة وما فيها من سعادة لينة ، وهو من هذه الناحية لا يكتفى بمهاجمة العادات والتقاليد الاجتماعية الجائرة ، وانما يتخطاها إلى منازلة الأفكار التى تتغاضى عن سعادة الفرد ، كالتعالى ، والتعصب ، والجشع ، والطموح ، والأثرة . فالمتحذلق ، والكاهن ، ورجل المال ، والمتطرف ... كل هؤلاء ، فى نظر إبسن أعداء يتربصون بسعادة الفرد .

وإذا كان من المتعارف عليه أن المأساة لا تقوم لها قائمة بغير « صراع » يسرى فى كيانها ، وبغير « قيم عليا » تستأثر بمضمونها ، فإن مسرح إبسن يأتى فى رأس القائمة ، إذ أننا عندما نطالعه فى مراحله المختلفة نستبين فى

ثناياه أغوارا سحيقة تمتد إلى أعماق النفس البشرية ، وإلى صراعها الدامى فى سبيل الحياة والبقاء.

ومما يؤثر عن إبسن قوله : إن المسرح أشبه بغرفة أزيل حائطها الرابع لتكشف للمتفرج عما يجرى بداخلها . ولكن يجب ألا يفوتنا أن المؤلف يشغل تلك الفجوة التى يطل منها المتفرج على الممثل . فكل ما نشاهده على المسرح يخضع لفنه وفكره وإحساسه .

ولقد ظهر إبسن عام ١٨٢٨ فى فترة يسودها طراز معين من المسرحيات يعتمد على حبكة البناء ، وهو طراز كان يتزعم طريقته المؤلف الفرنسى سكريب . وقد درجنا على تسمية ذلك النوع باسم « المسرحية الجيدة الصنعة » أو « المسرحية المحكمة » إشارة إلى خلوها من أى مضمون يستحق العناء ، ولذلك نعتبر إبسن مرحلة انتقال ضخمة فى أدب المسرح ، فلقد غير مجرى التاريخ بما أضفاه على ذلك الغلاف السطحى من جوهر أصيل .

ولكن ليس معنى هذا أن حرفية البناء تحتل عنده المكان الثانى ، بل الواقع أن المرء يجد لديه صعوبة كبيرة فى فصل الإطار عن المضمون . إذ يتشابك النسيج ، وتتداخل تفاصيل الموضوع فى ربط أجزاء الشكل بطريقة دائرية ملفوفة ، حتى ليخيل إليك فى النهاية أن المؤلف لم يبذل جهدا فى التنسيق والاختيار والتقديم والتأخير . وهذه قمة الفن . فالحرفيه ليست غاية فى حد ذاتها ، وإنما هى وسيلة إلى غاية .

والباحث فى فن إبسن يستطيع إن يتبين صرامة الحدود التى يفرضها فى كتابته . فهو يلتزم فى معظم أعماله وحدة الزمان و لمكان والموضوع ، فمسرحياته لا تستغرق فى فصولها ، غالبا ، أكثر من يوم أو يومين ، ونطاق المكان لا يتعدى غرفة أو حديقة ، والأحداث تميل إلى التركيز فى أكثر

مسرحياته المتأخرة ، ولكنه ، رغم كل هذا ، ينبض بالحركة الداخلية الدافقة .

والحوار عنده يجرى على اللسان فى يسر وطلاقة ، إذ هو لا ينزلق أبدا إلى المسالك الأدبية أو القصصية . وهذا الحوار يتدرج من الواقعية الصرفة إلى العبارات الانطلاقية المتقطعة التى تفصح عن خلجات النفس فى لحظات الألم والشدة . وإنك لتجد فيه ذلك الازدواج الدرامى الذى يجمع بين اللحظة العابرة من حيث الإعراب عن تأثيرات التجربة العارضة ، وبين اللحظة الدائمة من حيث الكشف عن مكنونات النفس الأبدية .

أما الرمزية التى نجدها فى إبسن فهى من ذلك النوع الذى نلمسه فى الشعراء ذوى الحساسية المرهفة . فهو ، كمؤلف ، لا يكتفى بتسجيل مظاهر السلوك الإنسانى ، بل ينفذ خلال السياج الذى يحوط الأفراد ، ويمزق الحجب التى يتسترون بها من الخارج ، ليكشف عن تلك العلامات التى نستدل بها على الجوهر العام .

والرمز لدى إبسن ليس حقيقة مجردة ، تقبع فى المطلق ، وإنما هو ذهنيات تكمن داخل صور تتمثل فيها القدرة على مراسلة مشاعرنا الواعية بمضمونها الفكرى . وهو يستخدم الرمزية ، من الناحية الحرفية ، كوسيلة يسلط بها الأضواء على الأفعال والأقوال التى تبدر عن شخصياته ، ليربط بين مراحل المسرحية ، والدوافع المتضاربة التى تعتمل فى صلبها ، ومعظم الرموز التى نلتقى بها فى غضون المسرحية قد لا تكون دائما ذات أثر فعال فى توضيح الأفكار الأساسية ، وإن بدا أنها كذلك . وما علينا ، إن أردنا الدقة ، إلا أن نضع أيدينا على الرموز الأساسية التى تلتصق بالشخصيات نفسها . « فالجياد البيضاء » فى (آل روزمر) تجسد لنا ، بطريق التصوير ، تلك

(بيت الدمية)

القوى الوراثية التى تتحرك وراء المأساة ، و « الشمس » فى (الأشباح) تعرب عن كل المباهج الحسية والفكرية التى تسطع فى متناول اليد ولا يقدر أوزوالد على بلوغها ، و « البرج » فى (البناء العظيم) ينبئ عن تلك الآمال الكبار التى يرنو إليه البطل ، و « الباب الموارب » فى (بيت الدمية) يوحى إلينا بفكرة الحرية الدانية .

وكتابات إبسن تكاد تكون فى مجموعها قصيدة مطولة فى امتداح الإرادة الإنسانية . وهو عندما يدعونا إلى القوة والمثابرة ، لا يريد منا أن نتشبه بالنموذج الوحشى الفظ الذى يريده نيتشه ، وإنما يطالبنا بالتمسك بحقوقنا ، والدفاع عنها حتى الممات . وهو لهذا يشن حربا شعواء بين الآراء الحرة والآراء المفتعلة .

ومن هذه النقطة تنبعث مسرحياته .

فالحياة فى نظره ميدان كبير من التطاحن بين الصفات الغريزية والصفات المكتسبة .. بين قوى الوراثة وقوى البيئة .

وهو يمجد الإرادة التى تسلك طريق التجارب المحفوف بالمخاطر والمصاعب لكى تجد نفسها ، وتعرف كينونتها .

وقد يكون إبسن مرشدا أخلاقيا ، إلا أنه أولا وقبل كل شىء فنان أصيل . وكل ما فى الأمر أن الفنان فيه يمتزج بالنزعة الأخلاقية ، وتلك النزعة الأخلاقية تتشرب باتجاه فلسفى . وكل هذا المزيج ينصهر فى قلمه ككاتب مسرحى . فالمسرح هو المنبر الذى يرسل منه أفكاره . وهو ، كفنان ، لا يجعل المواعظ هدفه الرئيسى ، وإنما يضمنها إنتاجه ، لكى يستنبطها المتفرج من ثنايا العرض .

وعلينا أن نضع نصب أعيننا ثلاثة عناصر هامة فى مسرحيات إبسن ، إذ

أن الحبكة الظاهرية ــ بما فيها من تصوير للأعمال والشخصيات ــ تتداخل لديه مع المعانى الخفية التى تتمثل فى معالم الرمزية ، ومع الأفكار الجوهرية التى تنم عن فلسفته كمؤلف .

ونستطيع ، مع شيء من التجاوز ، أن نقسم مسرحياته إلى ثلاث مراحل ..أولاها المرحلة التاريخية ، وثانيتها المرحلة الرومانسية الشعرية ، وثالثتهما المرحلة الاجتماعية .

وعلى الرغم مما تحويه بعض مسرحياته التاريخية والشعرية من لمحات فذة ، إلا أن شهرته الفعلية تستمد جذوتها من الفترة الأخيرة . فلقد وضعها فى سن النضوج بعد أن تمرست يده على الكتابة ، ووضحت فى ذهنه الأفكار ، ونمت لديه حاسة النقد ، وبرزت واقعية مذهبه .

وتحتوى مسرحية (بيت الدمية) على أروع تصوير للمرأة فى كل كتابات إبسن ، ويذهب البعض إلى الاعتقاد بأنها تعبير صريح عن رأيه فى وظيفة المرأة من الوجهة الاجتماعية ، وعن مكانها فى الحياة .

والمسرحية من الناحية الفنية ، تتفوق على معظم مسرحياته الاجتماعية الأخرى ، إذ بلغ فيها أسلوبه الخاص قمة النضوج . فهى تمثل وحدة عضوية متكاملة ، تتشابك فيها الأجزاء تشابكا وثيقا ، وتقودنا فيها كل مرحلة إلى التى تليها فى يسر منطقى .

كامل يوسف

كانت المقدمتان السالفتان موجزتين مركزتين بقدر ما يسمح المجال هنا . أما استيفاء الحديث عن إبسن وفنه ومسرحياته ، فله مجال آخر فى كتاب خاص يصدر ضمن مكتبة الفنون الدرامية إن شاء الله .

« المحرر »

بيتُ الدُّمية

الشخصـيات

تورفالد هيملر

نورا .... زوجته

الدكتور رانك

مدام لنـد

نيلز كروجشتاد

أولاد هيملر الثلاثة

آن .... المربية

هيلين .... الخادمة

حمَّـــال

تجرى حوادث المسرحية فى بيت آل هيملر .

الفصل الأول

(غرفة تشعر من تأثيثها بالذوق السليم ، ولكن فى غير مغالاة . فى المؤخرة جهة اليمين باب يفضى إلى الصالة الخارجية ، وإلى اليسار باب آخر يفضى إلى مكتب هيملر ، وبين البابين بيانو ، فى منتصف الحائط الأيسر باب ، من أقصاه ، قرب المؤخرة ، نافذة ، وعلى مقربة من النافذة مائدة مستديرة حولهامقاعد ذات مساند ، وأريكة صغيرة . وفى الحائط الأيمن ، قرب المؤخرة ، باب آخر . وفى نفس الجانب ، قرب المقدمة ، مدفأة وكرسيان ومقعد هزاز . وبين المدفأة والباب منضدة صغيرة .

الجدران مزينة بصور علقت عليها . وبالغرفة صوان للأدوات الصينية من أطباق وخلافه ، وخزانة للكتب بها مجلدات أنيقة . أرض الغرفة مفروشة بالسجاد . النار تشتعل فى المدفأة . والوقت شتاء) .

(عند رفع الستار يدق جرس فى الصالة . وبعد قليل نسمع صوت فتح الباب ، وتدخل نورا تغمغم لحنا فى مرح ، وهى ترتدى ثياب الخروج ، وتحمل عددا من اللفافات .

تضع نورا حمولتها على منضدة اليمين ، وتترك عند

عند دخولها باب الصالة مفتوحا ، فنرى من خلاله حمالا يحمل شجرة عيد الميلاد ، وسلة . يناولها للخادمة التى فتحت الباب) .

نورا : ضعى شجرة عيد الميلاد فى مخبأ أمين يا هيلين . وإياك أن يراها الأولاد قبل حلول المساء ، عندما تتم إضاءتها . **(تستدير للحمال وهى تخرج كيس نقودها)** كم ؟

الحمَّال : ستة بنسات .

نورا : هاك شلنا . لا . الباقى لك .

(يشكرها الحمال وينصرف . وتغلق نورا الباب وهى تضحك ابتهاجا ، بينما تخلع قبعتها ومعطفها ، وتخرج من جيبها بعض قطع البسكويت وتلتهم شيئا منها . ثم تتجه بحذر إلى الباب الخاص بغرفة زوجها ، وترهف السمع) نعم ... إنه هنا . **(تسير نحو منضدة اليمين ، وهى ما تزال تغمغم باللحن) .**

هيملر : **(مناديا من غرفته)** أهذه بلبلتى الصغيرة التى تغرد ؟

نورا : **(وهى منهمكة فى فتح إحدى اللفافات)** نعم ، هى .

هيملر : أهذه أرنبتى الصغيرة التى تمرح ؟

نورا : نعم .

هيملر : ومتى عادت الأرنبة ؟

نورا : الآن . **(تضع كيس البسكويت فى جيبها وتمسح فمها)** تعال هنا يا تورفالد لترى ما اشتريت .

هيملر : لا تزعجيني من فضلك . (**ولكنه ما يلبث أن يفتح باب غرفته ويطل منها والقلم في يده**)ماذا اشتريت ؟ كل هذه الأشياء ؟ أعادت مسرفتي الصغيرة إلى التبذير مرة أخرى ؟

نورا : نعم يا تورفالد ، أعتقد أننا نستطيع في هذا العالم أن نتمادى قليلا في الإنفاق . هذا أول عيد ميلاد لم نضطر فيه إلى توخى الاقتصاد .

هيملر : ولكننا لا نستطيع تبذير المال ، أنت تعلمين ذلك .

نورا : أوليس في مقدورنا الآن يا تورفالد أن نخفف قيود الصرف بعض الشيء . هه ؟ بعض الشيء ؟ سوف تنال مرتبا ضخما وتقبض أكداسا من المال .

هيملر : نعم ، في أول العام الجديد ، ثم لابد من مرور ثلاثة أشهر قبل أن أقبض أول مرتب لي .

نورا : أوه ، نستطيع أن نقترض إلى أن تصرف مرتبك .

هيملر : نورا ! (**يتجه إليها ويفرك أذنها مداعبا**) سذاجة وعبط . لنفرض أنني اقترضت اليوم خمسين جنيها ، وأنك بددت المبلغ بأكمله في أسبوع عيد الميلاد ، ثم حدث في ليلة رأس السنة أن سقط لوح من السقف على دماغي فقضى علي .. وعندئذ ..

نورا : (**تضع راحتيها على فمه**) أوه . لا تقل مثل هذه الأشياء المفزعة .

هيملر : ومع ذلك فلنفرض أن شيئا من هذا القبيل حدث .. فماذا يكون العمل ؟

نورا : لو حدث ذلك فلا أظن أني سأبالي وقتها إن كنت مدينة بالمال أم لا .

هيملر : صحيح . ولكن ماذا يكون شأن أصحاب تلك الديون ؟

نورا : أصحاب الديون ؟ ومن يبالى بأمرهم فى ظرف كهذا ؟ لن أهتم وقتها حتى ولا بالتعرف على ملامحهم .

هيملر : منطق المرأة تماما . ولكن إذا شئت الجد يا نورا فإنك تعرفين رأيى فى مثل هذه الأمور . لا ديون ولا اقتراض . فلا يمكن أن يحس المرء بالحرية أو الجمال فى حياة منزلية تعتمد فى كيانها على الديون والقروض . لقد تجلدنا نحن الاثنين وسرنا فى طريق السلامة حتى الآن ، وسنواصل السير فى نفس الطريق طوال الفترة القصيرة الباقية التى تحتاج منا إلى المثابرة على الجلد والكفاح .

نورا : (**متجهة إلى المدفأة**) أمرك يا تورفالد .

هيملر : (**يتبعها**) هيا هيا . لا موجب لأن تكتئب بلبلتى الصغيرة . ماذا ؟ هل غضبت أرنبتى الصغيرة ؟ (**يخرج كيس نقوده**) نورا . هل تعرفين ما فى يدى ..؟

نورا : (**تستدير نحوه بسرعة**) فلوس .

هيلمر : تمام . (**يعطيها بعض النقود**) أخطر ببالك أننى لا أعلم ما يتطلبه البيت من مصروفات بسبب العيد ؟

نورا : (**تحصى النقود**) عشرة شلنات .. جنيه .. اثنان .. شكرا لك يا تورفالد ، ستكفينى هذه النقود أمدا طويلا جدا .. جدا ..

هيملر : لابد ..

نورا : نعم . نعم . مؤكد . تعال هنا لأريك ما اشتريت . كلها بأسعار رخيصة للغاية . انظر .. هذه بذلة جديدة لإيفار ، وسيف . وهذا حصان وطبلة لبوب . وطقم عروس بسرير لإيمى ... ليس من صنف فاخر ، ولكن هذا لا يهم ، إنها سوف تحطمه قبل مضى وقت طويل . وهذه أقمشة فساتين للخادمات .. وبعض المناديل .. ولو أن آن تستحق شيئا أفضل من هذا .

هيملر : وماذا فى هذه الربطة ؟

نورا : (**تصيح به**) كلا . كلا . لا يجب أن تعرف ما بها قبل حلول المساء .

هيملر : طيب . والآن أخبرينى أيتها المبذرة العجيبة . إلام تهفو نفسك ؟

نورا : أنا ؟ لا أدرى فى الواقع .. إلا إذا ...

هيملر : نعم ؟

نورا : (**تعبث بأزرار سترته دون أن ترفع عينيها إلى عينيه**) إذا كنت تريد حقا أن تقدم إلى هدية .. فيمكنك .. يمكنك ..

هيملر : الصراحة .

نورا : (**بسرعة**) يمكنك أن تعطينى قيمتها نقودا .. أى مبلغ تستطيع الاستغناء عنه .. حتى إذا صادفت شيئا يعجبنى أمكننى أن أشتريه .

هيملر : ولكن يا نورا ...

نورا : لا تخيب رجائى يا عزيزى تورفالد .. أرجوك .. أرجوك . وعندئذ سأطوى النقود فى ورق براق جميل وأعلقها

فى شجرة عيد الميلاد . ما رأيك فى هذه الفكرة البديعة ؟

هيملر : ما هى تلك الصفة التى تدفع الناس إلى تبديد النقود بلا انقطاع وبلا حساب ؟

نورا : التبذير .. أعرف ذلك . لنأخذ بفكرتك البديعة هذه يا تورفالد ، وعندئذ تتاح الفرصة لكى أفكر على مهل فيما يعوزنى حقا . فكرة صائبة . ما رأيك ؟

هيملر : (**مبتسما**) بالتأكيد . أعنى إذا كان فى نيتك فعلا أن توفرى شيئا من هذه النقود ، وأن تبتاعى بها فعلا شيئا لنفسك ، أما إذا أنفقتها على مستلزمات البيت وما إلى ذلك من الأمور غير الضرورية ، فأحسب أن الأمر سينتهى بى إلى أن أدفع مرة أخرى .

نورا : أوكد لك يا تورفالد ..

هيملر : لا جدوى من الإنكار يا عزيزتى . (**يلف ذراعه حول خصرها**) إنها حلوة فى تبذيرها ، ولكنها تبدد المال بغير حساب .. لا يدور بخلد أحد أن كتكوتة بهذا الحجم قد تكلف مالا طائلا .

نورا : عار عليك ما تقول . إننى أوفر بأقصى ما تسمح به طاقتى .

هيملر : (**ضاحكا**) صحيح .. أقصى ما تسمح به طاقتك .. ولكن طاقتك لا تسمح بشىء على الإطلاق .

نورا : (**تبتسم فى هدوء وسرور**) ألم تفكر يوما يا تورفالد فيما نتطلبه نحن البلابل والأرانب من نفقات باهظة ..؟

هيملر : لك الله . أنت كأبيك تماما .. لا تضيق بك الحيلة عن إيجاد وسيلة جديدة لابتزاز المال منى ، ولا يكاد يصل إلى يديك حتى يذوب فيهما ويتبخر ويصبح أثرا بعد عين ، وإذا بك حائرة لا تدرين أين ذهب المال . هه . لا أملك إلا أن آخذك على علاتك ، فهذه مسألة تجرى فى الدم ، فمما لا شك فيه أن الإنسان يرث مثل هذه الصفات يا نورا .

نورا : وددت لو ورثت الكثير من صفات أبى .

هيملر : وأنا ما وددت إلا أن تكونى كما أنت ، بلبلتى الصغيرة . ولكن يخيل إلى أنك اليوم .. لست أدرى .. على غير طبيعتك .

نورا : حقا ؟

هيملر : صحيح . انظرى فى وجهى .

نورا : (**ناظرة إليه**) هه .

هيملر : (**منذرا بإصبعه**) ألم تعتد أسنانك على اللوائح والقوانين ؟

نورا : كلا . ما الذى يوحى إليك بخاطر كهذا ؟

هيملر : ألم تمر أسنانك بمحل الحلوى ؟

نورا : لا . أؤكد لك يا تورفالد ..

هيملر : ولم تأكل شيئا من الكعك ؟

نورا : طبعا لا ..

هيملر : ولا قضمة من البسكويت اللذيذ ؟

نورا : أؤكد لك يا تورفالد حقا ...

هيملر : لا داعى للقلق .. مجرد مزاح .

نورا : (**متجهة نحو منضدة اليمين**) ما كنت لأخالف رغباتك .

هيملر : أنا واثق من ذلك .. ثم إنك وعدتنى . (**متجها إليها**) لك أن تحتفظى يا عزيزتى بأسرار مفاجأتك التى أعددتها لعيد الميلاد ، ولسوف تنكشف لنا بلا ريب عندما تضاء شجرة العيد فى المساء .

نورا : هل تذكرت أن توجه الدعوة للدكتور رانك ؟

هيملر : نسيت . وعلى أى حال لا أظنه فى حاجة إلى دعوة ، لأنه سيحضر بطبيعة الحال لتناول العشاء معنا . ومع كل فلن أنسى دعوته عندما يأتى هذا الصباح . لقد أمرت باستحضار بعض زجاجات النبيذ الجيد . آه .. إننى أنتظر حلول المساء على أحر من الجمر .

نورا : وأنا أيضا .. والأولاد يا تورفالد ، كم ستكون فرحتهم !.

هيملر : ما أجمل شعور المرء بأن تكون له وظيفة راسخة مضمونة ، ومرتب وفير معقول ، إنه شعور يبعث على الطمأنينة ، أليس كذلك ؟

نورا : مدهش .

هيملر : أتذكرين عيد الميلاد الماضى ، وكيف كنت تحبسين نفسك كل مساء إلى ما بعد منتصف الليل ، لمدة ثلاثة أسابيع كاملة قبل العيد ، لإعداد الزينات لشجرة الميلاد ، وتحضير المفاجآت لنا ؟ لقد كانت تلك الأسابيع الثلاثة أثقل فترة قضيتها فى حياتى .

نورا : لم تكن كذلك بالنسبة لى .

هيملر : (**مبتسما**) العبرة بالنتائج التى أسفرت عنها .

نورا : إياك والسخرية منى فى هذا الموضوع مرة أخرى . ما ذنبى أنا إذا كانت القطة قد تسللت إلى الغرفة ومزقت كل ما أعددت !

هيملر : طبعا لا ذنب لك يا صغيرتى . كانت لديك النية الطيبة فى إدخال السرور علينا جميعا ، وهذا أهم ما فى الأمر . حمدا لله أن أيام الضنك قد ذهبت إلى غير رجعة .

نورا : إلى غير رجعة .

هيملر : واليوم لم تعد بى حاجة إلى تحمل مشقة واحدة ، و لم تعد بك حاجة إلى إرهاق عينيك الجميلتين بالسهر ، أو إفساد يديك الصغيرتين بالعمل المضنى .

نورا : (**مصفقة براحتيها**) صدقت يا تورفالد . لم تعد بى حاجة إلى شيء من ذلك .. يا للروعة . (**تمسك بذراعه**) والآن أريد أن تسمع اقتراحاتى بشأن البيت . بمجرد انتهاء العيد ... (**يدق الجرس فى الصالة**) الجرس ! (**ترتب من شأن الغرفة**) ضيوف .. يا للمضايقة !.

هيملر : إذا كان الطارق يريدنى فأنا غير موجود .

(**تظهر الخادمة عند المدخل**) .

الخادمة : زائرة تطلبك يا سيدتى .

نورا : دعيها تتفضل .

الخادمة : (**لهيملر**) جاء الدكتور فى نفس الوقت يا سيدى .

هيملر : هل ذهب إلى غرفتى ؟

الخادمة : نعم يا سيدى .

(**يتوجه هيملر إلى غرفته . بينما ترشد الخادمة مدام لند ، التي**

ترتدى ثياب السفر ، ثم تغلق الباب) .

لنـد : (**فى صوت مكتئب خجول**) كيف حالك يا نورا ؟

نورا : (**مترددة**) كيف الحال ..؟

لنـد : لعلك لا تذكرينني ؟

نورا : لست أدرى .. يخيل إلى .. (**فجأة**) كريستين ! لا أصدق .

لنـد : لم تخنك الذاكرة .

نورا : كريستين . تصورى أننى لم أعرفك على التو .. تصورى . (**فى صوت رقيق**) لقد تغيرت كثيرا يا كريستين .

لنـد : نعم . هذا صحيح . بعد حوالى عشر سنوات ..

نورا : أوَ مر هذا الوقت منذ التقينا لآخر مرة ؟ عجبا . على أى حال لست أضمر أى شكوى من الأعوام الثمانية الأخيرة ، فقد مرت بى صافية سعيدة . وأخيرا عدت إلى بلدتنا ، وقمت بهذه الرحلة الطويلة فى الشتاء .. يا لك من شجاعة جريئة ..

لنـد : لقد وصلت بالباخرة صباح اليوم .

نورا : للاستمتاع بإجازة العيد بالطبع ؟ مدهش . سنقضى سويا وقتا ممتعا . تخلصى من هذا الحمل الثقيل . (**تساعدها فى خلع المعطف**) والآن تعالى نجلس أمام المدفأة ونأخذ راحتنا . إليك هذا المقعد المريح . أما أنا فلى الكرسى الهزاز . (**تتناول يديها**) الآن أرى صورتك بكل معالمها الأصلية . لقد غابت عنى للوهلة الأولى فقط . بك بعض الشحوب ، ولعلك أنحف قليلا مما كنت .

لنـد : وزادت بى السن كثيرا جدا ..

نورا : بعض الشيء ربما .. بعض الشيء .. ليس كثيرا جدا . أبدا . (**تتوقف فجأة وتتكلم بجد**) يا لى من إنسانة مجردة من الذوق .. أتمادى فى الثرثرة بلا توقف . اغفرى لى يا عزيزتى كريستين .

لنـد : ماذا تقصدين يا نورا ؟

نورا : لقد فقدت زوجك وأصبحت أرملة يا عزيزتى .

لنـد : نعم . منذ ثلاث سنوات .

نورا : أعرف . فقد بلغنى النبأ فى حينه من الصحف . أؤكد لك يا كريستين أننى كنت أعتزم الكتابة إليك وقتها ، ولكن كان يحدث دائما ما يعطلنى ويجعلنى أسوف فى الأمر .

لنـد : أدرك ذلك تماما يا عزيزتى .

نورا : إنه تقصير منى يا كريستين . يا للمسكينة .. ما أشد ما قاسيت فى محنتك . و لم يخلف لك شيئا ؟

لنـد : لا شىء .

نورا : ولا أطفال ؟

لنـد : ولا أطفال .

نورا : لا شىء مطلقا ؟

لنـد : ولا حتى شعورا بالأسى أعيش على ذكراه .

نورا : (**تحدق فيها غير مصدقة**) أهذا ممكن يا كريستين ؟

لنـد : (**تبتسم فى حزن وهى تربت على شعرها**) هكذا الحال فى بعض الأحيان يا نورا .

نورا : وإذن فأنت اليوم وحيدة فى الدنيا . يا له من شعور قاس

مؤلم . إن لى ثلاثة أولاد .. سترينهم عندما يعودون من الخارج مع المربية . والآن عليك أن تحدثينى بكل ما عندك .

لنـد : بل أريد أن أسمع ما عندك أنت .

نورا : كلا ، البداية عليك . لن أسمح لنفسى بالأنانية .. ويجب أن أحصر كل تفكيرى فى معرفة أحوالك . أوه : لابد أن أقول لك شيئا واحدا . بل لعلك سمعت أن الحظ قد هبط علينا .

لنـد : حقا ؟ ماذا حدث ؟

نورا : تصورى أن زوجى عين مديرا للبنك .

لنـد : زوجك ! يا للحظ السعيد !

نورا : مدهش . إن المحاماة مهنة متقلبة .. وخاصة عندما يحجم المحامى عن قبول القضايا المريبة ، وهى الخطة التى رسمها تورفالد لنفسه لا يحيد عنها . وأنا أوافقه على طول الخط . وإذن فلك أن تتصورى مقدار سعادتنا .. ففى بداية العام الجديد يتسلم مهام منصبه فى البنك .. وعندئذ يقفز مرتبه قفزة هائلة ، بالإضافة إلى النسبة التى يتقاضاها من الصفقات التى يعقدها . إن المستقبل يبتسم لنا . سيكون فى مقدورنا أن نبدل أسلوب حياتنا .. ونفعل ما يحلو لنا . أحس كأن عبئا ثقيلا قد انزاح عن أكتافنا ، وأننا مقبلون على حياة رغدة هنيئة ، آه يا كريستين . ما أجمل أن يستحوز المرء على كفايته من المال ، وأن يبتعد عنه شبح القلق إلى الأبد

لنـد : نعم لا شك أن المرء يشعر بالسعادة إذا استطاع أن يحصل على ما يريد .

نورا : كلا . لا أن يحصل على ما يريد فحسب .. بل أن تتوافر لديه أكداس المال .

لنـد : (**مبتسمة**) نورا .. أما عرفت طريق العقل بعد ؟ لقد كنت أيام المدرسة عنوان الإسراف والتبذير .

نورا : (**ضاحكة**) هذا ما يصفني به تورفالد الآن ، (**منذرة بأصبعها**) ولكن « نورا » ليست بالعبط الذى تظنين . فلم نكن حتى اليوم فى مركز يسمح لى بالتبذير .. بل كان على أن أشاطر تورفالد فى العمل .

لنـد : أنت أيضا ؟

نورا : نعم .. بين الحين والحين . أشغال إبرة .. كروشيه .. تطريز .. إلخ .. إلخ . (**تخفض من صوتها**) ثم هناك أشياء أخرى أيضا . ولعلك لا تعرفين أن تورفالد تخلى عن وظيفته الحكومية عندما تزوجنا ، فلم تكن أمامه فرصة للترقية . وكان عليه أن يسعى إلى زيادة دخله عن ذى قبل . غير أنه أرهق نفسه فوق طاقتها خلال السنة الأولى ، إذ جعل نصب عينيه أن يحصل على المال اللازم لنا بشتى الوسائل الممكنة ، فراح يعمل ليل نهار . ولكنه لم يقو على احتمال الجهد المضنى ، وكانت النتيجة أن أصابه المرض ، ونصح له الأطباء بضرورة الاستجمام فى الجنوب .

لنـد : بلغنى أنكما قضيتما عاما بأكمله فى إيطاليا .

نورا : نعم . وثقى أن الرحيل إلى هناك لم يكن بالمهمة اليسيرة . كان ذلك عقب مولد إيفار بقليل ، وأنا لم أبرأ بعد من آلام الوضع تماما . ومع ذلك لم أر مفرا من السفر . كم كانت ممتعة تلك

الرحلة التي أنقذت حياة تورفالد . ولئن كلفت قدرا لا يستهان به من المال .

لنـد : لا جدال فى ذلك .

نورا : بلغت نفقاتها حوالى مائتين وخمسين جنيها . مبلغ ضخم . أليس كذلك ؟

لنـد : نعم . وإنه لمن حسن الحظ أن يتوافر لدى المرء فى ظرف طارىء كهذا .

نورا : لا أخفى عليك أننا حصلنا على المبلغ من أبى .

لنـد : هه . فى نحو تلك الفترة توفى أبوك فيما أظن ؟

نورا : نعم . وتصورى أنه لم يكن بوسعى أن أسهر على رعايته فى أواخر أيامه ، إذ كنت أنتظر مولد إيفار بين لحظة وأخرى ، وكنت بالإضافة إلى ذلك لا أغفل عن مراقبة تورفالد وهو فى فراش المرض . يا لأبى المسكين ! كان ذلك آخر عهدى به . إننى لن أنسى أبدا تلك الفترة القاتمة فى حياتى الزوجية .

لنـد : أعلم مقدار حبك له . وبعدها سافرتما إلى إيطاليا ؟

نورا : نعم . كان لدينا المال ، وكان الأطباء يصرون على سفرنا . فقمنا بالرحلة بعد مرور شهر على وفاة أبى .

لنـد : وعاد زوجك منها بفائدة ؟

نورا : بصحة تهد الجبل .

لنـد : ولكن ... والدكتور ؟

نورا : أى دكتور ؟

لنـد : خيل إلى أنى سمعت الخادمة تقدم الزائر الذى وصل ساعة مجيئى

على أنه الدكتور .

نورا : إنه الدكتور رانك ، وليس حضوره إلى هنا بحكم المهنة . إنه من أعز أصدقائنا ، ونحن نتوقع زيارته مرة على الأقل كل يوم . اطمئنى . منذ عدنا والمرض لا يعرف طريقه إلى تورفالد . والأولاد فى صحة جيدة ، مثلى . **(تثب وتصفق بيديها)** كريستين .. كريستين .. ما أجمل الحياة وما ألذ السعادة ! ولكن يا لى من أنانية ! لم أكف لحظة عن الكلام عن نفسى . **(تجلس على كرسى البيانو بالقرب من كريستين وتضع ذراعيها على ركبتى كريستين)** أرجوك ألا تغضبى مني . أصحيح أن شعورك نحو زوجك كان مجردا عن الحب ؟ لم .. تزوجته إذن ؟

لنـد : كانت أمى وقتها ما تزال على قيد الحياة ، وكانت قعيدة الفراش تفتقر إلى العناية . وكان على أن أتكفل بشقيقتى . فلم يكن من المعقول أن أفكر فى الرفض عندما عرض على الزواج .

نورا : نعم . لعلك على حق . خصوصا أنه كان يملك ثروة لا بأس بها فى ذلك الوقت .

لنـد : هذا صحيح . غير أن عمله كان من النوع المتأرجح . فلما مات انهار عمله ولم يبق منه شيء .

نورا : وبعـد ؟

لنـد : تلفت حولى فلم أجد مناصا من النزول إلى معترك الحياة . فالتحقت بالعمل فى دكان صغير . ثم انتقلت منه إلى مدرسة صغيرة .. وهكذا . إن السنوات الثلاث الأخيرة لتبدو لى كأنها

يوم متصل من الكفاح والعمل الشاق . وقد بلغ اليوم منتهاه .. إذ انتقلت أمى إلى جوار ربها فلم تعد بحاجة إلى . كما توظف شقيقاى فانتهت مسئوليتى بالنسبة لهما .

نورا : لعلك تشعرين الآن بالراحة بعد العناء .

لنـد : أبدا . كل ما أشعر به هو أن حياتى فارغة بشكل يبعث على الرثاء . لم يبق لى شخص أعيش من أجله . (**تنهض على غير هدى**) لذلك لم أطق الحياة فى تلك البلدة النائية ، وجئت إلى هنا بأمل العثور على عمل يشغلنى ولا يتركنى نهبا للأفكار .. عمل مستقر .. كوظيفة كتابية .. أو أى شىء من هذا القبيل .

نورا : ولكن الوظائف الكتابية تتطلب جهدا مرهقا يا كريستين ، وهيئتك الآن تنطق بالتعب الشديد . أرى من الأفضل أن تقصدى إحدى المناطق ذات المياه المعدنية .

لنـد : (**تسير نحو النافذة**) ليس لى أب ينفق على رحلتى يا نورا .

نورا : (**تنهض**) لا تغضبى منى .

لنـد : (**متجهة إليها**) بل أنت التى يجب ألا تغضبى منى . إن أسوأ ما فى موقفى أنه يثير المرارة فى النفس . فبينما أصبحت لا أرتبط بأية غاية فى الحياة ، أرانى مضطرة إلى الترصد لكل سانحة تبدو من حولى . إن سنة الحياة أن نعيش ، ولهذا نكتسب صفة الأنانية . فعندما أنبأتنى بالتحول السعيد الذى طرأ على حياتك لم يكن سرورى من أجلك بقدر ما كان من أجل نفسى .

نورا : ماذا تعنين ؟ آه .. فهمت . تقصدين أنه ربما كان فى وسع

تورفالد أن يجد لك عملا .

لند : نعم . هذا ما رميت إليه .

نورا : اطمئنى يا كريستين . اتركى الأمر لى . سأطرق الموضوع بلباقة ، وأتودد إليه بما يسره . يسعدنى أن أتمكن من مساعدتك .

لند : كريم منك هذا الشعور نحوى يا نورا . ويضاعف أثره لدى قلة خبرتك بالحياة وما تنوء به من مشاكل ومتاعب .

نورا : قلة خبرتى ؟ أنا ؟

لند : (**مبتسمة**) عزيزتى ... تدبير شئون البيت وما شابه ذلك من المعضلات لا يعد شيئا يذكر . إنك طفلة يا نورا .

نورا : (**تنتصب بهامتها وتذرع أرض الغرفة**) لا يحق لك تتخذى منى موقف العظمة .

لند : حقا ؟

نورا : أنت كالآخرين . كلكم ترون أننى لا أقوى على مواجهة أى أمر جدى .

لند : لا داعى لكل هذا .

نورا : وأننى لم أمر بأية تجربة قاسية فى هذه الحياة الحافلة بالتجارب .

لند : ولكن ألم تسردى على جميع متاعبك منذ هنيهة يا عزيزتى نورا ؟

نورا : هوه . تلك خزعبلات . (**تخفض من صوتها**) لم أكشف لك عن الأمر العظيم .

لند : الأمر العظيم ؟ ماذا تقصدين ؟

نورا : إنك تستهينين بى يا كريستين .. ولكن لا حق لك فى هذا . أولست تحسين فى أعماقك بالفخر من أجل جهادك الطويل الشاق فى سبيل أسرتك ؟

لنـد : أنا لا أستهين بأى مخلوق ، غير أن هذا لا يحول دون إحساسى الدفين بالفخر والرضى ، إذ أتيحت لى الفرصة لكى أحيط أمى فى أخريات أيامها بأسباب الراحة والهناء .

نورا : وإنه ليملأك فخرا كذلك ما استطعت أن تسديه من صنيع لأخويك .

لنـد : أوليس هذا من حقى على نفسى ؟

نورا : صحيح . إذن فاسمعى . أنا أيضا يحق لى أن أحس بالفخر والرضى .

لنـد : لا شك عندى فى ذلك . وإن كنت لا أعرف ما ترمين إليه .

نورا : اخفضى صوتك .. وإلا تناهى كلامنا إلى سمع تورفالد ، وهذا ما لا يجب أن يحدث . لا يجب أن يعلم الحقيقة أى إنسان على ظهر الأرض .. سواك أنت يا كريستين .

لنـد : وما هى هذه الحقيقة ؟

نورا : تعالى هنا . (**تجذبها إلى كرسى البيانو بجوارها**) سأطلعك على السر الذى أستمد منه إحساسى بالفخر والرضى . أنا التى أنقذت حياة تورفالد .

لنـد : أنقذت حياته ؟ كيف ؟

نورا : حدثتك عن رحلتنا إلى إيطاليا .. وهى رحلة كان يتوقف عليها شفاء تورفالد من مرضه . ولو لم نقم بها لما كتبت له النجاة ..

لنـد : ولكن الفضل فى هذا لأبيك الذى تطوع بالمال اللازم للرحلة .

نورا : (**مبتسمة**) نعم . هذا ما يظنه تورفالد ، ويظنه الجميع أيضا ، ولكن ..

لنـد : ولكن ..

نورا : لم نحصل من أبى على مليم واحد . أنا التى جئت بالمال .

لنـد : أنت ؟ كل ذلك المبلغ الضخم ؟

نورا : مائتان وخمسون جنيها . ما رأيك الآن ؟

لنـد : كيف تمكنت من الحصول على مثل هذا المبلغ يا نورا ؟ هل ربحت تذكرة يانصيب ؟

نورا : (**بازدراء**) تذكرة يانصيب ؟ وهل يكون لأحد فضل فى ذلك ؟

لنـد : أين حصلت على المال إذن ؟

نورا : (**تدندن مبتسمة كمن يطوى سرا**) هم ! هم ! ها !

لنـد : لا أظن أنك حصلت عليه بطريق الاستدانة .

نورا : ولم لا ؟

لنـد : لا يخول القانون الزوجة أن تعقد قرضا بدون موافقة زوجها .

نورا : (**منتصبة القامة**) أما إذا كانت الزوجة تفهم فى فن الصفقات المالية ، وكانت على شىء من الذكاء وسعة الحيلة ...

لنـد : لست أفهم .

نورا : لا داعى . فلم أقل إننى استدنت المبلغ . ولعلى حصلت عليه بطريق آخر (**تستلقى على الأريكة**) أليس من الجائز

أن يكون قد أتانى من أحد المعجبين ؟ عندما تكون المرأة جذابة مثلى ؟

لنـد : جنون مطبق .

نورا : أتعرفين أنك نهب لحب الاستطلاع يا كريستين ؟

لنـد : اسمعى يا عزيزتى نورا . إن تصرفك فيما أرى ينطوى على شىء من الحماقة .

نورا : (**تعتدل فى جلستها**) أمن الحماقة أن أنقذ حياة زوجى ؟

لنـد : حماقة أن يتم ذلك دون علم منه ، إن ...

نورا : كان الظرف يقضى ألا يعلم شيئا عن الموضوع . ألا تدركين أنه كان مريضا ، ولم يكن ينبغى أبدا أن يتنبه إلى خطورة حالته ؟ لقد جاءنى الأطباء وقتها وأسروا إلى بأن حياته مهددة ، وأن الأمل الوحيد فى نجاته هو الإقامة فى الجنوب . وعندئذ لم أتوان عن تحقيق تلك الغاية ، وانتصرت لفكرة السفر كأنها صادرة عن مجرد رغبة منى ، فحدثته باشتياقى إلى السياحة ، كغيرى من النساء ، وحاولت معه الدموع والتوسلات ، وذكرته بما يجب عليه نحوى ، وما ينبغى أن يعاملنى به من رفق وتسامح ، بل أشرت إليه من طرف خفى أنه يستطيع اقتراض المبلغ اللازم . ولكن ذلك لم يزده إلا تألما ، ووصفنى بحب الذات ، وقال إن من واجبه كزوج ألا ينقاد لأهوائى ونزواتى ، ولكنى لم أيأس ، وقررت أن أعمل على إنقاذ حياته ، مهما تكن الظروف . وهكذا أفلحت فى تدبير مخرج من المعضلة .

لنـد : ألم يتصل بأبيك بعدها فيعلم أن المبلغ لم يأت منه ؟

نورا : كلا . توفى والدى حينذاك . وكان فى نيتي أن أطلعه على السر وأطلب إليه أن يبقيه طي الكتمان .. بيد أن المرض لم يمهله ، فلم تسنح الفرصة .

لنـد : ومنذ ذلك الحين ، لم تكشفي السر لزوجك ؟

نورا : أبدا . كيف وهو الرجل الذى لا يستسيغ مثل هذه الأمور . ثم إن تورفالد ، بما له من اعتداد بكرامته واعتزاز برجولته ، لابد أن يحس بتصدع مؤلم فى كبريائه إذا تبين له أنه يدين لى بشيء ما .. وعندئذ تنهار العلاقة التى تربط بيننا من أساسها ، وتنقلب حياتنا الزوجية السعيدة إلى شيء آخر لا يمت بصلة إلى هذا الحاضر المشرق .

لنـد : أفى نيتك ألا تكشفي له عن الحقيقة أبدا ؟

نورا : (**مفكرة وعلى شفتيها شبه ابتسامة**) ربما .. فى يوم من الأيام .. بعد عدد من السنين ، عندما يذوى جمالى . لا تسخرى منى . أعنى عندما يفتر حبه لى ، وأفقد بعض مالى من تأثير عليه ، فيضيع رنين الضحكات ، ويتبدد سحر الشباب ، ويتلاشى وقع الكلمات .. عندئذ تظهر فائدة ادخار شيء كهذا . (**مندفعة**) كلام فارغ . لن يحل مثل ذلك اليوم . والآن ما رأيك يا كريستين فى هذا السر الهائل الذى أطويه بين ضلوعى ؟ أما زلت عند رأيك فى أنى طفلة لا نفع فيها ؟ أؤكد لك أن هذا الموضوع يسبب لى سلسلة لا حد لها من المتاعب . فلم يكن من السهل على أن أفى بتعهداتى فى

مواعيدها . وهنا أحب أن أنبهك إلى أن فى ميدان الأعمال شيئا اسمه الربح المركب ، وشيئا آخر اسمه التسديد على أقساط ، وكل منهما لا يقل عن الآخر ثقلا فى الدم . كان على أن أوفر القرش على القرش كلما استطعت . ولم أكن أستطيع الادخار من حساب البيت ، لأن تورفالد يحب أن يرى مائدة الطعام عامرة بما لذ وطاب . وليس ما تقبله نفسى أن أحرم الأولاد ما يشتهون لكى أدخر شيئا من مصروفهم ، بل إنى لأنفق عليهم كل مليم يعطينيه تورفالد من أجلهم .

لنـد : لم يبق إذن إلا مصروفك الخاص .

نورا : بالضبط . ألم يكن كل ذلك من تدبيرى ؟ كنت كلما أعطانى تورفالد نقودا لشراء ما أحتاجه من ثياب جديدة ، لم أنفق أكثر من نصفها ، كنت أشترى أبسط الأصناف وأرخصها . وإنها لنعمة من السماء أن يناسبنى أى نوع من الثياب ، مما جعل تورفالد لا يلحظ شيئا . ولا يخفى عليك ما فى هذا من مشقة وضيق ، فليس أحب إلى قلب المرأة من ثوب أنيق غال .

لنـد : تمام .

نورا : ثم سعيت إلى طرق أبواب أخرى لكسب المال . ففى الشتاء الماضى أسعدنى الحظ بالحصول على مهمة لنسخ مجموعة من الأوراق ، فحبست نفسى ، وعكفت على الكتابة حتى ساعة متأخرة من الليل ، وكثيرا ما كان يحل بى التعب ، ولكنى كنت أجد لذة كبرى فى العمل والكسب ، وكأننى لا أختلف عن الرجال .

لنـد : وكم سددت من المبلغ بهذه الطريقة حتى الآن ؟

نورا : لا أعلم على وجه التحديد . ولا يخفى عليك أن صفقة من هذا النوع لا يسهل الإلمام بجميع دخائلها . كل ما أعلمه أننى لم أتوان عن دفع كل مليم أفلح فى اصطياده . وما أكثر المرات التى تعقدت فيها الظروف معى .. (**مبتسمة**) وعندها كنت أختلى بنفسى فى هذه الغرفة وأحلم بأن عجوزا فانيا تدله فى حبى ..

لنـد : ماذا ؟ من يكون ؟

نورا : صه . ثم أدركه الموت ... ولما فتحت وصيته طالعوا فيها بخط واضح كالشمس كلمات الشيخ الراحل « أترك لمدام نورا هيملر التى سبتنى بجمالها الأخاذ كل ممتلكاتى من بعدى ، على أن تدفع لها قيمتها بالنقد فورا » .

لنـد : من يكون ذلك الشيخ المتصابى يا عزيزتى ؟

نورا : رباه . ماذا أصاب نباهتك ؟ لم يكن للشيخ أى وجود على الإطلاق . كان من وحى خيالى ، أتصور وجوده عندما تغلق جميع المنافذ فى وجهى وأختلى بنفسى . ولكن الحال يختلف الآن . وقد أطلقت يدى من ذلك العجوز الكئيب ، فليكتب وصيته لمن يشاء . لقد انتهت همومى إلى غير رجعة . (**تثب واقفة**) يا لها من حياة . لا هموم ولا مشاكل . ما أجمل أن يتخلص الإنسان من أثر الأحمال الثقيلة نهائيا وقطعيا . الآن أستطيع أن أمرح مع الأطفال حرة طليقة ، وأن أضفى على البيت ذلك الرونق الطلى الذى يدخل السرور على نفس تورفالد . ثم هناك أيضا يا كريستين ما هو أجمل وأبدع .

(بيت الدمية)

فالربيع يقترب ، ولن تلبث السماء أن تكتسب زرقتها الصافية . وليس ببعيد أن نقوم عندئذ برحلة قصيرة . نعم . ليس منظر البحر ببعيد المنال . ما أروع الحياة فى جو سعيد !

(يدق الجرس فى الصالة) .

لنـد : **(وهى تنهض)** جرس الباب . يستحسن أن أنسحب أنا .

نورا : لا تذهبى ، فلن يأتى أحد هنا . لابد أنه من أجل تورفالد .

(تظهر الخادمة عند باب المدخل) .

الخادمة : لا مؤاخذة يا سيدتى ، بالباب ضيف يطلب سيدى ، ولما كان مشغولا مع الدكتور ..

نورا : من يكون ؟

كروجشتاد : **(عند الباب)** أنا يا مدام هيملر .

(تجفل مدام لند ، وتسرى بها رجفة ، وتستدير ناحية النافذة) .

نورا : **(تخطو نحوه وتخاطبه فى قلق بصوت خفيض)** أنت ؟ ماذا جد ؟ فيم تريد مقابلة زوجى ؟

كروجشتاد : فى بعض الأمور التى تتعلق بالبنك .. تقريبا .. إننى موظف صغير بالبنك ، وقد سمعت أن زوجك سيكون رئيسا لنا .

نورا : ولهذا جئت ..

كروجشتاد : عمل لا أكثر ولا أقل يا مدام هيملر . مسألة عمل .

نورا : تفضل إلى المكتب إذا سمحت .

(تنحنى باستخفاف ، وتغلق باب الصالة ، ثم تعود

لتقلب النار فى المدفأة)

لنـد : نورا ، من ذلك الرجل ؟

نورا : محام .. اسمه كروجشتاد .

لنـد : إذن فلم أخطىء الظن .

نورا : أتعرفينه ؟

لنـد : كنت .. فيما مضى .. منذ سنوات عدة . كان فى يوم من الأيام كاتب محام ببلدتنا .

نورا : هذا صحيح .

لنـد : لقد تغير كثيرا .

نورا : لعل مرد ذلك إلى أنه لم يكن موفقا فى زواجه .

لنـد : لقد توفيت زوجته فيما أعلم ؟

نورا : نعم ، تاركة له ذرية كبيرة . هكذا يجب أن تشتعل النار .

(تغلق باب المدفأة وتنقل الكرسى الهزاز جانبا)

لنـد : يقال إنه يباشر العمل فى وجوه مختلفة .

نورا : حقا ؟ ربما . لا علم لى . أوه ، كفانا انشغالا بمثل هـذه الموضوعات فإنها ثقيلة الظل .

(يدخل دكتور رانك قادما من مكتب هيملر)

رانك : (**محدثا هيملر فى غرفته وهو عند الباب**) لا يا عزيزى ، لن أتطفل عليكما . وأفضل لدى أن أمضى الوقت مع السيدة زوجتك . (**يغلق باب المكتب ، وهنا يرى مـدام لنـد**) لا مؤاخذة . الظاهر أننى أتطفل عليكما أيضا .

نورا : كلا . مطلقا . (**تقوم بالتعريف**) دكتور رانك . مدام لند .

رانك : لقد سمعت اسم مدام لند يذكر أكثر من مرة فى هذه الدار . أظن أنى مررت بك على السلم عند حضورى يا مدام لند ؟

لند : نعم ، إننى أصعد السلالم ببطء كبير ، لما تسببه لى من تعب .

رانك : آه .. هل مرجع ذلك إلى شىء من الضعف الداخلى ؟

لند : كلا . أعتقد أنه نتيجة لإرهاق فى العمل فى الأيام الأخيرة .

رانك : بسيطة . وإذن فقد جئت طلبا للراحة والاستجمام فى بلدتنا .

لند : لقد جئت بحثا عن عمل .

رانك : أفبهذا تعالجين الإرهاق فى العمل ؟

لند : لابد لنا من وسيلة للعيش يا دكتور رانك .

رانك : نعم ، يخيل إلى أن الرأى السائد يتجه إلى اعتبار ذلك ضرورة لابد منها .

نورا : اسمع يا دكتور رانك .. لن تنكر أنك تحب الحياة .

رانك : بكل تأكيد . مهما بلغت مصائبى ، تسيطر على الرغبة فى إطالة الزمن بعسره وشقائه إلى أقصى حد ممكن . كل زبائنى من هذا الطراز ، وكذلك جميع ذوى النفوس المريضة . لقد تركت عينة من ذلك الصنف مع هيملر .

لند : (بأسف)آه .

نورا : من تعنى ؟

رانك : محاميا يدعى كروجشتاد .. لا تعرفين عنه شيئا . إنه إنسان مصاب بانحلال خلقى يا مدام هيملر ، ولم يكد يفتح فمه حتى أخذ هو الآخر يردد أهمية حقه فى الحياة .

نورا : حقا ؟ ماذا جاء يطلب من تورفالد ؟

رانك : لا أدرى ، كل ما سمعته أن الموضوع يتصل بالبنك .

نورا : لم أكن أعلم أن ـــ ما اسمه ـــ كروجشتاد ، على علاقة بالبنك .

رانك : بل إنه يؤدى وظيفة فى أحد الأقسام . (**مخاطبا مدام لند**) ترى هل صادفت فى حياتك أنت أيضا ذلك النوع من الناس الذين يندفعون فى حمية منقطعة النظير للبحث عن مواطن الفساد فى الخلق ، حتى إذا اهتدوا إلى شخص عفن بادروا إلى وضعه فى مركز رفيع خلاب ، حيث يستطيعون مراقبته والتطلع إليه ؟ وهكذا لا يحظى أصحاب النفوس الكريمة بغير الإهمال .

لنـد : مهما يكن فمن رأيى أن المرضى هم أحوج الناس إلى الرعاية .

رانك : (**يهز كتفيه**) أرأيت ؟ هذا الاتجاه هو الذى يجعل من مجتمعنا شيئا أشبه بالمستشفى .

(**تنفجر نورا ضاحكة بعد أن كانت مستغرقة فى التفكير ، وتصفق بيديها**) .

رانك : ماذا يضحك من كلامى ؟ أتعرفين ما هو المجتمع ؟

نورا : مالى أنا والمجتمع بعقده ومشاكله . إن ما يضحكنى شىء آخر . شى مسل للغاية . قل لى يا دكتور رانك ، هل جميع موظفى البنك يخضعون الآن لرئاسة تورفالد ؟

رانك : أهذا ما تجدينه شيئا مسليا للغاية ؟

نورا : (**تبتسم وتدندن**) هذا شأنى . (**تتنقل فى أنحاء الغرفة**)

ما أروع أن تكون لنا .. أن تكون لتورفالد مثل هذه السيطرة على جمع كبير من الناس . (**تخرج كيس البسكويت من جيبها**) ما رأيك فى قطعة من البسكويت يا دكتور رانك ؟

رانك : بسكويت ؟ أوليس محرما هنا ؟

نورا : صحيح . ولكن هذه هدية من كريستين .

لنـد : منى أنا ؟

نورا : أوه ، لا داعى للجزع . أنى لك أن تعرفى أن تورفالد يحرمه على ، بحجة أنه يفسد أسنانى . أوه ، مرة فى الألف لن تضر .. أليس كذلك يا دكتور رانك ؟ (**تضع قطعة من البسكويت فى فمه**) وواحدة لك أنت أيضا يا كريستين . وأنا واحدة .. صغيرة جدا .. أو على الأكثر .. اثنتين . (**وهى تتجول**) ما أحلى الدنيا . هس .. هس .. (**تسرع بإخفاء الكيس**) هس .

(**يأتى هيملر قادما من غرفته وقد حمل معطفه على ذراعه وأمسك قبعته فى يده**) .

نورا : عزيزى تورفالد ، هل تخلصت منه ؟

هيملر : نعم . لقد خرج .

نورا : اسمح لى أن أقوم بواجب التعارف . هذه كريستين ، وقد وصلت هنا اليوم فقط .

هيملر : كريستين ؟ أرجو المعذرة .. لست أذكر بالضبط ..

نورا : مدام لند يا عزيزى .. كريستين لند .

هيملر : طبعا طبعا . صديقة قديمة لزوجتى من أيام الدراسة . أليس كذلك ؟

لنـد : نعم .. منذ ذلك الحين .

نورا : تصور أنها جاءت من آخر الدنيا خصيصا لتتحدث إليك .

هيملر : لتتحدث إلى ؟

لنـد : هذه مبالغة . الواقع أننى ...

نورا : إن كريستين ماهرة فى مسك الدفاتر ، وهى تتمنى العمل تحت رئاسة شخص ضليع لتستفيد من خبرته وترفع مستواها ...

هيملر : تفكير سديد يا مدام لند .

نورا : وما إن سمعت بنبأ تعيينك مديرا للبنك ــ لقد طير النبأ بالبرق كما تعلم ــ حتى حزمت أمرها وقررت السفر إلى هنا فى الحال . وإنى واثقة يا تورفالد أنك لن تتوانى عن مساعدة كريستين بكل ما فى وسعك . هه ؟ قل نعم .

هيملر : أظن أننا لن نجد صعوبة كبيرة فى ذلك . لديك طبعا بعض الخبرة فى مسك الدفاتر يا مدام لند ؟

لنـد : خبرة لا بأس بها .

هيملر : من الجائز جدا أن أتمكن من إيجاد عمل ملائم لك .

نورا : (**مصفقة بيديها**) ألم أقل لك ؟ ألم أقل لك ؟

هيملر : لقد جئت فى لحظة مناسبة يا مدام لند .

لنـد : أنا عاجزة عن الشكر .

هيملر : أرجوك . (**يلبس معطفه**) غير أنى أستميحك اليوم عذرا ...

رانك : لحظة من فضلك . سآتى معك .

(**يأتى بمعطفه الفرو من الصالة ، ويدفئه أمام نار الموقد**) .

نورا : لا تتأخر يا عزيزى تورفالد .

هيملر : ساعة على أكثر تقدير .

نورا : أتنوين الانصراف أنت أيضا يا كريستين ؟

لنـد : (**وهى تلبس المعطف**) نعم . يحسن بى أن أذهب للبحث عن غرفة .

هيملر : فلنخرج معا إذن .

نورا : (**وهى تساعدها**) يؤسفنى أن مسكننا صغير ، ومن العسير أن نستطيع ...

لنـد : أرجوك . لا تفكرى فى الموضوع . إلى اللقاء يا عزيزتى نورا . وشكرا جزيلا .

نورا : إلى اللقاء . ولا لزوم لأن أشدد عليك بضرورة الحضور فى هذا المساء للاحتفال معنا . وأنت كذلك يا دكتور رانك . ماذا تقول ؟ إذا كنت ما تزال بصحة جيدة ؟ يجب أن تحتفظ بصحتك جيدة للمساء . احذر البرد .

(**يذهبون إلى الباب الخارجى . الجميع يتحدثون فى نفس واحد . ويسمع ضجيج الأطفال على السلم**) .

نورا : وصلوا . وصلوا . (**تجرى إلى الباب وتفتحه فتدخل المربية مع الأطفال**) أهلا . أهلا . (**تنحنى وتقبلهم**) أهلا بكم . تأملى يا كريستين . أليسوا آية فى الظرف ؟

رانك : فلنبتعد عن تيار الهواء .

هيملر : هيا بنا يا مدام لند ، فهذا منظر لا تستسيغه إلا الأمهات .

(يخرج رانك وهيملر مع مدام لند . وتتقدم المربية بالأولاد . بينما تغلق نورا باب الصالة) .

نورا : لقد أفادكم الهواء المنعش كثيرا . ما أحلى هذه الخدود المتوردة وكأنها التفاح . (**يتحدث الأطفال جميعا فى نفس واحد وهى تخاطبهم**) هل قضيتم وقتا طيبا ؟ مدهش . دفعت إيمى وبوب على الزحافة ؟ الاثنين معا . رائع . أنت ولد شاطر جدا يا إيفار . دعينى أحملها قليلا يا آن . عروستى الحبوبة . (**تأخذ الطفلة من المربية وترقصها على ذراعيها**) نعم . نعم . سترقص ماما مع بوب أيضا . ماذا ؟ لعبتم بكرات الجليد ؟ ليتنى جئت معكم . كلا . كلا . سأغير لهم ملابسهم بنفسى يا آن . أرجوك . إننى أجد لذة كبيرة فى ذلك . اذهبى أنت فإنك ترتجفين من البرد . تجدين بعض القهوة الساخنة على الموقد . (**تخرج المربية من غرفة اليسار . بينما تخلع نورا ثياب الأطفال وتلقيها حولها كيفما اتفق ، وهم يتحدثون جميعا فى نفس واحد**) حقا ! جرى وراءك كلب ضخم الجثة ؟ ولكنه لم يعضك ؟ كلا . إن الكلاب لا تعض الأولاد الظرفاء . كفاك تأملا فى اللفائف يا إيفار . ماذا بداخلها ؟ طبعا تريد أن تعرف . كلا . كلا .. بداخلها أشياء كئيبة المنظر . تعال . لنلعب معا . ماذا ؟ الاستغماية ؟ نعم . لنلعب الاستغماية ! ليختبىء بوب أولا . أنا الأول ؟ كما تشاءون ، سأختبئ أنا أولا .

(تضحك نورا والأولاد ، ويتصايح الجميع ، ويتواثبون فى جميع أنحاء الغرفة . وأخيرا تختبئ نورا تحت المائدة ، ويجرى الأولاد فى كل مكان بحثا عنها دون أن يوفقوا فى العثور عليها . ثم يسمعون ضحكاتها المكتومة فيندفعون إلى المائدة ، ويرفعون الغطاء ، وإذ يجدونها يعلو الضحك والصياح . وتزحف نورا خارجة من مخبئها وتتظاهر بإرعابهم ، فيعلو الضحك مرة أخرى . وفى هذه الأثناء تسمع طرقة على باب الصالة ، ولكن لا يلتفت إليها أحد . ثم يفتح الباب قليلا ، ويظهر منه كروجشتاد . يتمهل قليلا .. بينما يستمر اللعب فى الغرفة) .

كروجشتاد : معذرة يا مدام هيملر .

نورا : **(تفلت صيحة مكتومة وتستدير على ركبتيها)** آه ! ماذا تريد ؟

كروجشتاد : معذرة . كان الباب الخارجى مواربا . لعل أحدهم نسى أن يغلقه .

نورا : **(تنهض)** إن زوجى فى الخارج يا سيد كروجشتاد .

كروجشتاد : أعلم ذلك .

نورا : ماذا تريد إذن !

كروجشتاد : كلمة معك .

نورا : معى ؟ **(تخاطب الأولاد برفق)** اذهبوا إلى المربية ماذا ؟ كلا . إن الزائر الغريب لن يؤذى ماما . سنعاود اللعب عندما يخرج .. **(تأخذ الأطفال إلى غرفة اليسار وتغلق**

الباب من ورائهم) تريد الكلام معى ؟..

كروجشتاد : نعم .

نورا : اليوم ؟ لم يحل أول الشهر بعد .

كروجشتاد : صحيح . إنها ليلة عيد الميلاد . والأمر موكول لك لتقرير نوع العيد بالنسبة لكم جميعا .

نورا : ماذا تعنى ؟ مستحيل أن أقدم اليوم ..

كروجشتاد : لن نشير إلى هذا الموضوع قبل الأوان . المسألة تتعلق بشىء آخر . فهل لى أن أطمع فى لحظة من وقتك ؟.

نورا : نعم .. نعم .. ولو أنى ...

كروجشتاد : عظيم . كنت جالسا بمطعم أولسين عندما شاهدت زوجك فى الشارع .

نورا : نعم ؟ ..

كروجشتاد : وكانت برفقته سيدة ..

نورا : وبعد ؟..

كروجشتاد : هل لى أن أسأل إن كانت هذه السيدة هى مدام لند ؟...

نورا : أصبت .

كروجشتاد : وصلت من السفر فى التو ؟

نورا : نعم . اليوم .

كروجشتاد : إنها صديقة حميمة لك . أليس كذلك ؟

نورا : هو ما تقول . ولكنى لا أدرى ...

كروجشتاد : كنت على معرفة بها أنا أيضا .. فى يوم من الأيام .

نورا : أدرك ذلك .

كروجشتاد : حقا ؟ إذن فأنت تعرفين القصة كلها . هذا ما دار بخاطرى . هل لى فى هذه الحالة أن أسألك ، فى غير لف أو دوران ، ما إذا كانت النية تتجه إلى استخدام مدام لند فى البنك ؟

نورا : بأى حق تسألنى يا سيد كروجشتاد . وأنت لا تعدو كونك موظفا صغيرا تحت إمرة زوجى ؟ وعلى أى حال ما دمت قد وجهت السؤال فلن تعدم الجواب . نعم . سوف تلتحق مدام لند بالعمل فى البنك . والفضل فى تعيينها يرجع إلى وساطتى أنا ، إذا كان يهمك أن تعرف ذلك .

كروجشتاد : لم أخطئ فى ظنى إذن .

نورا : (**تذرع الغرفة جيئة وذهابا**) يحدث أحيانا أن يكون للإنسان بعض النفوذ . لا فرق فى هذا بين رجل وامرأة . وعندما يكون شخص ما فى منصب المرءوس يا سيد كروجشتاد ، يحسن به أن يتحاشى الإساءة إلى من .. من ..

كروجشتاد : من يكون ذا نفوذ ؟

نورا : تماما ..

كروجشتاد : (**مغيرا من لهجته**) مدام هيملر ، أرجو أن تستغلى نفوذك لصالحى .

نورا : ماذا ؟ ماذا تعنى ؟

كروجشتاد : أرجو أن تعملى على احتفاظى بوظيفتى كمرءوس فى البنك .

نورا : ماذا تقصد بذلك ؟ هل فكر أحدهم فى الاستيلاء على

وظيفتك ؟

كروجشتاد : لا داعي للمضى فى التظاهر بالجهل . إننى واثق أن صديقتك لم تأت ساعية إلى استثارتى والاحتكاك بى ، وعلى هذا فإن مسئولية فصلى من وظيفتى تقع على عاتق آخر .

نورا : أؤكد لك ...

كروجشتاد : جائز . فلننتقل إلى صلب الموضوع مباشرة . لقد جاء الوقت الذى أسديك فيه النصيحة باستخدام نفوذك للحيلولة دون وقوع ذلك التصرف .

نورا : ولكن لا نفوذ لى يا سيد كروجشتاد .

كروجشتاد : حقا ؟ خيل إلى أننى سمعتك تقولين منذ لحظة ..

نورا : لم يدر بخلدى بالطبع أنك ستحمل كلامى على غير معناه . أنا ! ماذا يحملك على الظن بأن لى كل هذا النفوذ عند زوجى ؟

كروجشتاد : أنا أعرف زوجك من أيام الدراسة . ولا أظنه أمنع من غيره من الأزواج .

نورا : إذا تفوهت بأى كلمة أخرى فى حق زوجى فلن أتردد فى طردك من البيت .

كروجشتاد : أنت جريئة يا مدام هيملر .

نورا : لم يعد بى أى خوف منك . ولن يحل العام الجديد حتى أكون قد نفضت يدى من الحكاية بأسرها .

كروجشتاد : (**مسيطرا على أعصابه**) اسمعى يا مدام هيملر . إذا اقتضت الضرورة ، فإنى مستعد للكفاح من أجل منصبى الحقير فى

البنك كفاحى من أجل الحياة .

نورا : هذا ما يبدو لى .

كروجشتاد : وليس ذلك بسبب المرتب ، فإنه لا يستحق الذكر ، وهو آخر ما أفكر فيه . وإنما لسبب آخر . ولست أرى غضاضة فى أن أصرح لك به . المسألة تتلخص ، كما تعرفين ولا شك ؟ وكما يعرف الجميع ، فى أنه حدث ذات مرة ، منذ عدة سنوات ، أن وقعت منى هفوة .

نورا : أظن أننى سمعت شيئا من هذا القبيل .

كروجشتاد : ومع أن الموضوع لم يبلغ ساحة القضاء ، إلا أن جميع الأبواب سدت فى وجهى على أثر الحادث . فكان أن لجأت إلى الاشتغال بالعمل الذى تعرفين كرها فى التعطل والخمول . وأعتقد ، صراحة ، أننى لم أكن أسوأ من غيرى فى هذا المضمار . وأرانى الآن مضطرا إلى الكف نهائيا عن ذلك الضرب من المعيشة ، فقد كبر أولادى ، ويجب أن أبذل قصارى جهدى من أجلهم لاسترداد ما فقدت من احترام الناس فى هذه البلدة . وقد كانت وظيفتى فى البنك أشبه بالخطوة الأولى فى السلم .. ثم يأتى زوجك ليدفعنى بقدمه ، ويزج بى فى الوحل مرة أخرى .

نورا : ثق يا سيد كروجشتاد أننى لا أملك مساعدتك .

كروجشتاد : لا رغبة لك فى مساعدتى ، ولكننى أعرف كيف أرغمك .

نورا : لا أظنك تنوى التصريح لزوجى بحقيقة دينى لك ؟

كروجشتاد : هه !.. لنفرض أننى سلكت هذا السبيل ؟

نورا : يكون تصرفك مجردا من الشهامة . (**فى صوت تخالجه العبرات**) أن يعرف السر الذى أطويه بين جوانحى والذى بقى مبعث نشوتى وافتخارى ، بهذه الطريقة الجافة الشوهاء .. وأن يعرفه منك أنت ! لأجدن نفسى عندئذ فى موقف سيىء .

كروجشتاد : سيىء فقط ؟

نورا : (**بحمية**) افعل إذن ، وسينالك من الأذى نصيب أكبر . سيرى زوجى أى نوع وضيع من الرجال أنت .. فتفقد منصب البنك الذى تتمسك به .

كروجشتاد : لقد سألتك ما إذا كانت مخاوفك تنحصر فى الموقف السيىء الذى ينجم عن التصريح بالحقيقة لزوجك .

نورا : إذا علم زوجى بالحقيقة ، فإنه بطبيعة الحال سيدفع لك جميع ماتبقى من الدين ، وبهذا نتخلص منك نهائيا .

كروجشتاد : (**يقترب خطوة منها**) اسمعى يا مدام هيملر . إما أن ذاكرتك ضعيفة جدا ، وإما أن درايتك بدنيا الأعمال ضئيلة للغاية . وعليه أحب أن أنبهك إلى بعض التفاصيل .

نورا : ماذا تعنى ؟

كروشتاد : عندما مرض زوجك ، أتيت إلىّ لاقتراض مبلغ ٢٥٠ جنيها .

نورا : لم أكن أعرف شخصا آخر أتوجه إليه .

كروجشتاد : فوعدتك بالحصول على المبلغ .

نورا : وكنت عند وعدك .

كروجشتاد : وعدتك بالحصول على المبلغ بشروط معينة . كان بالك مشغولا بمرض زوجك . وكنت فى لهفة للحصول على المال اللازم للرحلة ، حتى إنك ، كما يظهر ، لم تلقى أى اهتمام إلى الشروط التى تضمنتها الصفقة . ولهذا لن نخسر شيئا إذا أنا ذكرتك بها . والآن . لقد وعدتك بالحصول على المبلغ بموجب كمبيالة حررتها بنفسى .

نورا : ووقعت عليها أنا .

كروجشتاد : عظيم . وتحت توقيعك وردت فقرة تنص على أن يكون أبوك ضامنا لك . وكان المفروض على أبيك أن يذيل تلك الفقرة بتوقيعه .

نورا : كان المفروض عليه ؟ لقد وقعها بالفعل .

كروجشتاد : وكنت قد تركت موضع التاريخ خاليا ليكتبه والدك بنفسه عند توقيع الكمبيالة . أتذكرين ؟

نورا : نعم . أظن أنى أذكر ..

كروجشتاد : ثم أعطيتك الكمبيالة لإرسالها إلى أبيك بالبريد . صحيح ؟

نورا : نعم .

كروجشتاد : والظاهر أنك أرسلتها على الفور ، لأنك جئت إلى بها بعد خمسة أو ستة أيام موقعا عليها من أبيك . وعندئذ ناولتك المبلغ .

نورا : أوَ لم أقم بالتسديد بانتظام ؟

كروجشتاد : نعم . تقريبا . ولكن .. لنعد إلى موضوعنا . أظن أن تلك الفترة كانت مرحلة عصيبة بالنسبة لك يا مدام هيملر .

نورا : عصبية حقا .

كروجشتاد : كانت وطأة المرض قد اشتدت على أبيك فيما أظن ؟

نورا : كان أقرب إلى الموت منه إلى الحياة .

كروجشتاد : ولم يلبث أن مات بعدها بقليل ؟

نورا : نعم .

كروجشتاد : أخبريني يا مدام هيملر . أتذكرين اليوم الذى توفى فيه والدك ؟ أعنى أى يوم من أيام الشهر ؟

نورا : توفى والدى فى التاسع والعشرين من شهر سبتمبر .

كروجشتاد : مضبوط . لقد تحققت من ذلك التاريخ بنفسى . وبناء عليه يكون فى المسألة شيء من التناقض . (**يخرج ورقة من جيبه**) لا أستطيع تفسيره .

نورا : أى تناقض ؟ لست أدرى ..

كروجشتاد : هذا التناقض يا مدام هيملر ، يتلخص فى أن أباك وقع على الكمبيالة بعد ثلاثة أيام .. من وفاته .

نورا : ماذا تعنى ؟ لست أفهم ..

كروجشتاد : لقد توفى أبوك فى التاسع والعشرين من شهر سبتمبر ، ولكن الوثيقة تقول إنه ذيل توقيعه بتاريخ ٢ أكتوبر . وهو تناقض لا يستقيم مع المنطق . ألا توافقيننى على ذلك ؟ (**نورا تلزم الصمت**) ومما يلفت النظر أن التاريخ لم يكتب بخط أبيك ، وإنما بخط مألوف لدى أعرف صاحبه . وهذه مسألة يمكن تبريرها على أى حال . فمن الجائز أن يكون أبوك نسى كتابة التاريخ سهوا ، فوضعه شخص آخر لم يكن قد بلغه خبر

الوفاة .. ولا ضرر فى ذلك . كل ما يهم هو التوقيع فى حد ذاته . وأظنه صحيحا يا مدام هيملر ، أليس كذلك ؟ إنه والدك الذى كتب التوقيع بخط يده على هذه الكمبيالة . أليس كذلك ؟

نورا : (**تصمت قليلا ، ثم تلقى برأسها إلى الوراء ، وتنظر إليه بتحد**) كلا ، أنا التى كتبت توقيع والدى .

كروجشتاد : أتدركين خطورة هذا الاعتراف ؟

نورا : من أى وجه ؟ ألن تحصل على نقودك كاملة ؟

كروجشتاد : أحب أن أسألك . لِم لَم ترسلى الكمبيالة إلى أبيك ؟

نورا : كان ذلك مستحيلا لاشتداد المرض عليه . ولو طلبت إليه التوقيع لكان على أن أبين له السبب الذى أريد النقود من أجله . و لم يكن من المعقول أن أنبئه ، وهو يعانى من وطأة المرض ، بالخطر الذى يحدق بحياة زوجى . محال .

كروجشتاد : ربما كان من الأفضل بالنسبة لك لو كنت عدلت عن القيام بتلك الرحلة .

نورا : مستحيل : أن أجد فى الرحلة الأمل الوحيد لإنقاذ حياة زوجى ولا أقوم بها . مستحيل .

كروجشتاد : ألم يطف ببالك إنك اتبعت معى وسيلة من وسائل الاحتيال ؟

نورا : لم يكن ذلك ليثنينى عن عزمى ، فلم أعبأ بتلك الصغائر ، وأنت من بينها ، و لم أكن أحتمل ظلك لما وضعته أمامى من عراقيل قاسية ، رغم علمك بما تنطوى عليه حالة زوجى من خطورة بالغة .

كروجشتاد : يبدو يا مدام هيملر أنك لا تدركين كنه الفعلة التى أقدمت عليها . أؤكد لك أن هفوتى السابقة التى خسرت بسببها حسن سمعتى ، لم تكن تزيد فى قليل أو كثير عما ارتكبته أنت .

نورا : أنت ؟ أو تريد منى أن أعتقد أنك تسلحت بالشجاعة فى يوم من الأيام لتنقذ حياة زوجتك ؟

كروجشتاد : القانون لا يهتم كثيرا بالدوافع !

نورا : إذن فهو قانون ساذج .

كروجشتاد : سواء أكان ساذجا أم لا ، فهذا لا يمنع كونه القانون الذى ستحاكمين بمقتضاه عندما أبرز هذه الوثيقة فى ساحة القضاء .

نورا : هراء . ألا يحق للابنة أن تجنب أباها المشاغل والمضايقات وهو يعالج سكرات الموت ؟ ألا يحق للزوجة أن تنقذ حياة زوجها ؟ لست أعرف الكثير عن القانون ، ولكنى واثقة من وجود قوانين تسمح بمثل هذه الأحوال . جدير بك أن تعرف تلك القوانين وأنت المشتغل بالمحاماة ، إنك محام قليل الدراية يا سيد كروجشتاد .

كروجشتاد : ربما ، ولكن هذه الحالة بالذات ، أفهمها جيدا . والصفقة التى أبرمت بيننا لم تغب ملابساتها عنى . وعلى أى حال ، الأمر بين يديك فافعلى ما يحلو لك . ولكن ثقى أننى لو فقدت مركزى فى البنك للمرة الثانية ، فستفقدين مركزك معى أنت أيضا . (**ينحنى لها ويخرج من الصالة . وتظل نورا مستغرقة فى أفكارها بعض الوقت . ثم تهز رأسها**) .

نورا : كلام فارغ . مجرد محاولة لإخافتى . لست بلهاء كما يظن .

(**تشغل نفسها بترتيب لعب الأطفال**) ومع ذلك ..؟ لا .. مستحيل . لقد فعلت ما فعلت بدافع من الحب .

(**يظهر الأولاد على باب اليسار**) .

الأولاد : ماما . خرج الضيف الغريب من البوابة .

نورا : نعم . أعرف ذلك . ولكن لا تخبروا أحدا بمجيء الضيف الغريب . هه ؟ حتى ولا بابا .

الأولاد : حاضر . هل نعود إلى اللعب ؟

نورا : لا . ليس الآن .

الأولاد : ولكن وعدتنا يا ماما .

نورا : صحيح . لنؤجل اللعب إلى وقت آخر . هيا . اذهبوا من هنا . لدى أعمال كثيرة جدا . هيا إلى غرفتكم يا أطفالى الأعزاء . (**تدفعهم إلى الغرفة واحدا بعد الآخر ثم تغلق الباب ، وتجلس على الأريكة ، وتتناول قطعة ثياب تحيك فيها قليلا بالإبرة ، ثم تتوقف**) . لا .. (**تلقى قطعة الثياب ، وتنهض ، وتتجه إلى باب الصالة ، وتنادى**) هيلين . هاتى الشجرة . (**تذهب إلى منضدة اليسار ، وتفتح درجا ، ثم تتوقف ثانية**) لا .. مستحيل .

(**تدخل الخادمة وهى تحمل الشجرة**)

الخادمة : أين أضعها يا سيدتى ؟

نورا : هنا . فى منتصف الغرفة .

الخادمة : هل تريدين شيئا آخر يا سيدتى ؟

نورا : لا شكرا . لا شىء .

(**تخرج الخادمة . وتبدأ نورا فى تزيين الشجرة**) شمعة هنا ..

وقليل من الورد هنا . يا لجرأة الرجل . كلام فارغ . الحكاية في منتهى البساطة . ستبدو الشجرة آية فى الروعة . سأبذل قصارى جهدى فى سبيل رضاك يا تورفالد . سأغنى من أجلك وأرقص من أجلك ... (**يأتى هيلمر وقد حمل بضع أوراق تحت إبطه**) آه . أعدت هكذا سريعا ؟

هيلمر : نعم . ألم يأت أحد ؟

نورا : هنا ؟ كلا .

هيلمر : عجيب . لقد لمحت كروجشتاد خارجا من البوابة .

نورا : صحيح ؟ آه نعم . نسيت . جاء كروجشتاد فى لحظة عابرة .

هيلمر : نورا . يبدو من مظهرك أنه جاء إلى هنا يستعطفك أن تشفعى له بكلمة طيبة .

نورا : هذا صحيح .

هيلمر : وكان فى نيتك أن تتظاهرى بالانتصار له من تلقاء نفسك .. وأن تخفى عنى أمر مجيئه هنا . ألم تكن هذه أيضا مشورته ؟

نورا : نعم يا تورفالد . ولكن ..

هيملر : نورا . نورا . أتقبلين على نفسك التضامن فى أفعال من هذا القبيل ؟ أترتضين الاتصال برجل من هذا النوع ، والارتباط معه بوعد أيا كان ؟ ثم تزيدين الإساءة بالكذب ؟

نورا : بالكذب ؟

هيملر : ألم تنكرى مجىء أحد إلى هنا ؟ (**يلوح بأصبعه فى وجهها**) يجب على بلبلتى الصغيرة الا تعاود الكرة . إن البلبل لا يغنى إلا لحنا صادقا ، ولا يصدر عنه نغم ناشز . (**يلف خصرها بذراعه**) أليس كذلك ؟ أم ليس كذلك ؟ (**يتركها**) لن نتحدث فى هذا الأمـــر بعـــد الآن (**يجلس بجوار المدفـــأة**) الله !

الجو هنا دافئ لذيذ . (**يقلب أوراقه**) .

نورا : (**تنهمك لحظة فى إعداد شجرة الميلاد فى صمت . ثم تقول فجأة**) تورفالد !

هيملر : نعم .

نورا : إننى أتطلع بشغف إلى الحفلة التنكرية التى سيقيمها آل ستنبورج بعد غد .

هيملر : وأنا لا أقل عنك شغفا لمشاهدة الثوب الذى تنوين مفاجأتى به .

نورا : الواقع أننى تهورت فى هذه الناحية أكثر من اللازم .

هيملر : يعنى ؟

نورا : لا أستطيع الاهتداء إلى فكرة طيبة ، وكل الأفكار التى خطرت لى الآن إما سخيفة أو تافهة .

هيملر : أهذا هو الاكتشاف الذى توصلت إليه عزيزتى نورا ؟

نورا : (**تقف خلف مقعده مستندة إلى ظهره بمرفقيها**) أمشغول جدا يا تورفالد ؟

هيملر : بين بين .

نورا : ما كل هذه الأوراق ؟

هيملر : مسائل تتعلق بالبنك .

نورا : هكذا بسرعة ؟

هيملر : لدى تفويض من المدير السابق بإدخال ما تستدعيه الضرورة من تعديلات على الموظفين وعلى طريقة سير العمل ، وأريد أن أستغل فرصة عطلة العيد لتحضير اللازم ، حتى تستقر الأمور فى بداية العام الجديد .

نورا : لهذا أوجس المسكين كروجشتاد ...

هيملر : هه !

نورا : **(تنثنى على ظهر المقعد وتربت على شعره)** لو لم تكن مشغولا جدا لطلبت منك خدمة عظيمة يا تورفالد .

هيملر : ما هى ؟ هيا أخبرينى .

نورا : إن لك ذوقا هائلا فى كل شىء . وأنا أود أن يكون مظهرى ممتازا فى الحفلة التنكرية ، فما رأيك يا تورفالد فى أن تأخذ المهمة على عاتقك أنت ، وتقرر لى ثوب التنكر الذى يناسبنى ؟

هيملر : آها . غرقت الست العنيدة فى شبر ماء، وصرخت تطلب النجدة ؟

نورا : مضبوط يا تورفالد . لا أدرى كيف أتصرف بدونك .

هيملر : حسن، سأفكر فى الموضوع . ولابد أن نصل إلى حل .

نورا : ما ألطفك . **(تتجه إلى شجرة الميلاد . وتمر لحظة صمت)** ما أجمل الورد الأحمر . انظر . ولكن ، قل لى . أكانت الغلطة التى ارتكبها كروجشتاد بشعة جدا ؟

هيملر : لقد زور اسم شخص آخر .

نورا : أليس من المحتمل أن تكون الحاجة هى التى دفعته إلى ذلك ؟

هيملر : محتمل ، وإن كان الأغلب ، كما فى حالات كثيرة ، أن يكون الباعث هو الحماقة المتأصلة . لست من غلظة القلب بحيث أحكم على الناس حكما مبرما من أجل كبوة واحدة من ذلك النوع .

نورا : أصبت يا تورفالد .

هيملر : كم من رجل استطاع أن يستعيد بياض صفحته باقراره بالذنب وتحمل العقاب !

نورا : العقاب !

هيملر : أما كروجشتاد ، فعلى العكس من ذلك ، توسل إلى الإفلات بالمكر والدهاء . وهذا سبب التدهور الذى أحاق به .

نورا : ولكن ألا تظن أن الإنسان إذا ... ؟

هيملر : تصورى كيف يضطر رجل ينوء ضميره بعبء كهذا إلى الكذب والرياء باستمرار ، ترينه يسدل على وجهه قناعا أمام أعز الناس وأقربهم إليه ، لا يسلم من ذلك زوجته وأولاده ، بل أن الطامة الكبرى تقع على أولاده يا نورا .

نورا : كيف ؟

هيملر : لأن ذلك الجو المشبع بالأكاذيب ينفث سمومه فى حياة البيت والأسرة ... وكل نسمة يستنشقها أبناؤه تدخل إلى رئاتهم محملة بجراثيم الشر .

نورا : (**تدنو منه**) أحقا ؟

هيملر : لقد عرضت لى أحوال كثيرة من هذا النوع يا عزيزتى أثناء وظيفتى كمحام . إن الغالبية العظمى ممن يسلكون طريق الشر فى مقتبل حياتهم ينتمون لأم شريرة .

نورا : ولماذا .. الأم بالذات ؟

هيملر : فى الغالب ترجع المسئولية لنفوذ الأم ، وإن كان للأب الشرير بالطبع نفس النتيجة . كل محام يعرف هذه الحقيقة . وذلك المدعو كروجشتاد راح ينشئ أبناءه على الأكاذيب والخداع . وهذا ما يدعونى إلى القول بأنه فقد كل ذرة من الأخلاق الكريمة . (**يمد لها يديه**) وهو ما يدعونى لأن أطلب من عزيزتى نورا أن تعدل عن الشفاعة له . ضعى يدك فى يدى ضمانا على ذلك . انتهينا . أؤكد لك أننى لن أطيق العمل معه . مجرد إحساسى

بوجود هذا الصنف من الناس على مقربة منى ينقل إلى المرض .

نورا : (**تسحب يدها من يده وتتجه إلى الناحية الأخرى من شجرة الميلاد**) ما أشد حرارة الجو هنا . أمامى عمل كثير .

هيملر : (**ينهض ويرتب أوراقه**) لابد أن أفرغ من بعض هذه الأوراق قبل العشاء . ولابد أن أفكر فى مشروع ثوبك أيضا . ومن يدرى ؟ ربما أتمكن من إحضار لفة صغيرة تصلح للتعليق على الشجرة . (**يضع يده على رأسها**) لا تجهد نفسك أيها البلبل الغرد .

(**يخرج إلى غرفته ويغلق الباب من خلفه**)

نورا : (**بعد لحظة صمت . فى همس**) لا .. لا .. غير صحيح .. مستحيل .. مستحيل .

(**تفتح المربية باب اليسار**)

المربية : الصغار يلحون فى الحضور إليك .

نورا : لا . لا . لا تتركيهم يأتون إلى . ابقى معهم أنت .

المربية : أمرك يا سيدتى . (**تغلق الباب**) .

نورا : (**وقد غاض لونها من الهلع**) أنا أفسد أولادى ؟ أنا أنشر السم فى بيتى ؟ (**لحظة صمت ، ثم تلقى برأسها إلى الوراء**) غير صحيح ... غير صحيح ... ولا يمكن أن يكون صحيحا .

ستار

الفصـــل الثـــانى

(نفس المنظر . شجرة الميلاد فى الركن بالقرب من البيانو ، وقد جردت من زينتها ، وبلغت شموعها المعلقة على فروعها المشعثة نهايتها . معطف نورا وقبعتها ملقيان على الأريكة . نورا وحدها فى الغرفة ، تسير فى أنحائها ، وقد استبد بها القلق . تتوقف لدى الأريكة . وتتناول المعطف ..)

نورا : (**تلقى المعطف**) شخص قادم . (**تتجه نحو الباب وتنصت**) كلا . لا أحد . لن يأتى أحد اليوم .. فى عيد الميلاد . بل ولا غدا أيضا . ولكن .. ربما .. (**تفتح الباب وتطل إلى الخارج**) لا شيء فى صندوق البريد . لا شيء على الإطلاق . (**تتقدم إلى الأمام**) يا لقلة العقل . مؤكد أنه لم يكن جادا فى ادعائه . أمر كهذا بعيد الاحتمال .. لا يصدق .. فإن لى ثلاثة أبناء .

(تدخل المربية من غرفة اليسار ، وهى تحمل صندوقا كبيرا من الورق المقوى).

المربية : أخيرا عثرت على الصندوق وبداخله فستان التنكر .

نورا : شكرا . ضعيه على المائدة .

المربية : (**تنفذ الأمر**) ولكنه يحتاج إلى تصليح .

نورا : بودى أن أمزقه ألف مليون قطعة .

المربية : ليس أهون من إصلاحه .. مع شيء من الصبر .

نورا : معك حق . سأذهب لإحضار مدام لند كى تساعدنى فى إصلاحه .

المربية : أتعودين إلى الخروج فى هذا الجو الفظيع ؟ إنك تعرضين نفسك للإصابة بالبرد يا سيدتى .

نورا : هذا أهون الضرر . كيف حال الأولاد ؟

المربية : منهمكون فى اللعب بهدايا العيد . ولكن ...

نورا : أيسألون عنى ؟

المربية : لقد تعودوا ألا تفارقهم أمهم .

نورا : صحيح . ولكن الظروف تغيرت ، ولن أعود أستطيع البقاء إلى جوارهم كثيرا كما كانت عادتى من قبل .

المربية : لا بأس . من طباع الأطفال سرعة التعود على أى شيء .

نورا : اتظنين ذلك ؟ أتظنين أنهم قد ينسون أمهم إذا رحلت عنهم ؟

المربية : لا تقولى هذا يا سيدتى ، ترحل عنهم ؟

نورا : خبرينى يا آنا . لطالما عجبت كيف طاوعك قلبك على أن تتركى ابنتك بين أناس أغراب .

المربية : حكم الضرورة . عندما جئت لكى أكون دادة للآنسة نورا .

نورا : مفهوم .. ولكن كيف قبلت على نفسك ذلك الوضع ؟

المربية : وكيف لا أقبل والمركز بغرى ؟ لقد كان العرض مخرجا لى من المأزق الذى أوقعنى فيه ذلك الغادر الشرير وتركنى بلا سند .

نورا : ولكن لابد أن ابنتك نسيتك نهائيا ؟

المربية : مطلقا . لقد كتبت لى عندما تم تعميدها ، وعندما تزوجت .

نورا : (**تطوق رقبتها بذراعيها**) عزيزتى آن .. لقد كنت لى بمثابة الأم الرءوم منذ الصغر .

المربية : لم يكن لنورا الصغيرة من أحد يرعاها سواى .

نورا : ولو قدر لأولادى أن يفقدوا أمهم ، فلا ريب أنك . أوه ... ما هذا التخريف (**تفتح الصندوق**) اذهبى إليهم . لابد أن أتفرغ لهذا الفستان . سترين غدا كيف تكون الأناقة .

المربية : من غير شك . ستكونين الزهرة التى تخلب جميع الألباب فى الحفلة .

(تخرج المربية من باب اليسار . وتشرع نورا فى فتح غلاف الصندوق ، ولكنها تكف وتزيحه جانبا) .

نورا : آه لو واتتنى الجرأة على الخروج ، آه لو ضمنت ألا يأتى أحد . آه لو اطمأن بالى إلى أن شيئا ما لن يحدث أثناء غيابى . عبط وتخريف . لن يأتى أحد . يجب أن أنزع هذه الفكرة من رأسى . أفضل من ذلك أن أهتم بتنظيف الوشاح . ما أحلاها من قفازات . ما أحلاها . عنى أيتها الأفكار السوداء . إليك عنى . واحد .. اثنين .. ثلاثة .. أربعة .. خمسة .. ستة .. (**تصرخ**) آه . شخص بالباب . (**تخطو نحو الباب ، ولكنها تقف جامدة فى تردد . وتدخل مدام لند من الصالة حيث**

تكون قد نضت عنها معطفها وقبعتها) .

نورا : آه . كريستين . حسبتك شخصا آخر . شكرا لك مجيئك .

لنـد : قيل لى إنك سألت عنى بمحل سكنى .

نورا : كنت مارة أمام البيت . وما دمت هنا فعليك أن تساعدينى . لنجلس على الأريكة . الموضوع باختصار أن آل ستنبورج ، الذين يسكنون فوقنا ، سيقيمون فى مساء الغد حفلة تنكرية ، ويريد مني تورفالد أن أتنكر فى زى فتاة ساحلية من أهل نابلى تشتغل بصيد السمك ، وأفاجئ الجميع برقصة الترانتلا التى تعلمتها فى جزيرة كابرى .

لنـد : وبذلك يصبح التنكر متقنا من كافة الوجوه .

نورا : إنها فكرة تورفالد . انظرى . هذا هو الثوب . كان تورفالد قد اشتراه لى أثناء رحلتنا . إلا أنه تمزق من الإهمال ، ولا أدرى كيف ...

لنـد : مسألة هينة . لقد تداعت بعض الحواشى ، وهذا كل ما فى الأمر . إبرة وخيط ؟ لن نحتاج لأكثر من ذلك .

نورا : ألف ألف شكر .

لنـد : (**وهى تعمل فى حياكة الثوب**) وددت لو أتيح لى أن أراك غدا فى كامل زينتك يا نورا . فكرة والله . سآتى لمشاهدتك بالفستان قبل موعد الحفلة . ولكن ما أشد جحودى . لقد غاب عنى أن أشكرك على سهرة الأمس الممتعة .

نورا : (**تنهض وتتمشى فى أنحاء الغرفة**) الواقع أنها لم تكن ممتعة بالقدر الكافى كعهدى بسهراتنا دائما . ليتك بكرت بالحضور

إلينا يا كريستين .. منذ زمن .. إذن لرأيت كيف يضفى تورفالد على البيت مظهرا بهيجا يبعث على الإعجاب .

لنـد : الست أقل منه قدرة كما يلوح لى . ولعل هذا لأنك نشأت على خصال أبيك . وعلى فكرة . هل من عادة الدكتور رانك أن يبدو سوداويا مكتئبا كحاله بالأمس ؟

نورا : ليس إلى هذا الحد الواضح . إن المسكين فريسة مرض عضال . فهو مصاب بسل فى العمود الفقرى . كان أبوه رجلا رذيلا لا يتورع عن ارتكاب أى أنواع الموبقات ، وهذا هو السبب فى أن ابنه شب سقيما من الصغر .. بحكم الوراثة .

لنـد : (**تتوقف عن الحياكة**) نورا . هلا حدثتنى كيف أصبحت لك دراية بهذه الأمور ؟

نورا : (**وهى تتمشى**) عندما ترزقين أطفالا ، فإنك تتلقين زائرات عتيدات ممن سبقنك فى الميدان وتجمعت لهن ذخيرة من المعلومات الطبية .. وحديثهن دائما ذو شجون .

لنـد : (**تستأنف الحياكة ، وتمر فترة صمت قصيرة**) أيتردد دكتور رانك عليكم كل يوم ؟

نورا : كل يوم بانتظام . إنه صديق حميم لتورفالد .. ولى أيضا . إننا نعتبره فردا من العائلة .

لنـد : ولكن هل تعرفين إذا كان من طباعه الصدق والإخلاص ؟ أعنى أهو من ذلك الصنف الذى يبادر إلى التملق فى [illegible]سبة ؟

نورا : أبدا . ماذا يحملك على هذا الظن ؟

لنـد : عندما عرفتنى به بالأمس قال إنه سمع باسمى مرارا فى هذا

البيت . ولكنى لاحظت بعدها بقليل أن زوجك لم يسمع بى من قبل . فكيف استطاع الدكتور رانك ...؟

نورا : لقد صدق الدكتور رانك يا كريستين . ذلك أن تورفالد يحبنى إلى درجة أن يتأثر بى وحده دون شريك ، كما يقول . وكانت تظهر عليه فى البداية أعراض الغيرة كلما ذكرت أمامه أحدا من المعارف أو الأقارب ، فامتنعت . وكلما حن بى الشوق إلى مجاذبة الحديث فى هذه الشئون لجأت إلى الدكتور رانك ، لما يبديه من شغف فى الإقبال عليها .

لند : اسمعى يا نورا .. إنك ما زلت طفلة .. وأنا أكبر منك ، وعركت الحياة أكثر منك ، ونصيحتى إليك أن تضعى حدا لعلاقتك بالدكتور رانك .

نورا : من أى وجه ؟

لند : من كل الوجوه . فبالأمس أخذت تخرفين عن إعجاب عجوز متصاب شاء أن يخلف لك كل ثروته ..

نورا : عجوز لا وجود له ، مع الأسف . المهم .

لند : هل يدخل الدكتور رانك فى عداد الأثرياء ؟

نورا : نعم .

لند : وهل له وريث يخلفه فى ثروته ؟

نورا : لا . لا أحد . ولكن ...

لند : وهل يأتى إلى هنا كل يوم ؟

نورا : نعم ، كما قلت لك .

لند : رباه . كيف يجهل رجل مهذب مثله أصول الكياسة ؟

نورا : لا أفهم شيئا .

لنـد : لا تتصنعى الغ اء يا نورا . أتحسبين أنى لم أدرك بعد من الذى أقرضك مبلغ المائتين والخمسين جنيها ؟

نورا : أأنت مجنونة ؟ كيف ؟ أأقترض من صديق لنا لا تنقطع زياراته كل يوم ؟ أأضع نفسى فى مركز حرج كهذا ؟

لنـد : ألم يكن هو ؟

نورا : طبعا لا . بل ما كنت لأسمح لنفسى بمجرد التفكير فى الموضوع ، ثم إنه لم يكن يملك مالا فى ذلك الوقت ، إذ جاءته الثروة فيما بعد .

لنـد : هذا من حسن حظك يا عزيزتى نورا .

نورا : لم تراودنى نفسى لحظة فى أن أطلب المبلغ من الدكتور رانك ، رغم يقينى من أنه ما كان ليتأخر لحظة واحدة .

لنـد : ولكنك لن تقدمى على ذلك بالطبع ؟

نورا : بالطبع لا . لست أرى داعيا . ومع ذلك فثقى أننى لو سألت الدكتور رانك ...

لنـد : دون علم زوجك ؟

نورا : يتحتم على أن أصفى الموضوع نهائيا مع الشخص الآخر ، ولن يكون هذا إلا بغير علم من زوجى . يتحتم على أن أصفى الموضوع مع الشخص الآخر .

لنـد : نعم ، هذا ما نصحتك به بالأمس .

نورا : (**تذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا**) الرجل أقدر من المرأة على معالجة موضوع من هذا القبيل .

لنـد : وهذه مهمة الزوج .

نورا : كلام فارغ . (**تتوقف**) أليس من المألوف أن يتسلم المدين صك الدين عند تصفية الحساب ؟

لنـد : نعم . هذا إجراء طبيعى .

نورا : وعندئذ له أن يمزقه ويلقى به فى النار .. ليخمد آخر نفس خبيث فيه !

لنـد : (**تحدق فيها طويلا ثم تضع الفستان جانبا وتنهض على مهل**) نورا . فى نفسك شىء لم تصرحى لى به .

نورا : أو يبدو على ذلك ؟

لنـد : شىء جد عليك منذ صباح البارحة . ما هو يا نورا ؟

نورا : (**مقتربة منها**) كريستين ! (**ترهف السمع**) هس . لقد عاد تورفالد . هل تسمحين بالتوجه إلى غرفة الأولاد ؟ إنه لا يطيق رؤية أحد يمسك بالإبرة أمامه . دعى آن تساعدك .

لنـد : (**تجمع حاجياتها**) لا بأس .. ولكنى لن أبارح البيت قبل أن تطلعينى على كل شىء .

(**تخرج إلى غرفة اليسار . ويدخل هيملر من الصالة**) .

نورا : (**مقبلة على هيملر**) جئت فى وقتك المناسب يا عزيزى تورفالد .

هيملر : (**مشيرا إلى الباب الذى خرجت منه مدام لند**) الخياطة !.

نورا : لا . كريستين . إنها تساعدنى فى تصليح الفستان . سترى غدا كيف تكون الأناقة .

هيملر : هه ؟ ألم تكن فكرة صائبة ؟

نورا : مدهشة . ولكنى أطالب بحقى فى الثناء لأنى أنفذ مشيئتك دائما .

هيملر : حقك فى الثناء ؟ من أجل تنفيذ مشيئة زوجك ؟ لا أظن أنك تقصدين ما ينطوى عليه كلامك من معان بعيدة المغزى . لن أثقل عليك ، فلا شك أنك تريدين تجربة الفستان فى غير وجودى .

نورا : وأنت لديك أعمال بلا ريب ؟

هيملر : نعم . (**يريها حزمة من الأوراق**) انظرى . لقد عدت فى التو من البنك .

(**يستدير ليذهب إلى غرفته**) .

نورا : تورفالد .

هيملر : نعم .

نورا : إذا رغبت إليك الأرنبة الصغيرة فى طلب عزيز عليها جدا جدا ...

هيملر : هه ؟

نورا : هل تجيبها ؟

هيملر : أحب أن أعلم نوع الطلب أولا .

نورا : ستفرح الأرنبة وتصبح رهن إشارتك وتتواثب من حولك إذا أبديت لها لطفك المعهود وأجبتها إلى طلبها .

هيملر : بدون مراوغة من فضلك .

نورا : تريد البلبلة أن ترفرف بجناحيها فى أنحاء البيت وترسل تغريدها الشجى فى سرور وانشراح .

هيملر : إنها لا تكف عن ذلك على أية حال .

نورا : سأفعل كل ما يدخل على قلبك السرور . سأكون حورية ترقص وتغنى من أجلك فى ضوء القمر .

هيملر : نورا .. لا أظنك تقصدين ما طلبته منى صباح اليوم ؟

نورا : (**مقتربة منه**) نعم يا تورفالد . أرجوك من كل قلبى ..

هيملر : أو تطاوعك نفسك على معاودة السؤال ؟

نورا : نعم يا عزيزى . إنها مسألة تشغل بالى ولابد أن أجد لها حلا . لابد . نعم . يجب أن يحتفظ كروجشتاد بمنصبه فى البنك .

هيملر : نورا يا عزيزتى . إن منصب كروجشتاد هو الذى سيؤول إلى مدام لند .

نورا : كما أبديت كرما فى مسألة مدام لند ، ينبغى أن تبدى نفس الكرم فيما يختص بكروجشتاد . وما أيسر أن تفصل موظفا آخر بدلا منه .

هيملر : عناد يفلق الحجر . ألأنك تهورت فى إعطائه وعدا بمخاطبتى فى شأنه ، يتحتم على أن ...

نورا : ليس هذا هو السبب يا تورفالد . إننى أطالبك من أجلك أنت ، فهو على صلة ببعض الصحف الوضيعة ، كما أخبرتنى بنفسك ، وفى استطاعته أن يسىء إليك ويصيبك بضرر فادح . ولهذا ترانى أوجس خيفة منه .

هيملر : فهمت مبعث خوفك . إنها ذكريات الماضى .

نورا : ماذا تعنى ؟

هيملر : من الطبيعى أن ترتسم فى مخيلتك صورة لما حدث لأبيك .

نورا : نعم نعم . هذا صحيح . ألا تذكر ماكتبه أولئك الأشرار عن أبى فى الصحف ، وكيف هاجموه ، وشوهوا سمعته ؟ لقد كادوا يتوصلون إلى فصله لو لم ترسلك المصلحة للتحقيق فى

الموضوع ، ولولا ما أبديته يومها من نبل وعطف على قضيته .

هيملر : إنك تتناسين فارقا واضحا بيني وبين أبيك يا عزيزتى نورا . فإن سمعته كموظف حكومى لم تكن فوق الشبهة ، أما فى حالتى فالأمر يختلف ، فأنا أتمتع بسمعة طيبة أريد أن أحافظ عليها طالما أنا فى منصبى .

نورا : إن جعبة أولئك الناس لا تفرغ من المكائد ، فلنحصن أنفسنا بالتخلص من كل ما من شأنه أن يعكر علينا صفو حياتنا ، نحن والأطفال . ولذا أرجوك مخلصة ...

هيملر : افهمينى . إن وساطتك من أجله هى فى حد ذاتها سبب قوى يحملنى على ألا أبقيه فى منصبه . فجميع موظفى البنك يعلمون أننى أعتزم فصل كروجشتاد . فهل تريدين أن تنطلق الشائعات بأن للمدير الجديد تحول عن رأيه تحت ضغط زوجته؟

نورا : وماذا فى ذلك ؟

هيملر : طبعا .. ماذا يهمك مادمت تحققين مأربك ؟ لا يصح أن يصل بك العناد إلى هذا الحد . لا يرضيك أن أظهر أمام موظفى بمظهر مزر ، أو أن يقال إننى رجل ضعيف الإرادة سهل الانقياد . مستحيل يا عزيزتى ، فلا قبل لى بمثل هذا الوضع ، ومع كل فهناك أمر آخر يحول دون بقاء كروجشتاد طالما أنا فى منصب المدير .

نورا : ماذا ؟

هيملر : كان من الجائز أن أتغاضى عن معايبه الشخصية إذا قضت الضرورة ..

نورا : نعم .. صحيح ..

هيملر : وهو ، كما قيل لى ، موظف مجتهد . غير أننا يعرف كل منا الآخر منذ الصغر ، ونشأت بيننا صداقة من ذلك النوع الذى ينزلق إليه الإنسان مغمض العينين ، حتى إذا دارت الأيام تبين له خطؤه وسوء تصرفه . ولست أخفى عليك أننا كنا فى يوم من الأيام على علاقة وطيدة . غير أنه جهول بطبعه ، وموطن الداء فيه أنه لا يلزم حد الكياسة فى حضور الآخرين . بل على العكس ، ترينه يرفع الكلفة بيننا ولا يخاطبنى إلا باسمى . ويصر على ذلك أمام الناس ، وهو أسلوب يضايقنى أشد المضايقة ، ومن هنا كان استمراره فى البنك من الخطورة بمكان ، لأنه يضعنى فى مركز دقيق .

نورا : تورفالد . لا أصدق أنك تعنى ما تقول .

هيملر : حقا ؟ ولم لا ؟

نورا : لأنه دليل على ضيق الأفق فى النظر إلى الأشياء .

هيملر : ماذا ؟ ضيق الأفق؟ أتتهميننى بضيق الأفق ؟

نورا : على العكس يا عزيزى .. بل لهذا السبب بالذات ترانى ألح فى طلبى .

هيملر : الأمر سيان . فما دمت أحكم على الأشياء من أفق ضيق ، فبالتالى لابد أن أكون أنا شخصيا ضيق الأفق . ليكن إذن . لقد طالت هذه المسألة ولابد من وضع حد لها . (**يتجه إلى باب الصالة وينادى**)هيلين !

نورا : علام عولت ؟

هـملر : (**وهو يقلب فى أوراقه**) علىّ فض الموضوع بصورة قاطعة . (**تدخل الخادمة**) تعالى هنا . خذى هذا الخطاب وابحثى عن شخص يحمله فى الحال إلى العنوان الموجود على الظرف . هاك بعض النقود .

الخادمة : أمرك يا سيدى . (**تتناول الخطاب وتنصرف**) .

هيملر : (**يرتب أوراقه**) هه ؟ هل استراح بالك الآن ؟

نورا : (**لاهثة الأنفاس**) تورفالد .. ماذا يحمل ذلك الخطاب ؟

هيملر : قرارا بفصل كروجشتاد .

نورا : نادها يا تورفالد . لا يزال فى الوقت متسع . نادها يا تورفالد . من أجلى .. من أجلك .. من أجل الأطفال . أتسمع يا تورفالد ؟ نادها . إنك لا تدرى ما يمكن أن ينزله بنا ذلك الخطاب .

هيملر : فات الأوان .

نورا : نعم . فات الأوان .

هيملر : أنا أغفر لك يا عزيزتى ما تبدينه من قلق ، وإن كان فى الواقع بمثابة إهانة لى . أليس إهانة لى أن يستولى عليك الظن بأننى أهاب انتقام أفاق وضيع ؟ ومع ذلك فإننى أسامحك ، إن هذا الشعور منك خير بيان على ما تكنينه لى من حب . (**يحتويها بين ذراعيه**) هذا أهم ما فى الموضوع يا عزيزتى . ومهما حدث فثقى أننى سأجابه الظروف بقوة وشجاعة إذا لزم الأمر . وأظن يا عزيزتى أن لدى الرجولة الكافية لأن أتحمل كل المسئولية بمفردى .

نورا : (**فى صوت مذعور**) ماذا تعنى ؟

هيملر : كل المسئولية .

نورا : (**تستعيد رباطة جأشها**) هذا لن يكون .

هيملر : أصبت . فلنقسمها قسمة عادلة فيما بيننا ، كما ينبغي على كل زوج وزوجة . هذا هو الوضع الصحيح . (**يحتضنها**) راضية ؟ هيا . هيا .. هيا . لا تنظرى إلى هكذا كاليمامة المذعورة ! المسألة كلها وهم مضخم . هيا . لا تنسى رقصة الترانتلا التى لم تتدربى عليها بعد . أنا ذاهب إلى مكتبى ، وسأغلق الباب للاحتماء من الضجة التى لا ريب أنك ستثيرينها .. ولك أن تعتبرى هذا بمثابة تصريح منى لقلب الدنيا رأسا على عقب . (**يستدير لدى الباب**) وعندما يأتى رانك أرسليه إلى مخبئى . (**يومئ لها ، ثم يجمع أوراقه ، ويدخل غرفته مغلقا الباب وراءه**) .

(**تبقى مسمرة فى مكانها وقد استبدت بها الحيرة والقلق . فى همس**) سينفذ وعيده . سيفعل . سيفعل بالرغم من كل شيء . لا . إلا هذا . أبدا . أبدا . أى شيء إلا هذا . رباه . أما من معين ! أما من طريق للخلاص ! (**يدق جرس الباب**) دكتور رانك . أى شيء أهون . أى شيء .. أيا كان .

(**تغطى وجهها بيديها ، وتستجمع شجاعتها ، ثم تتجه إلى الباب وتفتحه ، فترى الدكتور رانك فى البهو يعلق معطفه . فى خلال الحوار التالى يشتد الظلام تدريجيا**) أهلا بك يا دكتور رانك . لقد عرفتك من طريقتك فى دق الجرس . لا أنصحك بالتوجه إلى تورفالد فى هذه اللحظة .. لأنه مشغول

ببعض الأعمال على ما أظن .

رانك : وأنت ؟

نورا : (**تأتى به إلى الداخل وتغلق الباب خلفه**)تعلم جيدا أن وقتى يتسع لك دائما .

رانك : شكرا . سأحاول أن أستفيد منه قدر استطاعتى .

نورا : قدر استطاعتك ؟ ماذ تعنى ؟

رانك : هل أزعجتك ؟

نورا : إنه اختيارك للألفاظ . هل تنتظر شيئا ما ؟

رانك : لا شيء سوى ما أعددت له نفسى منذ أمد بعيد .. وإن لم أكن أتوقع أن يحل بهذه السرعة .

نورا : (**تجذبه من ذراعه**) ما وراءك يا دكتور رانك ؟ بالله عليك خبرنى .

رانك : (**جالسا قرب المدفأة**) انتهى كل شيء بالنسبة لى . لم يعد هناك مفر .

نورا : (**تتنفس الصعداء**) المسألة تخصك أنت ؟

رانك : من غيرى ؟ لم يعد خداع النفس يجدى ، إننى أبأس مرضاى يا مدام هيملر . منذ عهد غير بعيد وأنا أقوم بعملية جرد لحالتى الصحية . النتيجة . إفلاس . وقد لا يمر شهر إلا وأنا أرقد رقدتى الأخيرة فى أعماق الثرى .

نورا : ما هذا الكلام ؟

رانك : حقائق . لم يبق لى إلا أن أجرى فحصا آخر ، وعندها أعرف موعد الساعة المحتومة بالضبط . وبالمناسبة ، لما كان هيملر مرهف الحس ويتأفف من كل ما هو كريه ، فإنى لن أسمح

بوجوده معى وأنا أعالج سكرات الموت .

نورا : عجبا أمرك يا دكتور رانك .

رانك : كلمة واحدة . لن أسمح له .. مهما كانت الظروف . إنى أوصد بابى فى وجهه . بمجرد أن أتحقق من بلوغى مرحلة اليأس . سأرسل لك بطاقة تحمل فى أعلاها صليبا أسود لتكون علامة بيننا على أن الساعة قد أزفت .

نورا : حالك اليوم لا تعجبنى . وأنا التى كنت أعلق على بشاشتك كبير الأمل .

رانك : تطلبين منى البشاشة والموت يقتفى أثرى ؟ ما ذنبى لأدفع ثمن غلطة ارتكبها غيرى ؟ أية عدالة فى هذا ؟ ولست وحدى الضحية .. بل فى كل أسرة تجدين شخصا بريئا يدفع الثمن من حياته دون ذنب جناه .

نورا : (**تضع يديها على أذنيها**) تخريف . ألا تجد موضوعا أخف من هذا ؟

رانك : يا لها من مهزلة تبعث على السخرية ! أبى يلهو ماجنا فى شبابه فينخر السوس فى عظامى أنا !

نورا : (**تجلس إلى منضدة اليسار**) أظنك تقصد إقباله على الأصناف الشهية كالأسبرج والفواجرا ؟

رانك : نعم ، والتوابل أيضا .

نورا : تماما ، وكذلك المحار فيما أظن ؟

رانك : طبعا . كان المحار بندا قائما بذاته .

نورا : وأقداح لا حصر لها من النبيذ والشمبانيا .

يا خسارة . من المؤ لم أن تصب تلك الأصناف اللذيذة انتقامها على عظامنا .

رانك : وخاصة إذا انصب الانتقام على عظام البؤساء الذين لم يسبق لهم أن استمتعوا بها .

نورا : هذه أسوأ نقطة فى الموضوع .

رانك : (**بنظرة فاحصة إليها**) هه !

نورا : (**بعد لحظة صمت**) فيم ابتسامك ؟

رانك : بل أنت التى ضحكت .

نورا : بل أنت الذى ابتسمت يا دكتور رانك .

رانك : (**ناهضا**) إنك أمكر مما كنت أظن .

نورا : أنا اليوم فى حالة غير طبيعية .

رانك : واضح .

نورا : (**تضع يديها على كتفيه**) أنت عزيز علينا يا دكتور رانك ، وعار على الموت أن يقصيك عنا .

رانك : لن تفتقدونى طويلا . فالراحلون سرعان ما ينطوون فى زوايا النسيان .

نورا : (**تحدق إليه فى لهفة**) أوَ تعتقد ذلك ؟

رانك : لا يلبث الناس أن ينشئوا علاقات جديدة .

نورا : من تقصد بالناس .

رانك : أنت وهيملر .. عندما أرحل أنا . بل يخيل إلى أنك فى الطريق إلى توطيد علاقة جديدة . ففى مساء البارحة كانت هنا سيدة تدعى مدام لند ، ولا علم لى بما جاءت تنشده ...

نورا : آها ، أتغار من كريستين ؟

رانك : نعم ، فإنها سترث مكانى فى هذا البيت عندما أتلاشى من الوجود . وتحتل من نفسك ..

نورا : هس . لا ترفع صوتك . إنها بالغرفة الأخرى .

رانك : اليوم أيضا . أرأيت ؟

نورا : جاءت لتصلح ثوبى . إنك تبالغ جدا . (**تجلس على الأريكة**) كن لطيفا ولا تربكنى بأية إشكالات جديدة . (**تخرج بعض أشياء من الصندوق**) تعال اجلس هنا يا دكتور رانك لأعرض عليك شيئا .

رانك : (**جالسا**) ماذا ؟

نورا : انظر .

رانك : جوارب حريرية ؟

نورا : بلون البشرة . مدهشة .. هه ؟ الدنيا هنا ظلام ومن الصعب أن ترى جيدا . ولكن غدا فى الحفلة . لا . لا . لا . لا يصح أن تتأمل أبعد من القدم . على العموم ، لا بأس . لك أن تتأمل الساق أيضا .

رانك : هه !.

نورا : فيم هذه النظرات الفاحصة ؟ هل تظن أنها لا تناسبنى ؟

رانك : أنَّى لى أن أعلم .

نورا : (**تركز نظرها إليه لحظة**) قلة حياء ! (**تضربه على أذنه بالجوارب**) عقابا لك . (**تطوى الجوارب مرة أخرى**) .

رانك : ألن يسمح لى بمشاهدة شيء آخر ؟

نورا : لا شيء مطلقا ، جزاء لك على تطاولك . (**تقلب فى الصندوق وهى تدندن**) .

رانك : (**بعد لحظة صمت**) لا أكاد أتصور ، إذ أجلس هنا أبادلك الحديث فى مودة وبغير كلفة ، ما كانت تصير إليه حياتى لو قدر لى ألا أطرق هذا البيت .

نورا : (**باسمة**) أعتقد أنك تحس بيننا كأنك فرد من الأسرة .

رانك : (**فى صوت خفيض وعيناه تنظران أمامه إلى لا شىء**) ثم يقضى على بالحرمان من كل هذا ..

نورا : كلام فارغ ، وأوهام باطلة .

رانك : (**مستمرا فيما هو فيه**) دون أن يتهيأ لى أن أترك ورائى ولو ذكرى طفيفة مما يطوق عنقى من جميل .. أو حتى شعورا عابرا بالأسى . لن أخلف سوى مكان شاغر يستطيع أن يشغله أول قادم فى يسر وسهولة .

نورا : وإذا طلبت منك الآن أن ...؟ لا .

رانك : أن ... ؟

نورا : أن تقدم لى برهانا قويا على صداقتك ؟

رانك : نعم . نعم .

نورا : أعنى خدمة كبيرة جدا .

رانك : أيمكن أن تتيحى لى مثل هذه السعادة ولو مرة فى حياتى ؟

نورا : ولكنك لا تعرف ما أرمى إليه بعد .

رانك : صحيح . كلى آذان صاغية .

نورا : الواقع أننى لا أستطيع أن أفاتحك فى شأنها يا دكتور رانك . هذا كثير . إنها ليست مجرد خدمة بل إنها تستدعى النصح . والمساعدة ، والتضحية ..

رانك : كلما تضخمت المسألة كان ذلك أحسن . هيا . أفصحى

فلست أدرى ما ترمين إليه . ألا تثقين بى ؟

نورا : ثقة لا حد لها . أنت أوفى وأخلص صديق لى ، ولهذا سأفضى إليك بما يشغل بالى . المسألة يا دكتور رانك أننى أريد منك أن تساعدنى على الحيلولة دون حدوث شيء ما . وأنت تعلم مدى تعلق تورفالد بى ومدى تفانيه فى حبه لى إلى درجة تدفعه على التضحية بحياته من أجلى دون أدنى تردد ..

رانك : (**وهو يميل نحوها**) نورا .. أتظنين أنه هو وحده الذى ..

نورا : (**وهى تجفل إجفالة خفيفة**) هو وحده ..؟

رانك : هو وحده الذى يضحى بحياته عن طيب خاطر فى سبيلك !

نورا : (**بحزن**) هكذا ؟

رانك : لقد أقسمت أن تعرفى الحقيقة قبل مغادرتى الدنيا ، ولن تسنح فرصة أنسب من هذه الآونة التى نحن فيها . هأنت تعرفين حقيقة شعورى نحوك يا نورا ، وتعرفين فوق كل هذا أننى أهل لثقتك أكثر من أى شخص آخر .

نورا : (**تنهض فى عزم وتؤدة**) دعنى أمر من فضلك .

رانك : (**يفسح لها طريقا لكى تعبر من أمامه ولكنه يبقى ساكنا فى مجلسه**) نورا ...

نورا : (**عند باب الصالة**) هيلين . أحضرى المصباح . (**تتوجه إلى المدفأة**) دكتور رانك .. لم تكن شهما فى مسلكك .

رانك : ألأننى أحببتك حبا لا يقل فى عمقه عن حب أى إنسان آخر ؟ لذلك لا أكون شهما فى مسلكى ؟

نورا : لا ، بل لأنك أطلعتنى على سرك ، لم يكن هناك أى داع ..

رانك : أتقصدين أنك كنت تعرفين ؟

(**تدخل الخادمة بالمصباح وتضعه على المائدة وتنصرف**) .

نورا ، مدام هيملر ، أكنت تعلمين مايجيش فى صدرى ؟

نورا : ما أدرانى إن كنت أعلم أم لا . لا تسلنى . لم أكن أتصور أن يفلت منك الزمام إلى هذا الحد يا دكتور رانك . لقد كنا فى حالة مرح وسرور .

رانك : مهما يكن فإنك تعلمين الآن أنى طوع أمرك .. بكليتى . فهلا أخبرتنى بجلية الأمر ؟

نورا : (**وهى تحدق فيه**) بعد أن حدث ما حدث ؟

رانك : أرجوك .

نورا : لم يعد فى وسعى أن أخبرك .

رانك : لا يجب أن تعاقبينى بهذه الوسيلة . اسمحى لى أن أبذل فى سبيلك ما تقدر عليه نفسى .

نورا : لم يعد لك ما تبذله فى سبيلى . بل الواقع أننى لست فى حاجة إلى أية مساعدة . الموضوع كله خيال فى خيال . صدقنى . خيال لا يستند إلى أى أساس . (**تجلس على الكرسى الهزاز وترنوا إليه مبتسمة**) أنت شخص لطيف يا دكتور رانك .. فهلا تشعر بالخجل من نفسك بعد أن حل المصباح بضوئه ؟

رانك : مطلقا .. وإن كان من المستحسن أن أذهب .. إلى الأبد .

نورا : هراء ، يجب أن تواظب على حضورك إلينا كالمعتاد ، فلا غنى لتورفالد عنك .

رانك : صحيح . وأنت ؟

نورا : أنا أسر دائما برؤياك .

رانك : وهذا ما ضللني . إنك فى نظرى لغز عويص . لطالما بدا لى أن وجودى بالقرب منك لا يقل لديك أهمية عن وجود هبملر

نورا : نعم ، فأنا أرى الناس صنفين .. صنف تعشقه المرأة ، وصنف تحب أن تتجاذب معه أطراف الحديث .

رانك : معقول .

نورا : كنت فى صغرى أحب أبى حبا جما ، ولكننى مع ذلك كنت أجد لذة كبرى فى التسلل إلى غرفة الخدم ومجالستهم . لما كن يردد نه من حكايات ممتعة ، خالية من التفلسف بما يجب وما لا يجب .

رانك : وإذن فقد كنت أنا بديلا لهن .

نورا : (**تهب واقفة وتذهب نحوه**) لم أقصد هذا المعنى يا دكتور رانك . ولكن لا شك أنك تفهم أن حياتى مع تورفالد أشبه إلى حد ما بحياتى مع أبى .

(**تدخل الخادمة من الصالة**) .

الخادمة : بعد إذنك يا سيدتى (**تسر إليها شيئا وتناولها بطاقة**) .

نورا : (**تنظر إلى البطاقة**) آه . (**تخفيها فى جيبها**) .

رانك : أفى الأمر شيء ؟

نورا : كلا . كلا .. لاشيء مطلقا . بخصوص .. بخصوص فستانى الجديد ..

رانك : ماذا ؟ فستانك ملقى هناك .

نورا : آه .. ذلك الفستان . هذا فستان آخر .. أمرت بصنعه . يجب ألا يعلم تورفالد أى شيء عنه .

رانك : آها . هذا إذن هو السر العظيم .

نورا : طبعا . اذهب الآن إلى تورفالد . إنه فى الغرفة الداخلية . أبقه هناك أقصى فترة ممكنة .

رانك : اطمئنى . لن أدعه يفلت منى . (**يخرج إلى غرفة هيملر**) .

نورا : (**للخادمة**) أما يزال ينتظر فى المطبخ ؟

الخادمة : نعم . جاء من السلم الخلفى .

نورا : ألم تقولى له أنه لا يوجد أحد هنا ؟

الخادمة : قلت له .. بلا فائدة .

نورا : أتقصدين أنه يأبى أن يذهب ؟

الخادمة : نعم . ويقول إنه لن يغادر البيت قبل أن يراك يا سيدتى .

نورا : حسن . دعيه يأتى هنا . ولكن فى سكون . هيلين ، لا تخبرى أحدا بهذه الزيارة .. إنها مفاجأة أعدها لزوجى .

الخادمة : مفهوم يا سيدتى (**تخرج**) .

نورا : صدق حدسى فيما كنت أخشاه . ستقع الطامة على الرغم منى . لا .لا يجب أن تقع أبدا . ولن تقع . (**تغلق الباب الموصل إلى غرفة هيملر بالمزلاج ، تفتح الخادمة باب الصالة ليدخل كروجشتاد ، ثم تغلق الباب وراءه . وهو يرتدى معطفا مكسوا بالفرو ، وحذاء ذا رقبة ، وطاقية من الفرو**) .

نورا : (**متقدمة نحوه**) تكلم بصوت منخفض .. زوجى هنا .

كروجشتاد : لا أهمية لذلك .

نورا : ماذا تريد منى ؟

كروجشتاد : تفسيرا لموضوع ما .

نورا : عجل إذن . ما هو ؟

كروجشتاد : تعرفين ولا ريب أننى تسلمت إخطارا بالفصل .

نورا : لم أستطع منعه . لقد بذلت فى صالحك أقصى ما يمكننى .. ولكن بغير جدوى .

كروجشتاد : أهذا مقياس ما يكنه لك زوجك من حب ؟ أيعلم بما فى مقدورى أن أجلبه عليك ثم يجازف بالرغم من ذلك ؟.

نورا : كيف تتصور أنه يدرك أى شيء عن الموضوع ؟

كروجشتاد : لم أتصور بالطبع ، ليس من شيمة السيد تورفالد هيملر أن يبدى مثل هذه الشجاعة .

نورا : أرجوك يا سيد كروجشتاد أن تولى زوجى ما هو خليق به من احترام .

كروجشتاد : سمعا وطاعة . ما هو خليق به وزيادة . ولكن ما دمت قد حرصت على الكتمان ، فإنى آمل أن يكون وعيك للحقائق المترتبة على فعلتك قد زاد عما كان عليه بالأمس .

نورا : أكثر مما قد يخطر ببالك .

كروجشتاد : خاصة أننى محام قليل الدراية .

نورا : ماذا تريد منى ؟

كروجشتاد : أن أرى ما عولت عليه مدام هيملر . كان تفكيرى طوال الليل منصبا عليك . إن صرافا حقيرا مثلى لا يخلو من بعض ما يسمى بالشعور .

نورا : أظهر ذلك الشعور إذن . فكر فى أولادى الصغار .

كروجشتاد : وهل فكرت أنت أو فكر زوجك فى أولادى ؟ المهم . أردت أن أخبرك ألا تبالغى فى تجسيم الموضوع ، فلن أوجه إليك أى اتهام فى الوقت الحاضر .

نورا : طبعا طبعا . كنت واثقة أنك لن تفعل .

كروجشتاد : من السهل تصفية المسألة كلها بشكل ودى ، دون حاجة إلى خروجها من نطاقها الضيق ، فتبقى سرا دفينا بيننا نحن الثلاثة .

نورا : يجب ألا يصل أى شيء فى هذا الصدد إلى علم زوجى .

كروجشتاد : لست أرى أمامك سبيلا للحيلولة دون ذلك .. إلا أن يكون فى عزمك أن تسددى بقية المبلغ .

نورا : ليس فى الوقت الحاضر .

كروجشتاد : أم لعلك اهتديت إلى وسيلة ناجعة للحصول على المبلغ ؟

نورا : لا توجد لدى أية وسيلة .

كروجشتاد : وحتى لو سلمنا جدلا بأنك أوتيت الوسيلة ، فلن تجديك نفعا فى هذه الآونة . لو بسطت يدك إلى بكل ما يمكن أن تحمله من مال ما تنازلت عن الصك .

نورا : فيم يفيدك ؟

كروجشتاد : سأحتفظ به ، ليس إلا .. سأبقيه فى حوزتى . ولن يدرى بوجوده أى مخلوق سوى من يهمهم الأمر . فإذا كان تفكيرك قد دفعك إلى تدبير أية خطة يائسة .

نورا : وماذا لو صح هذا ؟

كروجشاد : أو كانت تراودك فكرة هجر زوجك وأولادك ؟...

نورا : وماذا لو كنت أفكر فى ذلك ؟

كروجشتاد : أو الإقدام على عمل طائش آخر ..

نورا : من أين أتتك هذه المعرفة ؟

كروجشتاد : فنصيحتي إليك أن تعدلي .

نورا : كيف أدركت أنني أفكر في كل هذا ؟

كروجشتاد : كلنا ينحو بتفكيره نفس السبيل . وقد سبق أن جلت في نفس الدائرة .. ولكن خانتني الشجاعة .

نورا : (**بضعف**) نفس ما حدث لي .

كروجشتاد : (**بصوت ينم عن الارتياح**) وهكذا خانتك الشجاعة أنت أيضا ؟

نورا : نعم . نعم .

كروجشتاد : هذا أفضل على أي حال من التهور الطائش . المشكلة كلها في الزوبعة الأولى .. وهذه تتلاشى عادة وكأنها لم تكن . إني أحمل لزوجك خطابا .

نورا : تطلعه فيه على الحقيقة ؟

كروجشتاد : بطريقة بعيدة عن القسوة قدر المستطاع .

نورا : (**بسرعة**) يجب ألا يطلع عليه . مزقه . سأجد وسيلة للحصول على المال .

كروجشتاد : معذرة يا مدام هيملر ، فقد سبق أن أخبرتك ..

نورا : لست أعني هذا المبلغ الذي أدين لك به . قل لي كم تطلب من زوجي وأنا أعطيك ما تريد .

كروجشتاد : لا أطلب من زوجك مليما واحدا .

نورا : ماذا تريد إذن ؟

كروجشتاد : سأخبرك . أريد أن أنشيء حياتي من جديد يا مدام هيملر .

أريد أن أرتقى السلم .. وهنا يجب أن يأخذ زوجك بيدى . منذ عام ونصف عام وأنا أسلك الطريق القويم ، وأكافح فى نطاق ضيق تحت ظروف قاهرة . كنت قانعا بالتماس التقدم فى عملى وصعود السلم خطوة خطوة ، ثم هأنذا الآن طريد طريد ، ولن أكتفى بمجرد العودة إلى سابق عهدى ، يجب أن أرتفع . يجب أن أرجع إلى البنك ، ولكن فى مركز أرق . ومهمة زوجك أن يجد لى المكان اللائق .

نورا : هذا ما لن يفعله .

كروجشتاد : سيفعل . إننى خبير بنفسيته . لن يجرؤ على الرفض . وعندما يجمعنا مكان عمل واحد سترين عجبا . لن يمضى عام حتى أكون قد أصبحت ذراع المدير اليمنى .. وحتى يصبح المدير الفعلى للبنك نيلز كروجشتاد ، لا تورفالد هيملر .

نورا : هذا يوم لن تراه فى حياتك .

كروجشتاد : أتقصدين أنك سوف ..

نورا : لدى الآن الشجاعة الكافية .

كروجشتاد : لن يجوز على ادعاؤك ، إن امرأة مدللة مثلك لا قبل لها ...

نورا : سترى . سترى .

كروجشتاد : جثة تحت طبقات الجليد .. إذا ما حل الربيع طفت إلى السطح وقد تشوهت معالمها وأصبح مرآها بشعا كريها ؟

نورا : لن تستطيع أن ترعبنى .

كروجشتاد : ولن تستطيعى أن ترعبينى . لم يعد الناس يقدمون على مثل هذه التصرفات يا مدام هيملر . وفضلا عن ذلك . فما الفائدة ؟ لن يحول شىء دون وقوعه فى قبضتى .

نورا : بمضى الوقت .. بعد أن تمحى ذكراى من الوجود .

كروجشتاد : أغاب عنك أن سمعتك ملك إرادتى ؟ (**لا تحير نورا جوابا ، وتحدق فيه وقد فغرت فاها**) لقد أعذر من أنذر ، فلا تركبى رأسك . سأنتظر ردا بمجرد أن يتسلم هيملر خطابى . ولا يغربن عنك أن زوجك هو الذى دفعنى إلى العودة إلى هذا السبيل ، وهو ما لن أغفره له . طاب يومك يا مدام هيملر . (**يخرج من الصالة**) .

نورا : (**تذهب إلى باب الصالة ، وتفتحه قليلا ، وتصيخ السمع**) إنه فى طريقه إلى الخارج . لم يضع الخطاب فى صندوق البريد . لا . لا . مستحيل . (**تفتح الباب تدريجيا**) ما هذا ؟ إنه يتمهل أمام الباب . لم يهبط السلم ، أتراه يتردد ؟ أتراه يعدل ؟ (**يسقط خطاب فى صندوق البريد ، ثم يسمع صوت خطوات كروجشتاد مبتعدة إلى أن تتلاشى وهو يهبط السلم . ترسل نورا زفرة مختنقة ، وتجرى مذعورة إلى المائدة القريبة من الأريكة ، ثم تمر فترة صمت قصيرة**) فى صندوق البريد . (**تخطو متلصصة إلى باب الصالة**) ها هو الخطاب فى الصندوق . تورفالد .. تورفالد .. قضى الأمر و لم يعد لنا أمل .

(**تدخل مدام لند من غرفة اليسار وهى تحمل الفستان**) .

لنـد : هاك الفستان وقد صار جديدا كما كان . أتودين تجربته ؟

نورا : (**فى صوت أجش**) كريستين .. تعالى هنا .

لنـد : (**تلقى بالثوب على الأريكة**) ماذا بك ؟ فيم اضطرابك ؟

نورا : تعالى هنا . أترين ذلك الخطاب ؟ هناك .. انظرى . إنه يبدو

جليا خلال زجاج صندوق البريد .

لنـد : نعم أراه .

نورا : ذلك الخطاب من كروجشتاد .

لنـد : نورا .. أهو الذى أقرضك المال ؟

نورا : نعم .. والآن سيعرف تورفالد كل شىء .

لنـد : صدقينى يا نورا ، هذا أفضل لكما معا .

نورا : إنك لا تعرفين الحقيقة . لقد زورت اسما .

لنـد : نورا . !

نورا : أردت أن أخبرك كى تكونى شاهدتى .

لنـد : شاهدتك ؟ ماذا تقصدين ؟ فيم أشهد ؟

نورا : إذا حدث وفقدت صوابى .. وهو أمر جائز جدا .

لنـد : نورا . !

نورا : أو إذا أصابنى مكروه .. ترتب عليه مثلا أن أغيب عن الدار ..

لنـد : نورا .. نورا .. ما هذا الجنون ؟

نورا : وإذا حدث وانبرى أحد ليتحمل التبعة ، ويأخذ نفسه بجريرتها .. مفهوم ..

لنـد : نعم .. نعم .. ولكن ما أدراك ..؟

نورا : فى هذه الحالة عليك أن تشهدى بأن كل ذلك بعيد عن الصدق . لست أهذى يا كريستين . أنا متمتعة بكامل حواسى . وهأنذا أؤكد لك أن الموضوع لم يعلم به أى شخص سواى . أنا وحدى المسئولة عنه .. لم يشاركنى فيه أحد . لا تنسى هذا .

لنـد : لن أنسى . ولكنى لا أفهم شيئا مما تقولين .

نورا : عسير عليك . يكفي أن تعلمى أن فى الجو حدثا عظيما .

لنـد : حدثا عظيما ؟

نورا : نعم ، حدثا عظيما ، ولكنه مروع يا كريستين . لا يصح أن يتم بأى حال من الأحوال .

لنـد : سأذهب لمقابلة كروجشتاد فى الحال .

نورا : لا تذهبى إليه وإلا تسبب فى أذاك .

لنـد : لقد كان فى يوم من الأيام يتمنى أن يبذل النفس فى سبيلى .

نورا : هو ؟

لنـد : ما عنوانه ؟

نورا : لا أدرى . نعم . (**تبحث فى جيبها**) هذه بطاقته . ولكن الخطاب .. الخطاب . !

هيملر : (**مناديا من غرفته وهو يطرق الباب**) نورا !

نورا : (**تهتف فى قلق**) أجل ؟ ماذا تريد ؟

هيملر : لا تنزعجى . لن ندخل عليك فالباب موصد بالمفتاح . أتجربين الفستان ؟

نورا : نعم أجربه . إنه مدهش يا تورفالد .

لنـد : (**وقد قرأت البطاقة**) إنه يسكن بالقرب من هذا الشارع .

نورا : نعم . ولكن لا فائدة ، ضاع كل أمل ، الخطاب فى صندوق البريد .

لنـد : وهلا يحتفظ زوجك بالمفتاح ؟

نورا : نعم . دائما .

لنـد : لم يبق إلا أن يطالب كروجشتاد بخطابه مغلقا كما هو . عليه أن

يلتمس لذلك عذرا أيا كان .

نورا : ولكن من عادة تورفالد أن يفرغ صندوق البريد فى مثل هذا الوقت .

لنـد : عطليه . اذهبى إلى غرفته واشغليه إلى حين عودتى . سأبذل غاية ما فى وسعى لقضاء المهمة فى أقصر وقت . (**تبادر إلى الخروج من باب الصالة**) .

نورا : (**تتجه إلى الباب الموصل لغرفة تورفالد وتفتحه وتطل منه**) تورفالد .

هيملر : (**من غرفته**) هه ؟ هل صدر الإذن بإطلاق سراحنا ؟ تعال يا رانك نتفرج . (**يتوقف فى مدخل الباب**) ما هذا ؟

نورا : ما موضع الدهشة يا عزيزى ؟

هيملر : أعدّنى رانك لاستقبال مفاجأة جبارة .

رانك : (**فى مدخل الباب**) هذا ما فهمته ، ولكن يظهر أننى أخطأت الفهم .

نورا : لن تتاح لأحد فرصة مشاهدتى فى فستان الحفلة قبل الغد .

هيملر : وجهك ينطق بالتعب والإجهاد يا عزيزتى . لعلك غاليت فى التمرين على الرقصة .

نورا : لا . لم أتمرن بعد .

هيملر : ولكن لابد من الاستعداد لها .

نورا : نعم . صحيح . غير أننى لا أستطيع البدء دون معونتك ، فلم أعد أذكر منها شيئا .

هيملر : لا بأس . حالا يتم لنا ما نريد .

نورا : نعم . أرشدنى لتعلمها من جديد يا تورفالد ، وحياتك . إننى أحس برهبة وإحجام كلما فكرت فى المدعوين الذين سيشاهدوننى . ولذا يجب أن تتفرغ لى تماما هذا المساء . لن أسمح بانشغالك عنى لحظة واحدة . لن ترى مكتبك ، أو حتى تمسك بالقلم . عدنى بذلك يا عزيزى تورفالد .

هيملر : أعدك . هذا المساء أنا فى خدمتك من قمة رأسى إلى أخمص قدمى أيتها الحائرة المعذبة . آه .. لكى نتفرغ تماما يجب أولا .. (**يتجه نحو باب الصالة**) .

نورا : ماذا تبغى هناك ؟

هيملر : سأرى إن كان فى الصندوق خطابات .

نورا : لا . لا . لا تفعل يا تورفالد .

هيملر : لماذا ؟

نورا : أرجوك يا تورفالد . الصندوق خال .

هيملر : سأرى .

(**يستدير للذهاب إلى صندوق البريد ، فتجلس نورا إلى البيانو ، وتعزف الفقرات الأولى من رقصة الترانتلا ، فيتوقف هيملر بمدخل الباب**) آها !

نورا : لن أجيد الرقصة غدا ما لم تمرنِّى .

هيملر : (**متقدما إليها**) أترهبينها إلى هذا الحد ؟

نورا : نعم . بشكل مؤلم . هيا . لنبدأ التمرين فى الحال . ما زال أمامنا متسع من الوقت قبل أن يحل موعد العشاء . اجلس إلى البيانو يا عزيزى لتعزف لى المقطوعة . كن شديدا فى نقدك ، وصحح أخطائى أثناء العزف .

هيملر : بكل سرور . ما دامت هذه مشيئتك .

(يجلس هيملر إلى البيانو . وتأتى نورا بدف من أحد الصناديق ، وتتناول شالا زاهى الألوان تلتف به على عجل ، ثم تهبط إلى مقدمة المسرح) .

نورا : (**تهتف به**) هيا ، أنا مستعدة .

(يعزف هيملر . وترقص نورا . بينما يقف رانك بجوار البيانو من خلف هيملر متفرجا) .

هيملر : (**وهو يعزف**) أبطأ .. أبطأ ..

نورا : لا أعرف إلا هذه الطريقة .

هيملر : بغير عنف يا نورا .

نورا : هكذا ترقص .

هيملر : (**متوقفا عن العزف**) لا . لا . هذا أبعد ما يكون عن الصواب .

نورا : (**تضحك وتميل بالدف**) ألم أقل لك ؟

رانك : دعنى أتولى العزف عنك .

هيملر : (**ناهضا**) فكرة طيبة . الآن أستطيع أن أنتبه إلى تصحيح أخطائها .

(يجلس رانك إلى البيانو ويبدأ العزف . تعاود نورا الرقص فى عنف أشد من المرة السابقة ، بينما يتخذ هيملر مجلسه على مقربة من المدفأة موجها إليها إرشاداته طوال الرقص . ولكن لا يبدو عليها أنها تسمع ما يقول . ويتحرر شعرها مستقرا فوق كتفيها ، غير أنها لا تلتفت إليه ، وتستمر فى الرقص ، ثم تدخل مدام لند) .

لنـد : (**تقف بالمدخل معقودة اللسان**) آه !

نورا : (**وهي مستمرة في الرقص**) مدهش يا كريستين .

هيملر : عزيزتي نورا . من يراك ترقصين بهذا الشكل يظن حياتك معلقة بما تفعلين .

نورا : صحيح .

هيملر : كفى يا رانك هذا جنون مطبق . كفى قلت لك .

(**يتوقف رانك عن العزف . وتجمد نورا فجأة في مكانها . فيذهب هيملر إليها**) .

لم أكن أتصور أنك نسيت كل ما علمتك إياه .

نورا : (**وهي تلقي بالدف**) أرأيت ؟

هيملر : أنت محتاجة إلى مران طويل .

نورا : صدقت . يجب أن تواظب على تمريني حتى اللحظة الأخيرة . عدني بذلك يا تورفالد .

هيملر : اعتمدى على .

نورا : يجب ألا يشغل تفكيرك أحد سواى ، اليوم أو غدا . لن أصرح لك بالنظر في أى خطاب ، أو حتى بمجرد فتح صندوق البريد ...

هيملر : أما زلت في خوف من ذلك المخلوق ؟

نورا : نعم ، ما زلت .

هيملر : نورا ، يلوح لى من هيئتك أنه جاءنى خطاب منه ..

نورا : لا علم لى ، ربما كنت صادقا . ولكنك لن تطلع اليوم على أى شيء من هذا القبيل . لن أسمح بأن يدخل بيننا أى مكدر خارجى حتى تنتهى حفلة الغد .

رانك : (**يهمس في أذن هيملر**) لا تعارضها .

هيملر : (**يحتويها بين ذراعيه**) رأى الصغيرة مطاع . أما فى غد ، بعد أن تأسرى الجميع برقصتك ..

نورا : عندئذ يكون لك مطلق الحرية .

(**تظهر الخادمة على باب اليمين**)

الخادمة : العشاء جاهز يا سيدتى .

نورا : ضعى زجاجة من الشمبانيا على المائدة يا هيلين .

الخادمة : حاضر . (**تخرج**) .

هيملر : هه ! احتفال ؟

نورا : نعم .. حتى مطلع الفجر . (**تنادى**) وأعدى طبقا من البسكويت يا هيلين ... مليئا ... هذه المرة فحسب .

هيملر : لا موجب لكل هذا الاندفاع ، فلتهدأ أرنبتى الصغيرة ، ولتعد إلى حالتها الطبيعية .

نورا : نعم يا عزيزتى ، والآن إلى المائدة . تفضل يا دكتور رانك . ساعدينى يا كريستين فى تصفيف شعرى .

رانك : (**مسرًا إلى هيملر وهما يخرجان**) هل تظن أن فى الأمر شيئا ؟.. أعنى أنها تنتظر شيئا ..؟

هيملر : على الإطلاق يا عزيزى . المسألة لا تعدو كونها عينة من تلك العصبية الصبيانية التى كنت أحدثك عنها .

(**يخرجان إلى غرفة اليمين**)

نورا : هه .!

لنـد : لقد غادر المدينة .

نورا : لمحت ذلك فى عينيك .

لنـد : سيعود مساء الغد ، فتركت له رسالة .

نورا : كان يجب أن تسلمي بالواقع ، ولا تحاولى التدخل ، فما أروع أن نبقى معلقين فى انتظار الحدث العظيم .. فى انتظار المعجزة .

لنـد : ماذا ؟

نورا : لن تفهمى مرادى . اسبقينى إلى العشاء وسألحق بك حالا .

(تخرج مدام لند إلى غرفة المائدة . وتبقى نورا جامدة فى مكانها لحظة قصيرة ، كما لو كانت تستجمع رباطة جأشها . ثم تنظر فى ساعتها)

الخامسة . سبع ساعات حتى منتصف الليل . ثم أربع وعشرون ساعة حتى منتصف الليل التالى ، عندما تنفض الحفلة . أربع وعشرون ، وسبع ؟ إحدى وثلاثون ساعة هى كل ما بقى لى من الحياة .

هيملر : (**عند مدخل باب اليمين**)أين أرنبتى الصغيرة ؟

نورا : (**تتقدم مفتوحة الذراعين**) ها هى ذى .

ستـــار

الفصـــل الثـالِث

(نفس المنظر السابق ، مع اختلاف بسيط . هو أن المائدة تتوسط الغرفة ومن حولها المقاعد . فوق المائدة مصباح مضيء . باب الصالة مفتوح . تصل من الطابق العلوى موسيقى راقصة ، تفتح الستار على مدام لند ، وقد جلست إلى المائدة ، تقطع الوقت بتقليب صفحات كتاب . تحاول القراءة ، بيد أنها تخفق فى استجماع شتات أفكارها . وبين الفينة والفينة تنصت ناحية الباب الخارجى) .

لنـد : (**ناظرة إلى ساعتها**) كاد الوقت يأزف .. و لم يصل بعد . كل ما أرجوه ألا .. (**تنصت ثانية**) آه .. ها هو . (**تذهب إلى الصالة وتفتح الباب الخارجى بحذر ، ويسمع صوت أقدام تصعد السلم . هامسة**) ادخل . لا يوجد أحد هنا .

كروجشتاد : (**فى مدخل الباب**) وجدت رسالة منك فى انتظـارى . ما المقصود بهذا ؟

لنـد : تقضى الضرورة الملحة بأن يكون لى كلام معك .

كروجشتاد : حقا ؟ وهل تقضى الضرورة الملحة بأن نلتقى هنا ؟

لنـد : فى مسكنى محال . لعدم وجود مدخل خاص لى . ادخل . البيت خال تقريبا ، ولن يزعجنا أحد . فالخادمة نائمة ، وآل هيملر فى الحفلة الراقصة بالطابق العلوى .

كروجشتاد : (**داخلا إلى الغرفة**) إذن فآل هيملر يـرقصون الليلـة .

أحق ما تقولين ؟

لنـد : نعم ، ولماذ لا ؟

كروجشتاد : هذا صحيح . لماذا لا ؟

لنـد : والآن يا نيلز دعنا نبدأ الكلام .

كروجشتاد : وهل لدينا ما نتكلم عنه ؟

لنـد : الكثير .

كروجشتاد : لم أكن أعلم ذلك .

لنـد : هذا لأنك لم تحسن فهمى أبدا .

كروجشتاد : وهل كان هناك ما يوجب الفهم أكثر مما أظهرته الحقيقـة السافرة فى وضوح وجلاء ؟ امرأة لا قلب لها ، تتخلى عن رجل لتلحق بآخر أيسر حالا .

لنـد : إلى هذا الدرك سقطت فى نظرك ؟أوَ تحسب أننى اندفعت إلى ذلك المآل راضية النفس ؟

كروجشتاد : أتنكرين ؟

لنـد : أهذا ظنك فى حقا يا نيلز ؟

كروجشتاد : إن كنت صادقة فى ادعائك فلم أرسلتِ تخطرينني بتحولك بذلك الأسلوب الجارح ؟

لنـد : لم يكن أمامى إلا أن أسلك ذلك السبيل . كان على أن أقطع علاقتى بك فرأيت من واجبى أن أقضى على كل عاطفة تكنها لى .

كروجشتاد : (**معتصرا أصابعه**) هكذا ؟ وكل هذا .. من أجل المال ؟

لنـد : لا تنس أننى كنت أعول أما وشقيقتين قاصريـن ، وكان المستقبل بالنسبة لك يتأرجح فى عالم الغيب ، والانتظـار

بالنسبة لنا ضربا من المحال .

كروجشتاد : بغض النظر عن صحة ما تقولين ، ما كان لك أن تنبذيني نبذ النواة من أجل رجل آخر .

لنـد : ربما كنت محقا ، فلطالما ساءلت نفسي عن مدى سلامـة تصرفي .

كروجشتاد : (**بشيء من الود**) عندما فقدتك خيل إلى أن الأرض قد مادت تحت قدمي . وهاأنت ترين ما صرت إليه . رجـل حطمته الأنواء يتشبث بالحطام خوفا من الغرق .

لنـد : قد تكون النجدة دانية .

كروجشتاد : كانت دانية .. إلى أن جئت أنت ووقفت فى طريقي .

لنـد : دون قصد يا نيلز . لم أعرف سوى اليوم فقط أن الوظيفة التى وعدت بها كنت تشغلها أنت .

كروجشتاد : أصدقك . ولكن هل تعتزمين التخلى عنها وقد تـبين لك الموقف ؟

لنـد : لا . لأن ذلك لن يعود عليك بأية فائدة .

كروجشتاد : فائدة .. فائدة .. لو كنت مكانك لتنازلت عنها دون أدنى تفكير .

لنـد : علمتنى صروف الحياة وما فيها من تجارب قاسية أن أتصرف دائما بحكمة وروية .

كروجشتاد : أما ما علمتنيه فهو ألا أنخدع بسحر الكلمات المنمقة .

لنـد : درس معقول . ولكن ارتيابك فى الأقوال لا يمنـع إيمانك بالأفعال .

كروجشتاد : ماذا تعنين ؟

لنـد : قلت منذ لحظة أنك رجل حطمته الأنواء يتشبث بحطام الحياه .
كروجشتاد : لم أكن مغاليا فى تصوير الواقع .
لنـد : أنا مثلك امرأة حطمتها الأنواء . تتشبث بحطام الحيـاة . فلا أحد يحزن لى ، ولا أحد يعنى بى .
كروجشتاد : لقد اخترت بنفسك نوع الحياة التى تروقك .
لنـد : لم يكن لى مفر .
كروجشتاد : وبعد ؟
لنـد : ما قولك يا نيلز لو قدر لنا نحن الذين حطمتنا أنواء الحياة أن نتآزر معا ؟
كروجشتاد : ماذا تقولين ؟
لنـد : إن قوة اثنين فى مهب الأنواء أجدى من قوة كل بمفرده .
كروجشتاد : كريستين !
لنـد : ماذا تظن الدافع الذى حدا بى إلى المجىء إلى هنا ؟
كروجشتاد : أوَ أفهم من هذا أنك فكرت فى ؟
لنـد : لم أكن أطيق الحياة بغير عمل . ولقد هيمن على حياتى دائما عمل أستمد منه السعادة الكبرى الوحيـدة بالنسبـة لى . أما الآن فقد أصبحت وحيدة فى هذه الدنيا ، وأصبحت الحياة أمامى كصحراء مجدبة أهيم عزلاء فى قفارها . و لم تعد للعمل لذة ؛ فأية لذة أن يعمل الإنسان دون غاية إلا نفسه . وأنت يا نيلز فى يدك أن تمدنى بغاية أعمل من أجلها .
كروجشتاد : عقلى لا يطاوعنى . أراك تضحين بنفسك بدافع من نزعة نسائية عاطفية .
لنـد : ألحظت فىَّ تلك النزعة العاطفية من قبل !

(بيت الدمية)

كروجشتاد : أتعنين حقا ما تقولين ؟ صارحينى .. أتعرفين شيئا عن حياتى الماضية ؟

لنـد : نعم .

كروجشتاد : وهل تعرفين رأى أهل البلدة فىّ ؟

لنـد : ألم تقل منذ لحظة أننى لو كنت معك لصرت رجلا آخر ؟

كروجشتاد : مؤكد .

لنـد : هل فات الأوان لنبدأ من جديد ؟

كروجشتاد : كريستين . أتقولين ذلك عن إيمان ؟ نعم ، يخيَّل إلى أنى أقرأ الصدق فى عينيك . أتجدين الشجاعة فى نفسك ..؟

لنـد : فى أعماقى أمومة طال بها العطب ، وأطفالك فى حاجة إلى أم تحنو عليهم . كلانا فى حاجة إلى الآخر . أنا أؤمن بالعنصر الطيب فيك يا نيلز ، وأعتقد أننى قادرة على مجابهة أى لون من الشدائد إلى جانبك ،

كروجشتاد : (**ممسكا بيديها**) شكرا . شكرا يا كريستين . الآن لن آلو جهدا فى سبيل تبرئة ذمتى أمام الناس . آه . ولكننى نسيت ...

لنـد : (**منصتة**) صه . رقصة الترانتلا . اذهب . اذهب .

كروجشتاد : لم ؟ ماذا حدث ؟

لنـد : أنصت . لن يلبثوا أن يعودوا بمجرد انتهاء هذه الرقصة .

كروجشتاد : نعم . نعم .. سأذهب . ولكن فات الأوان . أنت لا تعلمين ما اتخذته بشأن هيملر وزوجته .

لنـد : بل أعلم كل شيء .

كروجشتاد : وبالرغم من ذلك واتتك الشجاعة ...؟

لنـد : لست أجهل ما يوحى به اليأس أحيانا من تصرفات .

كروجشتاد : آه لو أستطيع محو ما فعلت .

لنـد : لا تستطيع . خطابك الآن فى صندوق البريد .

كروجشتاد : متأكدة ؟

لنـد : كل التأكيد . ولكن ...

كروجشتاد : (**متفرسا فى عينيها**) أهذا مجمل الخطة ؟ أكل ما يهمك أن تنقذى صاحبتك بأى ثمن ؟ تكلمى .. بغير مواربة . أريد الصدق .

لنـد : إن المرأة التي تضحى بنفسها مرة فى سبيل الغير يا نيلز ، لا تعيد الكرة مرة أخرى .

كروجشتاد : سأطالب باسترداد خطابى .

لنـد : لا . لا .

كروجشتاد : بل هو ذلك ، سأنتظر إلى أن يعود هيملر ، وأطلب إليه أن يرد إلى خطابى .. بحجة أنه يتعلق بموضوع فصلى من البنك .. وأننى غيرت رأيى و لم أعد أريد أن يطلع عليه .

لنـد : لا يا نيلز . يجب ألا تسترجع خطابك .

كروجشتاد : أوَلم تستدعينى هنا لهذا لسبب ؟

لنـد : لأول وهلة ، وأنا ما أزال تحت تأثير الخوف من العواقب . أما الآن .. بعد انقضاء يوم كامل على ذلك الخاطر الأول ، وبعد أن شاهدت بنفسى ما يجرى فى هذا البيت من أمور عجيبة ، فقد أصبحت أومن بضرورة اطلاع هيملر على الحقيقة. يجب القضاء على ذلك السر المؤلم بإظهاره إلى النور. من الضرورى أن يسودهما جو من التفاهم التام . وهذا لن يتأتى بغير الكف عما يحيط بهما من تستر وأكاذيب .

كروجشتاد : الأمر ما ترين ما دامت المسئولية فى عنقك . غير أننى ما زلت أستطيع بعض الإصلاح . وسأفعل ذلك من فورى .

لنـد : (**تنصت**) عجل بالذهاب . لقد انتهت الرقصة ، ولم نعد بمأمن من أن ينكشف أمرنا .

كروجشتاد : سأنتظرك فى الشارع .

لنـد : نعم . نعم . سآتى إليك لترافقنى فى الطريق إلى البيت .

كروجشتاد : هذه أسعد لحظة مرت بى فى حياتى .

(ينصرف من الباب الخارجي . ويظل الباب الموصل بين الصالة والغرفة مفتوحا)

لنـد : (**ترتب الغرفة وتعد قبعتها ومعطفها**) ما أعظم الفرق بين ما كنت فيه وما أنا مقبلة عليه ! إنسان أعيش له ، وغاية أحيا من أجلها ، وبيت أنعم بالراحة فى ظله (**تنصت**) إنهما قادمان . فلأستعد للخروج .

(تتناول المعطف والقبعة . وتصل أصوات هيملر ونورا من الخارج . يدور مفتاح فى القفل ، ويأتى هيملر بنورا . وكأنما يدفعها بالقوة إلى الصالة . وترى نورا فى زى إيطالى وقد تدثرت بشال أسود كبير . أما هيملر ففى رداء السهرة ، وقد التف بدثار تنكرى أسود)

نورا : (**وهى تتشبث بالعودة وتقاوم فى المدخل**) لا . لا . لا تحملنى على الدخول . أريد العودة إلى الحفلة . ما زال الوقت مبكرا .

هيملر : ولكن يا عزيزتى نورا ...

نورا : أرجوك يا تورفالد . أرجوك . أرجوك . ساعة أخرى لا غير .

هيملر : ولا دقيقة واحدة يا عزيزتى . هكذا اتفقنا ، وهكذا يسرى الاتفاق . هيا إلى الداخل حتى لا يصيبك البرد .

(يأتى بها برقة إلى الغرفة على الرغم من مقاومتها)

لنـد : مساء الخير .

نورا : كريستين !

هيملر : أنت هنا يا مدام لند ، فى هذه الساعة المتأخرة ؟

لنـد : أرجو المعذرة فقد غلبنى الشوق لرؤية نورا فى ثياب التنكر .

نورا : أكنت تجلسين هنا طول الوقت فى انتظارى ؟

لنـد : نعم . جئت متأخرة لسوء الحظ ، فلم ألحق بك قبل الذهاب إلى الحفلة . وعز على أن أرجع دون مشاهدتك .

هيملر : **(وهو ينزع الشال عن كتفى نورا)** ها هى ذى فى أكمل زينتها . لعمرى إنها جديرة بالرؤية . ألا ترينها فاتنة يا مدام لند ؟

لنـد : نعم . بكل تأكيد .

هيملر : ألا توافقين معى على أنها ذات جمال منقطع النظير ؟ لقد أجمعت الآراء فى الحفلة على إطراء جمالها . ولكن لا يغرنك ملمسها الناعم ، فإنها عنيدة كالصخر ، أتصدقين أننى اضطررت إلى إنزالها من الحفلة بالقوة ؟

نورا : ستندم يا تورفالد على أنك لم تسمح لى بالبقاء ولو لمدة نصف ساعة .

هيملر : أتاك كلامى يا مدام لند ؟ أدت رقصتها ، وحازت بها إعجابا يفوق الوصف ــ عن جدارة واستحقاق ، ولو أن الأداء فى نظرى كان واقعيا أكثر من اللازم ، أعنى أكثر واقعية مما تمليه قواعد الفن الصحيح ــ ولكن لا بأس . المهم أنها أحرزت النجاح المرجو .. نجاحا شاملا . فهل تنتظرين منى بعد ذلك أن أتركها تبقى لتضيع هيبة الأثر الذى أحدثته ؟ لا . وضعت ذراعى فى ذراع حسنائى ذات الرداء الإيطالى .. والنزوات الصبيانية ، وجلت بها جولة سريعة حول القاعة ، وأدينا التحية ذات اليمين ، وذات اليسار ، ثم .. كما يقال فى الروايات .. اختفى الطيف الجميل فى جوف الظلام . من رأيى دائما يا مدام لند أن يأتى خروج الإنسان من مكان ما فى اللحظة المناسبة ليحدث الأثر المرغوب فيه . وهذا ما ترفض نورا أن تسلم به . أوف . الجو هنا حار . (**يلقى دثاره على أحد المقاعد ، ويفتح باب غرفته**) ما هذا الظلام الحالك ؟ آه طبعا ... أرجو المعذرة .. (**ينصرف إلى غرفته ويضىء بعض الشموع**) .

نورا : (**فى همسة سريعة لاهثة**) هه ؟

لنـد : (**فى صوت خفيض**) تكلمت معه .

نورا : والنتيجة ؟

لنـد : نورا ، يجب أن تطلعى زوجك على الحقيقة .

نورا : (**فى صوت أجوف**) صدق حدسى .

لنـد : لك أن تطمئنى من ناحية كروجشتاد كل الاطمئنان ، ولكن

يجب أن تخبرى زوجك .

نورا : لن أخبره .

لنـد : سيخبره الخطاب إذن .

نورا : شكرا لك يا كريستين . إن الطريق الآن واضحة أمامى . صه ..

هيملر : (**داخلا**) هل تمليت بطلعتها يا مدام لند ؟

لنـد : نعم . طاب مساؤكما .

هيملر : هكذا سريعا ؟ أهذا التريكو لك ؟

لنـد : (**وهي تتناوله**) نعم . شكرا . كدت أنساه ..

هيملر : أتشتغلين التريكو ؟

لنـد : طبعا .

هيملر : من الأفضل أن تنصرفى إلى البرودرى .

لنـد : حقا ؟ لماذا ؟

هيملر : لأنـه ألطـف وأسهـل ، والسبب ؟ لأنك تمسكين بقطعـة البرودرى فى يدك اليسرى هكذا ، وتشتغلين بالإبرة بيدك اليمنى .. هكذا .. فى حركة واسعة رشيقة ، أتوافقين ؟

لنـد : نعم .. ربما ..

هيملر : أما التريكو فخال من الوقار تماما . الذراعان مضمومتان .. والإبرتان الطويلتان فى صعود وهبوط مستمر .. كأنها عصى الطعام عند أهل الصين . كانت الشمبانيا ممتازة فى الحفلة .

لنـد : هه . طابت ليلتك يا نورا وكفاك عنادا .

هيملر : نعم .. انصحيها يا مدام لند .

لنـد : طابت ليلتك يا سيد هيملر .

هيملر : (**وهو يرافقها حتى الباب**) طابت ليلتك .. أرجو ألا يزعجك أحد فى الطريق . كان بودى أن أرافقك .. ولكن المسافة قصيرة على أى حال .. طابت ليلتك .. طابت ليلتك . (**تنصرف مدام لند ، فيغلق الباب وراءه ، ويعود أدراجه**) .
آه . تخلصنا منها أخيرا . يا لها من امرأة ثقيلة الظل .

نورا : ألا تشعر بالتعب يا تورفالد ؟

هيملر : مطلقا . بل على العكس أحس بنشاط عجيب .. وأنت ؟ يبدو عليك التعب والنعاس فى آن واحد .

نورا : نعم . أنا متعبة جدا .. وأشعر بحاجة إلى النوم فى الحال .

هيملر : أرأيت أننى كنت محقا فى منعى إياك من مواصلة السهر ؟

نورا : أنت محق فى كل ما تفعل يا تورفالد .

هيملر : (**يقبلها فى جبينها**) عادت الأرنبة الصغيرة سيرتها من التعقل والاعتدال . ألاحظت ما كان عليه رانك من انشراح ؟

نورا : حقا ؟ أكان منشرحا ؟ إننى لم أتبادل معه كلمة واحدة طوال الحفلة .

هيملر : وأنا لم أكلمه إلا قليلا . إننى لم أره فى مثل ذلك الإشراق منذ أمد طويل . (**يرنو إليها لحظة ، ثم يقترب منها**) ما أجمل أن يجمعنا البيت مرة أخرى .. وأن نستمتع بخلوتنا معا .. فى جو من سحرك الفاتن أيتها الحبيبة الصغيرة .

نورا : لا تنظر إلى هكذا يا تورفالد .

هيملر : ولم لا أرنو إلى أعز كنز لدى ؟ إلى الجمال الذى أمتلكه وحدى ..

نورا : (**تذهب إلى الجانب الآخر من المنضدة**) لا ينبغى أن تخاطبى الليلة بهذا الأسلوب .

هيملر : (**يتبعها**) يظهر أن الشخصية التى تنكرت بها ما تزال تسرى فى دمك . وهذا ما يزيدك إغراء . اسمعى . لقد بدأ الضيوف فى الانصراف : (**بصوت خفيض**) نورا .. لن يلبث السكون أن يسود البيت .

نورا : أرجو ذلك .

هيملر : نعم يا حياتى . أتعرفين لمَ ألوذ بالصمت كلما خرجنا إلى إحدى الحفلات ، و لمَ أبقى بمنأى عنك مكتفيا باختلاس النظر إليك بين الحين والحين ؟ أتعرفين لمَ ؟ لأننى أتخيل أننا يحب كل منا الآخر فى الخفاء ، وأنا بسبيل الزواج سرا ، وأن الجميع يجهلون ما بيننا من علاقة .

نورا : نعم . نعم . أعلم أن أفكارك دائما معى .

هيملر : وعندما تأزف ساعة الانصراف ، وأتناول الوشاح لألف به كتفيك الناصعتين ، وأضمه حول عنقك الأملس ، يهيأ لى أنك عروسى البكر ، وأنى أحملك إلى عشنا الجميل لأول مرة ، حيث ننعم بأول خلوة لنا بعيدا عن الناس ، وحبيبتى الصغيرة وجلة تعلو وجنتيها حمرة الفخر . لكم كانت نفسى تهفو إليك طوال المساء . وإذ كنت أراقب انثناءك وأنت تعرضين رقصتك ، أحسست بالدم يتدفق حارا فى عروقى . و لم أعد أقوى على الصبر ، فاندفعت لأعود بك قبل انتهاء الحفل .

نورا : دعنى يا تورفالد . دعنى بالله عليك . لن أستطيع .

هيملر : ماذا ؟ إنك تمزحين يا صغيرتى . لن تستطيعى ؟ لن تستطيعى ؟ ألست زوجك ؟

(**تسمع طرقة على الباب الخارجى**)

نورا : (**تجفل**) أسمعت ؟

هيملر : (**متجها نحو الصالة**) من الطارق ؟

رانك : (**من الخارج**) أنا . أيمكن أن أدخل لحظة ؟

هيملر : (**هامسا بضيق**) ما عساه يريد الآن (**مناديا**) انتظر . (**يفتح الباب**) تفضل . لطيف منك ألا تمر ببابنا دون تحية .

رانك : سمعت أصواتا صادرة من الغرفة فقلت أسلم قبل انصرافى . (**يجول جولة سريعة بناظريه فى أنحاء الغرفة**) آه . كل ركن هنا قد انطبع فى ذاكرتى حتى لأراه مغمض العينين . ما أسعدكما فى هذا العش الهادئ !

هيملر : وبالمناسبة .. لقد كنت الليلة فى أوج الانطلاق .

رانك : حتى النهاية . و لم لا ؟ ماذا يمنع المرء من الاستمتاع بجميع مباهج الدنيا ؟ تمتع بكل ما تستطيع لأطول ما تستطيع . كان النبيذ فاخرا .

هيملر : وخصوصا الشمبانيا .

رانك : أتنبهت إلى ذلك أنت أيضا ؟ إنك لتعجز عن تصور مقدار ما ابتلعت فى جوفى .

نورا : لقد اقتدى بك تورفالد فيما يظهر إذ أقبل على الشمبانيا بشره عظيم .

رانك : لا ؟ ...

نورا : نعم . ألا ترى أثرها باديا عليه كالعادة ؟

رانك : حسن . ما ضر الإنسان إذا احتفى فى مسائه بجهاد يومه ؟..

هيملر : جهاد ؟ مع شديد الأسف لا يستحق يومى لفظ الجهاد ..

رانك : (**وهو يدق ظهره**) أما أنت فنعم .

نورا : أقسم أنك قضيت اليوم فى بحث علمى .

رانك : بالضبط .

هيملر : أنصت إليها .. ماما نورا تجادل فى الأبحاث العلمية !

نورا : وهل يا ترى نهنئك بالنتيجة ؟

رانك : جائز جدا .

نورا : أكانت موفقة إذن ؟

رانك : أفضل نتيجة من وجهة نظر الطبيب والمريض على حد سواء .. ألا وهى اليقين .

نورا : (**فى سرعة واستفسار**) اليقين ؟

رانك : اليقين المطبق . وعلى هذا ، أوَ لم يكن من حقى أن أحتفى بما وصلت إليه ؟.

نورا : نعم ، بلا شك يا دكتور رانك .

هيملر : وأنا أيضا موافق . بشرط ألا تدفع الثمن من صحتك عندما تنهض فى الصباح .

رانك : هكذا الدنيا يا عزيزى . لا يمكنك أن تحصل فيها على شىء قبل أن تدفع الثمن .

نورا : دكتور رانك .. أتعجبك حفلات الرقص التنكرية ؟

رانك : نعم ، إذا كانت تحتوى على مجموعة ممتازة من ثياب التنكر .
نورا : قل لى .. ماذا تقترح لنرتديه معا فى الحفلة القادمة ؟
هيملر : هيه هيه . أتفكرين فى الحفلة القادمة من الآن ؟
رانك : معا ؟ أقترح أن تتنكرى فى زى حورية فاتنة ؟
هيملر : جميل . ولكن ما هو الزى الذى يصلح لشخصية كهذه ؟
رانك : الزى الذى ترتديه زوجتك فى كل يوم .
هيملر : لباقة مشكورة . وأنت ؟ هل قررت لنفسك تنكرا معينا ؟..
رانك : نعم يا عزيزى . قررت قرارا لا رجعة فيه .
هيملر : وما هو ؟
رانك : أن أكون فى الحفلة المقبلة خفيا .
هيملر : نكتة لطيفة .
رانك : توجد قبعة ضخمة سوداء ــ أسمعت عن القبعات التى تكسب القدرة على الإخفاء ؟ ــ ما إن تضع واحدة منها على رأسك حتى تتلاشى عن الأنظار .
هيملر : (**وهو يكتم ابتسامة**) نعم نعم . معك حق .
رانك : ولكنى نسيت ما جئت من أجله . هيملر . أعطنى سيجارا .
هيملر : بكل سرور . (**يناوله الصندوق**) .
رانك : (**يتناول سيجارا ويقطع نهايته**) شكرا .
نورا : (**تشعل عود ثقاب**) دعنى أشعله لك .
رانك : أشكرك . (**تمسك له بالعود حتى تشعل السيجار**) والآن .. مع السلامة .
هيملر : مع السلامة يا عزيزى .

نورا : نم هنيئا يا دكتور رانك .

رانك : أشكرك على هذا الدعاء .

نورا : ادع لى نفس دعوتى .

رانك : أنت ؟ حسن . ما دمت قد طلبت ذلك . أشكرك مرة أخرى .
(يحييها بإيماءة ، وينصرف)

هيملر : **(فى صوت خافت)** لقد شرب أكثر مما ينبغى .

نورا : **(شاردة)** ربما .
(يخرج هيملر من جيبه حزمة من المفاتيح ويتجه إلى الصالة)
تورفالد . ماذ تريد هناك ؟

هيملر : أفرغ صندوق البريد ، فقد امتلأ عن آخره . ولن يتسع لجرائد الصباح .

نورا : أتنوى أن تشتغل الليلة ؟

هيملر : يا للسؤال ! طبعا لا . ما هذا ؟ لقد عبث أحدهم بالقفل .

نورا : أتشك فى شىء .

هيملر : نعم . ما معنى هذا ؟ ما كنت لأرتاب فى الخادمة .. هذا مشبك شعر مكسور . نورا .. إنه لك .

نورا : **(بسرعة)** لابد أنهم الأولاد .

هيملر : عليك بهم إذن حتى يقلعوا عن تلك العادات . أخيرا الصندوق . **(يفرغ محتويات الصندوق وينادى ناحية المطبخ)** هيلين . هيلين . أطفئى نور الباب الخارجى . **(يعود إلى الغرفة ويغلق باب الصالة ، ثم يبسط راحتيه المكتظتين بالرسائل)** انظرى . كل هذه الحمولة كانت فى الصندوق .

(**يقلب الرسائل**) عجبا .. ما يكون هذا ؟

نورا : (**عند النافذة**) الخطاب .. لا .. لا يا تورفالد .

هيملر : بطاقتان .. من رانك .

نورا : من دكتور رانك ؟

هيملر : (**وهو يفحصهما**) « دكتور رانك » . كانتا فوق بقية الرسائل . لابد أنه ألقاهما فى صندوق البريد عند خروجه .

نورا : أعليهما كتابة ؟

هيملر : لا شيء سوى صليب أسود فوق الاسم . انظرى . يا لها من فكرة مقبضة . كأنى به ينعى نفسه

نورا : هو ذلك .

هيملر : ماذا ؟ أتعرفين شيئا عن هذا الموضوع ؟ أحدثك هو بشيء ؟

نورا : نعم . قال لى إن بطاقته إلينا ستكون بمثابة رسالة وداع . إلى أن يخلصه الموت .

هيملر : يا للمسكين أعلم أننا لن نحظى به طويلا . ولكن هكذا سريعا !.. ثم ماذا دهاه ليلوذ بالفرار كالحيوان الجريح ؟

نورا : الصمت أجدى دائما فى مثل هذه الحالات .. ألا توافقنى يا تورفالد ؟

هيملر : (**وهو يقطع أرض الغرفة جيئة وذهابا**) لقد أصبح جزءا ناميا فى حياتنا ، ولا أكاد أتخيلها بدونه . كانت آلامه ووحدته أشبه بسحابة قاتمة فى إطار سعادتنا الزاهية ، من يدرى ؟ لعل هذا أفضل . بالنسبة إليه على الأقل . (**يقف ساكنا**) وربما وبالنسبة إلينا أيضا يا نورا . من الآن فصاعدا لن يكون لأحدنا

إلا الآخر . (**يلفها بذراعيه**) زوجتي العزيزة . كم أود لو أستطيع أن أعصرك بين ذراعي ، أتعلمين يا نورا أنى طالما تمنيت أن يتهددك خطر شديد حتى يتاح لى أن أجازف بحياتى وبكل ما ملكت يدى فى سبيلك ؟

نورا : (**تخلص نفسها وتقول فى عزم وإصرار**) الآن يجب أن تقرأ خطاباتك يا تورفالد .

هيملر : لا . لا . . ليس الليلة . أريد أن أبقى إلى جانب زوجتى المحبوبة .

نورا : ومأساة صديقك ماثلة أمام عينيك .

هيملر : أصبت . لقد أثرت فينا نحن الاثنين . نزلت بيننا صورة بغيضة .. تتخللها بشاعة الموت . فليعتكف كل منا فى غرفته إلى أن نوفق فى انتزاع تلك الأفكار السوداء من مخيلتنا .

نورا : (**متعلقة بعنقه**) طابت ليلتك يا تورفالد . طابت ليلتك .

هيملر : (**يقبلها فى جبينها**) طابت ليلتك أيها العصفور الغرد . نوم هنئ يا نورا . والآن سأعكف على خطاباتى .

(يتناول خطاباته ، وينصرف إلى غرفته مغلقا الباب وراءه . وتجول نورا حول المكان ذاهلة مبلبلة الفكر . وتتناول دثار هيملر وتلقيه حول كتفيها وهى تقول فى صوت هامس لاهث أجش) .

نورا : لن أراه ثانية .. أبدا .. أبدا .. (**تضع الوشاح فوق رأسها**) لن أرى أطفالى الأعزاء .. سأفقدهم إلى الأبد .. إلى الأبد .. آه .. تحت صفحة الجليد .. فى الأعماق . آه لو ينقضى الأمر سراعا ! إنه الآن يفض الخطاب .. ويقرأ ما فيه .. وداعا يا تورفالد وداعا يا أطفالى !

(إذ تهم بالاندفاع إلى الصالة ، يفتح هيملر باب غرفته على عجل ، ويقف فى مدخل الباب ممسكا فى يده خطابا مفتوحا)

هيملر : نورا !

نورا : **(تصرخ)** آه ...

هيملر : ما هذا ؟ أتعرفين ما فى هذا الخطاب ؟

نورا : نعم أعرف . دعنى أذهب . دعنى أخرج .

هيملر : **(ممسكا بها ليبقيها)** إلى أين ؟

نورا : **(تحاول التملص من قبضته)** لن تنقذنى يا تورفالد .

هيملر : **(متراجعا)** صحيح ؟ أصحيح ما تطالعه عيناى فى هذا الخطاب ؟ لا لا . مستحيل أن يكون صحيحا .

نورا : بل هو الحقيقة . لقد أحببتك أكثر من أى شىء فى الوجود .

هيملر : أوه .. دعينا من الحجج السخيفة .

نورا : **(وهى تخطو نحوه)** تورفالد !

هيملر : أيتها التعسة .. ماذا فعلت ؟

نورا : دعنى أذهب . لن أجعلك تتألم بسببى . لن أجعلك تتحمل التبعة .

هيملر : دعينا من الحركات المسرحية من فضلك . **(يغلق باب الصالة بالمفتاح)** ستبقين هنا لنستمع إلى تفسيرك للموضوع . أتدركين مغبة عملك ؟ أجيبى . أتدركين مغبة عملك ؟

نورا : **(تحدق فيه بنظرات ثابتة وقد بدأت تعلو وجهها سيماء الفتور)** نعم . لقد بدأت الآن أدرك الحقيقة .

هيملر : (**وهو يذرع أرض الغرفة**) يا لها من صحوة مفجعة . ثمانى سنوات وأنا أعقد عليها أملى فى الحياة ، وأنظر إليها بخيلاء .. فإذا بها منافقة كاذبة .. بل وأسوأ من هذا .. مجرمة . إن بشاعة اللفظ وحدها تثير الاشمئزاز ، يا للعار ، يا للعار ! (**تظل نورا ساكنة ، محدقة فيه بنظراتها الثابتة . يقف هيملر فى مواجهتها**) كان يجب أن أتوقع شيئا من هذا القبيل . كان يجب أن أستبق الحوادث بشىء من بعد النظر . إن خسة أبيك وطباعه المتدهورة . اسكتى .... ! إن خسة أبيك وطباعه المتدهورة قد انتقلت إليك . فلا دين ، ولا أخلاق ، ولا إحساس بالواجب . وهذا عقابى لأننى أغمضت عينى عن سيئاته من أجلك . يا له من جزاء !

نورا : فعلا .

هيملر : لقد حطمت سعادتى .. ودمرت مستقبلى . ما أبشع المصير فى قبضة ذلك المحتال الأفاق . إنه لقادر على أن يفعل بى ما يشاء .. وأن يطالبنى بما يشاء وأن يملى على إرادته دون أن أملك له رفضا . وكل هذا بفضل إمرأة طائشة لا تقدر المسئولية .

نورا : ستعود إليك حريتك عندما أنزاح من الطريق .

هيملر : لا أريد كلاما مرصوصا من فضلك . كان أبوك هو الآخر يحفظ أمثلة كثيرة عن ظهر قلب . ماذا يفيدنى أن تنزاحى من الطريق كما تقولين ؟ أليس قادرا على أن ينشر الفضيحة على الملأ ؟ وإذ ذاك لن أسلم من الاتهام بأننى كنت شريكا لك فى جريمتك ؟ بل وللناس العذر إن داخلهم الظن بأننى الفاعل

الحقيقى من وراء الستار .. وإننى أنا الذى أوحيت إليك بما بدر منك . هذه هديتك إلىّ ردا على ما حبوتك به منذ ضمنا هذا البيت زوجا وزوجة . أتدركين الآن مدى ما أنزلت بى ؟

نورا : (**فى فتور وهدوء**) نعم .

هيملر : لا أكاد أتصور أننى فى يقظة . المهم أننا يجب أن نصل إلى حل . اخلعى ذلك الوشاح . اخلعيه قلت لك . يجب أن أحاول ترضيته بطريقة ما .. حتى تبقى المسألة طى الكتمان ، مهما يكن الثمن . أما نحن ، فيجب أن نحافظ على المظهر أمام الناس ، كأن شيئا لم يحدث . ستبقين هنا بالطبع ، ولكننى لن أسمح لك بتربية الأطفال .. إذ لا تطاوعنى نفسى على أن أتركهم فى رعايتك . يا للسخرية !.. أن يخرج من فمى هذا الكلام فى حق امرأة أحببتها من كل قلبى .. وما زلت . لا . هذا عهد مضى وانقضى . منذ الآن لن يكون جرينا وراء السعادة ، بل فى إنقاذ ما يمكن انقاذه من الهدم .. من الحطام .. من المظهر ...

(**يدق جرس الباب الخارجى**)

هيملر : (**فزعا**) من يا ترى ؟ وفى هذه الساعة المتأخرة ؟ أنكون بلغنا أسوأ مرحلة ؟.. أيكون قد ... ؟ اختبئى يا نورا . قولى إنك مريضة .

(**لا تبدى نورا حراكا ، ويتقدم هيملر ليفتح باب الصالة**) .

الخادمة : (**تظهر عند الباب فى ثياب النوم**) خطاب لسيدتى .

هيملر : أعطنيه (**يأخذ الخطاب ويغلق الباب**) نعم .. إنه منه .. لن أعطيك إياه . سأقرأه بنفسى .

نورا : اقرأه .

هيملر : (**واقفا بجوار المصباح**) لا أكاد أجد الشجاعة الكافية .. فقد يكون رسول شر لنا . لا . يجب أن أعرف . (**يفض الخطاب ، ويقرأ بضعة أسطر ، ثم ينظر إلى ورقة مرفقة مع الخطاب ، ويطلق صيحة فرح**) نورا ! (**تنظر نورا إليه متسائلة**) نورا ! لأتأكد أولا مما قرأت . نعم . صحيح . لقد نجوت . نورا .. لقد نجوت !

نورا : وأنا ؟

هيملر : وأنت أيضا بالطبع . لقد نجونا نحن الاثنين ، أنا وأنت . انظرى . إنه يعيد لك الكمبيالة .. ويبدى أسفه معتذرا عما بدر منه .. ويقول إن تحولا سعيدا فى حياته .. أوه .. أية أهمية لما يقول ؟ لقد نجونا يا نورا . لن يستطيع أحد أن يصيبك بأذى . نورا . نورا . ولكن يجب أولا أن نبيد هذه الكمبيالة اللعينة . ماذا تحتوى ..؟ (**يلقى إليها نظرة عابرة**) لا . لن أنظر إليها . لتبق المسألة كلها مجرد حلم مزعج لا أكثر ولا أقل . (**يمزق الصك والخطابين ، ويلقى بالقِطع إلى المدفأة ، ويراقبها وهى تحترق**) هه . لم يعد لها وجود . يقول منذ ليلة عيد الميلاد .. لا ريب أن تلك الأيام الثلاثة كانت تجربة ، سية بالنسبة لك يا نورا .

نورا : لقد كافحت خلالها كفاحا مريرا .

هيملر : وقاسيت الأهوال حتى إنك لم ترى سبيلا للخلاص إلا .. كلا . لن نعود إلى ذكر هذه المسائل المؤلمة مرة أخرى . لنترك

الفرح يغمر قلبينا ، ولنقل فى ابتهاج « لقد زال الخطر . زال الخطر » . أتسمعين يا نورا ؟ أقول لك إن الخطر قد زال . ما هذه النظرة المتجهمة ؟ آه . فهمت يا عزيزتى . إنك لا تصدقين أننى غفرت لك . ولكنها الحقيقة يا نورا . أقسم لك . لقد غفرت لك كل شيء . إننى أدرك أن الدافع لك على ما فعلت كان حبك لى .

نورا : هذا صحيح .

هيملر : أحببتنى حب الزوجة لزوجها ، وإن أخطأك التوفيق فى اختيار الوسائل . ولكن هل تحسبين أن حبى لك يقلل من شأنه ما تبدينه من عجز ؟ لا . لا . كل ما عليك هو أن تعتمدى على ، وأنا كفيل بالنصح والإرشاد . ما كنت لأعد من بنى جنسى إن لم تزدنى أنوثتك الضعيفة إقبالا عليك . لا تفكرى فيما قلته لك فى لحظة الانفعال الأولى . وأنا أتوهم أن الدنيا قد انطبقت فوق رأسى ، لقد غفرت لك يا نورا . أقسم أننى غفرت لك .

نورا : أشكرك أن غفرت لى .

(**تنصرف خلال باب اليمين**)

هيملر : لا تذهبى . (**يطل من الباب**) ماذا تفعلين عندك ؟

نورا : (**من الخارج**) أخلع عن نفسى ثوب الدمية .

هيملر : (**واقفا فى المدخل**) طيب ، هدئ من روعك يا نورا ، واطردى ما يثقل رأسك الجميل من خواطر مزعجة ، اطمئنى يا بلبلتى الصغيرة فإن لى أجنحة عريضة تأمنين فى ظلها

(**يتمشى بجوار الباب**) ما أجمل عشنا الهنيء يا نورا ، حيث تسود الراحة والطمأنينة . سأسهر عليك وأحميك من الأذى . وكأنك طائر عزيز كانت تطارده براثن صقر جارح ، سأبذل كل جهدى لأعيد إلى نفسك هدوءها . صدقينى يا نورا . كل شيء سيسوى بالتدريج . وسترين عندما تبزغ شمس الغد أن القصة تبدو لك فى ضوء آخر مختلف . ولن يمضى وقت طويل حتى تعود المياه إلى مجاريها ، فتطمئن نفسك ، وتتبخر رواسب الشك لديك . تأكدى أننى لن أفكر لحظة فى أن أصدمك أو أوجه إليك اللوم ، فمن طبيعة الرجل الصادق أن يحس فى أعماقه بالرضاء والسرور عندما يسود قلبه شعور حقيقى بالصفح نحو زوجته ، وكأنما قد تأكد الرباط بينهما من جديد ، أو كأنه قد منحها الحياة من جديد ، فتصبح زوجته وطفلته فى وقت واحد . وهكذا حالك معى يا حبيبتى الصغيرة ، يا من ينتفض قلبها لأتفه سبب . لتطمئن نفسك يا نورا ، وما عليك إلا أن تصارحينى القول دائما ، وسأكون لك بمثابة الإرادة المنفذة ، والضمير المرشد معا ، ما هذا ؟ ألم تأوى إلى فراشك بعد ؟ هل أبدلت ثيابك ؟

نورا : (**فى ثياب النهار**) نعم يا تورفالد ، أبدلت ثيابى .

هيملر : وما الداعى ؟ فى هذه الساعة المتأخرة ؟

نورا : لن أنام الليلة .

هيملر : ولكن يا عزيزتى نورا . .

نورا : (**تنظر إلى ساعتها**) ليس الوقت متأخرا إلى هذا الحد . اجلس هنا يا تورفالد . لابد لنا من حديث طويل (**تجلس إلى جانب المنضدة**) .

هيملر : نورا . . ما هذا ؟ لم هذا الوجه الجامد القسمات ؟

نورا : اجلس . هذا أمر يستغرق بعض الوقت . لدى كلام كثير أريد أن أفضى به إليك .

هيملر : (**يجلس أمامها إلى المنضدة**) إنك تثيرين قلقى يا نورا . لست أفهمك .

نورا : هذه هى المشكلة . لا أنت تفهمنى ، ولا أنا كنت أفهمك ، حتى هذه الساعة . لا تقاطعنى . ينبغى أن تنصت إلى جيدا .. فهذه لحظة تصفية الحساب يا تورفالد .

هيملر : ماذا تعنين ؟

نورا : (**بعد لحظة صمت قصيرة**) ألا يدهشك أن تجمعنا مثل هذه الجلسة ؟

هيملر : ما موضع الدهشة ؟

نورا : لقد مضى على زواجنا ثمانى سنوات ، وهذه هى أول مرة نلتقى فيها ، أنا وأنت ، كزوجة وزوج ، للحديث بشكل جدى ..

هيملر : ماذا كنت تقصدين بكلمة « جدى » ؟

نورا : طوال تلك الأعوام الثمانية ، بل وقبل ذلك بكثير ، منذ أن تعارفنا ، لم يحدث أن تبادلنا كلمة واحدة فى أى موضوع جدى .

هيملر : أوَكنت تريدين منى أن أثقل كاهلك فى كل مناسبة وأخرى بمتاعب ومشاكل لا عهد لك بها ؟

نورا : لست أعنى مشاغل العمل .. بل أقول إننا لم نضم رأسينا فى يوم من الأيام بغية الوصول إلى البت فى أمر من الأمور .

هيملر : وهل كان يجديك ذلك فى شىء ؟

نورا : هذه هى المشكلة . إنك لم تفهمنى فى حياتك ، لقد أدبتما فى حقى يا تورفالد .. أبى أولا ، ثم أنت من بعده .

هيملر : ماذا ؟ نحن ؟ نحن اللذين أحببناك أكثر من أى إنسان فى الوجود ؟!

نورا : (تهز رأسها) إنك لم تحبنى أبدا ، بل لذَّ لك أن تقع فى حبى .

هيملر : نورا . ماذا تقولين ؟

نورا : إنها الحقيقة السافرة يا تورفالد . كان أبى فيما مضى يسر إلى برأيه فى كل كبيرة وصغيرة ، فنشأت أعتنق نفس آرائه . وإذا حدث أن كونت لنفسى رأيا مخالفا ، كنت أكتمه عنه خشية أن أضايقه . كنت فى نظره عروسا من الحلوى .. يدللنى كما كنت أدلل عرائسى ولعبى . وعندما انتقلت لأعيش معك ...

هيملر : أهذا وصفك لرباط الزوجية المقدس بيننا ؟

نورا : (دون انزعاج) كل ما أعنيه أننى انتقلت من يد أبى إلى يدك . ووجدتك تنظم الكون من زاويتك الخاصة . فتبعتك فى الطريق المرسوم .. أو تظاهرت بأننى أتبعك .. لست أدرى أيهما . والآن ، عندما أعود بذهنى إلى الوراء ، يخيل إلى أننى لم أكن أزيد عن عابرة سبيل كل همها أن تسد مطالب يومها . كانت وظيفتى ، كما أردتها لى ، أن أسليك . أنت وأبى جنيتما على . والذنب ذنبكما إذا لم أصنع من حياتى شيئا ذا قيمة .

هيملر : يا للشطط والجحود يا نورا . أولست سعيدة هنا ؟

نورا : كلا . لم أذق للسعادة طعما . كان يخيل إلى أننى سعيدة ، وإن كان الواقع غير ذلك .

هيملر : غير ذلك ؟

نورا : لم أشعر بشيء أكثر من المرح ، مع اعترافى بحسن معاملتك لى دائما . ولا عجب فى ذلك ، فقد كان بيتنا أشبه بملعب للأطفال . ولم تختلف نظرتك إلى عن نظرة أبى . كلاكما اعتبرنى لعبة أو عروسا من الحلوى . وانتقلت العدوى إلى ، فعاملت أطفالى بنفس المنطق . ولم يكن سرورى عندما تداعبنى بأقل من سرورهم عندما أداعبهم . هذه خلاصة حياتنا الزوجية يا تورفالد .

هيملر : لا أنكر أن فى كلامك شيئا من الحقيقة .. بالرغم من أسلوبك فى المغالاة والتهويل . ولكن الوضع سيتغير فى المستقبل .. فقد انتهى وقت اللعب وآن أوان الجد .

نور : لمن ؟ إلى أم للأطفال ؟

هيملر : لكما معا يا عزيزتى .

نورا : مع الأسف يا تورفالد ، لم تعد الرجل الذى أتعلم منه كيف أصبح زوجة .

هيملر : أنت تقولين هذا ؟!

نورا : ثم ، هل ترانى أصلح لتربية الأطفال ؟

هيملر : نورا ! .

نورا : أوَ لم تقل ذلك بنفسك منذ لحظة وجيزة ؟ أوَ لم تقل إن قلبك لا يطاوعك على أن تعهد إلى بتربيتهم ؟

هيملر : كانت فورة غضب ، فانسى ما قلته ساعتها .

نورا : ولكنك لم تقل إلا الصدق ، إننى لا أصلح لهم . وعلىّ أولا أن أقوم بتربية نفسى وأتعلم الحياة . وهذه ليست مهمتك ، بل مهمتى أنا . ولهذا قررت أن أتركك الآن .

هيملر : (**ناهضا**) ماذا تقولين ؟

نورا : يجب ألا أعتمد إلا على نفسى إذا أردت أت أتفهم سريرة نفسى ، وألم بالعالم المحيط بى . وهذا ما يدفعنى إلى الانفصال عنك .

هيملر : هذا جنون ، لن أسمح لك . إننى أمنعك .

نورا : لم يعد يجدى المنع معى . لن آخذ إلا ما يخصنى . ولن أقرب شيئا لك .. سواء الآن أو فيما بعد .

هيملر : هراء .

نورا : وغدا أقصد بيت أبى حيث نشأت ، فهناك من السهل أن أجد ما أشغل به نفسى .

هيملر : تخريف لا يتصوره العقل .

نورا : يجب أن أتزود بما ينقصنى من دراية يا تورفالد .

هيملر : تهجرين بيتك وزوجك وأولادك دون أن تفكرى فيما قد يقوله الناس ؟

نورا : لست أبالى بما يقوله الناس ، فلابد لى أن أذهب .

هيملر : دون اكتراث بأقدس واجباتك ؟

نورا : ما هى أقدس واجباتى فى نظرك ؟

هيملر : وهل هذه مسألة تحتاج إلى شرح ؟ إنها واجباتك نحو زوجك وأولادك .

نورا : لدى واجبات أخرى لا تقل عنها قداسة .

هيملر : غير معقول . ما هى ؟

نورا : واجباتى نحو نفسى .

هيملر : أنت زوجة وأم لأطفال قبل أى شيء آخر .

نورا : لم أعد أومن بذلك ، إننى مخلوق آدمى عاقل .. مثلك تماما ، أو على الأقل ، هذا ما يجب أن أسعى إليه . صحيح يا تورفالد إن معظم الناس قد يتفقون معك ، فهذه الآراء تحتشد بها صفحات الكتب ، ولكننى ما عدت أقنع بما يراه الناس ولا بما يرد فى الكتب . أريد أن أزن الأشياء بوحى من فكرى أنا ، لا من فكر الغير .. وأن أرقى إلى مرتبة الفهم والإدراك .

هيملر : أوَ تعجزين عن أن تدركى علاقتك بأفراد أسرتك ؟ كأنى بك قد تناسيت المرجع الذى نهتدى به فى الظلمات .. ألا وهو تعاليم الدين ؟

نورا : يؤسفنى يا تورفالد أننى أجهل من الجهل فى هذه الناحية .

هيملر : نورا !

نورا : لا يسع علمى أكثر من القشور التى تلقفتها من فم الكاهن يوم الاعتراف . إذ أوصانا بما تنص عليه تعاليم الدين ، دون أن نفقه بالضبط ما يرمى إليه ، على أية حال ، عندما أختلى بنفسى سأقلب الأمر من كافة وجوهه لأصل إلى جوهر الموضوع .

هيملر : هذا كلام لا يصح لفتاة فى سنك أن تتلفظ به . وما دمت تجهلين تعاليم دينك فمن واجبى أن أوقظ ضميرك . وأظنك لم

تفقدى بعد إحساسك بالفضيلة ، أم هل تجردت عن ذلك أيضا ؟ أجيبى .

نورا : هذا سؤال عويص يا تورفالد . الحق أننى لا أعرف الجواب ، فالمشكلة تحيرنى ، كل ما أعلمه أننا ، أنا وأنت ، ننظر إليها من زاويتين مختلفتين ، وقد أصبحت أعرف الآن أن القانون لا يتفق مع الصورة التى كانت منطبعة فى ذهنى .. إذ هو لا يجيز لامرأة أن تقصى الهموم عن أبيها المريض ، ولا أن تنقذ حياة زوجها ، وهو ما لا يتصوره عقلى .

هيملر : إنك تتحدثين كطفلة لا تعى شيئا من ظروف الحياة التى تعيش فيها .

نورا : هذا صحيح . ولكننى سأحاول الآن أن أعرف من منا المصيب ومن المخطئ : أنا أم الحياة التى نعيش فيها .

هيملر : إنك تهذين يا نورا . لا أظن أنك فى وعيك .

نورا : لم أكن فى يوم من الأيام أعقل ولا أوثق بنفسى مما أنا الآن .

هيملر : وهل من العقل والثقة بالنفس أن تتخلى عن زوجك وأولادك ؟

نورا : نعم .

هيملر : إذن فليس للمسألة سوى تفسير واحد .

نورا : ما هو ؟

هيملر : أنك لم تعودى تحبيننى .

نورا : أصبت .

هيملر : نورا !.. أوَ تقولين ذلك أمامى ؟

نورا : هذا ما يحز فى نفسى يا تورفالد ، وخاصة أنك كنت لطيفا دائما معى . ولكن لايد لى فى الأمر . إننى لم أعد أحبك .

هيملر : (**وقد عاد إلى تمالك نفسه**) وهل هذا الكلام صادر عن ثقة بالنفس أيضا ؟

نورا : نعم ، ولهذا لم أعد أريد البقاء هنا .

هيملر : وماذا فعلت حتى أفقد حبك لى ؟

نورا : الليلة ، عندما لم تحدث المعجزة ، أدركت أنك على خلاف ما كنت أظن .

هيملر : لست أفهم .

نورا : طوال الأعوام الثمانية التى قضيناها معا وأنا أنتظر فى صبر ، لتأكدى بأن المعجزات ليست من الأمور العادية التى تحدث فى كل يوم ، ثم نزلت بى تلك الكارثة ، فأيقنت أن أوان المعجزة قد حل ، ولم يخطر لى ببال ، عندما وصل خطاب كروجشتاد ، أنك سترضخ لشروطه . بل كنت متأكدة أنك ستقول له « أذع القصة على الملأ » ، ثم ...

هيملر : ثم ماذا ؟ بعد أن أكون قد عرضت باسم زوجتى وجلبت عليها الفضيحة ؟

نورا : ثم تقدم لتحمل عنى وزر المسئولية قائلا : « أنا المذنب » .

هيملر : نورا ...

نورا : أتعنى أننى ما كنت لأقبل منك هذه التضحية ؟ هذا صحيح . ولكن ماذا كانت تجدى احتجاجاتى وقتها أمام تشبثك برأيك ؟ تلك هى المعجزة التى كنت أنتظرها وأخشاها . وهذا هو السبب الذى من أجله فكرت فى أن أقدم على الانتحار .

هيملر : إننى مستعد أن أواصل العمل ليل نهار بوجه باسم . وأن أتقبل الألم والفاقة بصدر رحب .. من أجلك يا نورا . ولكن ما من رجل يقبل التضحية بشرفه فى سبيل المرأة التى يحب .

نورا : آلاف من النساء أقدمن على التضحية .

هيملر : إنك تفكرين وتتكلمين كطفلة لم يكتمل نموها .

نورا : ربما . أما أنت فلا تفكيرك ولا كلامك يتفقان مع ما يجب أن يتوافر فى الرجل الذى أشاطره حياتى . فعندما زالت مخاوفك ــ فيما يخصك أنت لا فيما يخصنى أنا ــ وعندما تبدد الخطر بالنسبة لك ، عادت الأمور إلى نصابها وكأن شيئا لم يحدث ، وأصبحت من جديد بلبلتك الصغيرة ، ودميتك المسلية . التى يجب أن تزيد فى حرصك عليها وعنايتك بها فى المستقبل ، بسبب ضعفها وسرعة تعرضها للكسر . (**تنهض**) عندئذ ، وضح لى يا تورفالد أننى كنت أعيش طوال تلك الأعوام الثمانية مع رجل غريب ، وأننى أنجبت له ثلاثة أطفال . رباه . إن بدنى يقشعر لمجرد التفكير فى الأمر .

هيملر : (**بأسى**) فهمت . لقد امتدت بيننا هوة سحيقة .. ولكننا نستطيع التغلب عليها يا نورا .

نورا : بوضعى الراهن ، لم أعد أصلح زوجة لك .

هيملر : فى وسعى أن أخلق من نفسى رجلا آخر .

نورا : جائز .. عندما تؤخذ منك دميتك .

هيملر : ولكن هذا الانفصال .. هذا الانفصال عنك .. لست أرى له مبررا .

نورا : (**متجهة إلى غرفة اليمين**) وهذا أدعى إليه .

(تعود بمعطفها وقبعتها مع حقيبة ثياب تضعها على أحد المقاعد) .

هيملر : نورا .. نورا .. ليس الآن . انتظرى إلى الغد .

نورا : (**وهى ترتدى معطفها**) لا أستطيع المبيت فى دار رجل غريب .

هيملر : أوَ لا يمكننا أن نعيش كأخ وأخت ؟

نورا : (**وهى تلبس قبعتها**) تعلم جيدا أن هذا وضع لا يمكن أن يستمر . (**تلتف بالوشاح**) وداعا يا تورفالد . لست فى قلق على الأطفال ، لعلمى أنهم فى أيد أمينة سترعاهم أفضل منى .. فى حين لن أستطيع أنا أن أفيدهم فى شىء .

هيملر : بمرور الزمن يا نورا .. بمرور الزمن ..

نورا : من يدرى ؟ لا علم لى بما يخبئه المستقبل .

هيملر : ولكنك زوجتى مهما تغيرت الظروف .

نورا : اسمع يا تورفالد . يقال إن الزوجة التى تهجر بيت زوجها ، كما هو الحال معى ، تحل زوجها قانونا من جميع التزاماته نحوها . وسواء أكان هذا القول صحيحا أم لا ، فإننى أحلك من جميع

التزاماتك ، حتى لا يتقيد أحدنا برباط من أى نوع ، وحتى يشعر كلانا بحرية مطلقة . وتأكيدا لذلك ، هاك خاتمك ، فأعطنى خاتمى .

هيملر : حتى هذا أيضا ؟

نورا : حتى هذا أيضا .

هيملر : ها هو ذا .

نورا : والآن ، انتهى كل شيء . المفاتيح هنا . والخدم يعرفن شئون البيت خيرا منى . سأرسل كريستين غدا لتحزم ما يخصنى من الأمتعة التى جئت بها يوم زواجى ، وترسلها إلى فى بيتنا .

هيملر : انتهى كل شيء ! انتهى كل شيء ! ألن تتذكرى فى هذا اليوم يا نورا ؟

نورا : بل سيتجه فكرى معظم الوقت إليك ، وإلى الأطفال وإلى هذا البيت .

هيملر : أيمكننى أن أكتب إليك يا نورا ؟.

نورا : لا . أبدا .. لا تفعل ذلك أبدا .

هيملر : اسمحى لى على الأقل أن أرسل إليك ...

نورا : لا شيء .. لا شيء ..

هيملر : من حقى أن أساعدك إذا ضاقت بك الحاجة .

نورا : كلا . لا يمكننى أن أقبل عونا من غريب .

هيملر : نورا .. ألن أكون لك أبدا أكثر من غريب ؟

نورا : (**تأخذ الحقيبة**) . إذا حدثت معجزة من المعجزات يا تورفالد .

هيملر : أى معجزة ؟ خبرينى .

نورا : أن تتغير نظرتنا إلى الأشياء تغيرا كليا حتى .. أوه . ولكننى لم أعد أومن بالمعجزات يا تورفالد .

هيملر : أنا أومن بها . خبرينى . حتى ماذا ؟

نورا : حتى تصبح حياتنا معا حياة زوجية بالمعنى الصحيح . وداعا يا تورفالد . (**تخرج من الصالة**) .

هيملر : (**يتهالك على أحد المقاعد بالقرب من الباب ، ويدفن رأسه بين راحتيه**) نورا . نورا . (**ينظر حوله ثم ينهض واقفا**) فراغ . ذهبت . (**يومض فى ذهنه بريق أمل**) آه . معجزة المعجزات ...

(**يسمع صوت الباب الخارجي وهو يصفق**) .

(ستار الختام)

المترجـم :

د. أحمد النادى : ـ من مواليد دميــاط ـ ج.م.ع. استاذ الدراما المساعد بجامعة الكويت لــه أبحاث فى الدرامــا باللغتين العربية والانجليزية ، ترجم أعمال جــون سينج الى العربية .. نشرت فى السلسلة كما قام بترجمة عــدة أعمال اخرى من المسرح الايرلندى فى طريقهــا الى النشر .

المراجـع :

د. طــه محمود طــه : ـ من مواليد طنطا ج.م.ع. أستاذ الادب الانجليزى الحديث بجامعة الكويت .

لــه مؤلفات فى الرواية الحديثة باللغتين العربية والانجليزية .

مختارات من إبسن

لإبسن مكان كبير فى تاريخ المسرح ؛ إذ إنه من أساتذة الصنعةالمسرحية، ومعلم من معالم تطورالمفهوم المسرحى. كان المسرح قبله بعيدًا عن مشاكل المجتمع الحقيقية، خاضعًا فى بنائه لمواصفات "أرسطو" المعلم الأول. وكانت المسرحيات تتراوح بين الإتقان المحكم والفتور البارد مثل مسرحيات "سكريب" و"ساردو" الكاتبين الفرنسيين اللذين راجت مسرحياتهما ، وطوَّفت عبرالقارة الأوروبية فى ذلك الزمان. حتى كتب "إبسن" مسرحياته، فعبرعن مفهوم جديد للمسرح، وربطه بالحياة الدائرة، واختار شخصياته من غمار الناس، وناقش قيم المجتمع وأهدافه.

وقد تأثر بإبسن عدد كبير من كُتَّاب المسرح الذين وفدوا بعده، وخاصة الكاتب المسرحى العظيم وأحد موجهى هذا العصر "جورج برنارد شو". كانت حماسة برنارد شو لإبسن لا تقل عن حماسته لجميع الأفكار الجديدة التى عاش حياته من أجلها ، ومنه عرف شو أن سرَّ المسرح الجيد هو أن يختار الكاتب المسرحى نماذجه من غمار الناس، وأن يكون عينًا يقظة تتتبع ملامح عصره ، وعقلاً نافذًا يلقى فيها الرأى والتوجيه.

تصميم الغلاف : أسامة العبد

المجلس الأعلى للثقافة

المشروع القومى للترجمة

NORWEGIAN EMBASSY